بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النساء (١٤٨-١٥٩) من التفسير الميسّر

لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨)

لا يُحِبُّ الله أن يَجهر أحدٌ بقول السوء، لكن يُباح للمظلوم أن يَذكُر ظالمه بما فيه من السوء؛ ليبيِّن مَظْلمته. وكان الله سميعًا لما تجهرون به، عليمًا بما تخفون من ذلك.

إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)

نَدَب الله تعالى إلى العفو، ومهَّد له بأنَّ المؤمن: إمَّا أن يُظهر الخير، وإمَّا أن يُخفيه، وكذلك مع الإساءة: إما أن يظهرها في حال الانتصاف من المسيء، وإما أن يعفو ويصفح، والعفوُ أفضلُ؛ فإن من صفاته تعالى العفو عن عباده مع قدرته عليهم.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠)

إن الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكذبوا رسله الذين أرسلهم إلى خلقه، أو يعترفوا بصدق بعض الرسل دون بعض، ويزعموا أنَّ بعضهم افتروا على ربِّهم، ويريدون أن يتخذوا طريقًا إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها.

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١)

أولئك هم أهل الكفر المحقَّق الذي لا شك فيه، وأعتدنا للكافرين عذابًا يخزيهم ويهينهم.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢)

والذين صَدَّقوا بوحدانية الله، وأقرُّوا بنبوَّة رسله أجمعين، ولم يفرقوا بين أحد منهم، وعملوا بشريعة الله، أولئك سوف يعطيهم جزاءهم وثوابهم على إيمانهم به وبرسله. وكان الله غفورًا رحيمًا.

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣)

يسألك اليهود -أيها الرسول- معجزة مثل معجزة موسى تشهد لك بالصدق: بأن تنزل عليهم صُحُفًا من الله مكتوبةً، مثل مجيء موسى بالألواح من عند الله، فلا تعجب -أيها الرسول- فقد سأل أسلافهم موسى -عليه السلام- ما هو أعظم: سألوه أن يريهم الله علانيةً، فَصُعِقوا بسبب ظلمهم أنفسهم حين سألوا أمرًا ليس من

حقِّهم. وبعد أن أحياهم الله بعد الصعق، وشاهدوا الآيات البينات على يد موسى القاطعة بنفي الشرك، عبدوا العجل من دون الله، فعَفونا عن عبادتهم العجل بسبب توبتهم، وآتينا موسى حجة عظيمة تؤيِّد صِدق نُبُوَّته.

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤)

ورفعنا فوق رؤوسهم جبل الطور حين امتنعوا عن الالتزام بالعهد المؤكد الذي أعطوه بالعمل بأحكام التوراة، وأمرناهم أن يدخلوا باب «بيت المقدس» سُجَّدًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وأمرناهم ألا يَعْتَدُوا بالصيد في يوم السبت فاعتدَوا، وصادوا، وأخذنا عليهم عهدًا مؤكدًا، فنقضوه.

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)

فلعنَّاهم بسبب نقضهم للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلمًا واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغطية فلا تفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلا لا ينفعهم.

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦)

وكذلك لعنَّاهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم بما نسبوه إليها من الزنى، وهي بريئة منه.

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧)

وبسبب قولهم -على سبيل التهكم والاستهزاء-: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوا عيسى وما صلبوه، بل صلبوا رجلا شبيهًا به ظنًّا منهم أنه عيسى. ومن ادَّعى قَتْلَهُ من اليهود، ومن أسلمه إليهم من النصارى، كلهم واقعون في شك وحَيْرَة، لا عِلْمَ لديهم إلا اتباع الظن، وما قتلوه متيقنين بل شاكين متوهمين.

بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)

بل رفع الله عيسى إليه ببدنه وروحه حيًّا، وطهَّره من الذين كفروا. وكان الله عزيزًا في ملكه، حكيمًا في تدبيره وقضائه.

وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)

وإنه لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب بعد نزول عيسى آخر الزمان إلا آمن به قبل موته عليه السلام، ويوم القيامة يكون عيسى -عليه السلام- شهيدًا بتكذيب مَن كذَّبه، وتصديق مَن صدَّقه.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النساء (١٤٨-١٥٩)

المعنى	الكلمة
تُظهِروا	تُبدُوا
علانية معاينة بالبصر	جَهرَة
نار أو صيحة من السماء	الصاعقة
عبدوا العِجل	اتخذوا العِجل
جبل في سَيْناء	الطور
بسبب تهاونهم في الالتزام بعهودهم	بميثاقهم
باب بيت المقدس	الباب
لا تعتدوا بصيد الحيتان في يوم السبت	لا تعدوا في السبت
على قلوبنا أغطية فلا تعي شيئا	قلوبنا غُلْف
ختم الله عليها فحجبها عن الإيمان	طبع الله عليها
كذبا وزورا كبيرا، وهو الرمي بالزنى	بهتانا عظيما
ولم يعلّقوه على خشبة الصليب بعد قتله	وما صَلَبوه
أُلقي شبه عيسى عليه السلام على رجل آخر	شُبّه لهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة النساء ١٤٨-١٥٩

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة النساء من الآية الثامنة والأربعين بعد المائة وحتى الآية التاسعة والخمسين بعد المائة.

أبدأ بالآية الأولى وهي قول الله تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة النفي التي ابتدئت بها الآية وما ارتبط بها من استثناء قد انتهت هنا، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ مبدوءةٌ بـ (كان) في قوله (وكان الله سميعًا عليمًا) فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (إن تبدوا خيرًا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن جواب الشرط الذي ابتدئت به الآية لم يأتِ بعد، وجواب الشرط في قوله (فإن الله كان عفوًا قديرًا)، فلا وقف إلا في نهاية الآية، والله أعلم.

الآية التي تليها: (إن الذين يكفرون بالله ورسله)، ثم قال (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله)، ثم قال (ويقولون نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعض)، ثم قال (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً)، هذه جملٌ معطوفاتٌ على بعضها، فهل يصح الفصل بينها؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن هذه الجمل معطوفةٌ على اسم (إنّ) وكلها تنتظر خبرًا لتتم الجملة، والخبر لم يأت إلا في الآية التي بعدها في قوله (أولئك هم الكافرون حقًا)، وبالتالي لا وقف في هذه الآية.

وفي الآية التي بعدها يصح الوقف على قوله (حقًّا) كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأن جملة (إنّ) قد انتهت هنا، ثم جاءت جملةٌ فعليةٌ مستأنفةٌ في قوله (وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن خبر المبتدأ الذي ابتدئت به الآية لم يأت بعد، المبتدأ في قوله (والذين...)، خبره في قوله (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم)، فلا وقف قبل الخبر، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (سوف يؤتيهم أجورهم)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الجملة الاسمية باسمها وخبرها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملةٌ فعليةٌ مستأنفةٌ مبدوءةٌ بـ (كان) في قوله (وكان الله غفورًا رحيمًا)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن ذكر سؤال أهل الكتاب قد انتهى هنا، ثم جاء بيان تعنتهم في السؤال وعادتهم في ذلك في قوله (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك...)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك)؟

الجواب: لا يصح، لأن قوله (فقالوا أرنا الله جهرةً) بيانٌ للسؤال الذي أُبهم في قوله (سألوا موسى أكبر من ذلك)، وقد جاء هذا البيان معطوفًا بحرف الفاء، فلم يصح الفصل بينهما، كما نص على ذلك الأشموني، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (فقالوا أرنا الله جهرةً)؟

جوّز الوقف هنا الأشموني وحده، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) جملةٌ تضمنت عاقبة سؤالهم أن يريهم الله جهرةً، وهذه العاقبة قد عطفت بفاءٍ لربط السبب بالمسبب، فلم يصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أنه قد بدأ بعدها في بيان أمرٍ آخر من فضائح اليهود في قوله (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات)، و (ثم) هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الفعل، وقد انتهى من ذكر سؤالهم الأول وما عاقبهم الله به عليه، فصح الفصل بين الجملتين، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله (فعفونا عن ذلك) تضمن بيان عاقبة ما حصل لهم بعدما اتخذوا العجل، فلم يصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (فعفونا عن ذلك)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن قد انتهى من ذكر فضائح اليهود هنا، ثم بين أنه قد أعطى موسى عليه السلام آياتٍ بيناتٍ، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم)، ثم قال (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدًا)، ثم قال (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت)، ثم قال (وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا)، هذه جملٌ معطوفاتٌ على بعضها، فهل يصح الفصل بينها؟

نص على الفصل بينها الهبطي وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، ونص الأشموني على جواز الفصل بين قوله (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) وقوله (وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا)، وإذا تأملنا فإن هذه الجمل المعطوفات كل جملةٍ تضمنت إحدى فضائح اليهود، وما حصل منهم تجاه أوامر الله سبحانه وتعالى، لكن كل جملةٍ قد استقلت بنفسها، وفُهم المقصود منها بذاتها، فالقول بالوقف على كل جملةٍ هنا له وجهٌ، والله تعالى أعلم.

وأما ما نص عليه الأشموني من تجويز الوقف على قوله (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) خاصةً، فإن له وجهًا آخر، وذلك أنه ذكر بعض فضائحهم تفصيلاً، ثم ذكر أمرًا عامًا في قوله (وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا)، فصح الفصل هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف): لا يصح الوقف إلا هنا، كما نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، لأنه قد انتهى هنا من ذكر أسباب لعنهم، وهي أربعة أسباب: (نقضهم ميثاقهم)، (وكفرهم بآيات الله)، (وقتلهم الأنبياء بغير حق)، (وقولهم قلوبنا غلف)، ثم جاءت بعدها (بل) التي هي للإضراب، لبيان ما عاقبهم الله به من الطبع على قلوبهم حين قالوا (قلوبنا غلف)، في قوله (بل طبع الله عليها بكفرهم)، فصح الوقف هنا، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (بل طبع الله عليها بكفرهم)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله (فلا يؤمنون إلا قليلا) تضمن فاءً عاطفةً لربط السبب بالمسبب، فلما طبع الله على قلوبهم بسبب كفرهم كانت النتيجة أنهم لا يؤمنون إلا قليلاً.

الآية التي تليها: (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا) لا وقف فيها، لأنها جملةٌ واحدةٌ.

الآية التي تليها: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم) هل يصح الوقف هنا؟

نص على الوقف هنا بعض القراء، حكاه النحاس والداني عن بعضهم، ونص الأشموني أنه وقف بيان، ووجه هذا القول من ناحيةٍ إعرابيةٍ أنهم يعتبرون قوله (رسول الله) مستأنف على إضمار: أعني رسول الله، وذلك حتى لا يتوهم أن اليهود قالوا: إنا قتلنا رسول الله، ونص بعضهم أنهم لم يقروا بأنه رسول الله، لكن هذا فيه نوع تكلف، والأقرب ما ذهب إليه أكثر علماء الوقف والابتداء من الوقف على قوله (رسول الله) وأنها من قولهم استهزاءً وسخريةً، و (رسول الله) صفةٌ لعيسى عليه السلام أو بدلٌ منه، فلا وقف إلى على (رسول الله)؛ لأن قولهم قد انتهى هنا، ثم بدأ الله ببيان حقيقة ما وقع بجملةٍ منفيةٍ بقوله (وما قتلوه وما صلبوه)، فصح الوقف هنا، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة النفي المبيّنة أنهم لم يقتلوا عيسى عليه السلام وإنما شبه لهم قد انتهت هنا، ثم جاءت جملةٌ معطوفةٌ مستقلةٌ مبدوءةٌ بـ (إنّ) في قوله (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة (إنّ) قد انتهت هنا باسمها وخبرها، ثم جاءت جملة نفيٍ مستأنفةٍ في قوله (ما لهم به من علمٍ إلا اتباع الظن)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ما لهم بهم من علمٍ)؟

الجواب: لا يصح، وقد نص على الوقف هنا الهبطي، ولم ينص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجه عدم صحته أنه قد جاء بعده استثناءٌ، ولا يصح الوقف قبل الاستثناء، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ما لهم به من علمٍ إلا اتباع الظن)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أنه قد انتهى هنا نفي أن يكون لديهم علمٌ إلا مجرد الظن، ثم جاءت جملة نفيٍ أخرى لتأكيد أنهم لم يقتلوه في قوله (وما قتلوه يقينًا)، فصح الوقف هنا، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (وما قتلوه) قبل (يقينا)؟ على أن تُقرأ (يقينًا) متصلةً بالآية التي بعدها في قوله (بل رفعه الله إليه)، فيقرأ القارئ (وما قتلوه)، ثم (يقينًا بل رفعه الله إليه)؟

نص على الوقف هنا أحمد بن موسى اللؤلؤي، ونص الأنصاري والأشموني على أنه وقفٌ تامٌ إذا جعلنا قوله (يقينًا) متعلقًا بما بعده، تقديره: يقينا لم يقتلوه بل رفعه الله إليه.

وقد ذكرا - أعني الأنصاري والأشموني - أنه على غير هذا التقدير ليس بوقف، والذي يظهر والعلم عند الله أن الوقف هنا فيه تكلفٌ من وجهين:

الوجه الأول: أن قوله (يقينًا) رأس آية، ورأس الآية يسنّ الوقف عليه، كما ذكرت أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقطّع قراءته آيةً آيةً.

والوجه الثاني: ما ذكره النحاس من أن (بل) في قوله (بل رفعه الله إليه) ما بعدها لا يمكن أن يعمل فيما قبلها نحويًّا، فـ (يقينًا) لا يمكن أن تنتصب بجملة (رفعه الله إليه) الواقعة بعد (بل).

فلم يصح الوقف على قوله (وما قتلوه)، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (بل رفعه الله إليه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الجملة الفعلية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ مبدوءةٌ بـ (كان) في قوله (وكان الله عزيزًا حكيمًا)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية الأخيرة: (وإن مّن أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) هل يصح الوقف هنا؟

جوّز الوقف هنا السجاوندي والأشموني، ووضعت علامة الوصل أولى هنا في مصحف المدينة، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا) ظرفٌ لكونه شهيدًا عليهم لا لإيمانهم به، فليس المقصود أنهم يؤمنون به يوم القيامة، بل المقصود أنه يكون عليهم شهيدًا يوم القيامة، وبناءً عليه الوقف هنا له وجهٌ، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا وعملاً وهدًى وتقًى، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد ولطائف سورة النساء ١٤٨-١٥٩

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم):

عن ابن عباس قوله: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول)، يقول: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون مظلوما، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: (إلا من ظلم)، وإن صبر فهو خير له...

وعن الحسن قال: هو الرجل يظلم الرجل فلا يدعُ عليه، ولكن ليقل: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد، ونحوه من الدعاء. تفسير الطبري (٩/ ٣٤٤)

وقال البغوي: يعني: لا يحب الله الجهر بالقبح من القول إلا من ظُلم، فيجوز للمظلوم أن يخبر عن ظلم الظالم وأن يدعو عليه، قال الله تعالى: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل). وقيل: إن شتم جاز أن يشتم بمثله لا يزيد عليه... وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المستبان ما قالا، فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم». تفسير البغوي (١/ ٧١٦).

وقال ابن القيم: قوله تعالى: {لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم} المشهور (ظُلم) مبني للمفعول، وعلى هذا ففي الاستثناء قولان: أحدهما: أنه منقطع، أي: لكن من ظلم فإنه إذا شكا ظالمه وجهر بظلمه له لم يكن آثما... ومضمون (لا يحب كذا) أنه يبغضه ويبغض فاعله، (إلا من ظلم) فإن جهره وشكايته لظالمه حلال له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليّ الواجد يحل عرضه وعقوبته)، فعِرضُه شكاية صاحب الحق له، وقوله: ظلمني ومطلني ومنعني حقي، وعقوبته ضرب الإمام له حتى يؤدي ما عليه في أصح القولين في مذهب أحمد، وهو مذهب مالك، وقيل: هو حبسه. وقيل: هو استثناء متصل، والجهر بالسوء هو جهره بالدعاء أن يكشف الله عنه ويأخذ له حقه، أو يشكو ذلك إلى الإمام ليأخذ له بحقه. بدائع الفوائد (٣/ ٧٢-٧٣).

وقال السعدي: ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك، فإن ذلك كله من المنهي عنه الذي يبغضه الله. ويدل مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين. وقوله: {إلا من ظلم} أي: فإنه يجوز له أن يدعو على من ظلمه ويتشكى منه، ويجهر بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه، ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعفوه وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: {فمن عفا وأصلح فأجره على الله} . تفسير السعدي (ص: ٢١٢).

وقال ابن عاشور: ورخص الله للمظلوم الجهر بالقول السيء ليشفي غضبه، حتى لا يثوب إلى السيف أو إلى البطش باليد، ففي هذا الإذن توسعة على من لا يمسك نفسه عند لحاق الظلم به. التحرير والتنوير (٦/ ٦).

(إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا):

قال ابن تيمية: الثواب والعقاب يكونان من جنس العمل في قدر الله وفي شرعه: فإن هذا من العدل الذي تقوم به السماء والأرض؛ كما قال الله تعالى: {إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا} ، وقال: {وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم} ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم {من لا يرحم لا يرحم} ، وقال: {إن الله وتر يحب الوتر} ، وقال: {إن الله جميل يحب الجمال} ، وقال: {إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا} . مجموع الفتاوى (٢٨/ ١١٩).

وقال السعدي: في هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، كما في هذه الآية: لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك بأن أحالنا على معرفة أسمائه، وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص. تفسير السعدي (ص: ٢١٢).

(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا):

عن قتادة قال: أولئك أعداء الله اليهود والنصارى. آمنت اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى. وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم. فاتخذوا اليهودية والنصرانية، وهما بدعتان ليستا من الله، وتركوا الإسلام وهو دين الله الذي بعث به رسله. تفسير الطبري (٩/ ٣٥٤).

وقال ابن تيمية: الأنبياء كلهم دينهم واحد، وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم، وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم، وكذلك التكذيب والمعصية: لا يجوز أن يكذِّب نبي نبيا، بل إن عرفه صدّقه، وإلا فهو يصدق بكل ما أنزل الله مطلقا، وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته، ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي؛ ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي، ومن كذبه فقد كذب كل نبي؛ ومن عصاه فقد عصى كل نبي، قال تعالى: {إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا}، وقال تعالى: {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون}. مجموع الفتاوى (١٩/ ١٨٥).

وقال ابن تيمية: قال عن الكفار حيث قالوا: (نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا)، وكان نصيب خالصة الأمة من ذلك أن تؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة، لا تفرق بين النصوص فتتبع بعضها وتترك بعضها، فبذلك يصيرون من أهل السنة، دون الذين تركوا السنن والآثار أو بعضها، أو تمسكوا ببعض آي القرآن دون بعض من أصناف المبتدعة. جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٣٠).

وقال ابن تيمية: لا ريب أنّ من قدم على كلام الله ورسوله ما يعارضه من معقول أو غيره، وترك ما يلزمه من الإيمان به، كمن آمن بما يناقضه، فقد آمن ببعض وكفر ببعض، وهذا حقيقة حال أهل البدع. درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٨٢).

وقال ابن كثير: يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك، بل بمجرد الهوى والعصبية. فاليهود -عليهم لعائن الله- آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمدا عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم... والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥).

وقال السعدي: هنا قسمان قد وضحا لكل أحد: مؤمن بالله وبرسله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله.
وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا سبيل ينجيه من عذاب الله، إن هذا إلا مجرد أماني. فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله.
فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحدا من رسله فقد عادى الله وعادى جميع رسله، كما قال تعالى: {من كان عدوا لله...} الآيات. وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال: {أولئك هم الكافرون حقا}، وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر. تفسير السعدي (ص: ٢١٢).

(أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا):
قال ابن كثير: {أولئك هم الكافرون حقا} أي: كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعيا، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلا وأقوى برهانا منه لو نظروا حق النظر في نبوته.
وقوله: {وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا} أي: كما استهانوا بمن كفروا به إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله، وإعراضهم عنه، وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته، كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة، وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل

الأخروي: {وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله} في الدنيا والآخرة. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥).

(والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم):

قال السعدي: {أولئك سوف يؤتيهم أجورهم} أي: جزاء إيمانهم وما ترتب عليه من عمل صالح، وقول حسن، وخلق جميل، كل على حسب حاله. ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم. تفسير السعدي (ص: ٢١٣).

(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء):

سبب النزول: عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن موسى جاء بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك! فأنزل الله: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء)، إلى قوله: (وقولهم على مريم بهتانا عظيما). تفسير الطبري (٩/ ٣٥٦).

وقال السعدي: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح، وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده، كما قال تعالى عن الرسول لما ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم: {قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا}.

وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزول هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}.

فلما ذكر اعتراضهم الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلكوه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. تفسير السعدي (ص: ٢١٣).

وقال ابن عاشور: الرسل لا تجيء بإجابة مقترحات الأمم في طلب المعجزات، بل تأتي المعجزات بإرادة الله تعالى عند تحدي الأنبياء، ولو أجاب الله المقترحين إلى ما يقترحون من المعجزات لجعل رسله بمنزلة المشعوذين... إذ يتلقون مقترحات الناس في المحافل والمجامع العامة والخاصة، وهذا مما يحط من مقدار الرسالة. التحرير والتنوير (٦/ ١٤).

(فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم):

قال الشوكاني: (بظلمهم) للسببية، أي: بسبب ظلمهم في سؤالهم الباطل، لامتناع الرؤية عيانا في هذه الحالة، وذلك لا يستلزم امتناعها يوم القيامة، فقد جاءت بذلك الأحاديث المتواترة، ومن استدل بهذه الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد غلط غلطا بينا. فتح القدير للشوكاني (١/ ٦١٤).

(ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك):

قال الطبري: قوله: (من بعد ما جاءتهم البينات) يعني: من بعد ما جاءت هؤلاء الذين سألوا موسى ما سألوا، البينات من الله، والدلالات الواضحات بأنهم لن يروا الله عيانا جهارا.

وإنما عنى بـ (البينات): أنها آيات تبين عن أنهم لن يروا الله في أيام حياتهم في الدنيا جهرة. وكانت تلك الآيات البينات لهم على أن ذلك كذلك: إصعاق الله إياهم عند مسألتهم موسى أن يريهم ربه جهرة، ثم إحياءه إياهم بعد مماتهم، مع سائر الآيات التي أراهم الله دلالة على ذلك.

يقول الله مقبحا إليهم فعلهم ذلك، وموضحا لعباده جهلهم ونقص عقولهم وأحلامهم: ثم أقروا للعجل بأنه لهم إله، وهم يرونه عيانا، وينظرون إليه جهارا، بعد ما أراهم ربهم من الآيات البينات ما أراهم: أنهم لا يرون ربهم جهرة وعيانا في حياتهم الدنيا، فعكفوا على عبادته مصدقين بألوهته! تفسير الطبري (٩/ ٣٦٠).

وقال ابن كثير: {ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات} أي: من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام في بلاد مصر، وما كان من إهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في اليم، فما جاوزوه إلا يسيرا حتى أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا لموسى: {اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون} . ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم العجل مبسوطة في سورة الأعراف، وفي سورة طه بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله عز وجل، ثم لما رجع وكان ما كان جعل الله توبتهم من الذي صنعوه وابتدعوه: أن يقتل من لم يعبد العجل منهم من عبده، فجعل يقتل بعضهم بعضا ثم أحياهم الله عز وجل، فقال الله عز وجل: {فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا} . تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٦).

(ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا):

قال ابن كثير: {وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا} أي: فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل، فإنهم أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس سجدا، وهم يقولون: حطة. أي: اللهم حط عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكولنا عنه، حتى تهنا في التيه أربعين سنة، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حنطة في شعرة.

{وقلنا لهم لا تعدوا في السبت} أي: وصيناهم بحفظ السبت والتزام ما حرم الله عليهم، ما دام مشروعا لهم، {وأخذنا منهم ميثاقا غليظا} أي: شديدا، فخالفوا وعصوا وتحيلوا على ارتكاب مناهي الله عز وجل، كما هو مبسوط في سورة الأعراف عند قوله: {واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت} الآيات. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٧).

وقال السعدي: فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحاجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها.

وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها دالة ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
ولما كان المراد من تعديد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضع، بل أشار إليها، وأحال على مواضعها، وقد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها. تفسير السعدي (ص: ٢١٣-٢١٤).

(وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم):

قال ابن تيمية: الضلال والمعاصي تكون بسبب الذنوب المتقدمة، كما قال الله: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}. وقال: {وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم}. وقال: {فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية}... وهذا باب واسع. ولهذا قال من قال من السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ١٠٥).

وقال ابن كثير: {قلوبنا غلف} قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي، وقتادة، وغير واحد: أي: في غطاء. وهذا كقول المشركين: {وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون}. وقيل: معناه أنهم ادعوا أن قلوبهم غلُف للعلم، أي: أوعية للعلم قد حوته وحصلته. رواه الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وقد تقدم نظيره في سورة البقرة. قال الله تعالى: {بل طبع الله عليها بكفرهم} فعلى القول الأول كأنهم يعتذرون إليه بأن قلوبهم لا تعي ما يقول؛ لأنها في غلف وفي أكنة، قال الله تعالى: بل هو مطبوع عليها بكفرهم. وعلى القول الثاني عكس عليهم ما ادّعوه من كل وجه. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٧).

(فلا يؤمنون إلا قليلا):

قال الطبري: إلا إيمانا قليلا يعني: تصديقا قليلا، وإنما صارقليلا، لأنهم لم يصدقوا على ما أمرهم الله به، ولكن صدقوا ببعض الأنبياء وببعض الكتب وكذبوا ببعض، فكان تصديقهم بما صدقوا به قليل،ا لأنهم

وإن صدقوا به من وجه، فهم به مكذبون من وجه آخر، وذلك من وجه تكذيبهم من كذبوا به من الأنبياء وما جاءوا به من كتب الله، ورسل الله يصدق بعضهم بعضا. وبذلك أمر كل نبي أمته. وكذلك كتب الله يصدق بعضها بعضا، ويحقق بعضها بعضا. فالمكذب ببعضها مكذب بجميعها، من جهة جحوده ما صدقه الكتاب الذي يقر بصحته. فلذلك صار إيمانهم بما آمنوا من ذلك قليلا. تفسير الطبري (٩/ ٣٦٤).

(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم):

عن ابن عباس قال: لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى إلى السماء، فخرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين، فخرج عيسى من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا، فقال: أنت هو ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه، ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، فهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه، فهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم. تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٠).

وقال ابن جُزي: عدّد الله في جملة قبائحهم قولهم: (إنا قتلنا المسيح) لأنهم قالوها افتخارا وجرأة، مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه؛ لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقي عليه شبهُه، وهم يعتقدون أنه عيسى. التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢١٥).

وقال ابن كثير: {إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} أي: هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء، كقول المشركين: {يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون}. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٨).

(وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه):

قال البغوي: قال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت: نحن قتلناه، وقالت طائفة من النصارى: نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم: ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء، بل رفعه الله إلى السماء ونحن ننظر إليه.

وقيل: كان الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على وجه سيطانوس، ولم يلقه على جسده، فاختلفوا فيه، فقال بعضهم: قتلنا عيسى، فإن الوجه وجه عيسى عليه السلام، وقال بعضهم: لم نقتله؛ لأن جسده ليس جسد عيسى عليه السلام، فاختلفوا. تفسير البغوي (١/ ٧١٩).

(ما لهم به من علم إلا اتّباع الظن):

قال ابن تيمية: قوله تعالى في هذه: {ما لهم به من علم إلا اتباع الظن} هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم، وكذلك قوله: {إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى}، وكذلك قوله: {وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا}، وقوله تعالى {وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون}، وقوله: {...وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون}. فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون إلا الظن، وكذلك قوله: {قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فلله الحجة البالغة} مطالبة بالعلم، وذم لمن يتبع الظن وما عنده علم، وكذلك قوله: {نبئوني بعلم إن كنتم صادقين}، وقوله: {وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم}، وأمثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم، وعمل بالظن. مجموع الفتاوى (١٣/ ١١٠).

(وإن مّن أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته):

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا}. صحيح البخاري (٤/ ١٦٨).

وقال ابن كثير: قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام، إلا آمن به قبل موته، أي: قبل موت عيسى عليه السلام، ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير، رحمه الله هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبّه لهم، فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة... فيَقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية -يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف- فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم؛ ولهذا قال: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} أي: قبل موت عيسى، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب. {ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء، وبعد نزوله إلى الأرض.

فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى: أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد، عليهما الصلاة والسلام، فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره يتجلى له ما كان جاهلا به، فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعا له، إذا كان قد شاهد الملَك، كما قال تعالى في أول هذه السورة: {وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار} الآية، وقال تعالى: {فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا} الآيتين... ومن تأهل هذا جيدا وأمعن النظر، اتضح له أن هذا وإن كان هو الواقع، لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا، بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام، وبقاء حياته في السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة؛ ليكذّب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتضادت وتعاكست وتناقضت، وخلت عن الحق، ففرّط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى: تنقّصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عن قول هؤلاء وهؤلاء علوا كبيرا، وتنزه وتقدس لا إله إلا هو. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٤-٤٥٥).

وقال ابن كثير: هذه أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعني: في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان)... وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام، بل بدمشق، عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة الصلاة للصبح. وقد بنيت في هذه الأعصار في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة منارة للجامع الأموي بيضاء، من حجارة منحوتة، عوضا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى -عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة-وكان أكثر عمارتها من أموالهم، وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام... وهذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان، حيث تنزاح عللهم، وترتفع شبههم من أنفسهم؛ ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام متابعة لعيسى عليه السلام، وعلى يديه؛ ولهذا قال تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} . وهذه الآية كقوله تعالى {وإنه لعِلم للساعة} ، وقرئ: (علَم) بالتحريك، أي: إشارة ودليل على اقتراب الساعة، وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال، فيقتله الله على يديه، كما ثبت في الصحيح: (إن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء)، ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج، فيهلكهم الله به ببركة دعائه، وقد قال تعالى: {حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق} الآية. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٤-٤٦٥).

(ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا):

قال ابن كثير: قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله، وأقر بالعبودية لله عز وجل، وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} . تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة النساء ١٤٨-١٥٩

١- احرص على أن يسمع الناس منك قولا حسنا، وكلاما طيبا، ودعوة صالحة، وذكرا لله تعالى، واجعل هذا ديدنك وعادتك، وخاصة مع أقرب الناس إليك من والدين وزوج وأولاد وإخوة وأخوات، وإياك واللسان الفاحش البذيء، وابتعد عن رفقاء السوء الذين يعوّدونك على القول السيّء والفاحش والبذيء، وإن أساء إليك أحد أو ظلمك بقول أو فعل فعليك بالحِلم والعفو ما استطعت، لتنال عفو الله تعالى، فإن الله عفوّ يحب العفو، فإن أبيت إلا الرد على ظلمه وإساءته فاحذر أن تعتدي في الرد بأكثر من ظلمه وإساءته، أو تتّهم بالظلم من لم يظلمك، واعلم أن الله سميع لقولك، عليم بقصدك ونيتك (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ❋ إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا).

٢- من لم يؤمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر حقا، ولو آمن بجميع الأنبياء السابقين، ولو كان من أحسن الناس خلقا، وأطيبهم قلبا، وأكثرهم نفعا (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ❋ أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ❋ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما).

٣- من أحسن الطرق لمجادلة صاحب الباطل عند طرحه لبعض الشبه لرد الحق وصد الناس عنه بيان حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة تجاه أوامر الله وشرائعه، ليعلم الناس أن هذا المبطل معارض لأكثر أحكام الله وشرائعه الواضحة الثابتة المستقرّة، وأنه لا يقصد البحث عن الحق واتّباعه (يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم).

٤- اليهود من أكفر الطوائف، وأبعدهم عن الإيمان، وأكثرهم إجراما، وأعظمهم عنادا، وأشدّهم تكبرا، وأنقضهم للعهود، فاحذرهم أشد الحذر (يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ❋ ورفعنا فوقهم الطور

بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا * فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله).

٥- احذر أن تألف المعاصي وتتجرّأ عليها دون توبة، فإن المعصية تجرّ أختها، وعقوبة المعصية المعصية بعدها، ومن ألف المعاصي طبع الله على قلبه، وحينئذ يقوده الشيطان إلى الكفر والشرك والعياذ بالله (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما).

٦- رفع الله عيسى عليه السلام حيّا إلى السماء حين أراد اليهود قتله ولم يمُت بعد، وإنما قتلوا وصلبوا شخصا آخر أُلقي شبه عيسى عليه فظنوه المسيح عليه السلام، وكل ما يدّعيه اليهود والنصارى من كونه قُتل وصُلب كذب باطل مبنيٌّ على الظن والشك، وسينزل عليه السلام في آخر الزمان، وحينئذ يؤمن جميع أهل الكتاب الموجودون في ذلك الزمان أنه عبد الله ورسوله، وأنه ليس بإله ولا ابن إله ولا ثالث ثلاثة كما زعمت النصارى، وليس هو بولد زنى كما زعمت اليهود (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النساء (١٦٠-١٦٩) من التفسير الميسّر

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا (١٦٠)

فبسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حَرَّم الله عليهم طيبات من المأكل كانت حلالا لهم، وبسبب صدِّهم أنفسهم وغيرهم عن دين الله القويم.

وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)

وبسبب تناولهم الربا الذي نهوا عنه، واستحلالهم أموال الناس بغير استحقاق، وأعتدنا للكافرين بالله ورسوله مِن هؤلاء اليهود عذابًا موجعًا في الآخرة.

لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)

لكنِ المتمكنون في العلم بأحكام الله من اليهود، والمؤمنون بالله ورسوله، يؤمنون بالذي أنزله الله إليك -أيها الرسول- وهو القرآن، وبالذي أنزل إلى الرسل من قبلك كالتوراة والإنجيل، ويؤدُّون الصلاة في أوقاتها، ويخرجون زكاة أموالهم، ويؤمنون بالله وبالبعث والجزاء، أولئك سيعطيهم الله ثوابًا عظيمًا، وهو الجنة.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣)

إنا أوحينا اليك -أيها الرسول- بتبليغ الرسالة كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد يعقوب- وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان. وآتينا داود زبورًا، وهو كتاب وصحف مكتوبة.

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)

وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك في القرآن من قبل هذه الآية، ورسلا لم نقصصهم عليك لحكمة أردناها. وكلم الله موسى تكليمًا؛ تشريفًا له بهذه الصفة. وفي هذه الآية الكريمة، إثبات صفة الكلام لله -تعالى- كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه كلم نبيه موسى -عليه السلام- حقيقة بلا وساطة.

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)

أرسَلْتُ رسلا إلى خَلْقي مُبشِّرين بثوابي، ومنذرين بعقابي؛ لئلا يكون للبشر حجة يعتذرون بها بعد إرسال الرسل. وكان الله عزيزًا في ملكه، حكيمًا في تدبيره.

لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا (١٦٦)

إن يكفر بك اليهود وغيرهم -أيها الرسول- فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أَنْزَلَ عليه القرآن العظيم، أنزله بعلمه، وكذلك الملائكة يشهدون بصدق ما أوحي إليك، وشهادة الله وحدها كافية.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧)

إن الذين جحدوا نُبُوَّتك، وصدوا الناس عن الإسلام، قد بَعُدوا عن طريق الحق بُعْدًا شديدًا.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨)

إن الذين كفروا بالله وبرسوله، وظلموا باستمرارهم على الكفر، لم يكن الله ليغفر ذنوبهم، ولا ليدلهم على طريق ينجيهم.

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٦٩)

إلا طريق جهنم ماكثين فيها أبدًا، وكان ذلك على الله يسيرًا، فلا يعجزه شيء.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النساء (١٦٠-١٦٩)

الكلمة	المعنى
فبِظُلم من الذين هادوا	فبسبب ظلم اليهود
الرَّاسِخُون في العلم	المتمكّنون في العلم
والأسْبَاطِ	والأنبياءِ من ذرية يعقوبَ عليه السلام
زَبُورًا	كتابا فيه مواعظ وحِكَم

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة النساء ١٦٠-١٦٩

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة النساء من الآية الستين بعد المائة وحتى الآية التاسعة والستين بعد المائة.

أبدأ بالآية الأولى وهي قول الله تعالى: (فبظلمٍ من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيباتٍ أُحِلّت لهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نص على ذلك الأشموني، وذلك أن أسباب تحريم الطيبات التي حرمت عليهم بعد أن كانت حلالاً لهم لم تنتهِ هنا، وإنما جاءت تتمتها في قوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا)، فلم يصح الوقف هنا.

الآية التي تليها: (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نص على ذلك الأشموني، والسبب في ذلك أن أسباب تحريم الطيبات لا زالت مستمرة، فلم تنتهِ هنا بعد، بل جاءت تتمتها في قوله تعالى (وأكلهم أموال الناس بالباطل).

ثم يصح الوقف على قوله (بالباطل) كما نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أنه قد انتهت أسباب تحريم الطيبات هنا، ثم جاءت جملةٌ معطوفةٌ مستقلةٌ لبيان مصيرهم الأخروي في قوله تعالى (وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك) أين موضع الوقف في هذه الآية؟

اختلف العلماء في ذلك:

فمنهم من لم ينص على وقف في الآية كاملةً كالداني.

ومنهم من جعل الوقف على قوله (وما أُنزل من قبلك) فقط، ثم لا وقف إلى نهاية الآية، كما نص عليه الإمام يعقوب والأخفش.

ومنهم من جعل الوقف على قوله تعالى (والمقيمين الصلاة) فقط، كما نص عليه الهبطي.

ومنهم من جعل الوقف على قوله تعالى (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) فقط، كما نص عليه السجاوندي.

ومنهم من جعل الوقف محتملاً -يعني على اعتبار- على أكثر من موضعٍ من هذه المواضع الثلاثة، وهي (وما أنزل من قبلك)، (والمقيمين الصلاة)، (واليوم الآخر).

أما توجيه هذه الأقوال، فمن صحح الوقف على قوله (وما أنزل من قبلك) جعل قوله (والمقيمين الصلاة) منصوبًا على المدح أي: وأمدح المقيمين الصلاة، لأنه جاء منصوبًا بعد مرفوعات، فلا يمكن أن يكون معطوفًا عليها، وأفردها لبيان فضلها على غيرها، كما هو مذهب سيبويه، فقالوا: لما أُفردت ونُصبت على المدح صح إفرادها في القراءة، فتقرأ لوحدها مفصولةً عما قبلها وما بعدها، وهذا هو الذي سار عليه واضعو علامات الوقف في المصحف الشمرلي ومصحف المدينة، حيث صححوا الوقف على قوله (وما أنزل من قبلك)، ثم على قوله (والمقيمين الصلاة)، ثم اعتبروا قوله تعالى (والمؤتون الزكاة) مرفوعًا بالابتداء، والخبر في قوله (أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا)، ولا يصح على هذا الوجه أن يوقف على قوله (واليوم الآخر) لأن الخبر لم يأت بعد، فيكون (والمؤتون الزكاة) مبتدءًا عطف عليه (والمؤمنون بالله واليوم الآخر)، ثم خبرها في قوله (أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا).

أما من صحح الوقف على قوله (واليوم الآخر) فإنهم جعلوا قوله تعالى (أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا) مبتدءًا وخبرًا، وجعلوا (والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر) معطوفًا على (يؤمنون بما أنزل إليك)، وهذه الأوجه المذكورة في هذه الآية كلها محتملةٌ، والأمر في هذا واسعٌ، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن ذكر الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أسوةً بالأنبياء قبله قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ ثانيةٌ كرّر فيها الفعل الذي هو (أوحينا)، وتضمنت تفصيلاً للجملة الأولى، لما قال (إلى نوحٍ والنبيين من بعده) فصّل هؤلاء الأنبياء مع تكرار الفعل، وهذا التكرار يشير إلى الاستئناف في قوله (وأوحينا إلى إبراهيم)، فصح الوقف هنا، ولو لم يكرر الفعل لما صح الوقف، ولكان الوصل هو الوجه، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (وهارون وسليمان)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الجملة التي بعده وهي قوله تعالى (وآتينا دواد زبورًا) معطوفةٌ على أصل الجملة في قوله (وأوحينا إلى إبراهيم)، ولم تعطف على الكلمات المفردة التي هي أسماء الأنبياء الذين أوحى الله إليهم، فلما فصل بينها وبين ما عطفت عليه بمعطوفاتٍ

هي كلماتٌ مفردةٌ صح الفصل، حتى لا يتوهم أن هذه الجملة معطوفةٌ على الكلمات المفردة قبلها، ثم إنها -أعني هذه الجملة- قد بينت الكتاب الذي أعطيه داود عليه السلام، فتضمنت أمرًا زائدًا على مجرد الوحي، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبلك) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله بعدها (ورسلاً لم نقصصهم عليك) جملةٌ معطوفةٌ منصوبةٌ، ولا يصح الابتداء بالمنصوب، هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى هي جملةٌ من تتمة بيان الجملة السابقة، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أراد أن يبين أنه قص عليه قصص بعض الرسل، ولم يقص عليه قصص رسلٍ آخرين، فلم يتم بيان هذا القصد إلا بوصل هذه الجملة، وقراءة (ورسلاً لم نقصصهم عليك).

ثم يصح الوقف على قوله (ورسلاً لم نقصصهم عليك)، كما نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، وذلك أنه قد انتهى هنا من بيان أنه قد قصّ عليه جماعة من الرسل ولم يقص عليه جماعة منهم، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ لبيان تكريم الله لموسى عليه السلام بالتكليم في قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليمًا)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (رسلاً مبشرين ومنذرين) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله بعدها (لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل) هو تعليلٌ لإرسال الرسل، ولا يصح الوقف قبل التعليل، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل)؟

نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أنه قد انتهى هنا ذكر وظيفة الرسل وفائدة إرسالهم، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ مبدوءةٌ بـ (كان) في قوله (وكان الله عزيزًا حكيمًا)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك) هل يصح الوقف هنا؟

نص على الوقف هنا الهبطي وحده دون بقية علماء الوقف والابتداء، ووضعت علامة الوصل أولى هنا في مصحف المدينة، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى قد بين في الجملة الأولى من هذه الآية شهادته سبحانه بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى هذا البيان، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ في قوله (أنزله بعلمه) تضمنت بيان أنه سبحانه قد أنزل هذا الكتاب مشتملاً على علمه أو صادرًا عن علمه، وهي جملةٌ تفسيريةٌ لما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو هي معترضةٌ بين ذكر شهادة الله سبحانه وتعالى

وشهادة الملائكة في قوله (والملائكة يشهدون)، وعلى كلا الاحتمالين يصح الوقف على قوله (بما أنزل إليك). والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (أنزله بعلمه)؟

جوّز الوقف هنا السجاوندي، وجعله الأشموني صالحًا، ووضعت هنا علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى (والملائكة يشهدون) جملةٌ معطوفةٌ على ذكر شهادة الله سبحانه وتعالى في بداية الآية، لكنها قد فصل بينها وبين ما عطفت عليه بجملةٍ معترضةٍ أو تفسيريةٍ في قوله (أنزله بعلمه)، فصح الابتداء بهذه الجملة وحدها، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (والملائكة يشهدون)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه أنه قد انتهى من ذكر شهادة الملائكة، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ بينت أن شهادة الله كافية في قوله (وكفى بالله شهيدًا)، فصح الوقف هنا، والله أعلم.

الآية التي تليها: (إنّ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن خبر (إنّ) لم يأت بعد، خبرها في قوله (قد ضلوا ضلالاً بعيدًا).

الآية التي تليها: (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله بعدها (ولا ليهديهم طريقًا) معطوفٌ على (ليغفر لهم)، وهو منصوبٌ، وهو من تتمة بيان حال الذين كفروا وظلموا، فإنهم لا يغفر الله لهم ولا يهديهم طريقًا وسبيلاً، فلم يصح الوقف هنا، والله أعلم.

الآية الأخيرة: (إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدًا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الاستثناء الذي ابتدئت به الآية قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ مبدوءة بـ(كان) في قوله (وكان ذلك على الله يسيرًا)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا وعملاً وهدًى وتقًى، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد ولطائف سورة النساء ١٦٠-١٦٩

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم):

قال ابن تيمية: الإيجاب والتحريم قد يكون نعمة؛ وقد يكون عقوبة؛ وقد يكون محنة. فالأول: كإيجاب الإيمان والمعروف، وتحريم الكفر والمنكر، وهو الذي أثبته القائلون بالحسن والقبح العقليين. والعقوبة كقوله: {فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم}... وأما المحنة فمثل قوله: {إن الله مبتليكم بنهر} الآية. مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩٩).

وقال ابن تيمية: والله لم يحرم على أمة محمد شيئا من الطيبات، وإنما حرم ذلك على أهل الكتاب، كما قال تعالى: {فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم}، وقال تعالى: {وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون} . وأما المسلمون فلم يحرم عليهم إلا الخبائث، كالدم المسفوح، فأما غير المسفوح كالذي يكون في العروق فلم يحرمه. مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٥).

وقال ابن تيمية: اليهود كما قال الله تعالى: {فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم}، فلا يأكلون ذوات الظفر؛ مثل الإبل والبط، ولا شحم الثرب والكليتين؛ ولا الجدي في لبن أمه، إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما؛ حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعا، والواجب عليهم مئتان وثمانية وأربعون أمرا، وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض، ولا يجامعوها في البيوت. مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٢).

وقال ابن كثير: وهذا التحريم قد يكون قدريا، بمعنى: أنه تعالى قيضهم لأن تأولوا في كتابهم، وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالا لهم، فحرموها على أنفسهم، تشديدا منهم على أنفسهم وتضييقا وتنطعا.

ويحتمل أن يكون شرعيا، بمعنى: أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالا لهم قبل ذلك، كما قال تعالى: {كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة}،

وقد قدمنا الكلام على هذه الآية، وأن المراد: أن الجميع من الأطعمة كانت حلالا لهم، من قبل أن تنزل التوراة، ما عدا ما كان حرم إسرائيل على نفسه من لحوم الإبل وألبانها. ثم إنه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٧).

(وبصدهم عن سبيل الله كثيرا):

قال ابن كثير: (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) أي: صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق، وهذه سجية لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه؛ ولهذا كانوا أعداء الرسل، وقتلوا خلقا من الأنبياء، وكذّبوا عيسى ومحمدا، صلوات الله وسلامه عليهما. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٧)

(وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل):

قال القرطبي: هل يجوز لنا معاملتهم (اليهود) والقوم قد أفسدوا أموالهم في دينهم أم لا؟ فظنت طائفة أن معاملتهم لا تجوز، وذلك لما في أموالهم من هذا الفساد. والصحيح جواز معاملتهم مع رباهم واقتحام ما حرم الله سبحانه عليهم، فقد قام الدليل القاطع على ذلك قرآنا وسنة، قال الله تعالى: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)، وهذا نص، وقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لعياله. تفسير القرطبي (٦/ ١٢).

وقال ابن تيمية: الله حرم في كتابه أكل أموالنا بيننا بالباطل، وذم الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، وذم اليهود على أخذ الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وهذا يعم كل ما يؤكل بالباطل في المعاوضات والتبرعات، وما يؤخذ بغير رضى المستحق والاستحقاق.

فأكل المال بالباطل في المعاوضات نوعان، ذكرهما الله في كتابه، هما: الربا والميسر، فذكر تحريم الربا الذي هو ضد الصدقة في آخر سورة البقرة، وسورة آل عمران، والروم، والمدثر. وذم اليهود عليه في النساء، وذكر تحريم الميسر في المائدة.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصّل ما جمعه الله في كتابه، فنهى عن بيع الغرر كما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والغرر هو المجهول العاقبة، فإن بيعه من الميسر...

وأما الربا فتحريمه في القرآن أشد ولهذا قال: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله}، وذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر، كما خرجاه في الصحيحين، عن أبي هريرة، وذكر الله سبحانه أنه حرم على الذين هادوا طيبات أحلت لهم، بظلمهم وصدهم عن سبيل الله، وأخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأخبر أنه (يمحق الله الربا ويربي الصدقات)، وكلاهما أمر مجرب عند الناس، وذلك لأن الربا أصلا إنما يفعله المحتاج، وإلا فالموسر لا يأخذ ألفا حالة بألف ومائتين مؤجلة إذا لم يكن له حاجة بتلك الألف، وإنما يأخذ المال بمثله وزيادة إلى أجل من هو محتاج إليه، فتقع تلك الزيادة ظلما لمحتاج، بخلاف الميسر، فإن المظلوم فيه غير مفتقر، ولا هو محتاج إلى العقد... والربا فيه ظلم محقق لمحتاج، ولهذا كان ضد الصدقة، فإن الله تعالى لم يدع الأغنياء حتى أوجب عليهم إعطاء الفقراء، فإن مصلحة الغني والفقير في الدين والدنيا لا تتم إلا بذلك، فإذا أربى معه فهو بمنزلة من له على رجل دين فمنعه دينه، وظلمه زيادة أخرى، والغريم محتاج إلى دينه، فهو من أشد أنواع الظلم، ولعظمته لعن النبي صلى الله عليه وسلم آكله، وهو الآخذ، وموكله، وهو المحتاج المعطي للزيادة، وشاهديه وكاتبه لإعانتهم عليه. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/ ١٦-١٧).

(والمقيمين الصلاة):

قال الطبري: (والمقيمين الصلاة) من صفة الراسخين في العلم، ولكن الكلام لما تطاول، واعترض بين الراسخين في العلم والمقيمين الصلاة ما اعترض من الكلام فطال، نصب (المقيمين) على وجه المدح. قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحيانا، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله. وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه. وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب. واستشهدوا لقولهم ذلك بالآيات التي ذكرتها في قوله: (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء)...

وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يكون (المقيمين) في موضع خفض نسقا على (ما) التي في قوله: (بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)، وأن يوجه معنى (المقيمين الصلاة) إلى الملائكة. فيكون تأويل الكلام: والمؤمنون منهم يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد من الكتاب، (وبما أنزل من قبلك) من كتبي، وبالملائكة

الذين يقيمون الصلاة. ثم يرجع إلى صفة الراسخين في العلم، فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر. تفسير الطبري (٩/ ٣٩٥-٣٩٧).

وقال البغوي: قيل: هو نصب على المدح، وقيل: نصب على إضمار فعل تقديره: أعني المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة.

وقيل: موضعه خفض، واختلفوا في وجهه، فقال بعضهم: معناه: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة، وقيل: معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، ثم قوله: والمؤتون الزكاة رجوع إلى النسق الأول. تفسير البغوي (١/ ٧٢١).

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده):

سبب النزول: عن ابن عباس قال، قال سكين وعدي بن زيد: يا محمد، ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى! فأنزل الله في ذلك من قولهما: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى آخر الآيات. تفسير الطبري (٩/ ٤٠٠).

وقال البغوي: وبدأ بذكر نوح عليه السلام؛ لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام، قال الله تعالى: (وجعلنا ذريته هم الباقين)، ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عُذّبت أمته لردهم دعوته، وأُهلك أهل الأرض بدعائه، وكان أطول الأنبياء عمرا. تفسير البغوي (١/ ٧٢٢).

وقال السعدي: وفي هذا عدة فوائد:

منها: أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير، فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد.

ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا.

ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين، ولا بالملوك الظالمين.

ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم ما يزداد به المؤمن إيمانا بهم، ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستنانا بسنتهم، ومعرفة بحقوقهم. تفسير السعدي (ص: ٢١٤).

(وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا):

قال ابن كثير: الأنبياء الذين نص على أسمائهم في القرآن، هم: آدم وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد صلى الله وعليه وسلم. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٩).

(ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك):

عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، كم وفّى عدة الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا). مسند أحمد (٣٦/ ٦١٩)، صحيح ابن حبان (٢/ ٧٧).

وقال البغوي: (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل)، أي: وكما أوحينا إلى نوح وإلى الرسل، (ورسلا) نصب بنزع حرف الصفة، وقيل: معناه: وقصصنا عليك رسلا. تفسير البغوي (١/ ٧٢٣).

(وكلّم الله موسى تكليما):

قال البغوي: قال الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر، فإذا حُقّق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام، كالإرادة يقال: أراد فلان إرادة، يريد حقيقة الإرادة، ويقال: أراد الجدار، ولا يقال أراد الجدار إرادة، لأنه مجاز غير حقيقة. تفسير البغوي (١/ ٧٢٣).

وقال ابن تيمية: والله تعالى قد فرّق في كتابه بين تكليمه لموسى وإيحائه إلى غيره بقوله تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده} إلى قوله: {وكلم الله موسى تكليما}، وقال تعالى: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء}، ففرّق بين التكليم الذي حصل لموسى وبين الإيحاء المشترك، وموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة، كما قال تعالى: {فاستمع لما يوحى * إنني أنا الله لا إله إلا أنا}. مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٥٨).

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل):

قال ابن تيمية: الله تعالى يقول: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}، وقال تعالى: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}. ولهذا لا يجوز قتال الكفار الذين لم تبلغهم الدعوة حتى يُدعَوا إلى الإسلام. منهاج السنة النبوية (٦/ ٨٨).

وقال ابن كثير: {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما} أي: أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر، كما قال تعالى: {ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى}، وكذا قوله تعالى: {ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين}. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين)، وفي لفظ: (من أجل ذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه). تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٥).

وقال الألوسي: الآية ظاهرة في أنه لا بد من الشرع وإرسال الرسل وأن العقل لا يغني عن ذلك. روح المعاني (٣/ ١٩٣).

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا):

سبب النزول: عن ابن عباس قال: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من يهود، فقال لهم: إني والله أعلم إنكم لتعلمون أني رسول الله! فقالوا: ما نعلم ذلك! فأنزل الله: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا). تفسير الطبري (٩/ ٤٠٩).

وقال ابن تيمية: شهادته بما أنزل إليه هي شهادته بأن الله أنزله منه، وأنه (أنزله بعلمه) فما فيه من الخبر هو خبر عن علم الله، ليس خبرا عمن دونه، وهذا كقوله: {فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله}، وليس معنى مجرد كونه أنزله أنه هو معلوم له، فإن جميع الأشياء معلومة له، وليس في ذلك ما يدل على أنها حق؛ لكن المعنى أنزله فيه علمه، كما يقال: فلان يتكلم بعلم، ويقول بعلم، فهو سبحانه أنزله بعلمه، كما قال: {قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض}، ولم يقل: تكلم به بعلمه؛ لأن ذلك لا يتضمن نزوله إلى الأرض. فإذا قال: {أنزله بعلمه} تضمن أن القرآن المنزل إلى الأرض فيه علم الله، كما قال: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم}، وذلك يتضمن أنه كلام الله نفسه، منه نزل ولم ينزل من عند غيره؛ لأن غير الله لا يعلم ما في نفس الله من العلم. مجموع الفتاوى (١٤/ ١٩٦).

وقال ابن كثير: {أنزله بعلمه} أي: فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة، التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا أن يعلمه الله به، كما قال تعالى: {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء}، وقال {ولا يحيطون به علما}...

وعن عطاء بن السائب قال: أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ: {أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا}. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٦).

وقال السعدي: {أنزله بعلمه} يحتمل أن يكون المراد: أنزله مشتملا على علمه، أي: فيه من العلوم الإلهية والأحكام الشرعية والأخبار الغيبية ما هو من علم الله تعالى الذي علّم به عباده.

ويحتمل أن يكون المراد: أنزله صادرا عن علمه، ويكون في ذلك إشارة وتنبيه على وجه شهادته، وأن المعنى: إذا كان تعالى أنزل هذا القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي، وهو يعلم ذلك ويعلم حالة الذي أنزله عليه، وأنه دعا الناس إليه، فمن أجابه وصدقه كان وليه، ومن كذبه وعاداه كان عدوه، واستباح ماله ودمه، والله تعالى يمكنه ويوالي نصره ويجيب دعواته، ويخذل أعداءه وينصر أولياءه، فهل توجد شهادة أعظم من هذه الشهادة وأكبر؟ تفسير السعدي (ص: ٢١٥).

(إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا):

قال الطبري: (وصدوا عن سبيل الله) يعني: عن الدين الذي بعثك الله به إلى خلقه، وهو الإسلام. وكان صدهم عنه، قيلهم للناس الذين يسألونهم عن محمد من أهل الشرك: ما نجد صفة محمد في كتابنا، وادعاؤهم أنهم عهد إليهم أن النبوة لا تكون إلا في ولد هارون ومن ذرية داود، وما أشبه ذلك من الأمور التي كانوا يثبطون الناس بها عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتصديق به وبما جاء به من عند الله. تفسير الطبري (٩/ ٤١٠).

(إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا):

قال السعدي: وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية لأنهم استمروا في طغيانهم، وازدادوا في كفرانهم، فطبع على قلوبهم، وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا {وما ربك بظلام للعبيد}. تفسير السعدي (ص: ٢١٥).

وقال ابن عاشور: وقد نفي عن الله أن يغفر لهم تحذيرا من البقاء على الكفر والظلم، لأن هذا الحكم نيط بالوصف، ولم ينط بأشخاص معروفين، فإن هم أقلعوا عن الكفر والظلم لم يكونوا من الذين كفروا وظلموا. التحرير والتنوير (٦/ ٤٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة النساء ١٦٠-١٦٩

١- احذر الظلم، فإنه سبب لنزول البلاء، وتحريم الطيبات، ونقص الأرزاق، وضيق الحياة، فإن اجتمع الظلم والكفر فقد اجتمع الشر بحذافيره، وأنى لصاحبه النجاة! (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)، (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا).

٢- إياك والصد عن سبيل الله بقول سيء، أو فعل سيء، أو خلق سيء، أو الاستهزاء بأهل الدين والصلاح، أو بشيء من شرائع الإسلام، أو نسبة شيء إلى الدين ليس منه، فمن فعل ذلك فقد تحمّل أوزار من صدّهم عن سبيل الله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدّهم عن سبيل الله كثيرا)، (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا).

٣- احرص على أن يكون رزقك كله حلالا، ليس فيه حرام ولا ما فيه شبهة الحرام، فلا تتعامل بالربا، وما أكثر التحايل عليه اليوم! ولا تأكل أموال الناس بالباطل، كمن يستدين ولا يريد الوفاء، أو يغشّ غيره في بيع أو شراء، أو يأخذ الرشوة، أو لا يدفع الأجرة لأصحابها، أو يختلس الأموال خفية، أو يمنع العمال والخدم حقوقهم، فإن هذا كله من أسباب نزول البلاء على الإنسان في نفسه وأهله وماله (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل).

٤- الرسوخ في العلم الشرعي والتمكّن فيه من أسباب النجاة من الفتن المدلهمّة، ولا رسوخ إلا بالعمل بالعلم، ولا رسوخ إلا بالتحلي بالعدل والإنصاف، فاجتهد في طلب العلم الشرعي حتى تكون من أهل الرسوخ فيه، والزم غرز العلماء الراسخين الذين لا يتلوّنون مع الأحداث، ولا يتغيرون مع الفتن، كي يسلم لك دينك (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك).

٥- الصلاة هي الاختبار اليوميّ لإيمانك، والمقياس الحقيقي لاستقامتك، فما موقعك من إقامة الصلاة؟ سل نفسك: أتؤدّي الصلاة في وقتها مع جماعة المسلمين بأركانها وواجباتها وسننها وخشوعها أم أنك على خلاف ذلك؟ (والمقيمين الصلاة).

٦- الرسول صلى الله عليه وسلم جاء مصدقا للرسل من قبله، مؤمنا برسالتهم، سائرا على طريقتهم، موافقا لدعوتهم، وهو خاتم النبيين فلا نبي بعده، لذلك كانت رسالته عامة إلى جميع الإنس والجن من بعثته إلى قيام الساعة، فلا عذر لمن بلغته دعوة الإسلام في عدم اتّباعه (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده).

٧- أرسل الله جما غفيرا من الأنبياء والرسل في مختلف الأقطار على اختلاف الأزمان ليدعوا الناس إلى عبادة الله، ويبشروا الطائعين بالجنات، وينذروا العاصين بالنيران، وأيدهم بالكتب المنزلة، والبراهين الساطعة، حتى لا يكون للناس على الله حجة، فاحرص على قراءة قصصهم لتزداد إيمانا ويقينا بنصر الله لأوليائه، وإهلاكه لأعدائه ولو متّعهم سنين عددا (وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليما * رسلا مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما).

٨- شهد الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بصدقه، وشهد أنه أنزل عليه كتابه مشتملا على شيء من علمه، وشهدت الملائكة بذلك، ومن شهادة الله له بذلك أنه أيّده بالآيات والمعجزات، ونصره على من عاداه، ونشر دعوته في الآفاق، وجعل أتباعه يتزايدون يوما بعد يوم، وحفظ الكتاب الذي أنزل عليه من التحريف، وجعله على خلق عظيم، فاحمد الله على نعمة الإسلام (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النساء (١٧٠-١٧٦) من التفسير الميسّر

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠)

يا أيها الناس قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام دين الحق من ربكم، فَصَدِّقوه واتبعوه، فإن الإيمان به خير لكم، وإن تُصرُّوا على كفركم فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم؛ لأنه مالك ما في السموات والأرض. وكان الله عليمًا بأقوالكم وأفعالكم، حكيمًا في تشريعه وأمره. فإذا كانت السموات والأرض قد خضعتا لله تعالى كونًا وقدرًا خضوع سائر ملكه، فأولى بكم أن تؤمنوا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن الذي أنزله عليه، وأن تنقادوا لذلك شرعًا حتى يكون الكون كلُّه خاضعًا لله قدرًا وشرعًا. وفي الآية دليل على عموم رسالة نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا (١٧١)

يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبةً ولا ولدًا. إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخَلَقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: «كن» ، فكان، وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر ربه، فَصدِّقوا بأن الله واحد وأسلموا له، وصدِّقوا رسله فيما جاؤوكم به من عند الله واعملوا به، ولا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين. انتهوا عن هذه المقالة خيرًا لكم مما أنتم عليه، إنما الله إله واحد سبحانه. ما في السموات والأرض مُلْكُه، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ وكفى بالله وكيلا على تدبير خلقه وتصريف معاشهم، فتوكَّلوا عليه وحده فهو كافيكم.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)

لن يَأْنف ولن يمتنع المسيح أن يكون عبدًا لله، وكذلك لن يأنَفَ الملائكة المُقَرَّبون من الإقرار بالعبودية لله تعالى. ومن يأنف عن الانقياد والخضوع ويستكبر فسيحشرهم كلهم إليه يوم القيامة، ويفصلُ بينهم بحكمه العادل، ويجازي كلا بما يستحق.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣)

فأمَّا الذين صَدَّقوا بالله اعتقادًا وقولا وعملا واستقاموا على شريعته فيوفيهم ثواب أعمالهم، ويزيدُهم من فضله، وأما الذين امتنعوا عن طاعة الله، واستكبروا عن التذلل له فيعذبهم عذابًا موجعًا، ولا يجدون لهم وليًّا ينجيهم من عذابه، ولا ناصرًا ينصرهم من دون الله.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤)

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وهو رسولنا محمد، وما جاء به من البينات والحجج القاطعة، وأعظمها القرآن الكريم، مما يشهد بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، وأنزلنا إليكم القرآن هدًى ونورًا مبينًا.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥)

فأمَّا الذين صدَّقوا بالله اعتقادًا وقولا وعملا واستمسكوا بالنور الذي أُنزل إليهم، فسيدخلهم الجنة رحمة منه وفضلا ويوفقهم إلى سلوك الطريق المستقيم المفضي إلى روضات الجنات.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)

يسألونك -أيها الرسول- عن حكم ميراث الكلالة، وهو من مات وليس له ولدٌ ولا والد، قل: الله يُبيِّن لكم الحكم فيها: إن مات امرؤ ليس له ولد ولا والد، وله أخت لأبيه وأمه، أو لأبيه فقط، فلها نصف تركته، ويرث أخوها شقيقًا كان أو لأب جميع مالها إذا ماتت وليس لها ولد ولا والد. فإن كان لمن مات كلالةً أختان فلهما الثلثان مما ترك. وإذا اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث فللذكر مثل نصيب الأنثيين من أخواته. يُبيِّن الله لكم قسمة المواريث وحكم الكلالة، لئلا تضلوا عن الحقِّ في أمر المواريث. والله عالم بعواقب الأمور، وما فيها من الخير لعباده.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النساء (١٧٠-١٧٦)

الكلمة	المعنى
لا تَغلُوا	لا تُجاوِزوا الحد
وكلمته	خلقه الله بكلمة: كُن، بلا أب
وروح منه	ونفخة من الله نفخها جبريل عليه السلام في مريم بأمر ربه
ولا تقولوا ثلاثة	ولا تجعلوا الآلهة ثلاثة
لن يستنكف	لن يأنف أو يمتنع أو يستكبر
فيُوفّيهِم	فيعطيهم جزاءهم كاملا غير منقوص
بُرهان	دليل صادق، وهو محمد صلى الله عليه وسلم
نورًا مبينًا	وهو القرآن
الكلالة	الميت الذي ليس له والد ولا ولد
وله أخت	وله أخت شقيقة أو لأب
أن تَضِلُّوا	لئلّا تَضِلّوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة النساء ١٧٠-١٧٦

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة النساء من الآية السبعين بعد المائة وحتى نهاية السورة.

أبدأ بالآية الأولى وهي قول الله تعالى: (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرًا لكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الأولى قد انتهت هنا، وما تضمنته من أمر، ثم جاءت جملةٌ شرطيةٌ لبيان حال من خالف الأمر وأنه لا يضر الله شيئًا في قوله (وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (فإن لله ما في السماوات والأرض)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط قد انتهت هنا بفعلها وجوابها، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ مبدوءةٌ بـ (كان) في قوله (وكان الله عليمًا حكيمًا)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأنه جاءت بعده جملةٌ معطوفةٌ مرتبطةٌ بما قبلها، لأن الخطاب موجهٌ إليهم بصيغة النهي في الجملتين.

ثم هل يصح الوقف على قوله (ولا تقولوا على الله إلا الحق)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن النهي قد انتهى هنا، ثم جاءتْ جملةٌ خبريةٌ لبيان حقيقة عيسى عليه السلام في قوله: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

ثم اختلف العلماء في الوقف في الجملة التي تليها: فمنهم من جعل الوقف على قوله (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)، ثم يقف على قوله (وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه). ومنهم من قال: بل الوقف على قوله (وكلمته)، ثم يستأنف فيقول (ألقاها إلى مريم وروحٌ منه).

وإذا تأملنا فإن قوله (ألقاها) لا يصح أن تكون صفةً للكلمة لأنه معرفةٌ، والجملة في تأويل النكرة، لكنها تصح أن تكون حالاً، كما جوز ذلك أبو حيان وغيره، وأن تكون صفةً على نية الانفصال، أي: وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم، وبالتالي فإن الأصح هنا الوقف على قوله (رسول الله)، ثم يصل (وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه).

والأصح من الوجهين هو عدم الوقف إلا في نهاية الخبر عن عيسى عليه السلام ووصفه في قوله (وروحٌ منه) كما نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، لأنه جاء بعده جملة أمرٍ بالإيمان بالله ورسله بعد الخبر عن عيسى عليه السلام، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (فآمنوا بالله ورسله)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة قد تضمنت أمرًا قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ تضمنت نهيًا في قوله (ولا تقولوا ثلاثةٌ)، وهو نهيٌ مستقلٌ فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ولا تقولوا ثلاثة)؟

الجواب: نعم، نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن تقدير الجملة: ولا تقولوا: هم ثلاثة، أي: الآلهة، وهذا نهيٌ جاء بعده أمرٌ في قوله (انتهوا خيرًا لكم)، تضمن بيان أن تركهم لقولهم خيرٌ لهم، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (انتهوا خيرًا لكم)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ تضمنت خبراً عن الله سبحانه ووحدانيته في قوله (إنما الله إلهٌ واحدٌ)، فصح الوقف هنا، والله أعلم.

ثم هل يصح الوقف على قوله (إنما الله إلهٌ واحدٌ)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الخبر عن وحدانية الله تعالى قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ تضمنت تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الولد في قوله: (سبحانه أن يكون له ولد)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (سبحانه أن يكون له ولدٌ)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ومنهم من جعل الوقف هنا لازمًا كما نص عليه السجاوندي، ووجهه: أنهم رأوا أنه لو وصل بما بعده لأوهم أن المنفي عن الله سبحانه وتعالى (ولدٌ له ما في السماوات وما في الأرض) لا مطلق الولد، وهذا لا شك أنه غير مرادٍ، ومن نظر إلى أن هذا الوهم قد يقع لبعض الناس جعل الوقف هنا لازمًا، وإن لم نقل باللزوم فإن الوقف هنا له وجهٌ، لأن تنزيه الله عن الولد قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ لبيان ملك الله لما في السماوات والأرض، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وأحب أن أنبه إلى أن ما نُصّ على أن الوقف فيه لازمٌ فإنه إنما يراعى فيه أن الوصل يوهم معنًى فاسدًا، فمن قوي عنده هذا الإيهام ألزم بالوقف، ومن ضعف عنده لم يُلزم بالوقف، والأمر في هذا واسعٌ، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (له ما في السماوات وما في الأرض)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن قد انتهى هنا بيان ملك الله لما في السماوات والأرض، ثم جاءت جملةٌ فعليةٌ مستأنفةٌ في قوله (وكفى بالله وكيلاً)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله (ولا الملائكة المقربون) معطوفٌ عليه تقديره: ولا الملائكة المقربون يستنكفون أن يكونوا عبيدًا لله، فلم يصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ولا الملائكة المقربون)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن النفي الذي ابتُدئت به الآية قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ شرطيةٌ في قوله (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا).

الآية التي تليها: (فأما الذين آمنوا وعلموا الصالحات فيوفيهم أجورهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله بعدها (ويزيدهم من فضله) جملةٌ معطوفةٌ على الجملة التي قبلها في قوله (فيوفيهم)، وهي من تتمة جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلم يصح الوقف قبلها، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ويزيدهم من فضله)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ لبيان جزاء الصنف الآخر وهم الذين استنكفوا واستكبروا، في قوله (وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابًا أليمًا)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (فيعذبهم عذابًا أليمًا)؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله بعدها (ولا يجدون لهم من دون الله وليًّا ولا نصيرًا) جملةٌ معطوفةٌ على قوله (يعذبهم)، وهي من تتمة جزاء الذين استنكفوا واستكبروا، فلم يصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، لماذا؟ لأن قوله بعدها (وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا) جملةٌ معطوفةٌ وثيقة الصلة، بدليل الخطاب الموجه إلى الناس في قوله (جاءكم)، ثم قال (وأنزلنا إليكم)، فلم يصح الفصل بينهما، والله أعلم.

الآية التي تليها: (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمةٍ منه وفضلٍ)، هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح، نص عليه السجاوندي والأشموني، ووجهه: أن قوله بعدها (ويهديهم إليه صراطًا مستقيمًا) جملةٌ معطوفةٌ على قوله (يدخلهم)، وهي من تتمة جزاء الذين آمنوا بالله واعتصموا به، فلم يصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (يستفتونك) هل يصح الوقف هنا؟

نص على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، ومنع منه الأشموني، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى أطلق ذكر الاستفتاء هنا ولم يذكر الأمر الذي استفتوا فيه، وهذا الأمر يظهر ببداية الجواب في قوله (قل الله يفتيكم في الكلالة)، فمن نظر إلى هذا منع من الوقف على قوله (يستفتونك)، ومن نظر إلى أن قوله (قل الله يفتيكم في الكلالة) ابتداءٌ للجواب عن الاستفتاء صحح الوقف على قوله (يستفتونك)، والأمر في هذا واسعٌ، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (قل الله يفتيكم في الكلالة)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه ذكر ما يفتيهم فيه، ثم فصّل ذلك بجملةٍ شرطيةٍ في قوله (إن امرؤ هلك ليس له ولدٌ وله أختٌ فلها نصف ما ترك)، وهذا الحكم الذي أفتاهم الله في الكلالة تضمن تفصيلاً هذا بدايته، فصح الوقف قبل هذا التفصيل، والله تعالى أعلم.

ثم هل يصح الوقف على قوله (فلها نصف ما ترك)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط قد انتهت هنا، وانتهى معها بيان حكم الحال الأولى من أحوال الكلالة، ثم جاءت جملةٌ استئنافيةٌ لبيان حكم حالٍ أخرى في قوله (وهو يرثها إن لم يكن لها ولدٌ)، فصح الفصل بينهما، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (وهو يرثها إن لم يكن لها ولدٌ)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الابتدائية قد انتهت هنا مع ما تضمنته من حكم الحال الثانية، ثم جاءت جملةٌ شرطيةٌ لبيان حكم الحال الثالثة في قوله: (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فلهما الثلثان مما ترك)؟

الجواب: نعم، نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الشرطية التي تضمنت حكم الحال الثالثة قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة شرطية أخرى لبيان حكم الحال الرابعة من أحوال الكلالة في قوله: (وإن كانوا إخوةً رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فللذكر مثل حظ الأنثيين)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الشرطية التي تضمنت بيان حكم الحال الرابعة قد انتهت هنا، وانتهى معها ما يتعلق بحكم الكلالة، ثم جاءت جملة فعلية مستأنفة في قوله: (يبين الله لكم أن تضلوا)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (يبين الله لكم أن تضلوا)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الفعلية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة اسمية مستأنفة في قوله: (والله بكل شيء عليم)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا وعملاً وهدًى وتقًى، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد ولطائف سورة النساء ١٧٠-١٧٦

(يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما):

قال السعدي: يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وذكر السبب الموجب للإيمان به، والفائدة في الإيمان به، والمضرة من عدم الإيمان به:

فالسبب الموجب: هو إخباره بأنه جاءهم بالحق. أي: فمجيئه نفسه حق، وما جاء به من الشرع حق، فإن العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن حكمته ورحمته العظيمة نفس إرسال الرسول إليهم، ليُعرّفهم الهدى من الضلال، والغَي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته، وكذلك النظر إلى ما جاء به من الشرع العظيم والصراط المستقيم، فإن فيه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة، والخبر عن الله وعن اليوم الآخر ما لا يعرف إلا بالوحي والرسالة، وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح ورشد وعدل وإحسان وصدق وبر وصلة وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد والبغي والظلم وسوء الخلق والكذب والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله. وكلما ازداد به العبد بصيرة ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان.

وأما الفائدة في الإيمان: فأخبر أنه خير لكم، والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم ودنياهم وأخراهم، وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل وآجل فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم والعمل الصالح والسرور والأفراح والجنة وما اشتملت عليه من النعيم كل ذلك مسبَّب عن الإيمان، كما أن الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه.

وأما مضرة عدم الإيمان به صلى الله عليه وسلم: فيُعرف بضد ما يترتب على الإيمان به، وأن العبد لا يضر إلا نفسه، والله تعالى غني عنه، لا تضره معصية العاصين، ولهذا قال: {فإن لله ما في السماوات والأرض} أي: الجميع خلقه وملكه، وتحت تدبيره وتصريفه. تفسير السعدي (ص: ٢١٥-٢١٦).

(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم):

قال البغوي: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) نزلت في النصارى، وهم أصناف أربعة: اليعقوبية، والملكانية، والنسطورية، والمرقسية، فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية. وقالت النسطورية: عيسى ابن الله. وقالت المرقسية: ثالث ثلاثة. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ويقال: الملكانية يقولون: عيسى هو الله. واليعقوبية يقولون: ابن الله. والنسطورية يقولون: ثالث ثلاثة. علّمهم رجل من اليهود يقال له: بولس...

وقال الحسن: يجوز أن تكون نزلت في اليهود والنصارى، فإنهم جميعا غلوا في أمر عيسى، فاليهود بالتقصير، والنصارى مجاوزة بالحد، وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام. تفسير البغوي (١/ ٧٢٤).

وقال ابن كثير: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله، يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا؛ ولهذا قال تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون}...

وعن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله)...

وعن أنس بن مالك: أن رجلا قال: محمد! يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس، عليكم بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل). تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٧).

وقال ابن عاشور: استئناف ابتدائي بخطاب موجه إلى النصارى خاصة، وخوطبوا بعنوان أهل الكتاب تعريضا بأنهم خالفوا كتابهم، وقرينة أنهم المراد هي قوله: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)، إلى

قوله: (أن يكون عبدا لله). فإنه بيان للمراد من إجمال قوله: (لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق). التحرير والتنوير (٦/ ٥٠).

(ولا تقولوا على الله إلا الحق):

قال ابن تيمية: اتفق أهل الملل على أن القول على الله بغير علم حرام، والله سبحانه نهاهم أن يقولوا على الله إلا الحق، فكان هذا نهيا أن يقولوا الباطل، سواء علموا أنه باطل، أو لم يعلموا. فإنهم إن لم يعلموا أنه باطل، فلم يعلموا أنه حق أيضا، إذ الباطل يمتنع أن يُعلم أنه حق، وإن اعتقد معتقِد اعتقادا فاسدا أنه حق، فذلك ليس بعلم، فلا تقولوا على الله ما لا تعلمون. وإن علموا أنه باطل فهو أجدر أن لا يقولوه. وعامة النصارى ضلال لا يعلمون أن ما يقولونه حق، بل يقولون على الله ما لا يعلمون. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٢٩٤).

وقال السعدي: {ولا تقولوا على الله إلا الحق} هذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين منهي عنهما، وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ورسله، والثالث مأمور به وهو: قول الحق في هذه الأمور. تفسير السعدي (ص: ٢١٦).

(إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله):

قال الطبري: وأصل (المسيح) الممسوح، صرف من مفعول إلى فعيل، وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب. وقيل: مُسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه، فيطهر منه. ولذلك قال مجاهد ومن قال مثل قوله: (المسيح): الصدّيق.

وقد زعم بعض الناس أن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية (مشيحا)، فعُرّبت فقيل: (المسيح)، كما عُرّبت سائر أسماء الأنبياء التي في القرآن مثل: إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى.

وليس ما مُثّل به من ذلك للمسيح بنظير. وذلك أن إسماعيل وإسحاق وما أشبه ذلك، أسماء لا صفات، و(المسيح) صفة، وغير جائز أن تخاطَب العرب وغيرها من أجناس الخلق في صفة شيء إلا بمثل ما تفهم

عمن خاطبها. ولو كان (المسيح) من غير كلام العرب، ولم تكن العرب تعقل معناه، ما خوطبت به. تفسير الطبري (٩/ ٤١٧-٤١٨).

وقال ابن تيمية: من نُهي عن اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وعن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا، وعن الغلو في الأنبياء والصالحين، فزعم أن هذا تنقص واستخفاف بالأنبياء والصالحين والملائكة، فهو من جنس النصارى وأشباههم من المشركين وأهل البدع. قال تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض). جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٠٦).

(وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه):

قال ابن تيمية: أما قوله (وكلمته) فقد بين مراده أنه خلقه بـ (كُن)، وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر، فيسمى المخلوق خلقا، لقوله: (هذا خلق الله)، ويقال: درهم ضرب الأمير، أي: مضروب الأمير، ولهذا يسمى المأمور به أمرا، والمقدور قدرة وقدرا، والمعلوم علما، والمرحوم به رحمة، كقوله تعالى: {وكان أمر الله قدرا مقدورا}، وقوله: {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، ويقول للنار: أنت عذابي، أعذّب بك من أشاء من عبادي» وقال: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة، فبها يتراحم الخلق ويتعاطفون، وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك، فرحم بها الخلق»، ويقال للمطر: هذه قدرة عظيمة، ويقال: غفر الله لك علمه فيك، أي: معلومه، فتسمية المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٦٥).

وقال ابن كثير: قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان. والروح التي أُرسل بها جبريل، قال الله تعالى: {ما المسيح ابن مريم إلا رسول

قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام} . وقال تعالى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} . وقال تعالى: {والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين} ، وقال تعالى: {ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين} . وقال تعالى إخبارا عن المسيح: {إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل} ...

وعن قتادة: {وكلمته ألقاها إلى مريم} هو قوله: {كن} فكان...

وعن شاذ بن يحيى يقول: في قول الله: {وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} قال: ليس الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى.

وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله: {ألقاها إلى مريم} أي: أعلمها بها، كما زعمه في قوله: {إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه} ، أي: يعلمك بكلمة منه، ويجعل ذلك كما قال تعالى: {وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك} ، بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها بإذن الله، فكان عيسى عليه السلام...

وعن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)...

فقوله في الآية والحديث: {وروح منه} ، كقوله {وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} ، أي: مِن خلقه ومِن عندِه، وليست (مِن) للتبعيض، كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة، بل هي لابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى.

وقد قال مجاهد في قوله: {وروح منه} أي: ورسول منه. وقال غيره: ومحبة منه. والأظهر الأول أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله، في قوله: {هذه ناقة الله} ، وفي قوله: {وطهر بيتي للطائفين} . تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٨-٤٧٩).

(انتهوا خيرا لكم):

قال الزركشي: {انتهوا خيرا لكم} أي: وائتوا أمرا خيرا لكم، فعند سيبويه أن (خيرا) انتصب بإضمار: ائت؛ لأنه لما نهاه علم أنه يأمره بما هو خير، فكأنه قال: وائتوا خيرا؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده، ولأن النهي تكليف، وتكليف العدم محال؛ لأنه ليس مقدورا، فثبت أن متعلق التكليف أمر وجودي ينافي المنهي عنه، وهو الضد.

وحمله الكسائي على إضمار: (كان) أي: يكن الانتهاء خيرا لكم، ويمنعه إضمار (كان)، ولا تضمر في كل موضع، ومن جهة المعنى: إذ من ترك ما نهي عنه فقد سقط عنه اللوم، وعُلم أن ترك المنهي عنه خير من فعله، فلا فائدة في قوله (خيرا).

وحمله الفراء على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: انتهوا انتهاء خيرا لكم، وقال: إن هذا الحذف لم يأت إلا فيما كان (أفعل)، نحو خير لك وأفعل.

ورُدّ مذهبه ومذهب الكسائي بقوله تعالى: {ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم} لو حمل على ما قالا لا يكون خيرا؛ لأن من انتهى عن التثليث وكان معطلا لا يكون خيرا له. وقول سيبويه: وائت خيرا، يكون أمرا بالتوحيد الذي هو خير، فلله در الخليل وسيبويه ما أطلعهما على المعاني! البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٠٣).

(إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد):

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفؤا أحد). صحيح البخاري (٦/ ١٨٠).

عن أبي موسى الأشعري، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدّعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم». صحيح البخاري (٩/ ١١٥)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٠).

وقال ابن كثير: هذه الآية والتي تأتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد} . وكما قال في آخر السورة المذكورة: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك} الآية، وقال في أولها: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} الآية، فالنصارى عليهم لعنة الله من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلها، ومنهم من يعتقده شريكا، ومنهم من يعتقده ولدا. وهم طوائف كثيرة، لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولا.

ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير، وهو سعيد بن بطريق... في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية، أنهم اجتمعوا المجمع الكبير، الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم، وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة، وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة، وأنهم اختلفوا عليه اختلافا لا ينضبط ولا ينحصر، فكانوا أزيد من ألفين أسقفا، فكانوا أحزابا كثيرة، كل خمسين منهم على مقالة، وعشرون على مقالة، ومائة على مقالة، وسبعون على مقالة، وأزيد من ذلك وأنقص. فلما رأى عصابة منهم قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نفرا، وقد توافقوا على مقالة، أخذها الملك ونصرها وأيدها، وكان فيلسوفا ذا هيئة، ومحق ما عداها من الأقوال، وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر، وبنيت لهم الكنائس، ووَضعوا لهم كتبا وقوانين، وأحدثوا الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويعمّدوهم عليها، وأتباع هؤلاء هم الملكية.

ثم إنهم اجتمعوا مجمعا ثانيا فحدث فيهم اليعقوبية، ثم مجمعا ثالثا فحدث فيهم النسطورية. وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم! هل اتحدا، أو ما اتحدا، بل امتزجا أو حل فيه؟ على ثلاث مقالات، وكل منهم يكفّر الفرقة الأخرى، ونحن نكفّر الثلاثة. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٩).

(له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا):

قال ابن كثير: أي: الجميع ملكه وخلقه، وجميع ما فيها عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ كما قال في الآية الأخرى: {بديع السماوات والأرض

أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم}، وقال تعالى: {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئا إدا. تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا. إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدهم عدا. وكلهم آتيه يوم القيامة فردا}. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠).

(لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقرّبون):

سبب النزول: قال البغوي: إن وفد نجران قالوا: يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول: إنه عبد الله ورسوله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس بعار لعيسى عليه السلام أن يكون عبدا لله»، فنزل: (لن يستنكف المسيح... الآية. تفسير البغوي (١/ ٧٢٦).

عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس». صحيح مسلم (١/ ٩٣).

وقال ابن كثير: استدل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية، حيث قال: {ولا الملائكة المقربون}، وليس له في ذلك دلالة؛ لأنه إنما عطف الملائكة على المسيح؛ لأن الاستنكاف هو الامتناع، والملائكة أقدر على ذلك من المسيح؛ فلهذا قال: {ولا الملائكة المقربون}، ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل.

وقيل: إنما ذُكروا؛ لأنهم اتُخذوا آلهة مع الله، كما اتُخذ المسيح، فأخبر تعالى أنهم عبيد من عبيده، وخلق من خلقه، كما قال الله تعالى: {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين}. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠).

وقال السعدي: نفي الشيء فيه إثبات ضده. أي: فعيسى والملائكة المقربون قد رغبوا في عبادة ربهم، وأحبوها، وسعوا فيها بما يليق بأحوالهم، فأوجب لهم ذلك الشرف العظيم والفوز العظيم، فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لربوبيته ولا لإلهيته، بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار.

ولا يُظن أن رفع عيسى أو غيره من الخلق فوق مرتبته التي أنزله الله فيها وترفعه عن العبادة كمالا، بل هو النقص بعينه، وهو محل الذم والعقاب، ولهذا قال: {ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا}. تفسير السعدي (ص: ٢١٦-٢١٧).

(فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورَهم ويزيدُهم من فضله):

قال الطبري: (ويزيدُهم من فضله) يعني جل ثناؤه: ويزيدهم على ما وعدهم من الجزاء على أعمالهم الصالحة والثواب عليها من الفضل والزيادة ما لم يُعرّفهم مبلغَه، ولم يحد لهم منتهاه. وذلك أن الله وعد من جاء من عباده المؤمنين بالحسنة الواحدة عشر أمثالها من الثواب والجزاء، فذلك هو أجر كل عامل على عمله الصالح من أهل الإيمان المحدود مبلغُه، والزيادة على ذلك تفضل من الله عليهم، وإن كان كل ذلك من فضله على عباده، غير أن الذي وعد عباده المؤمنين أن يوفّيهم فلا يَنقصَهم من الثواب على أعمالهم الصالحة هو ما حد مبلغَه من العشر، والزيادة على ذلك غير محدود مبلغُها، فيزيد من شاء من خلقه على ذلك قدر ما يشاء، لا حد لقدره يوقف عليه. وقد قال بعضهم: الزيادة إلى سبعمائة ضعف. وقال آخرون: إلى ألفين. تفسير الطبري (٩/ ٤٢٦).

وقال السعدي: {ويزيدُهم من فضله} من الثواب الذي لم تنله أعمالهم، ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر على قلوبهم. ودخل في ذلك كل ما في الجنة من المآكل والمشارب والمناكح والمناظر والسرور، ونعيم القلب والروح ونعيم البدن، بل يدخل في ذلك كل خير ديني ودنيوي رُتّب على الإيمان والعمل الصالح. تفسير السعدي (ص: ٢١٧).

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا):

قال الألوسي: التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار اللطف بهم، والإيذان بأن مجيء ذلك لتربيتهم وتكميلهم. (وأنزلنا إليكم) بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عدم ذكر الواسطة إظهار لكمال اللطف بهم، ومبالغة في الإعذار. روح المعاني (٣/ ٢١٦).

وقال السعدي: {يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم} أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده. وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}.

وفي قوله: {من ربكم} ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يُحمد عليها ويُشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم.

{وأنزلنا إليكم نورا مبينا} وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين، والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره. تفسير السعدي (ص: ٢١٧).

(ويهديهم إليه صراطا مستقيما):

قال ابن كثير: {ويهديهم إليه صراطا مستقيما} أي: طريقا واضحا قصدا قَواما لا اعوجاج فيه ولا انحراف. وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات. وفي حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (القرآن صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين). تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨١).

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة):

سبب النزول: عن جابر بن عبد الله، قال: مرضت، فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي عليّ، فتوضأ، ثم صب عليّ من وَضوئه، فأفقت، قلت: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد عليّ شيئا حتى نزلت آية الميراث: {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة}. صحيح البخاري (١/ ٥٠)، صحيح مسلم (٣/ ١٢٣٤).

عن قتادة: ذكر لنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في خطبته: ألا إن الآية التي أنزل الله في أول سورة النساء في شأن الفرائض، أنزلها الله في الولد والوالد. والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم. والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم. والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام، بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، مما جرت الرحم من العصبة. تفسير الطبري (٩/ ٤٣١).

وقال الزركشي: وأما آخره (آخر ما نزل من القرآن) فاختلفوا فيه:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: {إذا جاء نصر الله}.

وعن عائشة: سورة المائدة.

وقيل: {واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله}.

وقال السدي: آخر ما نزل {فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}.

وفي صحيح البخاري في تفسير سورة براءة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما: آخر آية نزلت {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة}، وآخر سورة نزلت براءة...

وقال بعضهم: روى البخاري: آخر ما نزل آية الربا.

وروى مسلم آخر سورة نزلت جميعا {إذا جاء نصر الله}.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وتغليب الظن. البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٠٩-٢١٠).

(إن امرؤٌ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين):

قال ابن كثير: {وهو يرثها إن لم يكن لها ولد} أي: والأخ يرث جميع مالها إذا ماتت كلالة، وليس لها ولد، أي: ولا والد؛ لأنه لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئا، فإن فرض أن معه من له فرض صُرف إليه فرضه؛ كزوج، أو أخ من أم، وصُرف الباقي إلى الأخ؛ لما ثبت في الصحيحين، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر).

وقوله: {فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك} أي: فإن كان لمن يموت كلالة، أختان، فُرض لهما الثلثان، وكذا ما زاد على الأختين في حكمهما، ومن هاهنا أخذ الجماعة حكم البنتين، كما استفيد حكم الأخوات من البنات، في قوله: {فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك}.

وقوله: {وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين}. هذا حكم العصبات من البنين وبني البنين والإخوة، إذا اجتمع ذكورهم وإناثهم أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٤).

(يبين الله لكم أن تضلّوا):

قال الطبري: وموضع (أن) في قوله: (يبين الله لكم أن تضلوا) نصب في قول بعض أهل العربية، لاتصالها بالفعل. وفي قول بعضهم: خفض، بمعنى: يبين الله لكم بأن لا تضلوا، ولئلا تضلوا.

وأسقطت (لا) من اللفظ وهي مطلوبة في المعنى، لدلالة الكلام عليها. والعرب تفعل ذلك، تقول: جئتك أن تلومني، بمعنى: جئتك أن لا تلومني. تفسير الطبري (٩/ ٤٤٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة النساء ١٧٠-١٧٦

١- المؤمن حقا هو الذي يؤمن بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات وأخلاق، مما جاء في القرآن أو في السنة النبوية الصحيحة، فإن فيهما البرهان الواضح الجليّ من الله، والنور المبين الهادي إلى الصراط المستقيم، فآمن بذلك كله، ولا تعترض على شيء من ذلك بعقلك أو هواك، لأن ذلك طريق أهل الكفر والنفاق (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما)، (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا).

٢- احذر من الغلو في الدين، ومن ذلك الغلو في تعظيم الأنبياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم، بإعطائهم شيئا من صفات الرب والإله، أو عبادتهم من دون الله، أو دعائهم لجلب نفع أو دفع ضر فيما لا يقدر عليه إلا الله (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم).

٣- لا تقل على الله إلا الحق، ومن القول على الله بغير الحق نسبة الولد إليه، أو ادّعاء أن له شريكا في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، أو القول في دينه بغير علم، فإن ذلك كله من أعظم الذنوب وأكبر الآثام (ولا تقولوا على الله إلا الحق).

٤- المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وهو وأمه بَشَر، وليس هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة، ومن ادّعى فيه شيئا من ذلك فقد كفر بالله وبرسله، ومن احتفل بشيء من احتفالات النصارى القائلين بذلك فقد استهان بهذا الكفر الشنيع، وهو على خطر عظيم، فالله إله واحد لا شريك له، منزه عن الصاحبة والولد، بل هو الغني العظيم الذي له ملك السماوات والأرض (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا).

٥- كلّما ازددت معرفة بالله وربوبيته وعظمته وسلطانه وكبريائه وقوته وقدرته وملكه ازددت عبودية لله وحبا له وخضوعا بين يديه، فلذلك كان الأنبياء والصالحون والملائكة أكثر عبودية لله من غيرهم، وأبعد عن التكبر أو الامتناع عن عبادة الله، لأنهم عرفوا الله حق معرفته، فتعرّف على ربك

بالحرص على فهم كتابه، والتفقه في أسمائه وصفاته، حتى ترتقي في مقامات العبودية، وأما أولئك الذين يجهلون ربوبية الله وعظمته وسلطانه وكبرياءه وقوته وقدرته وملكه فهم الذين يمتنعون عن عبادة ربهم ويستكبرون عن الخضوع له، وويل لهم من عذاب الله الأليم (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقرّبون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا)، (وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا).

٦- كن مؤمنا بالله عاملا بالصالحات، معتصما بحبل الله، متمسّكا بالقرآن، حتى تدخل في رحمة الله، فيهديك إلى الصراط المستقيم في الدنيا، وتلقى جزاءك كاملا موفّرا في الآخرة، وأبشر بالزيادة من فضل الله مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أجورهم ويزيدُهم من فضله)، (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما).

٧- يجب عليك أن تستفتي فيما يشكل عليك في دينك أهل العلم الموثوقين، الذين يبنون فتاواهم على ما جاء في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة).

٨- حدّ الله في مال الميت حدا واضحا معلوما لكل وارث، فيجب على كل مؤمن العمل به، وإعطاء كل ذي حق حقه ولو كان صغيرا أو امرأة أو ضعيفا، ويجب الحذر من مخالفة ما حدّ الله في ذلك لطمع أو هوى أو عادة أو غير ذلك، فإن مخالفة ذلك من الضلال عن دين الله وعن العدل الواجب في الأموال (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (١-٥) من المختصر في التفسير

سورة المائدة: مدنية

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] الأمر بالوفاء بالعقود، والتحذير من مشابهة أهل الكتاب في نقضها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾.

يا أيها الذين آمنوا أتمّوا كل العهود الموثّقة بينكم وبين خالقكم، وبينكم وبين خلقه، وقد أحلّ الله لكم – رحمة بكم- بهيمة الأنعام: (الإبل، والبقر، والغنم) إلا ما يُقْرَأ عليكم تحريمه، وإلا ما حَرَّمَ عليكم من الصيد البريّ في حال الاحرام بحج أو عمرة، إنّ الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وفق حكمته، فلا مُكْرِهَ له، ولا معترض على حكمه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾.

يا أيها الذين آمنوا لا تستحلّوا حرمات الله التي أمركم بتعظيمها، وكُفّوا عن محظورات الإحرام: كلبس المخيط، وعن محرّمات الحَرَم كالصيد، ولا تستحلّوا القتال في الأشهر الحرم، وهي (ذو القعدة، ذو والحجة، والمحرّم، ورجب)، ولا تستحلُّوا ما يُهدى إلى الحرم من الأنعام ليُذبح لله هناك بغصْب ونحوه، أو مَنْعٍ من وصوله إلى محِلّه، ولا تستحلُّوا البهيمة التي عليها قلادة من صوف وغيره للإشعار بأنها هدي، ولا تستحلّوا قاصدي بيت الله الحرام يطلبون ربح التجارة ومرضاة الله، وإذا حللتم من الإحرام بحج أو عمرة، وخرجتم من الحرم فاصطادوا إن شئتم، ولا يحملنّكم بغضُ قوم لصدّهم لكم عن المسجد الحرام على الجَور وترك العدل فيهم، وتعاونوا -أيها المؤمنون- على فعل ما أُمِرْتم به، وترك ما نُهِيتُم عنه، ولا تعاونوا على المعاصي التي يأثم صاحبها، وعلى العدوان على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وخافوا الله بالتزام طاعته والبعد عن معصيته، إن الله شديد العقاب لمن عصاه، فاحذروا من عقابه.

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾.

حَرَّمَ الله عليكم ما مات من حيوان دون ذكاة، وحَرَّمَ عليكم الدم المسفوح ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عليه اسْمٌ غير اسم الله عند الذبح، والميْتة بالخنق، والميتة بالضرب، والميتة بالسقوط من مكان عالٍ، والميتة بنطح غيرها لها، وما افترسه سبُعٌ مثل الأسد والنمر والذئب، إلا ما أدركتموه حيًّا من المذكورات وذكّيتموه، فهو حلال لكم، وحرَّم عليكم ما كان ذبحه للأصنام، وحَرَّمَ عليكم أن تطلبوا ما قسم لكم من الغيب بالأقداح، وهي حجارة أو سهام مكتوب فيها: (افعل) (لا تفعل)، فيعمل بما يخرج له منها. فِعْل تلك المحرّمات المذكورة خروج عن طاعة الله. اليوم يئس الذين كفروا من ارتدادكم عن دين الإسلام لما رأوا من قوّته، فلا تخافوهم وخافوني وحدي، اليوم أكملت لكم دينكم الذي هو الإسلام، وأتممت عليكم نعمتي الظاهرة والباطنة، واخترت لكم الإسلام دينًا، فلا أقبل دينًا غيره، فمن أُلجئَ بسبب مجاعة إلى الأكل من الميْتة غير مائل للإثم فلا إثم عليه في ذلك، إن الله غفور رحيم. ولما ذكر الله ما حرّم أكله ذكر ما أباح أكله، فقال:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾.

يسألك -أيها الرسول- صحابتك ماذا أحلّ الله لهم أكله؟ قل -أيها الرسول-: أحلّ الله لكم ما طاب من المآكل، وأكل ما صادتْه المدرَّبات من ذوات الأنياب كالكلاب والفهود، وذوات المخالب كالصقور، تعلِّمونها الصيد مما مَنَّ الله عليكم به من العلم بآدابه، حتى صارت إذا أُمِرَتِ ائتمَرَتْ، وإذا زُجِرَتِ ازدجرت، فكلوا مما أمسكتْه من الصيد ولو قتلتْه، واذكروا اسم الله عند إرسالها، واتقوا الله بامتثال أوامره، والكف عن نواهيه، إن الله سريع الحساب للأعمال.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾.

اليوم أَحَلَّ الله لكم أكل المستلذّات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحلّ ذبائحكم لهم، وأحلّ لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أُعْطُوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى إذا أعطيتموهنّ مهورهنّ، وكنتم متعفّفين عن ارتكاب الفاحشة غير متّخذين عشيقات ترتكبون الزنى معهنّ، ومن يكفُر بما شرعه الله لعباده من الأحكام فقد بطل عمله لفقد شرطه الذي هو الإيمان، وهو يوم القيامة من الخاسرين لدخوله النار خالدًا فيها مخلدًا.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الأصل هو حِلُّ الأكل من كل بهيمة الأنعام، سوى ما خصّه الدليل بالتحريم، أو ما كان صيدًا يَعرض للمُحرِم في حجّه أو عمرته.

• النهي عن استحلال المحرَّمات، ومنها: محظورات الإحرام، والصيد في الحرم، والقتال في الأشهر الحُرُم، واستحلال الهَدْي بغصْب ونحوه، أو مَنْع وصوله إلى محِلّه.

• تحريم ما مات دون ذكاة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عليه اسْمٌ غير اسم الله عند الذبح، وكل ميت خنقًا، أو ضربًا، أو بسقوط من علو، أو نطحًا، أو افتراسًا من وحش، ويُستثنى من ذلك ما أُدرِكَ حيًّا وذُكّيَ بذبح شرعي.

• حِلُّ ما صاده كلّ مدرَّبٍ ذي ناب أو ذي مِخلَب.

• إباحة ذبائح أهل الكتاب، وإباحة نكاح حرائرهم من العفيفات.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ١-٥ من المختصر في التفسير

📕 [>التفسير]

🖊 [> التعليق]

📕 سورة المائدة: مدنية

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] الأمر بالوفاء بالعقود والتحذير من مشابهة أهل الكتاب في نقضها.

🖊 نعم، سورة المائدة من المقاصد الرئيسية فيها الأمر بالوفاء بالعقود بجميع أنواعها، ومن ذلك العقودُ مع الله سبحانه وتعالى المتعلقة بالالتزام بشرعه، ومن ذلك العقود مع خلقه بجميع أنواعها.

ومن مقاصدها كذلك التحذير من مشابهة أهل الكتاب في نقضهم للعهود والعقود والمواثيق التي أخذها اللهُ عليهم والتي تكون بينهم وبين الناس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ(١) ﴾

📕 يا أيها الذين آمنوا أتموا كل العهود الموثقة بينكم وبين خالقكم وبينكم وبين خلقه،

🖊 نعم، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ" يأمر الله سبحانه وتعالى أهلَ الإيمان بأن يوفوا بعقودهم، والعقودُ: هي العهودُ الموثقة، وهذه العهود إما أن يكون بين المؤمن وبين ربه سبحانه وتعالى؛ وهي التي تكون في شرائع الدين والانقياد لها، وإما أن تكونَ بين المؤمن وبين عباد الله؛ كالبيوعِ والأماناتِ وعقودِ النكاح وغيرها مما لم يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالإيفاء بها يكون

بإكمالها وإتمامها وعدم نقضها أو نقصها، والوفاء بالعقود من مقتضى الإيمان لأن الإيمان يقتضي إعطاءَ كلِّ ذي حق حقه .

📕 وقد أحل الله لكم -رحمة بكم- بهيمة الأنعام: (الإبل، والبقر، والغنم) إلا ما يُقْرَأ عليكم تحريمه، وإلا ما حَرَّمَ عليكم من الصيد البري في حال الاحرام بحج أو عمرة،

✍ نعم، قال تعالى: "أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ" بهيمة الأنعام هي الإبلُ والبقرُ والغنم؛ فبين اللهُ أن الأصلَ فيها الحِل، ثم استثنى من ذلك فقال: "إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ" أي إلا ما يُقرأُ عليكم تحريمُه، وذلك ما نص الله على تحريمه في الآية الثالثة من هذه السورة في قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ" الخ، ثم قال: "غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ" استثنى أمرًا آخر فيُستثنى من حِل بهيمة الأنعام ما جاء في قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ" ويستثنى كذلك تحريم صيد البري في حال الإحرام بحج أو عمرة ، وكذلك تحريم الصيد البري في حدود الحرم .

📕 إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وفق حكمته، فلا مُكْرِهَ له، ولا معترض على حكمه.

✍ نعم، ثم قال تعالى: "إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ" لأن الله سبحانه وتعالى هو الحَكَم وإليه الحُكم؛ فيحكم بما يشاء من تحليل وتحريم وَفق حكمته سبحانه وتعالى، فلا مُكره له لحُكمه، ولا يحق لأحد أن يعترض على حُكمه؛ لأنه ربُّ العالمين وخالقُ الخلق أجمعين سبحانه وتعالى ، على أننا نعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يُحلل ولا يُحرّم إلا ما فيه مصلحةٌ لنا في ديننا أو في دنيانا أو في آخرتنا، والمسلم مُسلِّم لحكم الله دائما.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٢) ﴾

يا أيها الذين آمنوا لا تستحلوا حرمات الله التي أمركم بتعظيمها، وكُفوا عن محظورات الإحرام: كلبس المخيط، وعن محرمات الحَرَم كالصيد،

نعم، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ " فُسِّرت بتفسيرين؛ الأول معنًى عام؛ لا تستحلوا حرمات الله التي أمركم بتعظيمها، والثاني معنًى خاص بالإحرام؛ أي لا ترتكبوا محظورات الإحرام كلُبس المَخيط والصيد وغير ذلك، والنهيُ هنا يشمل النهي عن فعلها -يعني حرمات الله وانتهاك شعائره- ويشمل النهي عن اعتقاد حِلها ولو لم يفعلها؛ فالواجب على المسلم تحريمُ المحرم واجتنابُ فعله.

ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم، وهي (ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم، ورجب)،

نعم، قال: "وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ" يعني ولا تُحلوا الشهر الحرام، بمعنى لا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم؛ وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم -هذه ثلاثة أشهر متواليات- وشهر رجب، وقد قال الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ.[١] ۚ)

ولا تستحلُّوا ما يهدى إلى الحرم من الأنعام ليذبح لله هناك بغصب ونحوه، أو مَنْع من وصوله إلى محله،

---

١ [سورة التوبة ٣٦]

✎ نعم، قال: "وَلَا الْهَدْيَ" يعني ولا تُحِلّوا الهَدي بمعنى لا تستحلوا الهَدي، والهَدي: هو ما يهدى إلى الحرم من الأنعام ليُذبح لله سبحانه وتعالى هناك، فلا تستحلوها بالغصب أو السرقة أو منع وصولها إلى الحرم، ويدخل في ذلك كذلك النهيُ عن تحميلها ما لا تطيق حتى لا تتلف في الطريق قبل وصولها إلى الحرم.

■ ولا تستحلُّوا البهيمة التي عليها قلادة من صوف وغيره للإشعار بأنها هدي

✎ نعم، قال: "وَلَا الْقَلَائِدَ" أي ولا تُحِلّوا القلائد؛ بمعنى ولا تستحلوا البهائم التي توضع عليها قلادة من صوف أو غيره للإشعار بأنها هَدي، فقد كانوا يضعون القلائد على البهائم علامةً على أن هذه البهيمة هَديٌ مهدًى إلى الحرم؛ فلا يجوز التعدي على هذه البهيمة.

■ ولا تستحلوا قاصدي بيت الله الحرام يطلبون ربح التجارة ومرضاة الله،

✎ نعم، قال: "وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا" أي ولا تُحِلوا "آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ" بمعنى لا تستحلوا قتال قاصدي البيت الحرام الذين يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا، فهم يبتغون من فضل الله الديني من المغفرة والرحمة وغير ذلك، ويبتغون فضل الله الدُّنيوي بالتجارة والكسب وغيرها، ويبتغون الرضوان من الله سبحانه وتعالى، فلا يجوز التعرض لهم بالأذى أو السرقة أو منعهم من دخول الحرم، ويستثنى من ذلك المشركون لأن الله سبحانه وتعالى قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ)[٢] ولأنه قال هنا: "يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا" وهذا لا يتحقق إلا في المؤمنِ الموحِّد. والله أعلم .

---

٢ [سورة التوبة ٢٨]

■ وإذا حللتم من الإحرام بحج أو عمرة، وخرجتم من الحرم فاصطادوا إن شئتم،

✎ نعم، ثم قال تعالى: "وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا" يعني إذا حللتم من إحرامكم وخرجتم من الحرم فلكم أن تصطادوا إن شئتم، والأمر هنا للإباحة؛ لأن القاعدة أن الأمر بعد التحريم يُرَد الحُكم فيه إلى ما كان عليه قبل التحريم، والصيدُ قبل تحريمه على المُحْرِم من عامة الأمور المباحة، فالأمر هنا للإباحة وليس للوجوبِ ولا للإستحباب. والله أعلم.

■ ولا يحملنكم بغض قوم لصدهم لكم عن المسجد الحرام على الجَور وترك العدل فيهم،

✎ نعم، ثم قال تعالى: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا" ولا يجرمنكم أي لا يحملنكم، "شَنَآنُ قَوْمٍ أي بغضكم لقومٍ، "أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ" أي لأجل أنهم صدوكم عن المسجد الحرام؛ وذلك ما حصل من المشركين عام الحديبية، "أَن تَعْتَدُوا" أي لا يحملنكم ما حصل منهم على الاعتداء عليهم وترك العدل فيهم، بل يجب العدل معهم ولو حصل منهم ما حصل،

فلا يجوز أن نظلم من ظلمنا ولا أن نخون من خاننا، ولا أن نكذب على من كذب علينا، بل الذي يجوز لنا أن نأخذ حقنا ممن ظلمنا بالعدل لا بالجور والظلم والزيادة في أخذ الحق.

■ وتعاونوا -أيها المؤمنون- على فعل ما أُمِرْتم به، وترك ما نُهِيتُم عنه،

✎ نعم، قال: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ" أمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتعاونوا على البر والتقوى؛ أي على فعلِ كل خير وتركِ كل شر .

■ ولا تعاونوا على المعاصي التي يأثم صاحبها وعلى العدوان على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم،

🖊 نعم، قال: "وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" نهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتعاونوا على الإثم والعدوان، والإثمُ: المعاصي المتعلقة بحق الله سبحانه وتعالى، والعدوان: الاعتداء على خلق الله في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم، وكل إثم وعدوان يجب منع النفس منه وعدم إعانة الغير عليه.

📕 وخافوا الله بالتزام طاعته والبعد عن معصيته، إن الله شديد العقاب لمن عصاه، فاحذروا من عقابه.

🖊 نعم، ثم قال تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بالالتزام بطاعته والابتعاد عن معصيته، إن الله شديد العقابِ لمن عصاه؛ فاحذروا من عقابه.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣)﴾

📕 حَرَّمَ الله عليكم ما مات من حيوان دون ذكاة، وحَرَّمَ عليكم الدم المسفوح ولحم الخنزير،

🖊 نعم، قال تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ" ذكر في هذه الآية المحرمات التي أشار إليها في قوله تعالى: "أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم" فهذا هو ما يتلى عليهم، قال: "حرمت عليكم الميتة" والمَيتة: ما مات بنفسه دون ذكاة –الذكاة: الذبحُ أو النحر– ويستثنى من تحريم الميتة: ميتة السمك والجراد؛ فقد صح استثناؤهما في السنة النبوية [٣]، قال: "وَالدَّمُ" والمراد بالدم الدم المسفوح وقد

---

٣ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحلَّت لَكُم ميتتانِ ودَمانِ، فأمَّا الميتَتانِ، فالحوتُ والجرادُ، وأمَّا الدَّمانِ، فالكبِدُ والطِّحالُ)

الراوي: عبدالله بن عمر | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه

الصفحة أو الرقم: ٢٦٩٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

جاء تقييده بذلك في قوله تعالى: (قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا [4](والمراد بالدم المسفوح: هو الدم السائل الذي يخرج من البهيمة عند ذبحها؛ فإنه نجس حرام، قال: "وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ" ولحمُ الخنزير حرامٌ بجميع أجزائه.

وما ذُكِرَ عليه اسْمٌ غير اسم الله عند الذبح،

نعم، ثم قال: "وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ " أي وما ذُكر عليه غيرُ اسمِ الله عند ذبحه؛ لأن ذكر اسم الله سبحانه وتعالى تطيب به الذبيحة، وذكر اسم غيرِه تخبث به وتَحرُم، وهذا الطيب والخبث معنوي مؤثر في حِل الذبيحة وحرمتها.

والميتة بالخنق، والميتة بالضرب، والمَيتة بالسقوط من مكان عالٍ، والميتة بنطح غيرها لها، وما افترسه سبُع مثل الأسد والنمر والذئب،

نعم، قال: "وَالْمُنْخَنِقَةُ" المنخنقة هي التي خُنقت وحُبس نفسها حتى ماتت.

"وَالْمَوْقُوذَةُ" وهي التي ضربت بعصًا أو حجرٍ أو سقط عليها شيءٌ فماتت.

"وَالْمُتَرَدِّيَةُ" وهي التي سقطت من مكان عال أو سقطت في بئر فماتت.

"وَالنَّطِيحَةُ "وهي التي نطحتها غيرُها فماتت.

"وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ" أي ما افترسه السبُع من الأنعام.

والسبُع: هي الحيوانات المفترسة كالأسد والذئب وغيرهما، فإذا مات من جرح السبُع فإنه حرام.

التخريج : أخرجه ابن ماجه (٣٣١٤) واللفظ له، وأحمد (٥٧٢٣)

٤ (قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [سورة الأنعام ١٤٥]

إلا ما أدركتموه حيًّا من المذكورات وذكيتموه، فهو حلال لكم،

نعم، استثنى من ذلك فقال:"إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ" يعني إلا ما أدركتموه حيا من هذه المذكورات كلها -من المنخنقة فما بعدها- وفيه حياةٌ مستقرة وأدركتَ ذكاته وذبحه قبل موته فإنه يصير بذلك حلالا .

وحرَّم عليكم ما كان ذبحه للأصنام،

نعم، قال: "وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ" أي ما كان ذبحُه للأصنام؛ فإنه محرم كذلك.

وحَرَّمَ عليكم أن تطلبوا ما قُسِم لكم من الغيب بالأقداح وهي حجارة أو سهام مكتوب فيها (أفعل) (لا تفعل) فيعمل بما يخرج له منها.

نعم، قال : "وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ" أي وحرم الله سبحانه وتعالى عليكم أن تطلبوا معرفة ما قُسِم لكم من الغيب في المستقبل بالأزلام، والأزلام: هي القداح التي كانوا يستشرفون بها ما قُسِم لهم بالغيب، وتكون ثلاثة سهام أو حجارة مكتوب في إحداها افعل، وفي الثانية لا تفعل، والثالثة بدون كتابة، فإذا خرج له افعل فعل، وإذا خرج له لا تفعل لم يفعل، وإذا خرج له الذي لا كتابة فيه أعاد الاستقسام، وكانت هذه عادةً منتشرةً عند العرب في الجاهلية فأبدلنا الله بها الإستخارة[5] بصلاتها ودعائها، والحمد لله رب العالمين.

---

٥ كانَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا كما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ؛ يقولُ: إذَا هَمَّ أحَدُكُمْ بالأمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِن غيرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ؛ فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ خَيْرٌ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي - أوْ قالَ: عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي - أوْ قالَ: في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أرْضِنِي قالَ: «وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».

الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ١١٦٢ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

📕 فِعْل تلك المحرمات المذكورة خروج عن طاعة الله.

✍ نعم، قال : "ذَلِكُمْ فِسْقٌ" أي فعل هذه المحرمات المذكورة والأكل مما حُرِّم منها فسقٌ، والفسق: هو الخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

📕 اليوم يئس الذين كفروا من ارتدادكم عن دين الإسلام لما رأوا من قوته، فلا تخافوهم وخافوني وحدي،

✍ نعم، قال تعالى: "الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ" يعني اليوم يئس الذين كفروا من ارتدادكم عن دينكم، لماذا يئسوا؟ لِما رأَوا من قوته ونصرِ الله سبحانه وتعالى له؛ فلذلك قال: "فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ" إذ كيف تخافونهم الآن وقد نصركم الله عليهم بعد أن كنتم أذلة! فلا مكان لخشيتهم بعد هذا.

📕 اليوم أكملت لكم دينكم الذي هو الإسلام، وأتممت عليكم نعمتي الظاهرة والباطنة، واخترت لكم الإسلام دينًا، فلا أقبل دينًا غيره،

✍ نعم، قال تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" اليوم المراد به يوم عرفة من السنة العاشرة من الهجرة لما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فنزلت عليه هذه الآية في ذلك الموقف، قال: "أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" يعني دين الإسلام؛ وذلك بتحقيق النصر له وإكمال شريعته وأحكامه، فلم ينزل حكم بعد هذا وإذا كمُل الدين فإنه لا يحتاج إلى زيادة، فلا مكان فيه للبدع والمحدثات، قال: "وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي" وذلك بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ثم قال: "وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" أي اخترتُه

لكم ورضيتُه لكم دينا تدينون به لي فلا أقبل دينًا غيرَه، فمن دان لله سبحانه وتعالى بغير دين الإسلام فلن يُقبل منه، كما قال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ[٦])

فمن أُلجئَ بسبب مجاعة إلى الأكل من الميتة غير مائل لإثم فلا إثم عليه في ذلك، إن الله غفور رحيم.

نعم، قال تعالى: "فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" عاد إلى حكم المحرمات فقال: "فَمَنِ اضْطُرَّ" أي أُلجِىء "فِي مَخْمَصَةٍ" أي بسبب مجاعة، "غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ" يعني أنه اضطُر إلى الأكل من الميتة غير قاصدٍ للأكل منها فلا إثم عليه في ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم.

ولما ذكر الله ما حرم أكله ذكر ما أحل أكله فقال:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(٤)﴾

يسألك -أيها الرسول- صحابتك ماذا أحل الله لهم أكله؟ قل -أيها الرسول-: أحل الله لكم ما طاب من المآكل،

نعم، بعد أن ذكر اللهُ سبحانه وتعالى ما حَرَّم أكلَه ذكر ما أباح أكلَه فقال: يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ" -يعني من المأكولات- فقال: "قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ" وهذه كلمة شاملة جامعة، أي كل ما طاب من المآكل مما فيه نفع أو لذة بشرط ألا يضر بالبدن ولا بالعقل، فأحل الله جميع الحظوظ النافعة وجميع حيوانات البر والبحر إلا ما استثناه الشارع منها، ودلت الآية بمفهومها على تحريم الخبائث؛ لأنه أحل لهم

---

٦ [سورة آل عمران ٨٥]

الطيبات ولم يُحل لهم الخبائث، وقد قال الله في الآية الأخرى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ[٧] (فكل خبيثٍ فهو محرم.

وأكل ما صادته المدرَّبات من ذوات الأنياب كالكلاب والفهود وذوات المخالب كالصقور، تعلِّمونها الصيد مما مَنَّ الله عليكم به من العلم بآدابه، حتى صارت إذا أُمِرَتِ ائتَمَرَتْ، وإذا زُجِرَتِ ازدجرت،

نعم، ذكر ما أحل لهم فقال: "قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ" -هذا الأول- "وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ" أي وأُحل لكم ما علمتم من الجوارح، والمراد بالجوارح ذوات الأنياب وذوات المخالب، "مُكَلِّبِينَ" مكلبين جمع مُكلِّب وهو معلم الكلاب وغيرها طريقةَ الاصطياد، قال: "تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ" أي تعلمونها الصيد مما مَنَّ الله عليكم به من العِلم حتى تصل إلى حالة أنها إذا أُمِرت إئتمرت وإذا زُجِرت ازدجرت، وهذه علامة أنه صار مُعلَّما فيصِح صيدُه ويحل، وأما غيرُ المُعلَّم فلا يصح صيدُه. والله أعلم.

فكلوا مما أمسكته من الصيد ولو قتلته، واذكروا اسم الله عند إرسالها،

نعم، قال: "فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ" أي ما أمسكته الجوارح المعلَّمة فإنه يحل لكم أن تأكلوا مما أمسكن عليكم ولو قتلته؛ بمعنى أنه لا يُشترط أن تُدركوا ذكاته، لكن ذكر هنا شرطًا فقال: "وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ" يشترط لحل ما صاده الجارح المُعلَّم أن يذكر اسم الله عند إرساله للصيد، فإن ترك التسمية متعمّدا لم يحل الصيد له.

---

٧ (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[الأعراف ١٥٧]

واتقوا الله بامتثال أوامره والكف عن نواهيه، إن الله سريع الحساب للأعمال.

نعم، ثم قال: "وَاتَّقُوا اللهَ" بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، "إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ " فهو سبحانه سريع الحساب على الأعمال .

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٥) ﴾

اليوم أَحَلَّ الله لكم أكل المستلذات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحل ذبائحكم لهم

نعم، قال تعالى: "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ" أي اليومَ أَحَل الله لكم أكل كل ما فيه نفع أو لذة لكم، ثم قال: "وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ" أي ويحل لكم أكلُ ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون بقية الكفار لكن بشرط أن يُذَكوها حسب ما جاء في شرعهم، أما إن كان اليهود والنصارى يقتلون ذبائحهم بالصعق أو الضرب أو غير ذلك فإنها لا تحل،

<u>وإنما مناط الِحل هنا:</u>

- إذا كانوا يُذكونها ويذبحونها حسب ما جاء في شرعهم.

- وكذلك يذبحونها لله سبحانه وتعالى، فإذا ذبحها اليهودي أو النصراني لغير الله لم تحلَّ ذبيحتُه.

وذبيحتُه إنما أُحلت لأن اليهود والنصارى في الأصل يدينون بتحريم الذبح لغير الله؛ فلذلك أُبيحت ذبائحُهم دون غيرهم من أهل الشرك، فإن بدلوا وغيروا لم تحل ذبائحهم، ثم قال: "وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ" أي كما حلّ طعام أهل الكتاب وذبائحهم لكم حلّ طعامكم وذبائحكم لأهل الكتاب.

وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أُعْطُوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى إذا أعطيتموهن مهورهن، وكنتم متعففين عن ارتكاب الفاحشة غير متخذين عشيقات ترتكبون الزنى معهن،

ثم انتقل إلى بيان من يحل زواجها من النساء فقال: "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ" أي أحل الله لكم نكاح المحصنات، والمراد بالمحصنات هنا الحرائر العفيفات من المؤمنات، ثم قال: "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ" أي والحرائر العفيفات من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فيشترط أن تكون حرةً وليست أمة، وأن تكون عفيفةً وليست زانية ليحلَّ نكاحُها، ثم اشترط فقال: "إذا آتيتموهن أجورهن" يعني إذا أعطيتموهن مهورهن، "محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان" أي بشرط أن تكونوا متعففين عن ارتكاب الفاحشة غير معلنين بالزنا مع كل زانية -هذا معنى غير مسافحين- ، "ولا متخذي أخدان" أي ولا متخذي صديقات ترتكبون الزنا معهن سرا، واشترط أهل العلم كذلك في جواز نكاح الكتابية أن يأمن من التأثرَ بدينها.

ومن يكفر بما شرعه الله لعباده من الأحكام فقد بطل عمله لفقد شرطه الذي هو الإيمان، وهو يوم القيامة من الخاسرين لدخوله النار خالدًا فيها مخلدًا.

نعم، ثم قال تعالى: "وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ" أي ومن يكفر بما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام فإن عملَه الصالح الذي عمله يبطل بكفره إذا مات على كفره، كما قال تعالى: (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ ...[٨]) ثم قال: "وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" لأنه يدخل النار خالدا مخلدا فيها أبدا.

---

٨ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [سورة البقرة ٢١٧]

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

- 📕 الأصل هو حِلُّ الأكل من كل بهيمة الأنعام، سوى ما خصه الدليل بالتحريم، أو ما كان صيدًا يعرض للمحرم في حجه أو عمرته.

🖉 نعم، الأصل هو حِل الأكل من بهيمة الأنعام إلا ما ورد الدليل بتحريمه أو كان صيدا بالنسبة للمحرم في حجه أو عمرته، ويدل لذلك قول الله تعالى: "أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ"

- 📕 النهي عن استحلال المحرَّمات، ومنها: محظورات الإحرام، والصيد في الحرم، والقتال في الأشهر الحُرُم، واستحلال الهَدْي بغصب ونحوه، أو مَنْع وصوله إلى محله.

🖉 نعم، نهى الله سبحانه وتعالى عن استحلال المحرمات ومما ذكره في هذه الآيات منها؛ استحلال محظورات الإحرام والصيد في الحرم والقتال في الأشهر الحرم واستحلال الهَدي بغصبه أو سرقته أو منع وصوله إلى الحرم، وجاء هذا كله في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ" إلى آخر الآية.

- 📕 تحريم ما مات دون ذكاة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عليه اسْمٌ غير اسم الله عند الذبح، وكل ميت خنقًا، أو ضربًا، أو بسقوط من علو، أو نطحًا، أو افتراسًا من وحش، ويُستثنى من ذلك ما أُدرِكَ حيًّا وذُكّيَ بذبح شرعي.

🖉 نعم، ذكر الله المحرمات؛ ومنها ما مات دون ذكاة، والدمَ المسفوح، ولحمَ الخنزير، وما ذُكر عليه غيرُ اسم الله عند الذبح، وما مات خنقًا أو ضربًا أو بسقوطٍ من علْوٍ أو نطحًا أو افتراسًا من وحشٍ، واستثنى من

ذلك كلِّه: ما أُدرِك حيًّا، وذُكِّي بذبحٍ شرعي، وهذا كله في قوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ".

- 📕 حِلُّ ما صاده كل مدرَّبٍ ذي ناب أو ذي مخلب.

🖉 نعم، من الفوائد: حِل ما صاده الحيوان المدَرَّب والمُعلَّم من ذوي الناب والمخالب، ويدل ذلك قول الله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ".

- 📕 إباحة ذبائح أهل الكتاب، وإباحة نكاح حرائرهم من العفيفات.

🖉 نعم، من الفوائد إباحةُ ذبائح أهل الكتاب لقوله تعالى: "وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ" وإباحة نكاح حرائرهم من العفيفات لقوله تعالى: "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ". والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (١-٥)

الكلمة	المعنى
أوفُوا بِالعُقُود	التزمُوا بالعُهود المؤكّدة مع الله ومع خلقه
بَهيمةُ الأنعام	الإبلُ والبقرُ والغنمُ
إلّا ما يُتلى عليكم	إلا ما نصَّ الله على تحريمه
غيرَ مُحِلّي الصيدِ وأنتم حُرُم	غيرَ مُستَحَلِّي الصيدِ في حالِ الإحرامِ بحجٍّ أو عمرةٍ، وفي حدودِ الحَرَم
لا تُحِلُّوا شعائر الله	لا تَنتَهِكُوا حدودَ الله ومَعَالِمَ دِينِه، أو: لا تَستَحِلُّوا محظوراتِ الإحرام
ولا الشهرَ الحرام	ولا تَستَحِلُّوا القتالَ في الأشهُرِ الحُرُمِ، وهي: ذو القَعدة، وذو الحِجّة، والمحرّم، ورجب
ولا الهَدْيَ	ولا تَستَحِلُّوا ما يُهدى إلى الحرم من الأنعام ليُذبح لله هناك: بالسرقة، أو الغصْب، أو منْع وصوله إلى الحرم
ولا القَلائدَ	ولا تَستَحِلُّوا البهيمةَ الّتي عليها قِلَادَةٌ للإشعار بأنّها هَدْي
ولا ءآمِّين البيتَ الحرام	ولا تَستَحِلُّوا قَاصِدِي بيتِ اللهِ الحرامِ للحجِّ أو العمرة
وإذا حلَلْتُم فاصْطَادُوا	وإذا حللْتم من إحرامِكم، وخرجْتُم من الحرم فاصْطَادوا إن شئتم
ولا يَجرِمنَّكُم	ولا يَحملنّكُم
شَنَآنُ قوم	بُغضُ قوم
أنْ صدُّوكُم	لِأجلِ أنهم صدُّوكُم
المَيْتَة	الحيوانُ الذي مات بدون ذكاة
والدّم	والدمُ المَسفُوحُ السَّائلُ من البهيمةِ عند ذبحها
وما أُهلّ لِغير الله به	وما ذُكر عليه اسمُ غيرِ الله عند ذبْحِه
والمُنخَنِقَة	والتي حُبس نَفَسُها حتى ماتت
والمَوقُوذَة	والتي ضُربتْ حتى ماتت

والمُتَرَدِّيَة	والتي سقطتْ من مكانٍ عالٍ فماتت
والنَّطِيحَة	والتي ضربتْها أخرى بِقُرُونِها فماتت
وما أَكَلَ السَّبُع	وما أكل منه السبُع فمات
إلّا ما ذكّيتُم	إلا ما أَدركتُمُوه حيًّا وذكّيتُمُوه فإنّه حلال
على النُّصُب	على ما يُنصبُ لعبادة غيرِ الله كالأصنام
وأن تَستَقسِمُوا بِالأَزْلَام	وأن تطلبوا معرفةَ ما قُسم لكم في المستقبلِ بالأقداح
يَئِسَ الذين كفروا مِن دينِكم	يَئِسَ الذين كفروا مِن ارتِدَادِكُم عن دينِ الإسلام
فَمَنِ اضطُرّ	فَمَنْ أَلْجَأَتْهُ الضرورة
في مَخمَصَة	في مَجاعَة
غيرَ مُتَجَانِفٍ لإثم	غيرَ مائلٍ قصدًا للمعصية
الجَوَارِح	الحيواناتِ ذواتِ الأنيابِ والمَخَالِب
مُكَلِّبِين	جمع مُكَلِّب، وهو مُعلِّم الكلابِ وغيرِها طريقةَ الصيد
وطعامُ الذين أوتوا الكتاب	وذبائحُ أهلِ الكتابِ من اليهودِ والنصارى
والمُحصَنات	والحرائرُ العفيفات
أُجُورَهنّ	مُهُورَهنّ
مُحصِنِين	مُتعفّفين عن الزنى
غيرَ مُسافِحِين	غيرَ مُجاهرين بالزّنا
ولا مُتّخِذِي أَخدَان	ولا مُتّخذي عشيقاتٍ للزنى معهنّ سرّا
ومن يكفُرْ بالإيمان	ومن يكفُرْ بما شرعه الله من العقائد والأحكام

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ١-٥

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية الأولى وحتى الآية الخامسة.

أبدأ بالآية الأولى وهي قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وهو رأس آية في غير الكوفي، ووجه الوقف هنا أن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (أُحلّت لكم بهيمة الأنعام) إخبار بحكم شرعي بعد أمر عام في قوله: (أوفوا بالعقود)، وهذا الإخبار مستأنف، فصحّ الابتداء به والوقوف قبله، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (إلا ما يتلى عليكم)؟

الجواب: لا؛ نصّ على المنع منه الأشموني، وذلك لأن قوله بعدها: (غيرَ مُحلّي الصيد وأنتم حُرُم) منصوب على الحال من الكاف في قوله (أحلت لكُم)، فتقدير الجملة: أحلت لكم بهيمة الأنعام بشرط ألا تكونوا محلّي الصيد وأنتم حرم، فكانت جملة: (غيرَ مُحلّي الصيد وأنتم حُرُم) من تتمة الجملة الأساسية فلم يصح الوقف قبلها، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وأنتم حُرُم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الحكم قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ (إنّ) في بيان أن الله سبحانه وتعالى يحكم بما يشاء على عباده في قوله: (إنّ الله يحكم ما يريد)، فصح الوقف قبلها والابتداء بها، والله أعلم.

في الآية الثانية: لا يصح الوقف على قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تُحلّوا شعائر الله)، ولا على قوله: (ولا الشهر الحرام)، ولا على قوله: (ولا الهدي)، ولا على قوله: (ولا القلائد)، ولا على قوله: (ولا آمّين البيت الحرام)؛ لأن هذه أفراد معطوفة على قوله (شعائر) منصوبة مثلها، فلم يصح الفصل بينها.

وإنما يصح الوقف على قوله: (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)، كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وذلك لأن المنهيات قد انتهت هنا، ثم جاء بعدها حكم آخر مستأنف وفيه معنى الشرط في قوله تعالى: (وإذا حللتم فاصطادوا)، فصح الوقف قبله والابتداء به، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وإذا حللتم فاصطادوا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط قد انتهت هنا وانتهى معها الحكم الوارد في الجملة، ثم جاء نهي في أمر آخر في قوله: (ولا يجرمنّكم شنآن قوم...) إلى آخر الجملة، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (ولا يجرمنّكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، بل جعله بعضهم وقفا لازما، كما نص عليه السجاوندي، ووضعت كذلك علامة الوقف اللازم هنا في مصحف المدينة، ووجه لزومه عندهم: أنه لو وُصل بما بعده لأوهم معنًى فاسدًا، لأوهم أنّ قوله: (وتعاونوا) معطوف على (تعتدوا)، فيصير المعنى: لا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وأن تتعاونوا على البر والتقوى، فصار كأنه نهي عن التعاون على البر والتقوى، ولا شك أن هذا غير مراد.

وإذا تأملنا في الجملة الأساسية، فإنها وما تضمنته من النهي قد انتهت هنا، ثم جاء بعدها أمر بأمر مستقلّ بنفسه لا علاقة له بهذه الجملة، وذلك في قوله: (وتعاونوا على البر والتقوى)، فصحّ الوقف هنا، واعتباره وقفا لازما له وجه، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وتعاونوا على البر والتقوى)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، ولم ينصّ عليه الآخرون، وإذا تأملنا فإن هذه الجملة تضمنت أمرا قائما بذاته، ثم عُطفت عليها جملة أخرى تضمنت نهيا قائما بذاته، ولا شك أن اجتماع هذا الأمر مع ذلك النهي يفيد معنًى متكاملا، وذلك إذا قرأ القارئ: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)، لكن كل جملة كذلك قائمة بنفسها وتؤدي المعنى المراد منها في حال الوقف عليها، فيصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة النهي قد انتهت هنا، ثم جاء بعدها أمر عام بالتقوى في جملة مستقلّة في قوله: (واتقوا الله)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (واتقوا الله)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر الوارد في هذه الجملة قد انتهى، ثم جاءت بعده جملة مستأنفة مبدوءة بـ (إنّ) في قوله: (إنّ الله شديد العقاب) فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها لا يصح الوقف فيها على قوله: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب). إلى هنا اتفق جميع علماء الوقف والابتداء أنه لا وقف، لأنها أفراد معطوفة على بعضها، فلا يصح الفصل بينها.

ثم هل يصح الوقف على قوله: (وأن تستقسموا بالأزلام)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن المحرمات المعطوفة على بعضها قد انتهت هنا، ثم جاء وصف لها بقوله: (ذلكم فسق). فمن نظر إلى أن هذه المعطوفات قد انتهت هنا صحح الوقف هنا، ومن نظر إلى أن قوله: (ذلكم فسق) من تتمة وصف هذه المحرمات لم يصحح الوقف هنا، وإنما صححه على قوله: (ذلكم فسق)، والأمر في هذا محتمل، والله أعلم.

وأما الوقف على قوله: (ذلكم فسق) فقد نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وهو واضح، حيث انتهى كل ما يتعلق بالمحرمات، ثم جاء بعدها خبر خاص في قوله: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم)؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي، وجعله النكزاوي مفهوما والأشموني جائزا، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الفاء في قوله: (فلا تخشوهم واخشون) رابطة لجواب شرط مقدر تقديره: فإذا كانوا كذلك، يعني إذا كانوا يئسوا من ارتدادكم عن دينكم فلا تخشوهم، فدل على أنها مرتبطة بما قبلها، فالأولى عدم الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (فلا تخشوهم واخشون)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن النهي قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في أمر آخر لا علاقة له بهذه الجملة في قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (اليوم أكملت لكم دينكم)؟

الجواب: لا يصح؛ لأن قوله: (وأتممت عليكم نعمتي) مرتبط بالظرف في قوله: (اليوم)، وتقدير الكلام: اليوم أكملت لكم دينكم، واليوم أتممت عليكم نعمتي.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (وأتممت عليكم نعمتي)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن جملة (ورضيت لكم الإسلام دينا) أيضا معطوفة على جملة (أكملت لكم دينكم)، فهي مرتبطة بالظرف الوارد في قوله: (اليوم)، وتقدير الكلام: اليوم أكملت لكم دينكم، واليوم أتممت عليكم نعمتي، واليوم رضيت لكم الإسلام دينا، يعني أن الإسلام قد تم بجميع شرائعه، فرضيته لكم. ولا يخفى أن هذه الآية كانت من آخر ما نزل من القرآن الكريم ولم ينزل بعدها شيء من الأحكام الشرعية.

ثم هل يصح الوقف على قوله: (ورضيت لكم الإسلام دينا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الجمل المرتبطة بالظرف في قوله: (اليوم) قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة شرطية مرتبطة بالجملة التي بدئت بها الآية، وهي ذكر المحرمات، وهذه الجملة الشرطية في بيان حكم المضطر لأكل هذه المحرمات، قال: (فمن اضطُرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) فهذه الجملة الشرطية قائمة بنفسها في بيان حكم مستقلّ فصح الوقف قبلها والابتداء بها، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (غير متجانف لإثم)؟

الجواب: لا يصح؛ كما نصّ عليه السجاوندي والأشموني، وذلك لأن قوله: (فإن الله غفور رحيم) هو جواب الشرط، لأن الشرط في قوله (مَن)، وفعل الشرط (اضطُرّ في مخمصة غير متجانف لإثم) فما حكمه؟ جاء في جواب الشرط (فإن الله غفور رحيم)، فلا وقف إلا في نهاية الآية، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يسألونك ماذا أُحلّ لهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن السؤال قد انتهى هنا، ثم جاء الجواب، ويحسن الفصل بين السؤال والجواب، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (قل أُحل لكم الطيبات)؟

الجواب: لا يصح؛ كما نبه على ذلك السجاوندي والأشموني، لأنّ قوله بعدها: (وما علّمتم من الجوارح) معطوف على: (الطيبات)، فلم يصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وما علّمتم من الجوارح مكلّبين)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (تعلّمونهنّ مما علّمكم الله) يحتمل أن يكون مستأنفا، ويحتمل أن يكون حالا من الضمير في (مكلبين)، و(مكلبين) حال من الضمير في (علّمتم)، تقدير الجملة: وما علمتم أنتم مكلبين حال كونكم تعلمونهن مما علمكم الله، وهذا الاحتمال هو الأقرب إلى سياق الآية، وبناء عليه لا يصح الوقف على قوله (مكلبين)، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (تعلّمونهنّ مما علّمكم الله)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عما أحل لهم، وانتهى الإخبار هنا، ثم أمر بالأكل مما أحل لهم، فصح الفصل بين الإخبار والأمر، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فكلوا مما أمسكن عليكم)؟

الجواب: لا يصح، لأن قوله بعدها: (واذكروا اسم الله عليه) هو من شرط جواز أكل ما أمسكه الكلب المعلَّم، إذ لا يحل الأكل مما صاده الكلب المعلم إلا إذا ذكر اسم الله عليه عند إطلاقه، أو أدرك ذكاته فذكر اسم الله عليه، فذكر اسم الله عليه شرط لِحلِّه، ولا يصح الفصل بين الأمر بالأكل وإباحته وبين شرطه، فلا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (واذكروا اسم الله عليه)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جواز أكل ما صاده الكلب المعلم مع شرطه قد انتهى هنا، ثم جاء أمرٌ عامٌ بتقوى الله في قوله: (واتقوا الله)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (واتقوا الله)؟

الجواب: نعم، نص عليه جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر بتقوى الله قد انتهى هنا، ثم جاءت جملةٌ مستأنفةٌ مبدوءةٌ بـ (إنّ) في قوله: (إنّ الله سريع الحساب)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (اليوم أحل لكم الطيبات) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا جماعةٌ من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى ذكر بعدها حكم أكل طعام أهل الكتاب وحكم نكاح نسائهم، بعد أن ذكر قاعدةً عامةً في هذه الجملة، ما هي القاعدة العامة؟ (اليوم أحل لكم الطيبات) هذا من الناحية المعنوية.

أما من الناحية اللفظية فإن قوله: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم) الأقرب أن قوله: (وطعامُ) مرفوعٌ بالابتداء، وخبره (حلٌ لكم)، وبناءً على هذين الأمرين يصح الوقف على قوله: (اليوم أُحلّ لكم الطيبات)، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم) قبل قوله (وطعامكم حِلٌّ لهم)؟

رخّص في الوقف هنا السجاوندي وحده، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله (وطعامكم حِلٌّ لهم) ليس المراد به إخبار أهل الكتاب أن طعام المسلمين حلالٌ لهم، لأن أهل الكتاب لا يأخذون أحكامهم وشرائعهم من القرآن، وإنما المراد بيان أن طعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم كما أنّ طعامكم حلٌ لهم، يعني كما يعلمون هم أن طعامكم حل لكم. وبناءً عليه فالأولى عدم الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (وطعامكم حِلٌّ لهم)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن ما يتعلق بطعام أهل الكتاب قد انتهى هنا، ثم جاء الكلام عن حكم نكاح نساء المؤمنين ونساء أهل الكتاب في قوله: (والمحصنات من المؤمنات) إلى آخره.

وقوله: (والمحصناتُ) يحتمل أن يكون مستأنفًا، ويحتمل أن يكون معطوفًا، واحتمال العطف أولى وأقرب، لكن هذا العطف إذا تأملناه فإن الله سبحانه وتعالى قال فيه: (والمحصناتُ من المؤمنات والمحصناتُ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهنّ محصِنين غيرَ مُسافِحين ولا مُتّخِذي أخدَان) فهذا الوصف الطويل الذي ارتبط بالجملة وما تضمنه من بيان شرط جواز نكاحهن يجعل الوقف على قوله: (وطعامكم حِلٌّ لهم) له وجهٌ، على أن الجملة التي تليها تحتاج إلى تقدير، وهذا التقدير مفهومٌ من السياق، أي: والمحصنات من المؤمنات حِلٌ لكم، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان حلٌ لكم أيضًا.

وبناءً على هذا فإن الوقف له وجهٌ، لكنّ الوصل أولى، والله تعالى أعلم.

ثم لا يصح الوقف إلا على قوله (ولا متخذي أخدان)؛ لأن كلّ ما قبله شرطٌ لجواز نكاح النساء من المؤمنات ومن نساء أهل الكتاب.

ويصح الوقف على قوله: (ولا مُتّخِذي أخدان) كما نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، لأنه قد انتهى ذِكر ما يتعلق بحِلّ نكاح نساء المؤمنين ونساء أهل الكتاب مع الشرط، ثم جاءت جملةٌ شرطيةٌ في أمرٍ عامٍ لا علاقة له بهذا الأمر في قوله: (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (ومن يكفر بالإيمان فقد عمله)؟

جوّز الوقف هنا السجاوندي والأنصاري والأشموني، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن جملة الشرط قد انتهت هنا، في قوله: (ومن يكفر بالإيمان)، جوابها (فقد حبط عمله)، لكن قوله: (وهو في الآخرة من الخاسرين) من تتمة بيان جزائه الأخروي، فالأولى الوصل هنا، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في هذه الآيات، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا وعملاً وهدًى وتقًى، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ١-٥

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾:

قال السعدي: «هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها.

وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه: من التزام عبوديته، والقيام بها أتمّ قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئا.

والتي بينه وبين الرسول: بطاعته واتباعه.

والتي بينه وبين الوالدين والأقارب: ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم.

والتي بينه وبين أصحابه: من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر.

والتي بينه وبين الخلق: من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات: كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: {إنما المؤمنون إخوة} بالتناصر على الحق، والتعاون عليه، والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع.

فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها». «تفسير السعدي» (ص٢١٨).

وقال ابن عثيمين: «اعلم أنه إذا صُدِّر الكلام بهذه الجملة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فإنه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أرعها سمعك -يعني: انتبه لها- فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه، وإما خبر يكون فيه مصلحة لك...

واعلم أيضًا: أنه إذا صدّر الكلام بها فإنه يدل على أن ما بعدها من مقتضيات الإيمان؛ تصديقًا به إن كان خبرًا، وعملًا به إن كان طلبًا، وأن مخالفة ذلك نقص في الإيمان، وامتثاله يزيد به الإيمان.

واعلم أيضًا: أن الله تعالى يصدّر الخطاب بها إغراءً للمخاطَب؛ لأن قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} كأنه يخاطبهم بقوله: إن إيمانكم يحملكم على أن تفعلوا كذا وكذا، وأن تتركوا كذا وكذا، حسب السياق». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٦).

وقال ابن عثيمين: «بَيَّن الله تعالى الوعيد على من يستوفي العقود تامة ولا يوفّيها تامة، في قوله تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}. إذًا: (أوفوا) بمعنى: ائتوا بها كاملة، ومنه قوله تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ}، وما أشبه ذلك...

{أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} هذا عام، فأيّ عقد فإنه يجب الوفاء به، ولكن لا بد أن يقيّد بما جاءت به الشريعة، وهو ألا يكون العقد محرّمًا، فإن كان العقد محرّمًا فإن النصوص تدلّ على عدم الوفاء به، بل على تحريم الوفاء به، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط)».
«تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٧).

وقال ابن عثيمين: «يدخل في ذلك الوفاء بالعهود؛ لأن العهد عقد، كما جاء في آية أخرى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}.

وأيضًا يدخل في ذلك: الوفاء بالوعد، فلو قلت لإنسان: سأمرّ عليك غدًا في الساعة الفلانية، الصحيح أنه يجب عليك أن توفي به؛ لأن الوعد عهد؛ ولأن إخلاف الوعد من صفات المنافقين، والرسول عليه الصلاة والسلام لمّا قال في المنافق: (إذا وعد أخلف) لا يريد أن يوصل إلى أفهامنا أن هذه الخصلة من خصال المنافقين فقط، ولكن يريد منا أن نتجنّبها ونحذرها». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٤).

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾:

قال الطبري: «وأما "النعم" فإنها عند العرب اسم للإبل والبقر والغنم خاصة، كما قال جل ثناؤه: (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)، ثم قال: (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)، ففصّل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان.

وأما "بهائمها"، فإنها أولادها. وإنما قلنا يلزم الكبار منها اسم "بهيمة" كما يلزم الصغار، لأن معنى قول القائل: "بهيمة الأنعام"، نظير قوله: "ولد الأنعام". فلما كان لا يسقط معنى الولادة عنه بعد الكبر، فكذلك لا يسقط عنه اسم البهيمة بعد الكبر». «تفسير الطبري» (٩/ ٤٥٧).

وقال ابن كثير: «استدل ابن عمر، وابن عباس، وغير واحد بهذه الآية على إباحة الجنين إذا وجد ميتا في بطن أمه إذا ذبحت، وقد ورد في ذلك حديث في السنن... عن أبي سعيد، قال: قلنا: يا رسول الله، ننحر الناقة، ونذبح البقرة أو الشاة في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكله؟ فقال: (كلوه إن شئتم؛ فإن ذكاته ذكاة أمه)». «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨).

وقال ابن كثير في قوله: (إلا ما يُتلى عليكم): «الظاهر -والله أعلم- أن المراد بذلك قوله: {حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع}، فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها تَحرُم بهذه العوارض؛ ولهذا قال: {إلا ما ذكّيتم وما ذبح على النصب} يعني: منها، فإنه حرام لا يمكن استدراكه وتلاحقه؛ ولهذا قال تعالى: {أحلّت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم} أي: إلا ما سيتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال». «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨).

وقال ابن كثير: «والمراد من الأنعام: ما يعمّ الإنسيّ من الإبل والبقر والغنم، وما يعمّ الوحشيّ كالظباء والبقر والحُمُر، فاستثنى من الإنسيّ ما تقدّم، واستثنى من الوحشيّ الصيد في حال الإحرام». «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩).

وقال ابن عثيمين: «الحُرُم جمع حرام وهو: من تلبّس بالإحرام بحج أو عمرة، أو دخل في الحرم وإن لم يكن مُحرِمًا. والحَرم في مكة معروف بحدوده، وفي المدينة كذلك أيضًا...

والمراد بالصيد في حال الإحرام: كل حيوان بريّ متوحش أصليّ؛ أي: متوحش باعتبار أصله.

مثاله: رجل مُحرِم قبل أن يدخل حرم مكة نزل ضيفًا على إنسان عنده حمام فاشترى منه حمامًا، هذا لا يجوز؛ لأنه صيد، وعليه فإن كان الرجل في الحرم أو كان محرمًا فلا يجوز الصيد.

ومثال آخر: رجل اشترى دجاجة غير مقدور على إمساكها تطير كالحمام هذا يجوز؛ لأن الدجاج غير متوحش أصلًا فهو ليس بصيد.

وأيضًا من أمثلة الصيد: الغزال والظباء والضب». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٨).

وقال ابن عثيمين: «جميع بهائم الأنعام حلال؛ لقوله: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ}، وأيضًا غير بهيمة الأنعام نقول: إنها حلال، لكن لا بهذه الآية، بل بقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}، وعلى هذا فإذا شككنا في هذا الحيوان الزاحف أو الطائر هل هو حلال أو حرام؟ فالأصل أنه حلال، وعلى من حرّمه الدليل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٥).

وقال ابن عثيمين: «تعظيم الإحرام، وأنه يحرم على المُحرِم الصيد؛ لئلا ينساب وراء الصيد فينسى الإحرام، إذ من المعلوم الآن عند أهل الصيد أنهم شغوفون به، وأنه يأخذ بلبّهم وعقولهم، حتى إنك ترى الصائد يلحق الصيد والحصى يُدمي قدمه والشوك يخرقها ومع ذلك لا يبالي، فلو أُحلّ الصيد للمُحرِم لتلهّى به عن إحرامه وغفل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٧).

﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾:

قال السعدي: «{إن الله يحكم ما يريد} أي: فمهما أراده تعالى حكم به حكما موافقا لحكمته، كما أمركم بالوفاء بالعقود لحصول مصالحكم ودفع المضارّ عنكم، وأحل لكم بهيمة الأنعام رحمة بكم، وحرم عليكم ما استثنى منها من ذوات العوارض، من الميتة ونحوها، صونا لكم واحتراما، ومن صيد الإحرام احتراما للإحرام وإعظاما». «تفسير السعدي» (ص٢١٨).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ﴾:

سبب النزول: قال البغوي: «نزلت في الحطم، واسمه شريح بن ضبيعة البكري، أتى المدينة وخلّف خيله خارج المدينة، ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: إلى ما تدعو الناس؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فقال: حسن، إلا أنّ لي أمراء لا أقطع أمرا دونهم، ولعلّي أسلم وآتي بهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: (يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان)، ثم خرج شريح من عنده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد دخل بوجه كافر، وخرج بقفا غادر، وما الرجل بمسلم)، فمرّ بسرح المدينة فاستاقه وانطلق، فاتّبعوه فلم

يدركوه، فلما كان العام القابل خرج حاجّا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة، ومعه تجارة عظيمة، وقد قلّد الهدي، فقال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم: هذا الحطم قد خرج حاجا فخلّ بيننا وبينه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه قد قلّد الهدي)، فقالوا: يا رسول الله! هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا لا تحلّوا شعائر الله}». «تفسير البغوي» (٢/ ٧-٨).

وقال السعدي: «{يأيها الذين آمنوا لا تُحلّوا شعائر الله} أي: محرّماته التي أمركم بتعظيمها وعدم فعلها، والنهي يشمل النهي عن فعلها، والنهي عن اعتقاد حلّها، فهو يشمل النهي عن فعل القبيح، وعن اعتقاده. ويدخل في ذلك النهي عن محرّمات الإحرام، ومحرّمات الحرَم». «تفسير السعدي» (ص٢١٨).

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾:

قال البغوي: «{ولا الشهر الحرام} أي: بالقتال فيه، وقال ابن زيد: هو النسيء، وذلك أنهم كانوا يحلّونه في الجاهلية عاما، ويحرّمونه عاما». «تفسير البغوي» (٢/ ٨).

وقال السعدي: «{ولا الشهر الحرام} أي: لا تنتهكوه بالقتال فيه وغيره من أنواع الظلم، كما قال تعالى: {إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حُرُم ذلك الدين القيّم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم}.

والجمهور من العلماء على أن القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى: {فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم}، وغير ذلك من العمومات التي فيها الأمر بقتال الكفار مطلقا، والوعيد في التخلف عن قتالهم مطلقا، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل أهل الطائف في ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم.

وقال آخرون: إن النهي عن القتال في الأشهر الحرم غير منسوخ لهذه الآية وغيرها مما فيه النهي عن ذلك بخصوصه، وحملوا النصوص المطلقة الواردة على ذلك، وقالوا: المطلق يُحمل على المقيّد.

وفصّل بعضهم فقال: لا يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، وأما استدامته وتكميله إذا كان أوّله في غيرها

فإنه يجوز، وحملوا قتال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الطائف على ذلك، لأن أول قتالهم في حُنين في شوال. وكل هذا في القتال الذي ليس المقصود منه الدفع، فأما قتال الدفع إذا ابتدأ الكفار المسلمين بالقتال فإنه يجوز للمسلمين القتال دفعا عن أنفسهم في الشهر الحرام وغيره بإجماع العلماء». «تفسير السعدي» (ص٢١٨).

﴿وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾:

قال الطبري: «أما الهدي فهو ما أهداه المرء من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك إلى بيت الله، تقربا به إلى الله، وطلب ثوابه. يقول الله عز وجل: فلا تستحلوا ذلك، فتغصبوه أهله غلبة، ولا تحولوا بينهم وبين ما أهدوا من ذلك أن يبلغوا به المحل الذي جعله الله جل وعزّ محلّه من كعبته». «تفسير الطبري» (٩/ ٤٦٦).

وقال البغوي: «{ولا القلائد} أي: الهدايا المقلّدة، يريد ذوات القلائد.

وقال عطاء: أراد أصحاب القلائد، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلّدوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لحاء شجر الحرم كيلا يُتعرّض لهم، فنهى الشرع عن استحلال شيء منها.

وقال مطرّف بن الشخّير: هي القلائد نفسها، وذلك أن المشركين كانوا يأخذون من لحاء شجر مكة ويتقلّدونها، فنُهوا عن نزع شجرها». «تفسير البغوي» (٢/ ٨-٩).

وقال ابن كثير: «{ولا الهدي ولا القلائد} يعني: لا تتركوا الإهداء إلى البيت؛ فإن فيه تعظيما لشعائر الله، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز به عما عداها من الأنعام، وليُعلم أنها هدي إلى الكعبة فيجتنبها من يريدها بسوء، وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها، فإن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء؛ ولهذا لمّا حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بات بذي الحليفة، وهو وادي العقيق، فلما أصبح طاف على نسائه، وكنّ تسعا، ثم اغتسل وتطيّب وصلى ركعتين، ثم أشعر هديه وقلّده، وأهلّ بالحج والعمرة، وكان هديه إبلا كثيرة تُنيف على الستين، من أحسن الأشكال والألوان، كما قال تعالى: {ذلك ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب}». «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٠).

﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾:

قال السعدي: «{ولا آمّين البيت الحرام} أي: قاصدين له {يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا} أي: من قصد هذا البيت الحرام، وقصْده فضل الله بالتجارة والمكاسب المباحة، أو قصْده رضوان الله بحجه وعمرته والطواف به، والصلاة، وغيرها من أنواع العبادات، فلا تتعرضوا له بسوء، ولا تهينوه، بل أكرموه، وعظّموا الوافدين الزائرين لبيت ربكم.

ودخل في هذا الأمر الأمر بتأمين الطرق الموصلة إلى بيت الله، وجعل القاصدين له مطمئنين مستريحين، غير خائفين على أنفسهم من القتل فما دونه، ولا على أموالهم من المكْس والنهب، ونحو ذلك.

وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: {ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا}، فالمشرك لا يُمكّن من الدخول إلى الحرم.

والتخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه يدل على أن مَن قصَده ليُلحد فيه بالمعاصي، فإنّ من تمام احترام الحرم صدّ مَن هذه حاله عن الإفساد ببيت الله، كما قال تعالى: {ومَن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم نُذِقه من عذاب أليم}». «تفسير السعدي» (ص٢١٩).

وقال ابن عثيمين: «{الْبَيْتَ الْحَرَامَ} هو الكعبة، وسماه الله بيتًا لأنه بيت في الواقع، إذ إنه حجرة ذات أركان وسقف، ووصفها الله بالحرام لما لها من الحرمة والتعظيم، ولهذا كان ما حولها محترمًا، حتى الأشجار محترمة في الحرم، مع أن الأشجار جماد، أما الحصى والتراب فغير محترم، ولهذا لك أن تكسر الحصاة، ولك أن تنقل التراب إلى خارج الحرم، بخلاف الأشجار، لكن الأشجار التي لا تنمو، كالتي قد يبست، وكأغصان انكسرت فهذه ليست حرامًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٠).

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾:

قال ابن كثير: «{وإذا حللتم فاصطادوا} أي: إذا فرغتم من إحرامكم وأحللتم منه، فقد أبحنا لكم ما كان محرّما عليكم في حال الإحرام من الصيد، وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت على السبر: أنه يُردّ الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجبا ردّه واجبا، وإن كان مستحبا فمستحبّ، أو مباحا فمباح. ومَن قال: إنه على الوجوب، ينتقض عليه بآيات كثيرة، ومَن قال: إنه للإباحة، يَرِد عليه آيات أخر، والذي

ينتظم الأدلة كلها هذا الذي ذكرناه، كما اختاره بعض علماء الأصول، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢).

وقال ابن عثيمين: «والمراد بالإحلال هنا: الإحلال الأول الذي يحصل برمي جمرة العقبة يوم العيد والحلق أو التقصير، كما جاءت بذلك السنة: أنّ مَن رمى وحلق حلّ له كل شيء إلا النساء، هذا هو المراد بقوله: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ}، وليس المراد إذا حللتم من كلّ الإحرام». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢١).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾:

قال ابن كثير: «لا يحملنّكم بغض قوم قد كانوا صدّوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام، وذلك عام الحديبية، على أن تعتدوا في حكم الله فيهم فتقتصّوا منهم ظلما وعدوانا، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في كل أحد. وهذه الآية كما سيأتي من قوله تعالى: {ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} أي: لا يحملنّكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل أحد، في كل حال.

وقال بعض السلف: ما عاملتَ مَن عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والعدل به قامت السموات والأرض.

... عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وأصحابه حين صدّهم المشركون عن البيت، وقد اشتدّ ذلك عليهم، فمرّ بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: نصدّ هؤلاء كما صدّنا أصحابهم. فأنزل الله هذه الآية». «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢).

وقال ابن عثيمين: «هذا ينطبق تمامًا على ما فعلته قريش في غزوة الحديبية، فإنها صدّت النبي صلى الله عليه وسلم، وأحلّت شعائر الله، وأحلّت الشهر الحرام، والهدي، والقلائد، فكلّ ما نهى الله عنه في هذه الآية انتهكته قريش، وصدّوا أولى الناس بالبيت عن بيت الله عزّ وجل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٢).

وقال ابن عثيمين: «لا يجوز الاعتداء على الغير ولو كان الإنسان مبغضًا له، ولو كان قد صدّه عن الطاعة،

فأما إذا عامله بمثل ما عامله به فهذا لا بأس به، كما قال تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣١).

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

قال السعدي: «كل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها، وينشّط لها، وبكل فعل كذلك.

{ولا تعاونوا على الإثم} وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها ويَحرَج. {والعدوان} وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كفّ نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه». «تفسير السعدي» (ص٢١٩).

وقال ابن عثيمين: «كان بعض السلف إذا قيل له: اتقِ الله؛ ارتعد وربما سقط من مخافة الله عزّ وجل، وأدركنا من الناس من هذه حاله، أي: أنك إذا قلت له: اتقِ الله؛ اضطرب واحمرّ وجهه وخشع، والآن بالعكس، إذا قلت له: اتقِ الله، قال: ماذا فعلت؟ مع أنه منتهك لحرمات الله عزّ وجل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤).

وقال ابن عثيمين: «هل من المعونة على الإثم والعدوان أن يؤجّر الإنسان بيته لمن يصنع فيه الخمر؟ الجواب: نعم. وهل من المعونة أن يبيع التلفزيون على من يستعمله في المحرّمات؟ الجواب: نعم.
وهذه قاعدة عامة، ولها فروع كثيرة جدًّا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٣).

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾:

قال السعدي: «هذا الذي حوّلنا الله عليه في قوله: {إلا ما يُتلى عليكم} واعلم أن الله تبارك وتعالى لا يحرّم ما يحرّم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرّمات، وقد يبيّن للعباد ذلك وقد لا يبيّن». «تفسير السعدي» (ص٢١٩).

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى عباده خبرا متضمنا النهي عن تعاطي هذه المحرمات، من (الميتة)، وهي: ما مات من الحيوان حتف أنفه، من غير ذكاة ولا اصطياد، وما ذاك إلا لما فيها من المضرّة، لما فيها من الدم المحتقن، فهي ضارة للدين وللبدن، فلهذا حرّمها الله عز وجل، ويستثنى من الميتة السمك، فإنه حلال، سواء مات بتذكية أو غيرها، لما رواه مالك في موطئه والشافعي وأحمد في مسنديهما، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر، فقال: (هو الطهور ماؤه، الحلّ ميتته).

وهكذا الجراد... عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحلّت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤).

﴿وَالدَّمُ﴾:

قال ابن عثيمين: «الدم هنا مطلق، و"الـ" فيه لبيان الحقيقة، ولكنه قُيّد في سورة الأنعام بالدم المسفوح، احترازًا من الدم الذي يبقى في العروق بعد التذكية، فإنه ليس بحرام؛ لأنه لا يمكن أن تأخذ العرق وتمصّه بعد أن يذكّى، فالحرام هو الدم المسفوح الذي يخرج عند الذكاة، أو يخرج عند فصد العِرق أو ما أشبه ذلك، وكانوا في الجاهلية يأكلون الميتات ولا يبالون بها، ويقولون: كيف تحرّمون ما قتله الله ولا تحرّمون ما قتلتموه؟ يعني: بالذكاة، وكانوا أيضًا يأكلون الدم المسفوح، يَفصد الإنسان عِرق ناقته ويمصّه، فحرّمه الله عزّ وجل.

وعلى هذا: فالكبد لا تحرم، والطحال لا يحرم، والكلى لا تحرم، والدم الذي يكون في القلب لا يحرم، والدم الذي يبقى في العروق لا يحرم؛ لأن الدم قيّده الله بالمسفوح». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٧).

﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح، وهو بمكة: (إنّ الله ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام)، فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة، فإنها يُطلى بها السفن، ويُدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: لا، هو حرام، ثم قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: (قاتل الله اليهود، إنّ الله لمّا حرم شحومها جملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه». «صحيح البخاري» (٣/ ٨٤)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٢٠٧).

وقال ابن عثيمين: «{وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} لحم الخنزير حرام، والخنزير معروف، حيوان خبيث من شأنه أن يأكل القاذورات والحشرات وما أشبهها، وهو أيضًا معروف بعدم الغَيرة، والذي يتغذّى به يكتسب من طبيعته، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلّ ذي ناب من السباع، وكلّ ذي مخلب من الطير؛ لأن ذوات الأنياب والمخالب من طبيعتها الاعتداء، وأن تفترس غيرها، فلذلك نهى عنها لئلا يتأثر الإنسان بغذائه منها». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٧).

وقال ابن عثيمين: «وهل يلحق بذلك شحمه؟
الجواب: نعم بالإجماع، حتى الظاهرية يقولون: إن شحم الخنزير حرام؛ لأن اللحم عند الإطلاق يشمل جميع أجزاء البهيمة، أما لو قيل: لحم وشحم فإنه يفرّق بينهما، فإذا قيل: لحم الإبل أو لحم الضأن أو لحم البقر أو لحم الخنزير صار شاملًا للجميع». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٧).

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾:
قال ابن كثير: «{وما أُهلّ لغير الله به} أي: ما ذُبح فذكر عليه اسم غير الله، فهو حرام؛ لأن الله أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عدل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع. وإنما اختلف العلماء في المتروك التسمية عليه، إما عمدا أو نسيانا». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٧).

وقال ابن عثيمين: «تعظيم الشرك، وأنه يؤثر حتى على المأكولات، لقوله: {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ}...
تحريم ما أُهلّ لغير الله به، سواء أُهلّ باسم ملك أو نبي أو رئيس أو وطن أو غير ذلك؛ لعموم قوله: {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٧).

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾:

قال السعدي: «{والمنخنقة} أي: الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو إدخالها رأسها بشيء ضيق، فتعجز عن إخراجه حتى تموت.

{والموقوذة} أي: الميتة بسبب الضرب بعصا أو حصى أو خشبة، أو هُدم شيء عليها، بقصد أو بغير قصد.

{والمتردّية} أي: الساقطة من علو، كجبل أو جدار أو سطح ونحوه، فتموت بذلك.

{والنطيحة} وهي التي تنطحها غيرها فتموت.

{وما أكل السبع} من ذئب أو أسد أو نمر، أو من الطيور التي تفترس الصيود، فإنها إذا ماتت بسبب أكل السبع، فإنها لا تحل». «تفسير السعدي» (ص٢٢٠).

وقال ابن عثيمين: «إذا قال قائل: ما أكله السبع كيف يُستخرج من بطنه؟ يقال: المعنى ما قتله ليأكله، أو ما شرع في أكله». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٩).

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾:

قال ابن عثيمين: «{إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ} عد الله عزّ وجل من المحرمات: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردّية، والنطيحة، وما أكل السبع، هذه تسعة، والعاشرة: وما ذبح على النصب. وهل الاستثناء في قوله: {إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ} يعود على التسعة كلها أو على بعضها؟

الجواب: على بعضها قطعًا؛ لأن الميتة لا يمكن أن تذكّى؛ لأنها قد ماتت وانتهت.

ولحم الخنزير كذلك لا يمكن أن تُحِلّه الذكاة؛ لأنه محرم لنوعه، لا للقصور في سبب موته.

{وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ} أيضًا لا يمكن أن تُحِلّه الذكاة...

إذًا: يبتدئ الاستثناء من قوله: {وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ} وهذه الأوصاف أوصاف لسبب الموت وعددها خمس. فالنطيحة ربما تدركها قبل أن تموت، والمتردية كذلك، وما أكل السبع كذلك، والموقوذة كذلك، يمكن أن تدركها قبل أن تموت.

فاذا قال قائل: بماذا تكون تذكية هذه الأشياء التي أصابها سبب الموت؟

الجواب: تكون التذكية بقطع الحلقوم والمريء، أو بقطع الودجين، أو بقطع ثلاثة من أربعة، أو بقطع

الأربعة، على خلاف بين العلماء، وأرجح الأقوال أن التذكية تحصل بقطع الودجين، وأن من كمالها قطع الحلقوم والمريء أيضًا...

وأكثر العلماء يقولون: لا بد أن تتحرك؛ لأنك إذا ذبحتها ولم تتحرك فمعنى ذلك أنها ماتت، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: علامة الحياة أن يخرج منها الدم السائل المسفوح الحار الأحمر؛ لأن الحيوان إذا مات انقلب دمه إلى أسود، وانتقل من الحرارة إلى البرودة، وأيضًا تجلّط الدم، أي: لا يسيل كما يسيل عند ذبحه، فيقول رحمه الله: إنه إذا خرج منها الدم الأحمر الحار الذي يسيل فإنها تحلّ، سواء تحرّكت أم لم تتحرّك؛ لأنها قد لا تتحرّك لشدّة ما نزل بها، قد يكون أغمي عليها مثلًا فلا تتحرك، لا بعينها ولا برجلها ولا بذنبها، وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله هو الصحيح، أنه متى خرج منها الدم الأحمر الحار الجاري فهي مذكاة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٩-٤١).

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾:

قال ابن عثيمين: «{وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} يعني: ما ذُبح على الأصنام، وكانوا يذبحون على الأصنام تقربًا لها، وهذا شرك، حتى لو ذبحوها لله عزّ وجل، لكن اعتقدوا أن هذا المكان أفضل.

وأما قوله: {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ} أي: ما ذكر عليه اسم غير الله تعالى، مثل أن يقول: باسم المسيح أو باسم المَلِك أو باسم الوزير فهذا حرام، حتى ولو كان لغير العبادة، وسواء كان هذا أمام الصنم أو غائبًا عن الصنم. أما قوله: {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} أي: ما ذُبح على الصنم، وذلك بأن يكون الصنم بين يديه، ويذبح لهذا الصنم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤١).

﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾:

قال ابن كثير: «{وأن تستقسموا بالأزلام} أي: حرّم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام: واحدها: زُلم، وقد تفتح الزاي، فيقال: زَلم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قداح ثلاثة، على أحدها مكتوب: "افعل"، وعلى الآخر: "لا تفعل"، والثالث غفل ليس عليه شيء. ومن الناس من قال: مكتوب على الواحد: "أمرني ربي"، وعلى الآخر: "نهاني ربي"، والثالث غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع السهم الآمر فَعَله، أو الناهي تَرَكه، وإن طلع الفارغ أعاد الاستقسام». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٤).

وقال ابن عثيمين: «وهل يدخل في ذلك الاستقسام بغيرها؟

الجواب: نعم؛ لأنه مبني على وَهْمٍ وليس على حقيقة، لكنَّ الله أبدل العباد بالاستخارة، وأما الاستقسام بأي شيء فإنه لا يجوز، فلو أراد إنسان أن يستقسم فقال: إن ظهر عليّ رجل بالغ سافرت، وإن ظهر عليّ صبي صغير لم أسافر، وما أشبه ذلك من الاستقسامات فهذا حرام ولا يجوز.

لو قال قائل: ما الفرق بين الاستقسام والتطيّر والقرعة؟

التطيّر يحصل بغير إرادة الإنسان، وأما الاستقسام بالأزلام فيحصل بفعل الإنسان.

مثال التطير: إذا رأى طيرًا اتجه عند طيرانه إلى جهة اليمين أو اليسار تطيّر وعزم على الفعل أو على الترك.

لكنّ الاستقسام يكون من فعله هو نفسه، مثاله: اختلف صديقان هل يذهبان أم لا؟ وعندهم قطعة نقود حديدية فقالا: إن خرج هذا الوجه من العملة ذهبنا وإلا فلا، هذا من الاستقسام، فالمستقسِم هو الذي جعل هذا الشيء سببًا، ففرّق بين ما يُفعل بلا قصد وبين ما يُفعل بقصد.

وأما القرعة فتكون في حقّ من الحقوق، لا في الإيرادات والمضي والرجوع». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٨).

﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾:

قال ابن كثير: «{ذلكم فسق} أي: تعاطيه فسق وغي وضلال وجهالة وشرك، وقد أمر الله المؤمنين إذا تردّدوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه، كما رواه الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن... عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّمنا الاستخارة كما يعلّمنا السورة من القرآن، ويقول: (إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أنّ هذا الأمر -ويسميه باسمه- خيرا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي، ويسّره لي، وبارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلمه شرا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفني عنه، واصرفه عني، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضّني به)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥).

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾:

قال السعدي: «اليوم المشار إليه يوم عرفة، إذ أتمّ الله دينه، ونصر عبده ورسوله، وانخذل أهل الشرك انخذالا بليغا، بعد ما كانوا حريصين على ردّ المؤمنين عن دينهم، طامعين في ذلك.

فلما رأوا عزّ الإسلام وانتصاره وظهوره يئسوا كل اليأس من المؤمنين أن يرجعوا إلى دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون، ولهذا في هذه السنة التي حجّ فيها النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع لم يحجّ فيها مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ولهذا قال: {فلا تخشوهم واخشون} أي: فلا تخشوا المشركين، واخشوا الله الذي نصركم عليهم وخذلهم، وردّ كيدهم في نحورهم». «تفسير السعدي» (ص٢٢٠).

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾:

قال ابن كثير: «{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: {وتمّت كلمت ربك صدقا وعدلا} أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمّت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبّه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم} وهو الإسلام، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمّه الله فلا يُنقصه أبدا، وقد رضيه الله فلا يَسخطه أبدا.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات...

قال ابن جريج وغير واحد: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوما...

عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما نزلت: {اليوم أكملت لكم دينكم} وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يبكيك؟) قال: أبكاني أنّا كنّا في زيادة من ديننا، فأما إذ أُكمل فإنه لم يَكمُل شيء إلا نقص. فقال: (صدقت).

ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: (إن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء)...

عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتّخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: وأيّ آية؟ قال قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي}، فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزلت عشية عرفة في يوم جمعة». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٦).

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

قال ابن كثير: «{فمن اضطُرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم} أي: فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرّمات التي ذكرها تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك فله تناول ذلك، والله غفور رحيم له؛ لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطرّ، وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه ويغفر له. وفي المسند وصحيح ابن حبان، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يكره أن تؤتى معصيته)... ولهذا قال الفقهاء: قد يكون تناول الميتة واجبا في بعض الأحيان، وهو ما إذا خاف على مُهجته التلف ولم يجد غيرها، وقد يكون مندوبا، و قد يكون مباحا بحسب الأحوال». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٩).

وقال ابن عثيمين: «واعلم أن المحرّم للضرورة لا يحلّ إلا بشرطين:

الأول: ألا يوجد ما يدفع به الضرورة غير هذا المحرّم. والثاني: أن تزول ضرورته.

وإنما اشترطنا هذا لئلا يقول قائل: يجوز التداوي بالمحرّم؛ لأنه غير ملجأ للتداوي بالمحرّم؛ لأنه قد يزول مرضه بدواء آخر، وقد يزول مرضه بدون دواء، وكم من إنسان وصل إلى أدنى حالة من المرض ثم يشفيه

الله عزّ وجل دون أي سبب.
والشرط الثاني: ألا تزول ضرورته إلا بهذا الدواء، فإنه قد يتداوى الإنسان ولا يشفى، بخلاف من أكل محرّمًا للجوع، فالإنسان إذا لم يجد إلا الميتة لا يمكن أن تزول ضرورته إلا بأكلها، وإذا أكل زالت ضرورته؛ لأن المعدة قد امتلأت». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٥-٤٦).

وقال ابن عثيمين: «رحمة الله عزّ وجل بعباده حيث أباح لهم المحرّم عند الضرورة، وهناك آية تعتبر قاعدة في جميع المحرّمات، وهي قوله تبارك وتعالى: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ}، هذه الآية التي تلوتها أخيرًا أعمّ؛ لأن الآية التي في سورة المائدة: {فَمَنِ اضْطُرَّ} أي: إلى ما ذُكِرَ، وليأكل منها، وأما قوله تعالى: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} فهو عام شامل.
بقي أن يقال: لو اضطُرّ الإنسان إلى شرب الخمر للعطش.
نقول: إن اندفعت ضرورته بذلك فلا بأس؛ لأن الآية ليس فيها استثناء، لكن العلماء يقولون: إنه لا يمكن أن تندفع ضرورته بشرب الخمر؛ لأنه لا يزيده إلا حرقانًا وعطشًا، ولذلك لو اضطُرّ إلى دفع لقمة غَصَّ بها وعنده كأس من الخمر فهنا يجوز أن يشرب ما يدفع به اللقمة، لأنَّ الضرورة تندفع به...
وهل يؤخذ من الآية الكريمة أنه لا يجوز أن يأكل من الميتة وما ذُكِرَ في الآية إلا بقدر ما يسدّ الرمق أو له أن يشبع؟
الجواب: الأول، إلا إذا علم أنه لن يجد ما يأكله، وليس معه ما يحمل الميتة فيه، فحينئذٍ يضطر إلى أن يشبع ويحمل معه في معدته، معها سقاؤها وحذاؤها، لكن إذا كان يعلم أنه سيصل إلى ما يأكله قبل أن تدركه الضرورة مرة أخرى، فلا يجوز أن يأكل أكثر من ضرورته». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٥٢-٥٣).

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾:
سبب النزول: قال البغوي: «{يسألونك ماذا أُحلّ لهم} الآية، قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين، وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، قالا: يا رسول الله! إنّا قوم نصيد بالكلاب والبُزاة فماذا يحلّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية». «تفسير البغوي» (٣/ ١٥).

وقال السعدي: «{قل أُحلّ لكم الطيبات} وهي كل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل، فدخل في ذلك جميع الحبوب والثمار التي في القرى والبراري، ودخل في ذلك جميع حيوانات البحر، وجميع حيوانات البر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع والخبائث منها.

ولهذا دلّت الآية بمفهومها على تحريم الخبائث، كما صرّح به في قوله تعالى: {ويُحلّ لهم الطيبات ويُحرّم عليهم الخبائث}». «تفسير السعدي» (ص٢٢١).

وقال ابن عثيمين: «الإحلال والتحريم ليس إلى العباد، بل هو إلى الله عزّ وجل، وقد حذّرنا الله عزّ وجل من أن نحلّل أو نحرّم بأهوائنا، فقال: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ}.

... رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقلّ بالتحليل أو التحريم، وجه ذلك: أن الرسول لم يجبهم، ولكن الله تعالى أجابهم، وقد صرّح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك حيث قال للصحابة: (مَن أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنّ مساجدنا)، فذهب الصحابة يقولون: حُرّمت حُرّمت، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: (إنه ليس بي تحريم ما أحلّ الله، ولكنني أكره ريحها).

... كل ما أحلّه الله تعالى فهو طيب، نافع للبدن، ونافع للقلب، ونافع للفرد، ونافع للمجتمع، لقوله: {أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ}، وأيضًا نأخذ من المفهوم أن كلّ ما حرّمه الله فهو خبيث». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٥٩).

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾:

سبب النزول: قال ابن كثير: «وقد ذُكر في سبب نزول هذه الآية الكريمة الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم:... عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب، فقتلت، فجاء الناس فقالوا: يا رسول الله، ما يحلّ لنا من هذه الأمّة التي أمرت بقتلها؟ قال: فسكت، فأنزل الله: {يسألونك ماذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين}

الآية». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٣).

وقال ابن كثير: «والمحكيّ عن الجمهور أن صيد الطيور كصيد الكلاب؛ لأنها تكلّب الصيد بمخالبها كما تكلّبه الكلاب، فلا فرق. وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، واختاره ابن جرير، واحتجّ في ذلك بما رواه... عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازيّ، فقال: (ما أمسك عليك فكُل)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢).

وقال ابن كثير: «قال تعالى: {فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه} فمتى كان الجارحة معلّما، وأمسك على صاحبه، وكان قد ذكر اسم الله عند إرساله حلّ الصيد، وإن قتله بالإجماع.
وقد وردت السنة بمثل ما دلّت عليه هذه الآية الكريمة، كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إني أرسل الكلاب المعلّمة وأذكر اسم الله. فقال: (إذا أرسلت كلبك المعلّم وذكرت اسم الله، فكل ما أمسك عليك). قلت: وإن قتلن؟ قال: (وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها، فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسمّ على غيره). قلت له: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب؟ فقال: (إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصابه بعرضه فإنه وقيذ، فلا تأكله). وفي لفظ لهما: (إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، فإن أمسك عليك فأدركته حيا فاذبحه، وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله، فإنّ أخذ الكلب ذكاته). وفي رواية لهما: (فإن أكل فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون أمسك على نفسه). فهذا دليل للجمهور، وهو الصحيح من مذهب الشافعي، وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقا، ولم يستفصلوا كما ورد بذلك الحديث». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٤).

وقال ابن كثير: «{فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه} أي: عند الإرسال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم: (إذا أرسلت كلبك المعلّم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك)، وفي حديث أبي ثعلبة المخرّج في الصحيحين أيضا: (إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله، وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله)؛ ولهذا اشترط من اشترط من الأئمة كأحمد بن حنبل -في المشهور عنه- التسمية عند إرسال الكلب والرمي بالسهم لهذه الآية وهذا الحديث، وهذا القول هو المشهور عن الجمهور أن المراد

بهذه الآية الأمر بالتسمية عند الإرسال». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٧).

وقال ابن عثيمين: «إحلال ما اقتنصته الجوارح، فما هي الجوارح؟ وهل كل جارح يمكن أن يؤكل ما صاده؟ نقول: نعم، كل جارح، لكن بشرط أن يكون معلّمًا، وأكثر ما يقبل التعليم الكلاب، وهي للزواحف، ثم الصقور، وهي للطائر، فإذا كان من الكلاب فلا بد أن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل، هذه ثلاثة شروط: يسترسل إذا أرسل، يعني إذا رأيت الصيد وأرسلته استرسل، وكذلك ينزجر إذا زجر، يعني: إذا زجرته ليقف وقف؛ لأنه لو تجاوز وأنت أمرته أن يقف فمعناه أنه صاد لنفسه. الثالث: إذا أمسك لم يأكل، فإن أكل فهو دليل على أنه إنما أمسك على نفسه، والله أعلم».

«فضيلة العلم؛ لأن الله تعالى فرّق بين صيد ما ليس بمعلّم وما كان معلّمًا، فأحلّ الثاني ولم يحلّ الأول، وهذا يدل على فضل التعليم حتى في الحيوانات».

«ظاهر الآية إباحة ما صاده الجارح سواء جرح أم لم يجرح، وهذا مبني على أن المراد بالجوارح الكواسر، أما إذا قلنا: إن الجوارح جمع جارح، وهو الذي يجرح الشيء فحينئذٍ لا بد من أن يُنهِر الدم، ويتبين ذلك بالمثال:

فلو جاء الكلب بالصيد مخنوقًا ليس فيه أي جرح، ولم يخرج منه أي دم، فهل يباح أو لا؟

الجواب: إن قلنا: إن المراد بالجوارح الكواسر فهو مباح، وإذا قلنا: إن المراد بالجوارح الجارحات اللاتي يجرحن الجلد، ويخرج منه الدم فإنه لا يباح، والمسألة فيها خلاف بين العلماء:

منهم من يقول: إنه يشترط أن يجرح الكلب، فإن لم يجرح فلا يحلّ، واستدلّ هؤلاء بعموم قوله صلى الله عليه وسلم: (ما أنهر الدم وذُكر اسم الله عليه فكل).

ومنهم من قال: إن الجوارح هنّ الكواسر، وأن كل ما أمسكته على صاحبهن فإنه حلال، سواء جرح أم لم يجرح.

ولا شك أن الاحتياط تركه، لكن التحريم فيه نظر، يعني: الاحتياط إذا جاء لك الكلب بصيد لم يُجرح أن تتركه، ولكن كوننا نجزم بالتحريم لا نجزم به لعموم قوله تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ}».

«قطع ما يوجب الإعجاب بالنفس؛ لأن قوله: {تُعَلِّمُونَهُنَّ} فيه إسناد التعليم إلى البشر، فقد يزهى الإنسان بنفسه ويغترّ ويعجب، فلهذا قال الله عزّ وجل: {مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ} إشارة إلى أنّ عِلمك الذي تعلّمه إياهنّ

مصدره من عند الله عزّ وجل».

«سعة رحمة الله عزّ وجل، حيث أباح لنا ما ذكّيناه بأيدينا، وما ذكّيناه بواسطة، أي: واسطة الجوارح، وهذا لا شك أنه من توسيع الله لنا في الرزق.

... المشقة تجلب التيسير؛ لأنه لما كان يشق على الإنسان أن يصطاد الصيد بنفسه في كل وقت وحين لأن المصيد ربما يكون مثلًا في جبال أو في سهول أو في أودية ولا يستطيع أن يصيده بنفسه رخّص له أن يصيد بجارحة، وهذا من توسعة الله عزّ وجل على عباده في أسباب الرزق».

«بركة ذكر اسم الله، وشواهد هذا كثيرة منها: حلّ الذبيحة، وحلّ الصيد، وتمام الطهارة في الوضوء، وأن البركة تنزل في الطعام، وأن الحمل يوقى إساءة الجن والشياطين، المهم أن بركة اسم الله تعالى كثيرة، ولها شواهد كثيرة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٦٠-٦٣).

﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

قال ابن عثيمين: «{سَرِيعُ الْحِسَابِ} يتضمن سرعة التنفيذ من وجه، وسرعة الوقت من وجه آخر، أما سرعة الوقت فما أسرع الدنيا! تمضي سريعًا، وإذا بالإنسان قد انتهى، وأما سرعة التنفيذ فإن الله تعالى يحاسب الخلائق يوم القيامة على كثرتهم يحاسبهم في نصف يوم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٥٩).

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾:

قال ابن عثيمين: «{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ} أي: أحل الله الطَّيِّبَاتِ، والطيبات هي ضد الخبائث، قال الله تعالى: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ} فما هو ميزان الطيّب؟ أهو في ذوق كل إنسان أم في عادات الناس، أم ماذا؟ نقول: المرجع في ذلك إلى ما جاءت به الشريعة، فما أحلّته الشريعة فهو طيب، وما حرّمته فهو خبيث.

فإن قال قائل: ما هو الأصل في الأطعمة؟

الجواب: الحلّ، والدليل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}، إذًا الأصل الحلّ، فإذا ادّعى مدّعٍ أن هذا الشيء حرام من طير أو زاحف أو غيرهما قلنا له: ما الدليل على ذلك؟ فما أحلّه الله فهو طيّب بلا شك». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٦٦).

وقال ابن عثيمين: «كلّ ما أحلّه الله تعالى فهو طيّب، ولكن هذا الطيب هل هو حلال لكل أحد؟ الجواب: إن تضمّن ضررًا على بعض الناس كان حرامًا وإن كان طيبًا، فإذا قيل لشخص: إنك إذا أكلت هذا النوع من الطعام فإنه يضرّك صار في حقه حرامًا، لا لأنه خبيث، ولكن لأنه ضارّ لهذا الشخص المعيّن». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٧١).

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾:

قال البغوي: «{وطعامكم حل لهم} فإن قيل: كيف شرع لهم حلّ طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟ قال الزجّاج: معناه: حلال لكم أن تطعموهم، فيكون خطاب الحلّ مع المسلمين.

وقيل: لأنه ذكر عقيبه حكم النساء، ولم يذكر حلّ المسلمات لهم، فكأنه قال: حلال لكم أن تطعموهم، حرام عليكم أن تزوّجوهم». «تفسير البغوي» (٣/ ١٨).

وقال ابن كثير: «وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء: أن ذبائحهم حلال للمسلمين؛ لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عن قولهم تعالى وتقدّس». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٠).

وقال ابن كثير: «{وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلّ لكم} فدل بمفهومه -مفهوم المخالفة- على أن طعام مَن عداهم من أهل الأديان لا يحلّ.

وقوله: {وطعامكم حِلٌّ لهم} أي: ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم، وليس هذا إخبارا عن الحكم عندهم، اللهمّ إلا أن يكون خبرا عمّا أمروا به من الأكل من كلّ طعام ذُكر اسم الله عليه، سواء كان من أهل ملّتهم أو غيرها. والأول أظهر في المعنى، أي: ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤١).

وقال السعدي: «{وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم} أي: ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم -يا معشر

المسلمين- دون باقي الكفار، فإن ذبائحهم لا تحلّ للمسلمين، وذلك لأن أهل الكتاب ينتسبون إلى الأنبياء والكتب.

وقد اتفق الرسل كلهم على تحريم الذبح لغير الله، لأنه شرك، فاليهود والنصارى يتدينون بتحريم الذبح لغير الله، فلذلك أبيحت ذبائحهم دون غيرهم.

والدليل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم، أن الطعام الذي ليس من الذبائح كالحبوب والثمار ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية، بل يباح ذلك ولو كان من طعام غيرهم، وأيضا فإنه أضاف الطعام إليهم، فدلّ ذلك على أنه كان طعاما بسبب ذبحهم. ولا يقال: إن ذلك للتمليك، وأن المراد: الطعام الذي يملكون؛ لأن هذا لا يباح على وجه الغصب، ولا من المسلمين». «تفسير السعدي» (ص٢٢١).

وقال ابن عثيمين: «جمهور العلماء يقولون: إن هذا الإطلاق في طعام الذين أوتوا الكتاب يجب أن يقيّد بقوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ}، وقوله: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ}، ويقيّد أيضًا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما أنهر الدم وذُكر اسم الله عليه فكُل).

وإذا كان هذان القيدان مقيّدين لإطلاق حلّ ذبيحة المسلم فتقييدهما لحل ذبيحة غير المسلم من باب أولى، وإذا كان المسلم لو خنق الشاة مثلًا صارت حرامًا، فكذلك الكتابي، إذ لا يمكن أن تكون مقتولة الكتابي أفضل من مقتولة المسلم، وهذا هو الذي عليه جمهور العلماء، وهو الصحيح.

فالصحيح أن قوله: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} وإن كان مطلقًا فإنه يجب أن يقيّد بما ورد من تقييد ذلك بذكر اسم الله على الذبيحة وإنهار الدم.

ولكن إذا أتتنا ذبيحة من يهودي أو نصراني ونحن لا ندري أَذَكَرَ اسم الله عليها أم لا، أخنقها ثم قطع رقبتها أم لا، فالأصل الحل، لما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن قومًا أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله! إنّ قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا، قال: (سمّوا أنتم وكلوا)، قالت: وكانوا حديثي عهد بكفر، يعني: أسلموا قريبًا، والمسلم قريبًا قد يخفى عليه كثير من أحكام الإسلام، ومع ذلك قال: (سمّوا أنتم وكلوا)». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٧٣).

وقال ابن عثيمين: «لا بأس أن نطعم أهل الكتاب ويطعموننا، لقوله: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ

وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ} وحينئذٍ نقول: هل تجوز المهاداة بيننا وبين أهل الكتاب؟
الجواب: نعم، تجوز، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قَبِلَ هديتهم، كما أهدت إليه المرأة اليهودية في خيبر الشاة المسمومة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٧٦).

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾:

قال ابن كثير: «قيل: أراد بالمحصنات: الحرائر دون الإماء، حكاه ابن جرير عن مجاهد. وإنما قال مجاهد: المحصنات: الحرائر، فيحتمل أن يكون أراد ما حكاه عنه، ويحتمل أن يكون أراد بالحرة العفيفة، كما قاله مجاهد في الرواية الأخرى عنه. وهو قول الجمهور هاهنا، وهو الأشبه؛ لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة، فيفسد حالها بالكلية، ويتحصّل زوجها على ما قيل في المثل: "حشفا وسوء كيلة". والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات: العفيفات عن الزنا، كما قال في الآية الأخرى: {محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان}». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢).

وقال ابن عثيمين: «إذا قصد المسافحة، أو اتخاذ الخدن فإنه لا يكون نكاحًا صحيحًا؛ لأنه اشترط فقال: {غَيْرَ مُسَافِحِينَ}، وقد استدلّ علماء السنة بذلك على بطلان نكاح المتعة؛ لأن نكاح المتعة إن أعلن فهو سفاح؛ لأن الرجل لم يقصد إلا أن يستمتع فقط، وليس قصده إحصان الفرج، بل لذة يقذفها في فرج هذه المرأة وينتهي، وإن كان مخفيًا فهو من جنس اتخاذ الأخدان، وهذا القول هو بإجماع أهل السنة على أن نكاح المتعة حرام.
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنه حرام إلى يوم القيامة)، وهذا يدل على أنه لا يمكن نسخه، لأن قوله عليه الصلاة والسلام: (حرام إلى يوم القيامة) خبر يتضمن حكمًا مغيًّا إلى يوم القيامة، وإذا كان الخبر يتضمن حكمًا مغيًّا إلى يوم القيامة فإنه لا يمكن نسخه؛ لأن النسخ هو رفع الحكم، وما كان غايته يوم القيامة فإنه لا يمكن أن يرفع». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٨١).

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:

قال البغوي: «قال مقاتل بن حيان: يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهنّ من الكفر أو يغني عنهن شيئا، وهي للناس عامة». «تفسير البغوي» (٣/ ١٩).

وقال ابن عثيمين: «{وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} هل الإيمان شيء يكفر به ولا يكفر به، أو الإيمان ضد الكفر؟ الإيمان ضد الكفر، لكن المراد بالإيمان هنا أي: بمقتضيات الإيمان من التزام الشريعة؛ لأن الله تعالى ذكر هنا محلّلات ومحرّمات، فمن أخذ بها وقام بها فهو مؤمن، ومن لم يأخذ بها فليس بمؤمن.

إذًا: قوله: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ} أي: بما يقتضيه الإيمان من الالتزام بأحكام الإسلام {فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} أي: بطل، وتلف، وذهب.

و"عمل": مفرد مضاف فيشمل كل الأعمال؛ لأن الردة تحبط الأعمال، إلا أنه يشترط أن يموت الإنسان على ردته -والعياذ بالله- لقول الله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}...

{وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ذكر الله تعالى أنه خاسر في الآخرة؛ لأن ظهور خسرانه في ذلك الوقت، وإلا فهو في الحقيقة خاسر في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، وقال تعالى: {أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٦٩-٧٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ١-٥

١- احرص على الوفاء بعقودك وعهودك ووعودك مع الله ومع الناس، فهو علامة على كمال إيمانك ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.

٢- من رحمة الله ولطفه بنا أن جعل الأصل في الأشياء الحل والإباحة، فأحلّ لنا الطيّبات، ولم يحرّم علينا إلا ما فيه ضرر علينا في ديننا أو دنيانا ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾، ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾.

٣- الله سبحانه وتعالى هو الحكَم، وإليه الحُكم، فيُحلّ ما شاء، ويُحرّم ما شاء، ويُقدّر ما شاء، ولا يُسأل عمّا يفعل؛ لأنه هو الرب الخالق الرازق المالك المدبّر المُنعِم، فلا يصحّ الاعتراض على حكمه بعقل مخلوق ضعيف عاجز أو رأيه أو هواه ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

٤- يجب على المسلم أن يعظّم شعائر الله، ومن أعظمها الشعائر المتعلّقة بالإحرام بالحج أو العمرة، والمتعلّقة بالحرَم، فلا يستحلّ شيئا من ذلك، ولا يعتدي عليه، ولا يؤذي قاصدي المسجد الحرام بمنعهم، أو التضييق عليهم، أو فرض المكوس والضرائب عليهم، أو إيذائهم بأي قول أو فعل ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾.

٥- العدل واجب مع جميع الناس، حتى مع من اعتدى عليك، فيجوز لك الاعتداء عليه بمثل اعتدائه دون زيادة، والواقع أن أكثر الناس لا يطيقون العدل عند أخذ الحق، فيتجاوزون حقّهم، فيصيرون ظالمين بعد أن كانوا مظلومين، لذلك كان العفو أفضل وأبعد عن الظلم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.

٦- اجعل هذه الآية نصب عينيك في كل معاملة تعامل بها أحدا من الخلق: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾. فكل ما كان داخلا في البرّ والتقوى فتعاون مع الناس فيه، وكل ما كان إثما أو عدوانا فلا تُعاوننّ فيه أحدا ولو كان أقرب قريب.

٧- من أكثر ما يُعينك على الالتزام بأحكام الله التي شرعها، وحدوده التي حدّها: تقوى الله، والخوف منه، واستحضار أنه سبحانه شديد العقاب، وأنه سريع الحساب ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

٨- لم يحرّم الله علينا شيئا إلا لضرره علينا، وهذا الضرر قد يكون على الفرد، وقد يكون على المجتمع، وقد يظهر مباشرة، وقد يظهر بعد حين، وقد يكون ضررا دينيّا، فسلّمْ لأحكام الله، وارضَ بها، تكن من الشاكرين الفائزين ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

٩- كان الشخص في الجاهلية إذا همّ بأمر بحث عن نصيبه في قداح لا تنفع ولا تضرّ، ولا تقدّم ولا تؤخّر، فحرّم الله ذلك، حتى لا يتعلّق المسلم بخرافات لا حقيقة لها، وأبدلنا به صلاة الاستخارة ودعاءها، فاحرص عليها في كلّ ما تهمّ به ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

١٠- يجب على المسلم أن يقوّي إيمانه في نفسه، وأن يسعى في إصلاح مَن حوله من أهله وأقاربه وجيرانه وأصدقائه حتى يقوّيَ إيمانهم كذلك، حينها ييأس الكفار من إضلالهم وغوايتهم، فتقوى شوكة المسلمين، وتظهر هيبتهم ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.

١١- ديننا بحمد الله تعالى قد كمُل وتمّ، فلا يحتاج إلى زيادة أو ابتداع، بل هو كافٍ لنا في كل شؤون حياتنا، فلنفتخر بديننا، ولنعتزّ به، ولنترك البدع والمحدثات، ولنرضَ بالإسلام دينا، فقد رضيه الله لنا دينًا ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

١٢- من كمال رحمة الله وتمام لطفه بنا أن أباح لنا الأكل من المحرّمات في حال الاضطرار بقدر الحاجة، فالحمد لله رب العالمين ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١٣- احرص على سؤال أهل العلم عن كلّ ما تحتاجه من أمور دينك، ولا تسأل إلا من تثق بعلمه ودينه وورعه وأمانته وطاعته وتقواه ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾.

١٤- من كمال رحمة الله وتمام لطفه بنا أن علّمنا كيف نعلّم الجوارح الاصطياد، وسخّرها وذلّلها لنا، ثم أباح لنا الاصطياد بالجوارح المعلّمة رزقا منه سبحانه، وتيسيرا وتخفيفا علينا، فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾.

١٥- يجوز لنا الأكل من ذبائح أهل الكتاب بشرط أن يذكّوها حسب شريعتهم، وأن يذكروا اسم الله عليها عند ذبحها ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾.

١٦- الأصل في المؤمن أن يتزوّج المؤمنة الحرّة العفيفة، ويجوز له أن يتزوّج المرأة الكتابيّة بشرط أن تكون حرّة عفيفة، وأن يكون قصده من الزواج إحصان نفسه ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.

١٧- احذر من الكفر بشيء من شرائع الله وأحكامه، أو الاعتراض عليها، أو عدم التسليم لها، فإنّ ذلك قد يؤدّي إلى الارتداد عن الإسلام -والعياذ بالله-، ثم الخسارة الكبرى في الآخرة بدخول النار -أجارنا الله منها-، فسلّم لأحكام الله تسليما تاما عاما مطلقا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (٦-١١) من المختصر في التفسير

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦﴾

يا أيها الذين آمنوا، إذا أردتم القيام لأداء الصلاة، وكنتم مُحْدِثين حدثًا أصغر فتَوَضَّؤُوا بأن تغسلوا وجوهكم، وتغسلوا أيديكم مع مرافقها، وتمسحوا برؤوسكم، وتغسلوا أرجلكم مع الكعبين الناتئين بمفصل الساق، وإن كنتم مُحْدِثِينَ حدثًا أكبر فاغتسلوا، وإن كنتم مرضى تخافون من زيادة المرض أو تأخُّر بُرْئِهِ، أو كنتم مسافرين في حال صحة، أو كنتم مُحْدِثِينَ حدثًا أصغر بقضاء الحاجة مثلًا، أو مُحْدِثِينَ حدثًا أكبر بمجامعة النساء، ولم تجدوا ماء بعد البحث عنه لتتطهروا به- فاقصدوا وجه الأرض، واضربوه بأيديكم، وامسحوا وجوهكم وامسحوا أيديكم منه، ما يريد الله أن يجعل عليكم ضيقًا في أحكامه بأن يلزمكم استعمال الماء المؤدي إلى ضرركم، فشرع لكم بديلًا عنه عند تعذره لمرض أو لفقد الماء إتمامًا لنعمته عليكم لعلكم تشكرون نعمة الله عليكم، ولا تكفرونها.

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾

واذكروا نعمة الله عليكم بالهداية للإسلام، واذكروا عهده الذي عاهدكم عليه حين قلتم لما بايعتم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، واتقوا الله بامتثال أوامره -ومنها عهوده- واجتناب نواهيه، إن الله عليم بما في القلوب، فلا يخفى عليه منه شيء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾

يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، كونوا قائمين بحقوق الله عليكم مبتغين بذلك وجهه، وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور، ولا يحملنكم بُغْض قوم على ترك العدل، فالعدل مطلوب مع الصديق والعدو، فاعدلوا معهما،

فالعدل أقرب إلى الخوف من الله، والجور أقرب إلى الجسارة عليه، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾

وَعَدَ الله -الذي لا يخلف الميعاد- الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات بالمغفرة لذنوبهم، وبالثواب العظيم وهو دخول الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾

والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أولئك هم أصحاب النار الذين يدخلونها عقوبة على كفرهم وتكذيبهم، ملازمين لها كما يلازم الصاحب صاحبه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾

يا أيها الذين آمنوا، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم ما أنعم الله به عليكم من الأمن وإلقاء الخوف في قلوب أعدائكم حين قصدوا أن يمدوا أيديهم إليكم ليبطشوا بكم ويفتكوا، فصرفهم الله عنكم وعصمكم منهم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في تحصيل مصالحهم الدينية والدنيوية.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الأصل في الطهارة هو استعمال الماء بالوضوء من الحدث الأصغر، والغسل من الحدث الأكبر.

• في حال تعذر الحصول على الماء، أو تعذّر استعماله لمرض مانع أو برد قارس، يشرع التيمم (بالتراب) لرفع حكم الحدث (الأصغر أو الأكبر).

• الأمر بتوخي العدل واجتناب الجور حتى في معاملة المخالفين.

• من عظيم إنعام الله عز وجل على النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه أن حماهم وكفّ عنهم أيدي أهل الكفر وضررهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ٦-١١ من المختصر في التفسير

[<التفسير]

[> التعليق]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)﴾

يا أيها الذين آمنوا، إذا أردتم القيام لأداء الصلاة، وكنتم مُحْدِثين حدثًا أصغر فَتَوَضَّؤُوا بأن تغسلوا وجوهكم،

قال الله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ" الخ، في قوله: "إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ" أي إذا أردتم القيام لأداء الصلاة؛ وذلك أن الوضوءَ شرطٌ للصلاة قبل فعلها، قالوا: وكنتم محدثين حدثًا أصغر، يعني أحدثتم حدثا ليس بالجنابة -التي هي حدث أكبر- وإنما هو حدثٌ أصغر، فَتَوَضَّؤُوا بأن تغسلوا "وُجُوهَكُمْ" إلى آخره .

وفي هذا أن:

- الطهارة شرط لصحة الصلاة فلا تصح الصلاة إلا بالطهارة والوضوء.
- وقد يؤخذ منه كذلك الحث على تجديد الوضوء لكل صلاة، وهو الثابت في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

فإذا قام الإنسان للصلاة فإنه يتوضأ، فإن كان مُحدِثًا توضأ وجوبًا، وإن لم يكن مُحدِثًا توضأ استحبابًا.

---

١ (كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ قُلتُ: كيفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قالَ: يُجْزِئُ أحَدَنَا الوُضُوءُ ما لَمْ يُحْدِثْ).

الراوي : أنس بن مالك | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ٢١٤ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التخريج : أخرجه البخاري (٢١٤)

■ وتغسلوا أيديكم مع مرافقها،

✎ قال: "فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ" ، "فاغسلوا وجوهكم" يغسل الوجه كاملاً من منابت شعر الرأس إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضا، ويدخل في الأمر بغسل الوجه المضمضة والاستنشاق؛ فقد ثبت في السنة[2]، ثم قال: "وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ" يعني واغسلوا أيديكم إلى المرافق، و "إلى" هنا بمعنى مع المرافق، المرافق داخلة في الغَسل، والمرافق: جمع مِرفق، والمِرفق هو المفصل الذي يكون بين الذراع والعضد،

■ وتمسحوا برؤوسكم، وتغسلوا أرجلكم مع الكعبين الناتئين بمفصل الساق،

✎ قال: "وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ" يمسح الرأس جميعَه، ثم قال: "وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ" يعني واغسلوا أرجلَكم؛ بدليل أنه نصب "أرجلَكم" عطفًا على "وجوهَكم"، ولم يخفضها عطفا على رؤسِكم، فالرِّجلان تُغسلان "إِلَى الْكَعْبَيْنِ" والكعبان هما العظمان البارزان بين الساق والقدم؛ فيغسلهما مع غسله للرجلين، وقد جاءت قراءةٌ بخفض وأرجلِكم، قراءة "وأرجلِكم إلى الكعبين" عطفًا على "رؤسِكم" وقد حمل العلماء هذه القراءة على المسح على الخفين إن كانت الرجلان مغطيَتَين بالخفين، فإن لم تكونا مُغطَّيتَين بالخفين فإن واجبهما الغَسل وليس المسح، وهنا انتهى من وصف الوضوء، ذكر غَسلَ الوجه، وغَسلَ اليدين إلى المرافق، ومسحَ الرأس، وغسلَ الرجلين إلى الكعبين، وهذا فيه الأمر بالترتيب في الوضوء؛ بدليل أن الله سبحانه وتعالى أدخل الممسوح -وهو الرأس- بين المغسولات ولا يظهر لذلك فائدة غيرَ الإشارة إلى الترتيب الذي لابد منه في الوضوء، وهذا الترتيب إنما هو في هذه الأعضاء الأربعة، بمعنى أنه لا بد أن يبدأ بغسلِ الوجه ثم غسلِ اليدين إلى المرافق ثم مسح الرأس ثم غَسلِ الرجلين إلى

٢(عنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ أنَّه رَأَى عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ دَعَا بوَضُوءٍ، فأفْرَغَ علَى يَدَيْهِ مِن إنَائِهِ، فَغَسَلَهُما ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أدْخَلَ يَمِينَهُ في الوَضُوءِ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ واسْتَنْشَقَ واسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وجْهَهُ ثَلَاثًا ويَدَيْهِ إلى المِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ برَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ قالَ: رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هذا، وقالَ: مَن تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِما نَفْسَهُ، غَفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ).

الراوي : عثمان بن عفان | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ١٦٤ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

الكعبين، أما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق، وبين اليد اليمنى واليسرى فهذا كلُّه مستحب وليس بواجب.

■ وإن كنتم مُحْدِثِينَ حدثًا أكبر فاغتسلوا،

✎ قال: "وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا"، "وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا" أي محدثين حدثا أكبر، "فَاطَّهَّرُوا" أي فاغتسلوا غُسلاً كاملاً يعم جيمع البدن، والله سبحانه وتعالى أطلق الأمر بالتطهر ولم يحدده بعضو معين، فدل على أنه يُغسَل فيه سائرُ البدن.

■ وإن كنتم مرضى تخافون من زيادة المرض أو تأخُّر بُرْئِهِ، أو كنتم مسافرين في حال صحة، أو كنتم مُحْدِثِينَ حدثًا أصغر بقضاء الحاجة مثلاً، أو مُحْدِثِينَ حدثًا أكبر بمجامعة النساء، ولم تجدوا ماء بعد البحث عنه لتتطهروا به - فاقصدوا وجه الأرض،

✎ هنا ذكر الحالات التي يجوز فيها التيمم، فبدأها بقوله: "وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ" فإذا كان الإنسان مريضًا ولو كان الماء موجودا لكنه خشي من استعماله أن يؤديَ إلى زيادة المرض أو تأخر شفائه من المرض فإنه يجوز له أن يتيمم ولا يتوضأ، وهذه هي الصورة الوحيدة التي يجوز فيها التيمم مع وجود الماء،

ثم بقية الصور إذا لم يوجد الماء من قوله:

- "أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ" يعني كنتم على سفر فلم تجدوا ماءً،
- "أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ" وهو مكان قضاء الحاجة ولم تجدوا ماءً،
- "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ" -والمراد بملامسة النساء الجماع- ولم تجدوا ماءً،

يعني سواء أحدثتم حدثًا أصغرَ أو حدثًا أكبرَ ولم تجدوا ماءً فإنه يجوز لكم أن تتيمموا، ثم ذكر صفة التيمم.

■ واضربوه بأيديكم، وامسحوا وجوهكم وامسحوا أيديكم منه،

✎ قال: "فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا" أي فاقصدوا ترابا أو ما يعلوا على وجه الأرض من نحو التراب بشرط أن يكون طيبا، يعني طاهرًا غير نجس، "فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ" ويكون ذلك بأن يضربَ بيدَيه على هذا الصعيد الطاهر، ثم يمسحُ وجهه كاملاً منه، ثم يمسحُ كفيه منه دون بقية الأعضاء -أعضاء

الوضوء- وهذه الصفة كافيةٌ في الحدث الأصغر والأكبر، ويُكتفَى في مسح اليدين إلى الكوعَين فقط؛ لأن اليد عند الإطلاق يراد بها اليد إلى الكوع، ولو كان يُشترط إيصال مسحِ اليدين إلى المرافق لقيَّده الله بذلك كما قيده في الوضوء؛ لكن لما أطلقه علمنا أن المراد مسحُ اليدين وهما الكفان فقط.

📕 ما يريد الله أن يجعل عليكم ضيقًا في أحكامه بأن يلزمكم استعمال الماء المؤدي إلى ضرركم، فشرع لكم بديلاً عنه عند تعذره لمرض أو لفقد الماء إتمامًا لنعمته عليكم لعلكم تشكرون نعمة الله عليكم، ولا تكفرونها.

🖊 قال الله: "مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ" يعني الله سبحانه وتعالى: لا يريد من خلال تشريعاته أن يجعلنا في ضيق وشدة، "وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ" وإنما يريد منا أن نتطهر باستعمال الماء، فإن لم نجد فبالتراب، فشرع لنا البديل تخفيفًا علينا، ورحمةً بنا، وليُتم نعمته علينا، لعلنا نشكره سبحانه بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللهَ ۚ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾

📕 واذكروا نعمة الله عليكم بالهداية للإسلام،

🖊 قال: "وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ" أي اذكروا نِعَم الله عليكم، وهنا مفرد مضاف، "نعمة" مفرد أُضيف إلى اسم الجلالة الله، والمفرد المضاف يعم جميع النعم، فالمراد أن نتذكر نعم الله علينا، وأعظمُ النِّعم وأجلُّها نعمة الهدايةِ للإسلام، وما في ضمن هذه النعمة من الشرائع الحكيمة التي يزدادُ بها إيمانًا ويقينًا بأنها تشريعُ رب العالمين.

📕 واذكروا عهده الذي عاهدكم عليه حين قلتم لما بايعتم النبي صلّى الله عليه وسلّم على السمع والطاعة في المنشط والمكره: سمعنا قولك وأطعنا أمرك،

🖊 قال: "وَمِيثَاقَهُ" يعني واذكروا ميثاقه، والميثاق هو العهد ، "الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ" يعني عاهدَكم عليه "إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا" يعني حين قلتم سمعنا وأطعنا، وفسروا ذلك هنا بأنهم قالوا ذلك لما بايعوا النبي صلى

الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المَنشط والمكره، قالوا له: سمعنا وأطعنا، بمعنى سمعنا قولك وأطعنا أمرك، وقد تُحمَلُ الآية على معنًى أعم يعم جميع المؤمنين؛ وذلك أن المسلمَ حين ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإنه في الحقيقةِ قد عاهد الله سبحانه وتعالى على الالتزام بشرعه، وعبادته وحده لا شريك له، واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، فيكون هذا هو الميثاق المقصود من الآية. والله تعالى أعلم.

واتقوا الله بامتثال أوامره - ومنها عهوده - واجتناب نواهيه، إن الله عليم بما في القلوب، فلا يخفى عليه منه شيء.

قال: "وَاتَّقُوا اللهَ" وتقوى الله تكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، "إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" يعني أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما تخفيه الصدور، وما في القلوب مما يجول في خاطر الإنسان ومن إراداته ونياته في أعماله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾

يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، كونوا قائمين بحقوق الله عليكم مبتغين بذلك وجهه، وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور،

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ" يعني كونوا قائمين ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى في كل أموركم، "شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ" أي كونوا شهداء بالقسط -وهو العدل- سواءً كانت شهادتُكم لصديق أو عدو، أو على صديق أو على عدو، بل لو كانت على أنفسكم، كما قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)[٣]

ولا يحملنكم بُغْض قوم على ترك العدل، فالعدل مطلوب مع الصديق والعدو، فاعدلوا معهما، فالعدل أقرب إلى الخوف من الله، والجور أقرب إلى الجسارة عليه،

---

٣ [سورة النساء ١٣٥]

✐ قال: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا" ولا يجرمنكم أي لا يحملنكم، "شَنَآنُ قَوْمٍ" أي بغضُ قوم؛ فإذا أبغضت شخصًا أو جماعةً أو قومًا فلا يجوز أن يحملك بغضُه على ترك العدل معه، بل يجب عليك أن تعدل معه، "اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ" أي كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل في أقوالكم وأفعالكم كمُلَت التقوى عندكم.

■ واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

✐ قال تعالى: "وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" نلاحظُ أن اللهَ سبحانه وتعالى يُكثِر الأمر بتقواه في ضمن ذكره للأحكام الشرعية؛ حتى يراقبَ الإنسانُ ربَّه في كل أعماله، "إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" أي يعلمُ جميعَ أعمالكم ظاهرها وخفيَّها علانيتَها وسرَّها.

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)﴾

■ وَعَدَ الله – الذي لا يخلف الميعاد – الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات بالمغفرة لذنوبهم، و بالثواب العظيم وهو دخول الجنة.

✐ قال تعالى: "وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" -ومن أوفى بعهده من الله- وعدهم بأن لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا، فيغفرُ لهم ذنوبَهم وهذا يدل على أن الحسنات يُذهبن السيئات[٤]، فهم مع إيمانِهم وعملِهم الصالح وقعت منهم سيئات لكنها تُغفَر لهم لأنهم كانوا حريصين على عمل الصالحات، ووعدهم كذلك بالأجر العظيم وهو دخول الجنةِ وما فيها من النعيم المقيم، كما قال تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[٥].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠)﴾

■ والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أولئك هم أصحاب النار الذين يدخلونها عقوبة على كفرهم

٤(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ) [سورة هود ١١٤]

٥ [سورة السجدة ١٧]

وتكذيبهم، ملازمين لها كما يلازم الصاحب صاحبه.

قال تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا" أي كفروا بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبشرائعه، "وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا" أي كذبوا بالحجج الواضحة البيِّنة التي جاءت بها الرسل فلم يُصدّقوا بها "أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" يعني أنهم أصحابُ النار الذين يدخلونها ويُخلَّدون فيها، فهم أصحابُها الذين لا يفارقونها. نسأل الله السلامة والعافية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾

يا أيها الذين آمنوا، اذكروا بقلوبكم وألسنتِكم ما أنعم الله به عليكم من الأمن وإلقاء الخوف في قلوب أعدائكم حين قصدوا أن يمدوا أيديهم إليكم ليبطشوا بكم ويفتكوا، فصرفهم الله عنكم وعصمكم منهم،

قال الله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" تكرر الأمرُ بذكر نعمة الله، وتذكُّر نعمة الله سبحانه وتعالى عمومًا يزرع في القلب محبة الله سبحانه وتعالى، وتعظيمَه، والخجلَ من التقصير في حقه سبحانه، ثم ذَكَر النعمة التي أمرهم بتذكُّرها؛ قال: "إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ" يعني حين قصد قومٌ أن يمُدُّوا أيديَهم إليكم ليبطشوا بكم -يعني بالقتل- "فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ" يعني أن الله صرف مكرهم، وعصم رسوله صلىٰ الله عليه وسلم والمؤمنين منهم، وهذه من أعظمِ نعم الله سبحانه وتعالى أن يصرفَ كيد الكفار والمنافقين عن المؤمنين.

واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في تحصيل مصالحهم الدينية والدنيوية.

أعاد الأمر بتقوى الله، "وَاتَّقُوا اللَّهَ"، ثم قال: "وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" أي فليتوكلوا على الله وحده لا على غيره؛ إذِ التوكل على الله واجبٌ من الواجبات القلبية، كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[٦] فمن شرط الإيمان وصحته أن يتوكلَّ المؤمنُ على ربه.

٦(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

[سورة المائدة ٢٣]

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

- 📕 الأصل في الطهارة هو استعمال الماء بالوضوء من الحدث الأصغر، والغسل من الحدث الأكبر.

🖉 الأصل في الطهارة هو استعمال الماء سواء في الوضوء أو في الغسل، كما قال الله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا " إلى آخر ما ذكر، ولا يُنتَقل عن ذلك إلى التيمم إلا عند فقدان الماء أو الخوف من الضرر باستعماله.

- 📕 في حال تعذر الحصول على الماء، أو تعذّر استعماله لمرض مانع أو برد قارس، يشرع التيمم (بالتراب) لرفع حكم الحدث (الأصغر أو الأكبر).

🖉 إنما يُشرع التيمم بالتراب -وهو بديل عن الماء- لرفع حكم الحدث الأصغر أو الأكبر في حال تعذر الحصول على الماء بعد البحث عنه أو تعذر استعماله إما لمرضٍ مانع أو بردٍ شديد قارس يَخشَى معه الإنسانُ الضررَ باستعمال الماء كما قال تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ".

- 📕 الأمر بتوخي العدل واجتناب الجور حتى في معاملة المخالفين.

🖉 يجب على المسلم أن يكون عادلاً في معاملته لكل الناس، وأن يجتنبَ الظلم في معاملته لكل الناس حتى لو كان مخالفًا وعدوًّا بل حتى لو كان كافرًا، كما قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ".

- 📕 من عظيم إنعام الله عز وجل على النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه أن حماهم وكف عنهم أيدي أهل الكفر وضررهم.

🖉 كفُّ شرِّ الأشرار وكيدِ الفجار من النِّعم العظيمة التي يجبُ شكرُ الله سبحانه وتعالى عليها، ومن عظيمِ نعمةِ الله سبحانه وتعالى على نبيِّه صلى الله عليه وسلم وأصحابِه أن كفَّ أيديَ أهل الكفر عنهم وهذا يستوجبُ الشكرَ على هذه النعمة، كما قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ" ذِكرُ النعمة

يكون بالقلب واللسان بشكرها وحمدِ الله سبحانه وتعالى عليها، " إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ".

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ٦-١١

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية السادسة وحتى الآية الحادية عشرة.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن صفة الوضوء لم تكتمل بعد، ولأن قوله بعدها: (وأرجلَكم) معطوف على (وجوهَكم)، أي: فاغسلوا وجوهكم واغسلوا أيديكم واغسلوا أرجلكم، فلم يصح الفصل بينها، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله تعالى: (وامسحوا برؤوسكم)؟

صحّح الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، ولم ينصّ عليه الأكثر، والذين صحّحوا الوقف هنا نظروا إلى أن قوله تعالى: (وأرجلَكم) منصوب معطوف على ما قبل جملة: (وامسحوا برؤوسِكم)، فليس معطوفا على الرؤوس، وإنما هو معطوف على الوجوه في قوله: (فاغسلوا وجوهَكم)؛ لأن الرِّجل تُغسل ولا تُمسح، فأرادوا أن يفصلوها عن جملة: (وامسحوا برؤوسكم)، فيقف الواقف هنا ثم يقول: (وأرجلَكم الى الكعبين)، فيُفهم بالنصب أن قوله: (وأرجلَكم) معطوف على ما قبل جملة: (وامسحوا برؤوسكم)، لكن هذا فيه تقسيم لصفة الوضوء، وفيه تشتيت للنظم القرآني لا يليق مع اتساق النظم.

فالأولى والأكمل أن يقرأ القارئ صفة الوضوء كاملة، فإذا قرأ: (فاغسلوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسِكم وأرجلَكم إلى الكعبين) لاتَّضح المراد، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وأرجلَكم إلى الكعبَين)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن صفة الوضوء انتهت هنا، ثم جاءت جملة شرطية في ابتداء حكم جديد، وهو حكم الغسل في حال الجنابة في قوله تعالى: (وإن كنتم جنبا فاطّهروا) أي: فاغتسلوا، فصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (وإن كنتم جنباً فاطّهروا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط التي تضمنت الاغتسال في حال الجنابة قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة شرطية أخرى في بيان التيمم والحالات التي يجوز فيها التيمم في قوله تعالى: (وإن كنتم مرضى أو على سفر...) إلى آخر الجملة، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن جواب (إنْ) الشرطية لم يأت بعد، وذلك أن فعل الشرط في قوله: (كنتم مرضى)، عُطف عليه: (أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء)، فهذا كله في حكم فعل الشرط، ثم اشترط عدم وجود الماء: (فلم تجدوا ماءً)، ثم جاءت النتيجة وجواب الشرط بعد ذلك في قوله: (فتيمّموا صعيدا طيبا)، فلم يصح الوقف قبل ذلك، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فتيمموا صعيدا طيبا)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن صفة التيمم جاءت في الجملة التي تليها في قوله: (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه)، فكأنه قال: فتيمموا صعيدا طيبا بأن تمسحوا بوجوهكم وأيديكم من هذا الصعيد الطيب، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط التي تضمنت الحالات التي يجوز فيها التيمم وصفة التيمم قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة نفي عامة في بيان أن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يجعل علينا في الدين من حرج في قوله: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)؟

جعل الوقف هنا ابن النكزاوي مفهوما، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، بل منع منه الأشموني وقال: لحرف الاستدراك بعده، في قوله (ولكن يريد ليطهركم)، والذي مال إليه الأشموني هو الأقرب لوجود حرف الاستدراك في قوله (ولكن). والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولكن يريد ليطهركم)؟

الجواب: لا؛ لماذا؟ لأن قوله: (وليتمّ نعمته عليكم) معطوف على (ليطهرَكم)، وهو من تمام ما يريد الله سبحانه وتعالى، فالله يريد أن يطهرنا ويريد أن يتمّ نعمته علينا، فلا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا، وقد نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني، ووجهه أن قوله بعدها: (إذ قلتم سمعنا وأطعنا)، (إذ) هنا ظرفية، وهي ظرف للمواثقة في قوله: (وميثاقه الذي واثقكم به)، فـ (إذ) هنا بمعنى حين، فتقدير الكلام: واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به حين قلتم سمعنا وأطعنا، فلا وقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (إذ قلتم سمعنا وأطعنا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن جملة الأمر في قوله: (واذكروا نعمة الله عليكم) قد انتهت هنا، ثم جاء أمر جديد بتقوى الله في الجملة التي تليها في قوله: (واتقوا الله)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (واتقوا الله)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الأمر قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ (إنّ) في قوله: (إنّ الله عليم بذات الصدور)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الأمر في قوله: (كونوا قوّامين) قد انتهى هنا، ثم جاء نهي في أمر جديد، وهذا النهي: يحتمل أن يكون معطوفا على الأمر. ويحتمل أن يكون مستأنفا. والاستئناف أقرب، بدليل نون التوكيد في قوله: (ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا)، وبناء عليه يصح الوقف هنا.

وحتى لو قلنا بأنها جملة معطوفة، فإنها جملة معطوفة مستقلة بنفسها، ومضمونها أيضا مستقل عن الجملة التي قبلها، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن النهي قد انتهى هنا، ثم جاء أمر بالعدل وبيان تحقيق التقوى به في قوله: (اعدلوا هو أقرب للتقوى)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (اعدلوا)؟

نصّ السجاوندي رحمه الله على وقفة لطيفة هنا، قال: لأن الضمير مبتدأ في قوله: (هو أقرب للتقوى) مع شدة اتصال المعنى، فهو يشير إلى أن قوله: (هو أقرب للتقوى) شديد الاتصال بقوله: (اعدلوا)؛ لأنه وصف لهذا العدل أنه أقرب للتقوى.

وهذه السكتة اللطيفة أو الوقفة اللطيفة التي ذكرها السجاوندي رحمه الله لم ينصّ عليها بقية علماء الوقف والابتداء، ولها وجه من حيث النظر، فيصح أن يقرأ القارئ فيقول (اعدلوا. هو أقرب للتقوى) دون أن يقف وقفا تاما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (هو أقرب للتقوى)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر بالعدل قد انتهى هنا مع ذكر فائدته، ثم جاءت جملة عامة في الأمر بالتقوى عموما، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (واتقوا الله)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الأمر بالتقوى قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ (إنّ) في قوله: (إنّ الله خبير بما تعملون)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هل يصح الوقف هنا؟

صحّح الوقف هنا الأنصاري والأشموني، ولم ينصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجّهوا الوقف بأن الوعد قد انتهى هنا، والوعد في لغة العرب يعني الوعد بالثواب والجزاء، ثم قال: (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة في بيان وتفسير الوعد، فقدم الله لهم الوعد عموما، ثم بينه في جملة: (لهم مغفرة وأجر عظيم).

وهذا التوجيه له حظ من النظر، لكن الأولى والأكمل وصل هذه الآية دون الوقف على قوله: (وعملوا الصالحات) حتى يظهر بأن الوعد يحصل بالمغفرة والأجر العظيم، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها لا وقف فيها، وهي: (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم).

ثم الآية التي تليها: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأنه جاء بعدها (إذ) الظرفية في قوله: (إذ هَمّ قوم)، فالمراد: اذكروا نعمة الله عليكم حين همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم، فلا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الأمر الوارد في أول الآية قد انتهى هنا، ثم جاء أمر عام بتقوى الله في قوله: (واتقوا الله)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (واتقوا الله)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الأمر قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة معطوفة فيها الأمر بالتوكل على الله سبحانه وتعالى في قوله: (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)، وهي جملة قائمة بنفسها، فصح الوقف قبلها والابتداء بها، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في هذه الآيات من سورة المائدة، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ٦-١١

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾.

قال البغوي: «{يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة} أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، كقوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) أي: إذا أردت القراءة.

وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة، لكن أُعلمنا ببيان السنة وفعل النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد من الآية: (إذا قمتم إلى الصلاة) وأنتم على غير طهر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ)، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد... وعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد، ومسح على خفيه.

وقال زيد بن أسلم: معنى الآية: إذا قمتم إلى الصلاة من النوم.

وقال بعضهم: هو أمر على طريق الندب، ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارته وإن كان على طهر، روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من توضأ على طُهر كتب الله له عشر حسنات)، وروي عن عبد الله بن حنظلة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أُمر بالسواك لكل صلاة.

وقال بعضهم: هذا إعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال، فأَذن له أن يفعل بعد الحدث ما بدا له من الأفعال غير الصلاة... [عن] سعيد بن الحويرث سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرجع من الغائط فأتي بطعام، فقيل له: ألا تتوضأ؟ فقال: (لِمَ؟ أأصلي فأتوضأ؟))». «تفسير البغوي» (٣/ ٢٠-٢١).

وقال السعدي في فوائد الآية: «الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة...

- كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر...

- الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به». «تفسير السعدي» (ص٢٢٢).

وقال ابن عثيمين في فوائد الآية: «الطهارة من مقتضيات الإيمان، كأنه قال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} لإيمانكم افعلوا كذا وكذا...

- الإيمان يزيد بالطهارة، وضوءًا كانت أو غسلًا أو تيممًا؛ لأنها إذا كانت من مقتضياته لزم أن يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها.

- الإخلال بها منافٍ لكمال الإيمان، يعني: لو صليت بدون وضوء أو بدون غسل أو بدون تيمم فإن ذلك يُنقص من إيمانك؛ لأنك خوطبت بصفة الإيمان على أن تقوم بهذا، لكن هل ينافي أصل الإيمان؟ جمهور العلماء: على أنه لا ينافي أصل الإيمان، وأنّ من صلى محدثًا لم يَكفُر...

- مشروعية الوضوء أو الغسل أو التيمم عند كل صلاة، حتى وإن كنت على طهارة، فمثلًا: لو توضأت لصلاة الظهر وجاء وقت العصر وأنت على طهارتك نقول: الأفضل أن تتوضأ، لقوله: {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ}، و"أل" هذه للعموم، ولم أعلم أن أحدًا من الناس قال: إنه يشرع إذا قام لكل صلاة موالية للأخرى، كما لو كان يصلي الليل ركعتين ركعتين، كلما فرغ من ركعتين ذهب وتوضأ، ولكن فيما بين الأوقات نعم، فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه يشرع للإنسان إذا دخل وقت الصلاة الأخرى أن يجدد الوضوء ولو كان على طهارة.

وذهب بعض أهل العلم إلى وجوب الوضوء لكل صلاة، ولكن هذا ضعيف؛ لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصلوات الخمس بطهور واحد، ولأنه أمر المستحاضة أن تتوضأ لكل صلاة، فدل هذا على أن هذا الحكم خاص بالمستحاضة، أعني: وجوب الوضوء لكل صلاة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٩٩-١٠٠).

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

قال ابن كثير: «استدل طائفة من العلماء بقوله: {إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم} على وجوب النية في الوضوء؛ لأن تقدير الكلام: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم لها، كما تقول العرب: إذا رأيت الأمير فقُم، أي: له. وقد ثبت في الصحيحين حديث: (الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى).

ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه؛ لما ورد في الحديث من طرق جيدة، عن جماعة من الصحابة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه).

ويستحب أن يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء، ويتأكد ذلك عند القيام من النوم؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا استيقظ أحدكم من نومه، فلا يُدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثا، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده)...

ويستحب للمتوضئ أن يخلّل لحيته إذا كانت كثّة... عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أخذ كفا من ماء فأدخله تحت حنكه، يخلّل به لحيته، وقال: (هكذا أمرني ربي عز وجل)...

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه في الصحاح وغيرها: أنه كان إذا توضأ تمضمض واستنشق، فاختلف الأئمة في ذلك:

هل هما واجبان في الوضوء والغسل، كما هو مذهب أحمد بن حنبل، رحمه الله؟

أو مستحبان فيهما، كما هو مذهب الشافعي ومالك؟ لما ثبت في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه ابن خزيمة، عن رفاعة بن رافع الزرقي؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسيء في صلاته: (توضأ كما أمرك الله).

أو يجبان في الغسل دون الوضوء، كما هو مذهب أبي حنيفة؟

أو يجب الاستنشاق دون المضمضة كما هو رواية عن الإمام أحمد؛ لما ثبت في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من توضأ فليستنثر)، وفي رواية: (إذا توضأ أحدكم فليجعل في منخريه من الماء ثم لينتثر)، والانتثار: هو المبالغة في الاستنشاق...

عن ابن عباس أنه توضأ فغسل وجهه، ثم أخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنثر، ثم أخذ غرفة فجعل بها هكذا، يعني أضافها إلى يده الأخرى، فغسل بهما وجهه. ثم أخذ غرفة من ماء، فغسل بها يده اليمنى، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى، ثم مسح رأسه، ثم أخذ غرفة من ماء، ثم رش على رجله اليمنى حتى غسلها، ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله اليسرى، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني يتوضأ». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٧-٥٠).

وقال السعدي في فوائد الآية: «الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس

المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولا، ومن الأذن إلى الأذن عرضا.

ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق بالسنة، ويدخل فيه الشعور التي فيه. لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتُفي بظاهرها». «تفسير السعدي» (ص٢٢٢).

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾.

قال البغوي: «{وأيديكم إلى المرافق} أي: مع المرافق، كما قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي: مع أموالكم، وقال: (مَن أنصاري إلى الله) أي: مع الله.

وأكثر العلماء على أنه يجب غسل المرفقين، وفي الرِجل يجب غسل الكعبين.

وقال الشعبي ومحمد بن جرير: لا يجب غسل المرفقين والكعبين في غسل اليد والرجل؛ لأن حرف (إلى) للغاية والحد، فلا يدخل في المحدود.

قلنا: ليس هذا بحد، ولكنه بمعنى (مع) كما ذكرنا.

وقيل: الشيء إذا حُدّ إلى جنسه يدخل فيه الغاية، وإذا حُدّ إلى غير جنسه لا يدخل، كقوله تعالى: (ثم أتمّوا الصيام إلى الليل) لم يدخل الليل فيه لأنه ليس من جنس النهار». «تفسير البغوي» (٣/ ٢١).

وقال ابن كثير: «يستحب للمتوضئ أن يشرع في العضُد ليغسله مع ذراعيه؛ لما روى البخاري ومسلم من حديث نعيم المجمر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)، وفي صحيح مسلم... عن أبي هريرة قال: سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٩).

وقال ابن عثيمين: «والمِرفَق هو مفصل العضُد من الذراع، وسمي مِرفقًا لأن الإنسان يرتفق به، أي: يتكئ عليه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٨٨).

وقال ابن عثيمين: «اليد عند الإطلاق هي الكفّ فقط، وجه الدلالة: أن الله قال: {إِلَى الْمَرَافِقِ}، ولو كانت اليد عند الإطلاق {إِلَى الْمَرَافِقِ} لكان هذا القيد لا فائدة منه... ولنا دليل على ذلك: يد السارق تقطع من

مفصل الكف، لقوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا}، ولا يجوز أن يتجاوز مفصل الكف، وفي التيمم إنما يطهر الكف فقط، ولا يتجاوز إلى المِرفق، وهذا أمره واضح». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٠٩).

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾.

قال ابن كثير: «{وامسحوا برءوسكم} اختلفوا في هذه "الباء" هل هي للإلصاق، وهو الأظهر أو للتبعيض؟ وفيه نظر، على قولين. ومن الأصوليين من قال: هذا مجمل فليرجع في بيانه إلى السنة، وقد ثبت في الصحيحين... أن رجلا قال لعبد الله بن زيد بن عاصم...: هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم، فدعا بوضوء، فأفرغ على يديه، فغسل يديه مرتين مرتين، ثم مضمض واستنشق ثلاثا، وغسل وجهه ثلاثا، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين، ثم مسح بيديه، فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه...

ففي هذه الأحاديث دلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس، كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل، لا سيما على قول من زعم أنها خرجت مخرج البيان لما أجمل في القرآن...

ثم اختلفوا في أنه: هل يستحب تكرار مسح الرأس ثلاثا، كما هو المشهور من مذهب الشافعي، أو إنما يستحب مسحة واحدة، كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه، على قولين.

... عن حمران بن أبان قال: رأيت عثمان بن عفان توضأ فأفرغ على يديه ثلاثا فغسلهما، ثم مضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثا، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثا، ثم غسل اليسرى مثل ذلك، ثم مسح برأسه، ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثا، ثم اليسرى ثلاثا مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال: (من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه). أخرجه البخاري ومسلم... وفي سنن أبي داود...: ومسح برأسه مرة واحدة». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٩-٥١).

وقال ابن عثيمين: «ما حد الرأس؟ الرأس ما ترأّس، والعضو المترئّس على البدن كله هو ما بين مفصل

المخ والرقبة، وعلى هذا فالرقبة لا تدخل في الرأس؛ لأنها عضو مستقل، ثم إذا أخرجت من الوجه بقي ما سوى الوجه مما ترأّس، وهل يدخل في ذلك الأذنان؟

الجواب: نعم، يدخل في ذلك الأذنان، أولًا: لأن الاشتقاق يدل على دخولهما، وثانيًا: أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يمسح أذنيه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٨٩).

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

قال البغوي: «{وأرجلكم إلى الكعبين}، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص: (وأرجلَكم) بنصب اللام، وقرأ الآخرون (وأرجلِكم) بالخفض، فمن قرأ (وأرجلَكم بالنصب فيكون عطفا على قوله: "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم" أي: واغسلوا أرجلكم...

وذهب عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وجوب غسل الرجلين، وقالوا: خفض اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم، كما قال تبارك وتعالى: (عذابَ يومٍ أليمٍ)، فالأليم صفة العذاب، ولكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة، وكقولهم: جحر ضبٍ خربٍ، فالخرب نعت للجحر، وأخذ إعراب الضب للمجاورة.

والدليل على وجوب غسل الرجلين:... عن عبد الله بن عمرو قال: تخلّف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر سافرناه، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة (صلاة العصر)، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادانا بأعلى صوته: (ويل للأعقاب من النار)...

وقال بعضهم: أراد بقوله {وأرجلِكم} المسح على الخفين، كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركع وضع يديه على ركبتيه، وليس المراد منه أنه لم يكن بينهما حائل، ويقال: قبّل فلان رأس الأمير ويده، وإن كانت العمامة على رأسه، ويدُه في كمّه...

عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر، فقال: (أمعك ماء؟) فقلت: نعم، فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل، ثم جاء فأفرغت عليه من الإداوة، فغسل وجهه ويديه، وعليه جبّة من صوف، فلم يستطع أن يُخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة، فغسل ذراعيه، ثم مسح برأسه، ثم أهويت لأنزع خفيه فقال: دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين، فمسح عليهما.

قوله تعالى: {إلى الكعبين} فالكعبان هما العظمان الناتئان من جانبي القدمين، وهما مجتمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين». «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢).

وقال السعدي في فوائد الآية: «الأمر بالترتيب في الوضوء، لأن الله تعالى ذكرها مرتّبة، ولأنه أدخل ممسوحا -وهو الرأس- بين مغسولين، ولا يُعلم لذلك فائدة غير الترتيب...

- الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية، وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين». «تفسير السعدي» (ص٢٢٣).

وقال ابن عثيمين في فوائد الآية: «وجوب الموالاة، وجهه: أن غسل هذه الأعضاء جاء مرتبًا على الشرط، فلا بد أن يكون أجزاء هذا الفعل المرتب على الشرط لا بد أن تكون متوالية؛ لأن الشرط يعقبه المشروط، هذا وجه الدلالة من الآية.

أما من حيث النظر فيقال: إن الوضوء عبادة واحدة، فإذا جزّأه المتوضئ لم يظهر كونه عبادة واحدة، يعني: لو غسل وجهه الساعة الواحدة، وغسل يديه في الساعة الثانية، ومسح رأسه في الساعة الثالثة، وغسل رجليه في الساعة الرابعة فإنه لا يتبين أن هذه عبادة واحدة، إذًا: لا بد من الموالاة.

ولكن كيف نحدّ الموالاة؟

من العلماء من قال: إننا لا نحدها بحد، ونقول: ما جرى فيه العرف أنه منفصل فقد فاتت فيه الموالاة، وما لم يجرِ العرف أنه منفصل فهو متصل.

وحدَّه بعض العلماء بحدٍّ آخر قد يكون أكثر انضباطًا وقال: حد الموالاة ألّا ينشف العضو قبل غسل الذي بعده بزمن معتدل، وهذا هو المشهور من المذهب.

وبناءً على ذلك: لو أن العضو يبس قبل أن يغسل الثاني في زمن معتدل لانقطعت الموالاة، وإذا انقطعت الموالاة وجب إعادة الوضوء». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١١٤).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾.

قال البغوي: «{وإن كنتم جنبا فاطّهّروا} أي: اغتسلوا... عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصبّ على رأسه ثلاث غرفات بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله». «تفسير البغوي» (٣/ ٢٥).

وقال ابن عثيمين: «الجُنُب مَن أنزل مَنِيًّا، وألحقت السنة به مَن جامع وإن لم يُنزل، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم يُنزل)». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٩٢).

وقال ابن عثيمين: «لو قال قائل: المريض إذا كان عليه جنابة ولا يستطيع أن يغتسل فهل يلزمه الوضوء؟ وإذا كان أيضًا عادم الماء وهو عليه الجنابة -يعني: لم يجد إلا ماءً يكفي لوضوئه- فهل يتوضأ؟

الجواب: الظاهر أنه يتوضأ، لأن الوضوء يخفّف الجنابة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل ينام وهو جنب، قال: (نعم إذا توضأ)، وكذلك أيضًا الجنب إذا أراد الجلوس في المسجد يتوضأ، فإذا كان الوضوء له تأثير في تخفيف الجنابة فليتوضأ». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١١٥):

وقال ابن عثيمين: «إذا انغمس الرجل في بِركة أو في بحر ناويًا رفع الحدث من الجنابة ثم خرج فهل يكفيه؟

الجواب: نعم يكفيه، لكن لا بد من المضمضة والاستنشاق، والدليل على هذا أنه يجب أن يطهّر الفم والأنف في الحدث الأصغر، ففي الأكبر من باب أولى». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١١٦).

وقال ابن عثيمين: «حكمة الشرع في التطهير حيث كان الاقتصار على أربعة أعضاء في الحدث الأصغر؛ لأن هذه الأعضاء هي غالبًا أدوات العمل وآلات العمل، فالبطش باليد، والمشي بالرجل، والبصر والشم والكلام في الوجه، والسمع والتخيل والتفكير في الرأس، فشرع تطهير هذه الأعضاء الأربعة.

أما في الجنابة فشرع للإنسان أن يطهّر جميع بدنه؛ وذلك لأن الجنابة تخلخل البدن كله، ولهذا يضعف الإنسان إذا حصلت منه الجنابة، ويؤمر إذا أراد أن يعود أن يغتسل فإن لم يمكنه فليتوضأ، ويدل لهذا -أعني: أن الجنابة تؤثر على جميع البدن- أن الرجل إذا زنى وهو مُحصَن فإنه يُرجَم بالحجارة حتى يموت، من أجل أن يذوق جميع بدنه ألم العقوبة كما ذاق لذة الشهوة المحرمة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/

١٢٨).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾.

«عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسم واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. قالت: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول. وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم: (فتيمّموا). فقال أسيد بن الحضير (وهو أحد النقباء): ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. فقالت عائشة: فبعثْنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته». «صحيح البخاري» (١/ ٧٤)، «صحيح مسلم» (١/ ٢٧٩).

وقال ابن عثيمين: «المرض من أسباب جواز التيمم، لقوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى}، يعني: فتيمموا، وقوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً}، فظاهر الآية: أن المريض لا يتيمم إلا إذا عدم الماء، فإما أن نأخذ بظاهر الآية ونقول: المريض لا يتيمم إلا إذا عدم الماء وحينئذٍ يبقي التقييد بالمرض لا فائدة منه؛ لأن من لم يجد الماء يباح له التيمم سواءً كان مريضًا أو غير مريض، فيقال في الجواب -والله أعلم-: إن قوله تعالى: {مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} يدل على أن المراد المريض الذي يلحقه الحرج من استعمال الماء.

وأما التقييد بعدم وجود الماء فهو للمسافر؛ لأن المسافر لا يشق عليه استعمال الماء إذا وجده ولا يلحقه حرج به، فيكون تيمم المسافر مشروطًا بعدم وجود الماء، ويكون تيمم المريض مشروطًا بوجود الحرج، لقوله: {مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/

١١٨).

وقال ابن عثيمين: «{أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} {أَوْ} هنا بمعنى الواو، أي: وجاء أحد منكم من الغائط... فلا يستقيم المعنى في الآية إلا بجعل {أَوْ} بمعنى الواو، لأننا إذا لم نقل: إن {أَوْ} بمعنى الواو صارت قسيمة للسفر والمرض يعني هذا أو هذا، والآية ليس هذا معناها، بل المعنى إذا حصل سفر أو مرض وحصل حدث وجاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٩٣).

وقال ابن عثيمين: «{أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} وفي قراءة: {أَوْ لمَسْتُمُ النِّسَاءَ}، لامستم فعل مبني للمفاعلة، بحيث يكون الفعل واقعًا من الطرفين: الرجل والمرأة، ولا يصدق هذا إلا بالجماع، ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله: هل المراد بالملامسة هنا الجس باليد، أو المراد الجماع؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد به الجماع، وليس الجسّ باليد.

واللمس دون الملامسة، وهو ظاهر في أن المراد به الجسّ باليد، فلماذا لا تقولون: إن المراد به مس المرأة؟

قلنا: لا نقول به؛ لأن القراءة الثانية {لَامَسْتُمُ} تشير إلى أن المراد به الجماع، هذا من جهة اللفظ.

أما من جهة المعنى: فلو حملناها على أن المراد بذلك المسّ باليد لكان الله تعالى ذكر موجبين للطهارة من جنس واحد، مع أنه في طهارة الماء ذكر موجبين من جنسين، أي: إذا قلنا: إن قوله تعالى: {لَامَسْتُمُ} بمعنى اللمس باليد، فلا يوجب إلا الوضوء، وكذلك قوله تعالى: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} يوجب الوضوء فقط، فذكر موجبين وأهمل موجب الغسل الذي هو الجنابة، فيكون ذَكَرَ موجبين من جنس واحد وأَهْمَلَ آخر لا بد منه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٩٤-٩٥).

وقال ابن عثيمين: «{صَعِيدًا} الصعيد كل ما تصاعد على وجه الأرض من رمل أو جبل أو أودية أو غير ذلك. قوله: {طَيِّبًا} أي: طاهرًا؛ لأن طِيب كل شيء بحسبه، فالطيّب من الحيوان ما حلّ أكله، والطيّب من الأعمال ما كان مرضيًا عند الله عزّ وجل، وكل موضع يفسّر الطيّب فيه بما يناسبه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٩٦).

وقال ابن عثيمين: «امسحوا بوجوهكم من هذا الصعيد، والمسح: الإمرار باليد على الوجه، والمسح باليد إمرار إحدى اليدين على الأخرى.

قوله: {مِنْهُ} قيل: إن {من} للتبعيض، وعلى هذا فلا بد أن يعلق باليد شيء من هذا التراب، وقيل: إن {من} للابتداء، أي: مسحًا يكون ابتداؤه من هذا الصعيد». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٩٦).

وقال ابن عثيمين: «لا يجب التطهر بغير الماء، يعني: لو كان مع الإنسان نبيذ أو شاي أو لبن فإنه لا يتطهر به؛ لأن الله جعل آلة الطهارة هي الماء، قال تعالى: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً}...

- الماء ما دام يطلق عليه اسم الماء فإنه مطهّر ولو تغير بشيء طاهر، لعموم الآية: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً} و {مَاءً} نكرة في سياق النفي، فما دام اسم الماء باقيًا فإنه يجب التطهّر به ولو مع التغيّر.

... وجوب طلب الماء، لقوله: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً} قال العلماء: ولا يقال: غير واجد إلا لمن طلب، فيقول: طلبت فلم أجد، أما إنسان باقٍ قاعد ويقول: لم أجد، هذا غير صحيح.

ولكن كيف يكون هذا الطلب، هل يجب عليه أن يطلب الماء من مسافات بعيدة أو بقدر ما لا يكون فيه مشقة؟

الثاني، يعني يجب عليه أن يطلب الماء في الأماكن القريبة منه التي لا يلحقه حرج بطلب الماء فيها، وإذا تيقّن عدم وجود الماء حوله فلا يجب عليه البحث عند كل صلاة؛ لأن هذا عبث ومنافٍ للحكمة ومنافٍ للشرع...

- جواز التيمم من الصعيد الذي على ظهر الأرض أيًا كان، لقوله: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا} سواء كان هذا الصعيد رمليًا أو حجريًا أو سبخة أو يابسًا أو رطبًا يعني: نديًا، المهم أنه يسمّى صعيدًا.

لو قال قائل: ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على جدار، فمسح وجهه ويديه. كيف يوجّه هذا الحديث؟

الجواب: الجدار إذا كان عليه غبار فلا بأس بالتيمم ولو كان مطليًا بالدهان، وكذلك لو كان الصعيد غير متصل بالأرض، كأن يأخذ حجرًا أو رملًا وينقله إلى مكان، وكذا الغبار الذي يكون تحت السجادة أو الموكيت، كل هذا جائز ولا بأس بالتيمم منه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١١٩).

وقال ابن عثيمين: «لم يُجْمِع العلماء من نواقض الوضوء إلا على ما خرج من السبيلين القبل أو الدبر، فكل النواقض ما عدا هذا فيها خلاف.

وعليه فنقول: إنَّ القرآن دلّ على ناقضٍ واحد من نواقض الوضوء وهو الخارج من السبيلين من بول أو غائط، والبقية تحتاج إلى دليل، فإنْ وُجد دليل من السنة أخذنا به، وإن لم يوجد فالأصل بقاء الوضوء؛ لأن الإنسان توضأ بمقتضي دليل شرعي وارتفع حدثه بمقتضي دليل شرعي، فلا يمكن أن ننقض هذا إلا بدليل شرعي». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٢٠).

وقال ابن عثيمين: «التيمم جائز في الحدث الأصغر وفي الحدث الأكبر؛ لأن الآية واضحة، قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا}، ثم قال: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا}، ذكر الله تعالى التيمم بعد الوضوء وبعد الغسل من الجنابة، فيكون في ذلك دليل على أنّ من عليه غسل الجنابة إذا لم يجد الماء فإنه يتيمم ويصلي، وهذه المسألة فيها خلاف قديم... ثم إنّ الأمة أجمعت بعد ذلك على أن التيمم يكون في الجنابة، ويكون في الحدث الأصغر.

لو قال قائل: هل الأولى لعادم الماء ألّا يقرب زوجته لئلا يقع في الجنابة والحرج؟

الجواب: لعادم الماء أن يأتي أهله متى شاء ثم إذا لم يجد ماءً فليتيمم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٢٦).

وقال ابن عثيمين: «ينبغي لقاضي الحاجة أن يستتر حتى يتوارى عن الناس، وجهه قوله تعالى: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}، فإن هذا هو سنة الصحابة رضي الله عنهم في حياة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فيكون هذا دليلًا على أن من هديهم الاستتار عن الأعين، ولا شك أنه من كمال الأدب». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٢٧).

وقال ابن عثيمين: «وجوب استيعاب الوجه بالمسح في التيمم، لقوله: {بِوُجُوهِكُمْ}، ومن ثَمَّ يجب أن ننبّه بعض العامة الذين إذا تيمّموا مسحوا الأنف وما حوله وتركوا الباقي، فيقال: هذا لا شك أنه لا يجزئ؛ لأن الآية صريحة، قال تعالى: {بِوُجُوهِكُمْ} أي: كلها». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٢٩).

وقال ابن عثيمين: «لو قال قائل: رجل عنده ماء قليل، كنصف قارورة صغيرة، وهذا الماء لا يكفي إلا لغسل وجهه ويديه فماذا يصنع؟

الجواب: إذا كان لا يكفي إلا غسل وجهه ويديه يستعمله ويتيمم عن الباقي.

فلو قيل: ذكرتم فيما سبق أنه لا يُجمع بين الطهارتين؟

فالجواب: نقول: لا يجمع بين طهارتين كاملتين، يعني أن الإنسان يتوضأ وضوءًا كاملًا ويتيمم، أما إذا لم يجد إلا بعض الماء، فقد قال الله تعالى: {فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)، وقد أمرنا بالوضوء ولم نستطع إلا بعضه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٣٧).

﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾.

قال ابن عثيمين: «انتفاء الحرج في هذا الدين الإسلامي، لقوله: {مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} أي: من مشقة، فالدين الإسلامي والحمد لله كله مبني على اليسر، وليس اليسر منوطًا بهوى كل إنسان؛ لأنه لو كان منوطًا بهوى كل إنسان لكان بعض الناس يشقّ عليه أن يقوم يصلي الفجر في الشتاء، ولكن المعنى أن كلّ ما شرعه الله فهو ميسّر ليس فيه مشقة...

- رفع الحرج عن هذه الأمة تارةً يكون برفع المشروع بالكليّة، وتارةً بتخفيفه، وتارةً بفعل بدله، فهذه ثلاثة أقسام: إما أن يرتفع التكليف بهذا الشيء الذي فيه الحرج بالكلية، وإما أن يخفف، وإما أن يجعل له بدل.

مثال الأول: كفارة القتل، إذا عجز الإنسان عن صيام شهرين متتابعين تسقط عنه، أي: ترفع عنه بالكلية.

مثال الثاني: القيام في الصلاة إذا عجز الإنسان عنها، يخفّف، فيصلي قاعدًا إذا لم يستطع أن يصلي قائمًا.

مثال الثالث: أن يكون إلى بدل، فالإنسان العاجز عن الصيام عجزًا مستمرًا لا يلزمه أنه يصوم لكن عليه البدل وهو: إطعام مسكين عن كل يوم...

لو سألنا سائل: أليس يوجد في بني إسرائيل شيء من الحرج في عباداتهم؟ قلنا: بلى، لكن ذلك بسببهم، هم الذين تسببوا في ذلك، قال تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا} إلى آخره». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٣٠-١٣١).

﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

قال ابن كثير: «{ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون} أي: لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرأفة والرحمة والتسهيل والسماحة.

وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء، بأن يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية الكريمة، كما رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن، عن عقبة بن عامر قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي فروّحتها بعشيّ، فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدّث الناس، فأدركت من قوله: (ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة). قال: قلت: ما أجود هذه! فإذا قائل بين يديّ يقول: التي قبلها أجود منها. فنظرت فإذا عمر رضي الله عنه، فقال: إني قد رأيتك جئت آنفا قال: (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ -أو:

فيسبغ- الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء). لفظ مسلم...

عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا توضأ العبد المسلم -أو: المؤمن- فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء -أو: مع آخر قطر الماء-، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء -أو: مع آخر قطر الماء-، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء -أو: مع آخر قطر الماء-، حتى يخرج نقيًّا من الذنوب). رواه مسلم...

وروى مسلم في صحيحه... عن أبي مالك الأشعري؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الطُّهور شطر الإيمان...)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٠).

وقال ابن عثيمين: «{لِيُطَهِّرَكُمْ} أي: طهارة حسية ظاهرة، وطهارة معنوية:

أما الوضوء والغسل بالماء فالطهارة فيهما حسية ومعنوية، أما الحسية فإنها ظاهرة لكون الإنسان يغسل هذه الأعضاء أو يغسل البدن كله فينظفه، وأما المعنوية فلأن في الوضوء تكفير السيئات ومحو الخطيئات.

وأما التيمم فإنه طهارة معنوية، وذلك لأن فيه كمال التعبد لله عزّ وجل حيث إن الإنسان يتيمم هذا الصعيد، ويمسح به وجهه ويديه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٩٧).

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

قال ابن كثير: «هذه هي البيعة التي كانوا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عند إسلامهم، كما قالوا: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وقال تعالى: {وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين}.

وقيل: هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من المواثيق والعهود في متابعة محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه، رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وقيل: هو تذكار بما أخذ تعالى من العهد على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم: {ألست بربكم قالوا بلى شهدنا} قاله مجاهد، ومقاتل بن حيان.

والقول الأول أظهر، وهو المحكي عن ابن عباس والسدي. واختاره ابن جرير». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٢).

وقال ابن عثيمين: «من المشروع أن يذكر الإنسان نعمة الله، وهل ذلك واجب أو مستحب؟

في ذلك تفصيل: فإن أدّى عدم ذكرها إلى نسيان الواجب كان ذكرها واجبًا، مثل أن يرى نفسه قد شطحت وأبعدت عن فعل المأمور وترك المحذور، فليذكّرها نعمة الله، فليقل مثلًا: اذكري أيتها النفس نعمة الله عليك بالعافية وبالصحة وبإرسال الرسل وبإنزال الكتب وببيان الحق وما أشبه ذلك». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٤٠).

وقال ابن عثيمين: «يجب على الإنسان أن يذكر الميثاق الذي واثق الله عليه، وهو العهد بالسمع والطاعة.

فإن قال قائل: نحن لا نذكر هذا الميثاق؟ قلنا: إن عقد الميثاق يكون بالقول وبالفعل:

أما القول فإننا لا نستحضره، حتى لو صح حديث: (إن الله استخرج ذرية آدم من ظهره وأخذ عليهم العهد والميثاق).

وأما الفعل فنعم، هو ثابت، وذلك بما فطر الله عليه الإنسان من التوحيد والاعتراف بالله عزّ وجل، وكذلك أيضًا بما أعطاه من العقل الذي يميز به بين الحق والباطل والصدق والكذب، وهذا ميثاق بالفعل، يعني: أنت لا تستحضر أنك عاهدت الله عزّ وجل بالقول، لكن بما أعطاك من العقل والفطرة صار ذلك عهدًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٤١).

وقال ابن عثيمين: «السمع المجرّد لا يغني شيئًا، فلا بد أن يكون سمعًا واستجابة، فأما مجرد السمع فلا، وذلك لقوله: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}، ويدل لهذا قول الله تبارك وتعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ}، فنفى الله عنهم السمع؛ لأنهم لم يأتوا بفائدة السمع وهي الطاعة، فعلى هذا لا يكفي مجرد السماع، بل السماع حجة على العبد، فعليه عند السماع أن يمتثل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٤٢).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾.

قال ابن عثيمين في فوائد الآية: «وجوب الإخلاص لله عزّ وجل في الشهادة، لقوله: {كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ}، وقال في آية أخرى: {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ}، واعلم أنك إذا كنت مخلصًا لله بالشهادة فإنك

لن تحابي قريبًا ولا صديقًا، ولن يحملك بغضك لشخص على أن لا تشهد له ما دمت مخلصًا لله تعالى بالشهادة...

- الواجب على الإنسان أن يشهد بالقسط -أي: بالعدل- ولو كان المشهود عليه قريبك، أباك أو أخاك لقوله تعالى في سورة النساء: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ}، ولا تعدّ شهادة الإنسان على أبيه وأمه عقوقًا، بل هي برّ، لأنك إذا شهدت عليهما منعتهما من الظلم، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم منع الظالم من ظلمه نصرًا للظالم، فقال: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)، قالوا: يا رسول الله هذا المظلوم فكيف نصر الظالم؟ فقال: (تمنعه مِن ظلمه)...

وجوب الشهادة بالقسط ولو كنت كارهًا؛ لأن بعض الناس قد يحمله كراهة أن يتضرر الشخص على كتمان الشهادة، فتجده مع نفسه في صراع: هل يشهد أو لا يشهد؟ فالواجب أن لا يحملك قرب قريب أو بغض بعيد على أن لا تشهد، اشهد بالعدل.

لو قال قائل: أنا لا أريد أن أشهد مخافة أن يلحقني أذى فهل أكون آثمًا بهذا؟

الجواب: يقول العلماء: إذا خاف ضررًا لا يحتمل فلا بأس، لكن يبيّن الشهادة في موطن آخر، أما إذا كان الضرر يُحتمل، مثل أن يعاديه مَن شهد عليه أو ما أشبه ذلك، فلا يجوز كتم الشهادة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٤٧).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

قال ابن تيمية: «هذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان البغض الذي أَمر الله به قد نهي صاحبه أن يظلم مَن أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس؟ فهو أحق أن لا يَظلم، بل يَعدل عليه». «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٢٧).

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

قال ابن كثير: «{قوله: {هو أقرب للتقوى} من باب استعمال أفعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء، كما في قوله تعالى: {أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا}، وكقول بعض الصحابيات لعمر: أنت أفظّ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٢).

وقال السعدي: «{اعدلوا هو أقرب للتقوى} أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تمّ العدل كملت التقوى». «تفسير السعدي» (ص٢٢٤).

وقال ابن عثيمين: «ولم يقل: هو التقوى، بل قال: أقرب للتقوى؛ وذلك لأن العدل قد يحمل عليه مخافة الله فيكون تقوى، وقد يحمل عليه محبة الثناء عند الناس فلا يكون تقوى، ولهذا جاءت الآية الكريمة: {أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٤٦).

وقال ابن عثيمين: «تعبير القرآن الكريم بالعدل يدل على بطلان قول من يقول: إن الدين الإسلامي دين المساواة، فهذا على إطلاقه فيه نظر؛ لأنهم يريدون بهذا أن لا يفرقوا بين الرجل والمرأة، ويريدون بهذا أيضًا أن لا يفرقوا بين المسلم والكافر، ويريدون بهذا أن لا يفرقوا بين البر والفاجر، والله تعالى قد أنكر هذا إنكارًا عظيمًا فقال: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ} ما هذا الحكم؟ ما الذي حملكم عليه؟ {كَيْفَ تَحْكُمُونَ} هذا الحكم؟ وقال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}.

وإذا تدبّرت القرآن وجدت نفي المساواة فيه أكثر من إثباته، وأن الذي في القرآن هو العدل: وهو إعطاء كل ذي حق ما يستحق، ولذلك العبارة السليمة أن نقول: الدين الإسلامي دين العدل، وهو الذي أمر الله به في قوله: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}، نعم إذا اتفق الناس في الحقوق صحّ أن نقول: إنه دين المساواة، إذا اجتمعوا في سبب الحكم وغاياته حينئذٍ نقول: هو دين المساواة، يعني إذا سرق الشريف وسرق الوضيع، هنا نقول: لا بأس ألّا يفرق بين الشريف والوضيع وأنه يسوّى بينهما؛ لأن التسوية هنا عدل. وعلى هذا فنقول: إذا كانت المساواة هي العدل فنعم، أما المساواة التي يرمي إليها هؤلاء فهذا ليس بصحيح، فالدين يفرّق تمامًا في كل موطن تكون الحكمة فيه هي التفريق». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٤٨).

﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قال ابن عثيمين: «انظر كيف يكرّر الله عزّ وجل التقوى في آيات كثيرة؛ لأنها في الحقيقة عليها مدار الإسلام، فإذا اتّقى الإنسان ربه فسوف يقوم بدين الله تعالى على ما يريد الله جلَّ وعلا». «تفسير العثيمين: المائدة»

(١/ ١٥٠).

وقال ابن عثيمين: «الخبير أدقّ من العليم؛ لأن الخبير من الخُبْر، وهو العلم ببواطن الأمر، ولذلك سميت المزارعة مخابرة؛ وسمي الزارع خبيرًا؛ لأنه يدسّ الحبّ في الأرض فيختفي، فالخبير هو العليم بخفايا الأمور». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٤٧).

وقال ابن عثيمين في فوائد الآية: «سعة علم الله، وأنه سبحانه وتعالى عالم ببواطن الأمور، وقد قال الله عن نفسه: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}، وفسّر النبي صلى الله عليه وسلم الباطن بأنه: (الذي ليس دونه شيء)، فليس دون الله شيء، كل شيء يراه، كل شيء يعلمه، كل شيء يقدر عليه، كل شيء في قبضته، ليس دونه شيء، وهذا قريب من قوله: {إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٥١).

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن عثيمين: «الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بد من عمل، ولهذا نجد كثيرًا من الناس يركّزون على العقيدة، فيقولون: عقيدتنا سليمة والحمد لله، ولا يتعرّضون للعمل، وهذا قصور، بل لا بد مع العقيدة من عمل صالح». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٥٨).

وقال ابن عثيمين في فوائد الآية: «عِظَم ثواب المؤمنين العاملين الصالحات حيث عظّمه الله عزّ وجل، وتعظيم العظيم للشيء يدل على أنه عظيم عظمة لا يتخيّلها الإنسان ولا يتصوّرها، وهو كذلك». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٥٩).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

قال ابن عثيمين: «آيات الله تعالى كونية وشرعية.

فالكونية: هذا الكون بما فيه من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والبحار والأنهار، وغير ذلك من المخلوقات العظيمة، التي بعضها لا تحيط به كبرًا، وبعضها لا تحيط به صغرًا... وهذه مخلوقات الله، يرزقها الله عزّ وجل، ويعلم مستقرها ومستودعها، ولا يخفى عليه أمرها، كما قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا}.

والآيات الشرعية: هي ما جاءت به الرسل وكانت آيات دالة على الله عزّ وجل؛ لأن البشر لا يمكن أن يأتوا

بمثلها». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٥٩).

وقال ابن عثيمين: «القرآن الكريم مثاني، إذا ذَكر أهل العمل الصالح ذَكر أهل العمل السيئ، وفائدة ذلك: أن لا يغلب جانب الرجاء أو جانب الخوف؛ وذلك أن الإنسان إذا لم يكن أمامه إلا أوصاف المؤمنين وجزاء المؤمنين فإن ذلك قد يحمله على الرجاء وينسى الخوف، وإذا لم يكن أمامه إلا أوصاف الكافرين وعقوبة الكافرين، فقد يستولي عليه الخوف والقنوط من رحمة الله، فلهذا كان الله تعالى يذكر هذا إلى جنب هذا، حتى لا يستولي القنوط من رحمة الله عند ذكر ما يُخَوّف، أو الأمن من مكر الله عند ذكر ما يُرَجِّي». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٦٠).

وقال ابن عثيمين: «على الإنسان أن يكون مستسلمًا استسلامًا تامًا لآيات الله، مصدقًا بأخبارها، منفذًا لأحكامها؛ لأن الله توعّد المكذبين بالآيات والكافرين بها بأنهم أصحاب الجحيم، وقد ذكر الله عزّ وجل في سورة النساء قَسَمًا مؤكدًا، أنهم لا يؤمنون إلا بشروط فقال: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} هذه الأولى، {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ} هذه الثانية، {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} هذه الثالثة، فمَن حكَّم غير الله ورسوله فليس بمؤمن.

ومَن حكّم الله ورسوله ولكنه صار في قلبه ضيق ولم ينشرح صدره بما حكم الله به ورسوله فليس بمؤمن، ولهذا قال: {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ}.

ومَن لم يجد حرجًا لكن صار يتكاسل ويتهاون في التسليم فإنه لم يؤمن.

ثم قد يكون الانتفاء لما نهي عنه انتفاءً كاملًا، وقد يكون انتفاءً جزئيًا حسب ما قام في قلبه وعمله». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٦٣).

قال ابن عثيمين: «كلما جاءت {أَصْحَابُ}: فالمراد بها الملازمة الدائمة، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده، لا يسمع بي من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصراني ثم لا يؤمن بما جئت به -أو قال: لا يتبع ما جئت به- إلا كان من أصحاب النار)». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٦٣).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.

قال ابن جُزي: «في سببها أربعة أقوال:

الأول: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم ذهب إلى بني النضير من اليهود، فهمّوا أن يصبّوا عليه صخرة يقتلونه

بها، فأخبره جبريل بذلك، فقام من المكان، ويقوّي هذا القول ما ورد في الآيات بعد هذا في غدر اليهود.
والثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سلّ السيف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين وجده في سفر وهو وحده، وقال له: مَن يمنعك مني؟ قال: (الله)، فأغمد السيف وجلس، واسمه غورث بن الحارث المحاربي الغطفاني.
والثالث: أنها فيما همّ به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف.
والرابع: أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين». «تفسير ابن جزي» (١/ ٢٢٥).

وقال السعدي: «يذكّر تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة، ويحثّهم على تذكّرها بالقلب واللسان، وأنهم -كما أنهم يَعُدّون قتلهم لأعدائهم وأخذ أموالهم وبلادهم وسبيهم نعمة- فليَعُدّوا أيضا إنعامه عليهم بكفّ أيديهم عنهم وردّ كيدهم في نحورهم نعمة. فإنهم -الأعداء- قد همّوا بأمر، وظنوا أنهم قادرون عليه، فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم، فهو نصر من الله لعباده المؤمنين، ينبغي لهم أن يشكروا الله على ذلك، ويعبدوه ويذكروه، وهذا يشمل كل من همّ المؤمنين بشرّ، من كافر ومنافق وباغ، كفّ الله شرّه عن المسلمين، فإنه داخل في هذه الآية». «تفسير السعدي» (ص٢٢٥).

وقال ابن عثيمين: «{هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ}، القوم هم المشركون، وقد هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، وهموا أيضًا بأن يقاتلوه في مكة، ولكنَّ الله قال: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}، وقال في سورة النساء: {وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ}، فعدة وقائع يهمّ الكفار بأن يبسطوا أيديهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ولكن الله تعالى يكفّ أيديهم ويسلّم الرسول وأصحابه، ولذلك قال تعالى: {فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} أي: ولم يستطيعوا أن ينالوكم بسوء، وهذه نعمة عظيمة، أن يهمّ عدوك بشيء ثم يحجزه الله عنك، لقد قال الله عزّ وجل في سورة الأحزاب: {إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا}، وقال فيها: {وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٦٤).
وقال ابن عثيمين: «لو قال قائل: في كثير من الأحيان ما يكاد الإنسان يذكر نعمة هو فيها إلا ويُحْرَمها، فهل يجب عليه في هذه الحال أن يذكر نعمة الله عليه؟

الجواب: هذا غلط، الله عزّ وجل يقول: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، لكن ربما يكون ذكره إياها على سبيل الفخر والإعجاب فحينئذٍ يُحْرَمُ إياها». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٦٦).

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن عثيمين: «التوكل أحسن ما قيل فيه: إنه صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضارّ، ثقة به تبارك وتعالى وتفويضًا إليه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٦٥).

وقال ابن عثيمين في فوائد الآية: «هل التوكل يمنع فعل الأسباب؟

الجواب: لا، بل التوكل لا يتم إلا بفعل الأسباب، وأضرب لكم مثلًا بسيد المتوكلين محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك كان يتوقى الحر ويتوقى البرد ويلبس الدروع في الحرب، ولبس عليه الصلاة والسلام في أُحد دِرعَين، كل ذلك توقيًا للسهام، فَفِعْل الأسباب النافعة الحقيقية لا ينافي التوكل، بل هو من تمام التوكل...

إذا عجز الإنسان عن الأسباب فليس عنده إلا التفويض، ولهذا تجد الكفار إذا غشيهم موجٌ كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين، أي: فوضوا الأمر إلى الله، وكذلك الإنسان إذا ألمّ به شيء لا يستطيع دفعه تجده ليس له حول ولا قوة، أما مع القدرة على فعل الأسباب فإنه لا بد من فعلها، لو أن الإنسان قال: أنا أريد أن أسافر إلى مكة للحج، قلنا: خذ معك نفقة، قال: لا حاجة لذلك، أنا متوكل على الله، ماذا نقول في هذا؟ هذا عجز وتوانٍ وكسل، إذا كنت متوكلًا على الله حقيقة فافعل السبب، خذ معك ما يكفيك للنفقة أو أجّر نفسك على بعض الناس تكون معهم ويكفونك المؤونة أو ما أشبه ذلك.

- التوكل من الإيمان، لقوله: {فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، فوجّه الأمر إلى المؤمنين؛ لأنهم هم أهل التوكل... ترك التوكل على الله نقص في الإيمان». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٦٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ٦-١١

١- تعلّمْ أحكام الوضوء وصفته لتتوضّأ وضوءا صحيحا كاملا كما أمرك الله، وكما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسبغ الوضوء، وداوِم عليه، وتوضأ لكل صلاة، ليتطهّر جسدك بالماء، ويتطهّر قلبك بالتسليم لأمر الله، وتنال الأجر العظيم من الله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾.

٢- الله سبحانه وتعالى حكيم في تشريعاته، رحيم في أحكامه، فلم يجعل علينا في الدين من حرج، ولم يكلّفنا من الأعمال ما لا نُطيق، ومن رحمته أنه أباح لنا التيمم بالصعيد الطاهر إذا لم نجد الماء أو شقّ علينا استعماله بسبب المرض، فالحمد لله رب العالمين ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٣- الله سبحانه وتعالى يريد أن يطهّرنا من وسَخِنا وذنوبنا، فتتمّ نعمته علينا بطهارة ظاهرنا وباطننا، فالواجب علينا أن نشكر الله على تشريعاته الحكيمة ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٤- اجلس مع نفسك في خلوة، واستذكر نعم الله عليك في نفسك وأهلك وعائلتك ومجتمعك وبلادك، وتحدّث بنعم الله عليك أمام الناس حامدا لربك، شاكرا لعطائه، واجلس جلسة تذاكر لنعم الله مع أقاربك وأصدقائك، لتنكسر عن نفوسنا أطماعها، وتذلّ لمولاها وبارئها، فتستسلم لأمره، وتنقاد لحكمه ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

٥- تقوى الله سبحانه وتعالى هي أول الأمر وأوسطه وآخره، فهي سبيل النجاة ومصدر الأمان في الدنيا والآخرة، ولا تتحقّق التقوى إلا بمراقبة الله تعالى، والعلم بأنه مطّلع على قلبك وأعمالك في كل لحظة، ولا تكمل التقوى إلا بالتوكل على الله في جميع أمور الدين والدنيا ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

٦- العدل واجب مع الصديق والعدوّ، والموافق والمخالف، لكنّ معيار العدل الحقيقي هو العدل مع العدوّ والمخالف، وكذلك العدل بالشهادة ضدّ الصديق والموافق، فتلك درجة عالية من التقوى، لا يوفّق لها إلا عباد الله المخلَصون، فاحرص أن تكون منهم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

٧- لا تغترّ بسلامة إيمانك وصحة اعتقادك، فتتساهل في ارتكاب المحرّمات وترك الطاعات، فإن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، ولا نجاة إلا باجتماعها كلها ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

٨- المكذّبون بآيات الله الواضحة، وحججه الظاهرة، وبراهينه الباهرة، سيُصاحبون النار خالدين مخلّدين فيها أبدا -أجارنا الله منها- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

٩- تذكّر نعم الله عليك في صرف الأذى والبلاء عنك، كما تتذكّر نعمه عليك فيما أعطاك من النعم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (١٢-١٩) من المختصر في التفسير

﴿۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾

ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل بما سيأتي ذكره قريبًا، وأقام عليهم اثني عشر رئيسًا، كل رئيس يكون ناظرًا على مَن تحته، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بالنصر والتأييد إذا أديتم الصلاة على الوجه الأكمل، وأعطيتم زكاة أموالكم، وصَدَّقْتم برسلي جميعًا دون تفريق بينهم، وعظّمتموهم، ونصرتموهم، وأنفقتم في وجوه الخير، فإذا قمتم بذلك كله لأكفرنّ عنكم السيئات التي ارتكبتموها، ولأدخلنّكم يوم القيامة جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، فمَن كفر بعد أخذ هذا العهد الموثّق عليه فقد تنكّب طريق الحق عالمًا عامدًا.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾

فبسبب نقضهم العهد المأخوذ عليهم طردناهم من رحمتنا، وصيرنا قلوبهم غليظة صلبة لا يصل إليها خير، ولا تنفعها موعظة، يُحَرِّفُونَ الكلم عن مواضعه بالتبديل لألفاظه، وبالتأويل لمعانيه بما يوافق أهواءهم، وتركوا العمل ببعض ما ذُكِّرُوا به، ولا تزال -أيها الرسول- تكتشف منهم خيانة لله ولعباده المؤمنين، إلا قليلًا منهم وَفَّوْا بما أُخذ عليهم من عهد، فاعفُ عنهم ولا تؤاخذهم، واصفح عنهم؛ فإن ذلك من الإحسان، والله يحب المحسنين.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾

وكما أخذنا على اليهود عهدًا مؤكدًا موثّقًا أخذنا على الذين زَكَّوْا أنفسهم بأنهم أتباع عيسى عليه السلام، فتركوا العمل بجزء مما ذُكِّرُوا به، كما فعل أسلافهم من اليهود، وألقينا بينهم الخصومة والكراهة الشديدة

إلى يوم القيامة، فأصبحوا متقاتلين متناحرين يُكَفِّرُ بعضهم بعضًا، وسوف يخبرهم الله بما كانوا يصنعون، ويجازيهم عليه.

ولمّا ذكر الله أهل الكتاب وما أَخذ عليهم من العهود، ونقْضَهم لها، أمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقال:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾

يا أهل الكتاب من اليهود أصحاب التوراة، والنصارى أصحاب الإنجيل، قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمونه من الكتاب المنزل عليكم، ويتجاوز عن كثير من ذلك مما لا مصلحة فيه إلا افتضاحكم، قد جاءكم القرآن كتابًا من عند الله، وهو نور يُسْتضاء به، وكتاب مبين لكل ما يحتاج إليه الناس في شؤونهم الدنيوية والأخروية.

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾

يهدي الله بهذا الكتاب من اتّبع ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح إلى طُرقِ السلامة من عذاب الله، وهي الطرق الموصلة إلى الجنة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة بإذنه، ويوفقهم إلى الطريق القويم المستقيم طريق الإسلام.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾

لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح عيسى بنُ مريم، قل لهم -أيها الرسول-: مَن يقدر أن يمنع الله من إهلاك المسيح عيسى بنِ مريم ويُهلك أمّه، ويُهلك مَن في الأرض كلهم إذا أراد إهلاكهم؟! وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك دلّ ذلك على أنه لا إله إلا الله، وأن الجميع: عيسى بنَ مريم وأمه وسائر الخلق هم خَلْقُ الله، ولله ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، يخلق ما يشاء، وممن شاء خلقه: عيسى عليه السلام؛ فهو عبده ورسوله، والله على كل شيء قدير.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾

وادَّعى كل من اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحبّاؤه، قل -أيها الرسول- ردًّا عليهم: لماذا يعذّبكم الله بالذنوب التي ترتكبونها؟! فلو كنتم أحبّاءه كما زعمتم لما عذّبكم بالقتل والمسخ في الدنيا، وبالنار في الآخرة؛ لأنه لا يعذّب من أحبّ، بل أنتم بشر كسائر البشر، مَنْ أحسن منهم جازاه بالجنة، ومَن أساء عاقبه بالنار، فالله يغفر لمن يشاء بفضله، ويعذّب من يشاء بعدله، ولله وحده ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، وإليه وحده المرجع.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾

يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد انقطاع من الرسل وشدة الحاجة إلى إرساله؛ لئلا تقولوا معتذرين: ما جاءنا رسول يبشرنا بثواب الله، وينذرنا عقابه، فقد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم مبشرًا بثوابه ومنذرًا عقابه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ومن قدرته إرسال الرسل، وخَتْمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• أن الإيمان بالرسل ونصرتهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الوجه المطلوب، سببٌ عظيم لحصول معية الله تعالى وحدوث أسباب النصرة والتمكين والمغفرة ودخول الجنة.

• نقض المواثيق الملزمة بطاعة الرسل سبب لغلظة القلوب وقساوتها.

• ذمّ مسالك اليهود في تحريف ما أنزل الله إليهم من كتب سماوية.

• تَرْك العمل بمواثيق الله وعهوده قد يوجب وقوع العداوة وإشاعة البغضاء والتنافر والتقاتل بين المخالفين لأمر الله تعالى.

• الرد على النصارى القائلين بأن الله تعالى تجسّد في المسيح عليه السلام، وبيان كفرهم وضلال قولهم.

• من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى إن أراد أن يهلك المسيح وأمه عليهما السلام وجميع أهل الأرض فلن يستطيع أحد ردّه، وهذا يثبت تفرّده سبحانه بالأمر وأنه لا إله غيره.

• من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى يُذَكِّر بكونه تعالى: {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ}، فهو يخلق من الأبوين، ويخلق من أم بلا أب كعيسى عليه السلام، ويخلق من الجماد كحية موسى عليه السلام، ويخلق من رجل بلا أنثى كحواء من آدم عليه السلام.

• تعذيب الله تعالى لكفرة بني إسرائيل بالمسخ وغيره يوجب إبطال دعواهم في كونهم أبناءَ الله وأحبّاءَه.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ١٢-١٩ من المختصر في التفسير

📕]>التفسير]

🖊]> التعليق]

۞﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(١٢)

📕 ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل بما سيأتي ذكره قريبًا،

🖊 قال الله تعالى: "وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" يخبر الله سبحانه وتعالى أنه أخذ الميثاق على بني اسرائيل، والميثاق هو العهد المؤكد المُغلّظ، قالوا: بما سيأتي ذكره قريبا، يعني في قوله "لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ" الخ.

📕 وأقام عليهم اثني عشر رئيسًا،

🖊 قال: "وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا" يعني أنه أقام على بني إسرائيل اثني عشر رئيسًا وعَرِيفًا وأمينًا بعدد فروعهم وقبائلهم، كما جاء في قوله تعالى: (۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)[١] يعني بعدد قبائلهم.

📕 كل رئيس يكون ناظرا على من تحته ، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بالنصر والتأييد

🖊 قال: "وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ" أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال لبني إسرائيل إن التزموا بالميثاق وتمسّكوا به أنه معهم معية خاصة بالنصر والتأييد، وليست المعية هنا معية عامة؛ لأن الله مع جميع الخلق بعلمه واطلاعه واحاطته، فالمعية هنا معية خاصة لكنها مشروطة إن قاموا بالعهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم.

---

[١] [سورة البقرة ٦٠]

■ إذا أديتم الصلاة على الوجه الأكمل،

✎ قال: "لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ" إقامة الصلاة هو أداؤها على الوجه الأكمل وليس مجرد أدائها كيفما اتفق.

■ وأعطيتم زكاة أموالكم،

✎ قال: "وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ" والمراد إعطاء الزكاة المفروضة؛ بدليل أنه ذكر بعدها بقليل: "وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا" وهذا في عموم الإنفاق في وجوه الخير يعني الإنفاقَ المستحب.

■ وصَدَّقْتم برسلي جميعًا دون تفريق بينهم، وعظمتموهم، ونصرتموهم،

✎ قال: "وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي" يعني بجميع رسلي، دون تفريق بينهم -وذلك بالإيمان ببعضهم دون بعض-، قال: "وَعَزَّرْتُمُوهُمْ" معنى عزرتموهم أي عظمتموهم التعظيم اللائق بهم ونصرتموهم ولم تخذلوهم.

■ وأنفقتم في وجوه الخير،

✎ هذا معنى "وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا" إقراض الله قرضًا حسنًا يكون بالصدقة في وجوه الخير.

■ فإذا قمتم بذلك كله لأكفرن عنكم السيئات التي ارتكبتموها، ولأدخلنكم يوم القيامة جنات تجري الأنهار من تحت قصورها،

✎ قال: "لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" يعني إذا أديتم ما أُخِذ عليكم العهدُ والميثاقُ أن تؤدوه فإن الله سيجمع لكم بين حصول المحبوب -وذلك بدخول الجنة- واندفاع المكروه -وذلك بتكفير السيئات ودفع ما يترتب عليها من العقوبات-.

■ فمن كفر بعد أخذ هذا العهد الموثق عليه فقد تنكّب طريق الحق عالمًا عامدًا.

✎ قال: "فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ" يعني بعد أخذ العهد والميثاق عليه "فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" يعني أنه

عدل عن سواء السبيل يعني عن الطريق المستقيم فاستحق ما يستحق الضالون من حرمان الثواب وحصول العقاب.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١٣)

📕 فبسبب نقضهم العهد المأخوذ عليهم طردناهم من رحمتنا،

✍ قال تعالى: "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ" فبما نقضهم أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أُخِذ عليهم فلم يلتزموا به ولم يقوموا به؛ عوقبوا بعدة عقوبات، قال: "لَعَنَّاهُمْ" أي طردناهم من رحمتنا.

📕 وصيرنا قلوبهم غليظة صلبة لا يصل إليها خير، ولا تنفعها موعظة،

✍ قال: "وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" عاقبهم الله بأن جعل قلوبهم غليظةً صلبة لا تنتفع بالمواعظِ والآيات، وهذا من أعظم العقوبات على العبد أن يكون قلبُه بهذه الصفة التي لا يفيده هدى ولا يدله على الخير بل قد يرغّبه في كل شر وبلاء وفتنة، وقد قال الله سبحانه وتعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)[٢] لكن القلوب إذا صارت قاسيةً وأشد قساوةً من الحجارة فإنها لا تخشى اللهَ ولا تخاف منه. نسأل الله السلامة والعافية.

📕 يُحَرِّفُونَ الكلم عن مواضعه بالتبديل لألفاظه، وبالتأويل لمعانيه بما يوافق أهواءهم،

✍ قال: "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ " يعني يحرفون كلام الله سبحانه وتعالى الذي أنزله عليهم من التوراة، يحرفونه عن مواضعه، فيبَدلون ألفاظه ويكتمون بعضها أو يؤولون معانيه إن لم يبدلوا ألفاظه فيؤولون المعاني بما يوافق أهواءهم.

---

[٢] [سورة البقرة ٧٤]

■ وتركوا العمل ببعض ما ذُكِّرُوا به،

✍ قال: "وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ" وهذا النسيان يشمل نسيان العلم بأن يضيعَ عنهم وينسَوه، ولا يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم، ويشمل كذلك نسيان العمل، والمراد بنسيان العمل ترك العمل، فيتركونه ولا يوفَّقون للقيام ببعض ما أُمِروا به.

■ ولا تزال – أيها الرسول – تكتشف منهم خيانة لله ولعباده المؤمنين، إلا قليلاً منهم وَفَّوْا بما أخذ عليهم من عهد،

✍ قال: "وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ" يعني لا يزال الموجودون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والذين جاؤوا من بعدهم كذلك على طريقة أسلافهم في نقض المواثيق والعهود، فلا تزال تكتشف منهم خيانة لله ولعباده المؤمنين "إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ"، وهؤلاء القليل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ودخلوا في الإسلام.

■ فاعفُ عنهم ولا تؤاخذهم، واصفح عنهم؛ فإن ذلك من الإحسان، والله يحب المحسنين.

✍ أمره الله بأن يعفوَ عنهم وعن سوء معاملتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وبألّا يؤاخذهم وبأن يصفح عنهم إلى أن يأتيه أمر الله سبحانه وتعالى بغير ذلك، وهذا من الإحسان لعل الله أن يهديهم ويفتح على قلوبهم، والله يحب المحسنين الذين يُحسنون في عبادة الله ويُحسنون إلى عباد الله.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(١٤)

■ وكما أخذنا على اليهود عهدًا مؤكدًا موثقًا أخذنا على الذين زَكَّوْا أنفسهم بأنهم أتباع عيسى عليه السلام، فتركوا العمل بجزء مما ذُكِّرُوا به، كما فعل أسلافهم من اليهود،

✍ قال تعالى: " وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ" يعني حتى النصارى قد أخذ الله عليهم الميثاق والعهد "فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ" وهذا النسيان كذلك يشمل النسيان العلميَّ والنسيان العمليّ "فَنَسُوا

حَظًّا" يعني نصيبًا "مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ".

▪ وألقينا بينهم الخصومة والكراهة الشديدة إلى يوم القيامة، فأصبحوا متقاتلين متناحرين يُكَفِّرُ بعضهم بعضًا،

✎ قال: "فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" عاقبهم الله على تركهمُ العمل بشيء مما ذُكِّروا به؛ بأن ألقى بينهم الخصومة والعداوة بين فِرَقهم وطوائفهم إلى يوم القيامة، وهذا تحذير من الله سبحانه وتعالى للمسلمين أن يتركوا العمل بشيء مما ذُكروا به في كتابهم حتى لا يعاقَبوا بالقاء العداوة والبغضاء بينهم. والله المستعان.

▪ وسوف يخبرهم الله بما كانوا يصنعون، ويجازيهم عليه.

✎ قال: "وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" يعني يوم القيامة، ويجازيهم على أعمالهم.

▪ ولما ذكر الله أهل الكتاب وما أخذ عليهم من العقود ونقضهم لها أمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾(١٥)

▪ يا أهل الكتاب من اليهود أصحاب التوراة، والنصارى أصحاب الإنجيل، قد جاءكم رسولنا محمد صلّى الله عليه وسلّم يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمونه من الكتاب المنزل عليكم، ويتجاوز عن كثير من ذلك مما لا مصلحة فيه إلا افتضاحكم،

✎ قال: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ" هنا، الله سبحانه وتعالى يحتجُّ على أهل الكتاب بدليلٍ قاطعٍ من دلائل صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته؛ وذلك أنه بيّن لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم النبي الأُميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب قد بين لأهل الكتاب -وهم أهل العلم الذين يُشار إليهم بالبنان- بين لهم كثيرا مما كانوا يخفونه عن الناس

مما هو موجود في كتبهم، فإذا كان قد بين لهم ذلك -وهو النبي الأُميّ الذي لا يقرأ ولا يكتب-؛ فقد تبين أنه رسول من عند الله سبحانه وتعالى يوحي اللهُ إليه بذلك، ثم أخبر أنه يعفو عن كثير بمعنى أنه يتجاوز عن كثير مما كتمتموه ويترك بيانَه لأنه لا مصلحة في إظهارِه.

قد جاءكم القرآن كتابًا من عند الله، وهو نور يُسْتضاء به، وكتاب مبين لكل ما يحتاج إليه الناس في شؤونهم الدنيوية والأخروية.

قال: "قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ" يخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد جاءهم نور من عند الله سبحانه وتعالى وهو هذا القرآن الذي جعله الله نورا يُستضاء به، وجعله هداية لمن أراد الاهتداء من خلقه، "وَكِتَابٌ مُبِينٌ" أي كتاب واضح في براهينه ودلائله وحُجَجِه؛ فتقوم به الحُجة على من سمعه وتدبره وتأمل ما فيه.

﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١٦)

يهدي الله بهذا الكتاب من اتبع ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح إلى طُرقِ السلامة من عذاب الله،

أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذا القرآن يهتدي به من بحث عن الحق، ومن اتبع ما يرضي الله سبحانه وتعالى، فكلما اتبعت شيئا مما يرضي الله فتح الله لك من أبواب العلم والهدى والمعرفة والعمل بهذا القرآن الكريم ما يزيدك قربًا إلى الله وسيرًا في طريق الهداية، "يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ" أي طرق السلامة التي توصله إلى الله سبحانه وتعالى وإلى جنته.

وهي الطرق الموصلة إلى الجنة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة بإذنه، ويوفقهم إلى الطريق القويم المستقيم طريق الإسلام.

قال: "وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ" من بحث عن الهداية وتدبر القرآن هداه الله وأخرجه من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة بإذن الله وتوفيقه، قال: "وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ" أي يوفقهم لسلوك الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١٧)

لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح عيسى ابن مريم، قل لهم - أيها الرسول -: من يقدر أن يمنع الله من إهلاك المسيح عيسى ابن مريم ويهلك أمه، ويهلك من في الأرض كلهم إذا أراد إهلاكهم؟!

قال الله: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" أخبر الله إخبارًا جازمًا قاطعًا أن الذين يقولون أن الله هو المسيح ابن مريم أنهم كفار، ثم رد عليهم فقال: "قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" يعني لا يستطيعُ أحدٌ أن يمنعَ اللهَ سبحانه وتعالى من إهلاك المسيح عيسى ابن مريم وإهلاك أمِّه بل وإهلاك من في الأرض جميعا لأنه هو الملك الحق سبحانه وتعالى، فلو كان المسيح ابن مريم إلاها كما يدعون لاستطاع أن يدفع قضاء الله إذا جاءه بإهلاكه أو بإهلاك أمه أو بإهلاك من في الأرض جميعا، والواقع أن أمَّ عيسى عليه السلام قد ماتت فلم يدفع عنها عيسى الموت، ولا يستطيع كذلك أن يدفع عن نفسه الموت إذا جاءه؛ لأنهما عبدان من عباد الله لا يقدران على دفع الهلاك عن أنفسهما فضلا عن غيرهما، فهذا دليل على أنهما بشر كسائر بني آدم، ولكن الله سبحانه وتعالى فضّل عيسى ابن مريم عليه السلام بأن جعله نبيًّا وجعله من أولي العزم من الرسل .

وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك دلَّ ذلك على أنه لا إله إلا الله، وأن الجميع: عيسى ابن مريم وأمه وسائر الخلق هم خَلْقُ الله، ولله ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، يخلق ما يشاء، وممن شاء خلقه: عيسى عليه السلام؛ فهو عبده ورسوله، والله على كل شيء قدير.

أخبر الله سبحانه وتعالى أن له ملك السماوات والأرض وما بينهما، فهو الذي يملك كل شيء، وهو

الذي يخلق ما يشاء، ويخلق كيف يشاء؛ إذا أراد أن يخلق من أب وأم خلق، وإذا أراد أن يخلق من أم فقط خلق، بل إذا أراد أن يخلق الحي من الجماد خلق، فهو القادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨)

وادعى كلٌّ من اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه،

زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، والابن هنا يراد به الحبيب، ولم يريدوا البنوة الحقيقية كما ادعته النصارى في المسيح عيسى ابن مريم، وإنما أرادوا أنهم محبوبون لله سبحانه وتعالى.

قل - أيها الرسول - ردًّا عليهم: لماذا يعذبكم الله بالذنوب التي ترتكبونها؟! فلو كنتم أحباءه كما زعمتم لما عذبكم بالقتل والمسخ في الدنيا، وبالنار في الآخرة؛ لأنه لا يعذب من أحب،

قال: "قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ" يعني لو كنتم أبناء الله وأحباءه -كما تزعمون- لما عذبكم، وأنتم تعلمون أنه عذب أسلافكم بالقتل أحيانا، وبالمسخ أحيانًا، فكيف تدعون أنكم أبناء الله وأحباؤه.

بل أنتم بشر كسائر البشر، مَنْ أحسن منهم جازاه بالجنة، ومن أساء عاقبه بالنار، فالله يغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله،

قال: "بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ" يعني مثلكم مثل سائر البشر، إن أحسنتم وآمنتم برسل الله جزاكم الله بالجنة، وغفر لكم ذنوبكم، وإن أسأتم وكفرتم وعاندتم عاقبكم الله بالنار، فلا فضل لكم على غيركم من سائر البشر.

ولله وحده ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، وإليه وحده المرجع.

قال: "وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" يعني أننا جميعًا راجعون إليه سبحانه لنلقى حسابنا وجزاءنا يوم القيامة.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٩)

يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قد جاءكم رسولنا محمد صلّى الله عليه وسلّم بعد انقطاع من الرسل وشدة الحاجة إلى إرساله؛

الله سبحانه وتعالى يبين لأهل الكتاب أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد جاءهم بعد انقطاع من الرسل؛ وذلك أنه لم يكن ثَمّة نبي بعد عيسى عليه السلام إلا محمدٌ صلى الله عليه وسلم؛ فالمفترض أن يشكروا نعمةَ الله سبحانه وتعالى على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وألا يكفروا، وقد جاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم عندما اشتدت الحاجة إلى إرساله؛ وذلك أنه انتشر الكفر والظلم في الأرض فجاءت بعثته رحمة للناس وهداية لهم.

لئلا تقولوا معتذرين: ما جاءنا رسول يبشرنا بثواب الله، وينذرنا عقابه، فقد جاءكم محمد صلّى الله عليه وسلّم مبشرًا بثوابه ومنذرًا عقابه،

قال: "أَنْ تَقُولُوا" أي لئلا تقولوا "مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ" وهو محمد صلى الله عليه وسلم يبشركم بثواب الله لمن أطاع الله، وينذركم عقاب الله لمن عصى الله.

والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ومن قدرته إرسال الرسل، وخَتْمهم بمحمد صلّى الله عليه وسلّم.

قال: "وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" ومن قدرته أنه يقدر على بعثة الرسل في الزمان الذي يشاء، والمكان الذي يشاء، ومن نسل من يشاء؛ لأن أهل الكتاب اعترضوا على أن محمدا صلى الله عليه وسلم من نسل إسماعيل؛ فالله سبحانه وتعالى هو الذي يخلق ما يشاء ويختار.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

- 📕 أن الإيمان بالرسل ونصرتهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الوجه المطلوب، سببٌ عظيم لحصول معية الله تعالى وحدوث أسباب النصرة والتمكين والمغفرة ودخول الجنة.

🖊 الإيمان بالرسول، ونصرة الرسل، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة على الوجه المطلوب شرعا سبب لحصول معية الله تعالى المعية الخاصة بالنصر والتأييد والمغفرة ودخول الجنة، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: "وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ"

- 📕 نقض المواثيق الملزمة بطاعة الرسل سبب لغلظة القلوب وقساوتها.

🖊 مَن نقض المواثيق والعهود التي بينه وبين الله سبحانه وتعالى -ومن أعظمها الإيمانُ بالرسل وطاعتُهم- فإن ذلك يؤدي إلى غلظة قلبه وقساوته؛ وذلك من أعظم العقوبات التي يُعاقَب به العبد في الدنيا، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً"

- 📕 ذم مسالك اليهود في تحريف ما أنزل الله إليهم من كتب سماوية.

🖊 الله سبحانه وتعالى ذم اليهود على تحريفهم لكتاب الله سبحانه وتعالى، وهذا تحذير للمسلمين أن يقعوا في تحريف كلام الله ولو كان تحريفا في معناه، وهذا مأخوذ من قوله تعالى "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ".

- 📕 ترك العمل بمواثيق الله وعهوده قد يوجب وقوع العداوة وإشاعة البغضاء والتنافر والتقاتل بين المخالفين لأمر الله تعالى.

🖊 مَن ترك العمل بالواجبات الشرعية وتركَ المحرمات فإن هذا يوجب وقوع العداوةِ والبغضاءِ بين الناس، بل قد يؤدي إلى التقاتل بينهم، قال الله تعالى في النصارى: "وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ" قال: فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ". نسأل الله السلامة والعافية.

- 📕 الرد على النصارى القائلين بأن الله تعالى تجسد في المسيح -عليه السلام-، وبيان كفرهم وضلال قولهم.

🖋 رد الله عليهم وبين بأنهم كفار، في قوله: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ".

- 📕 من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى إن أراد أن يهلك المسيح وأمه -عليهما السلام- وجميع أهل الأرض فلن يستطيع أحد رده، وهذا يثبت تفرده سبحانه بالأمر وأنه لا إله غيره.

🖋 سبق هذا وبيانه؛ أن الله سبحانه وتعالى هو المالك، وهو القادر الذي يقدر على كل شيء، ولا يمنعه أحد من شيء، فدل على ألوهية الله سبحانه وتعالى وبطلان كل ألوهية مُدَّعَاة لغيره، قال: "قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" سبحانه وتعالى.

- 📕 من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى يُذَكِّر بكونه تعالى {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ}، فهو يخلق من الأبوين، ويخلق من أم بلا أب كعيسى -عليه السلام-، ويخلق من الجماد كحية موسى -عليه السلام-، ويخلق من رجل بلا أنثى كحواء من آدم -عليه السلام-

🖋 الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء يخلق ما يشاء، فعامة المخلوقات مخلوقة من ذكر وأنثى، لكنه مع ذلك خلق من أم بلا أب كعيسى عليه السلام، وخلق من رجل بلا أنثى كحواء، بل خلق من الجماد كحية موسى عليه السلام.

- 📕 تعذيب الله تعالى لكفرة بني إسرائيل بالمسخ وغيره يوجب إبطال دعواهم في كونهم أبناء الله وأحباءه.

🖋 الذين ينزل عليهم عذاب الله سبحانه وتعالى فإنهم ليسو محبوبين لله، بل إنما يحب الله سبحانه وتعالى الطائعين من عباده ولا ينزل عليهم عذابه، قال: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ" فدل على أنه لا يعذب من يحب في هذه الدنيا ولا في الآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (١٢-١٩)

الكلمة	المعنى
نَقِيبًا	رئيسًا وأمينًا
إنّي مَعَكُم	إني مُنَاصِرٌ ومُؤَيّدٌ لكم
وعَزّرتُمُوهُم	وعَظّمتُمُوهم ونَصَرتُمُوهم
وأَقرَضتُمُ الله قَرضًا حَسَنًا	وأَنفَقْتُم في وُجُوه الخير ابتِغاءَ وَجهِ الله
ضَلّ سَوَاء السَّبِيل	أَخطَأَ طريقَ الحقّ
فَبِمَا نَقضِهِم مِيثَاقَهُم	فَبِسَبَبِ نَقضِهِم عَهدَهُم
لَعَنَّاهُم	طَرَدْنَاهُم من رَحْمَتِنَا
قَاسِيَة	غَلِيظَةً لا تنتفع بالآيات والعظات
يُحرِّفُون الكَلِم	يُغيّرون كلامَ الله ويُؤَوِّلُونه بالباطل
ونَسُوا حَظًا	وتَرَكُوا نصيبًا
على خَائِنَةٍ منهم	على خِيَانةٍ من اليهود
فَأَغْرَيْنَا بَينهُم	فهيّجْنا وألْقينا بينهم
ويَعفُوا	ويَتَجَاوَز
سُبُل السّلام	طُرُق السّلامة الّتي شَرَعَهَا الله
على فَترةٍ من الرُّسُل	بعد انقطاعِ الرّسُل مُدّة
أنْ تَقُولُوا	لِئَلّا تَقُولُوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ١٢-١٩

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية الثانية عشرة وحتى الآية التاسعة عشرة.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) هل يصح الوقف هنا؟

جوّز الوقف هنا السجاوندي والأشموني، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، ووجَّهَه السجاوندي بأنه للعدول من الإخبار إلى الحكاية مع اتحاد القصة، بمعنى: أنه لم يجعله وقفا كافيا لاتّحاد القصة، وجوّز الوقف للعدول من الإخبار إلى الحكاية، أي: لأن الجملة الأولى بصيغة الغائب: (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل)، ثم بصيغة المتكلم في الجملة الثانية: (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا)، وبناء عليه فإن الوقف هنا له وجه، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وهذا مثل سابقه، فبعد أن جاءت جملة بصيغة المتكلم في قوله: (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا)، عُطفت عليها جملة بصيغة الغائب في قوله: (وقال الله إني معكم)، فصحّ الفصل بينهما. والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وقال الله إني معكم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه معهم بنصرهم على عدوّهم، وانتهى هذا الإخبار هنا، ثم جاءت جملة قسَم في قوله: (لَئن أقمتم الصلاة)، هذه اللام هي الموَطِّئة للقسم، ولا ينبغي أن يُتوهم أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه معهم إن أقاموا الصلاة، أي: بشرط أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة إلى آخر ما ذكر، لدخول لام القسم، فلو لم توجد لام القسم لكان هذا محتملا، لكن لما جاءت لام القسم علمنا أنها جملة مستأنفة. فلام القسم في قوله (لَئن) دخلت عليها (إنْ) الشرطية، ثم قال: (أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا)، هذه كلها جمل معطوفة على فعل الشرط في قوله: (أقمتم الصلاة)، فهذه كلها شروط لتحقق النتيجة الواردة في جواب القسم في قوله: (لأكفرنّ عنكم سيئاتكم).

فإذا قرأ القارئ: (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم) اتضح المعنى تماما.

وجواب الشرط هنا محذوف دل عليه جواب القسم، فهذا الشرط إن تحقق بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل وتعزيرهم وإقراض الله قرضا حسنا، كانت النتيجة ما ورد في جواب القسم من تكفير السيئات وإدخالهم الجنات.

فلا وقف بعد الوقف على قوله (إني معكم) إلا على قوله: (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) كما نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وذلك أن جملة القسم لم تنتهِ إلا هنا، فإنّ ما أقسم الله سبحانه وتعالى عليه وعد عليه بثوابين: الأول: تكفير السيئات في قوله: (لأكفرنّ عنكم سيئاتكم)، والثاني: إدخال الجنات التي تجري من تحتها الأنهار في قوله: (ولأدخلنّكم جنات تجري من تحتها الأنهار)، فلا وقف إلا هنا. ثم جاءت بعد ذلك جملة شرطية جديدة في بيان حال من كفر بالله سبحانه وتعالى في قوله: (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل).

الآية التي تليها: (فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم) هل يصح الوقف هنا؟

جوَّز الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى: (وجعلنا قلوبهم قاسية) معطوفة على قوله (لعنَّاهم)، وكلا الجملتين نتيجة وعقوبة لنقضهم الميثاق، فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم، وبما نقضهم ميثاقهم جعلنا قلوبهم قاسية، هذا هو تقدير الجملة، وبناء عليه لا يصح الوقف على قوله: (لعنَّاهم)، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وجعلنا قلوبهم قاسية)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن عقوبة نقضهم الميثاق انتهت هنا، ثم بيَّن الله سبحانه وتعالى حالهم بجملة مستأنفة في قوله: (يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه)، فصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه)؟

جعل الأشموني الوقف هنا حسنا، وجعله الأنصاري صالحا، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، بل منع منه السجاوندي وقال: لأن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (ونسوا) حال بعد حال، أي: وقد نسوا حظا مما ذكروا به.

وإذا تأملنا فإن قوله: (ونسوا حظا مما ذُكِّروا به) هو من تتمة بيان موقفهم من كتابهم، فحرَّفوا بعض كَلِمه ونسوا حظا منه، فالأولى الوصل هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ونسوا حظا مما ذُكِّروا به)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الله سبحانه وتعالى بعد أن بيّن حال أسلافهم في الماضي مع كتابهم بيّن حالهم المستقبلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في قوله: (ولا تزال تطّلع على خائنةٍ منهم إلا قليلا منهم)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (إلا قليلاً منهم)؟

الجواب: نعم، نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن حالهم وتعاملهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمسلمين في المستقبل قد انتهى بيانه هنا في جملة خبرية، ثم جاء أمر في كيفية التعامل معهم فقال: (فاعف عنهم واصفح)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فاعفُ عنهم واصفح)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر بكيفية التعامل معهم قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بإنّ في قوله: (إن الله يحب المحسنين)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأنه لم يتم بيان حالهم عندما أُخذ منهم الميثاق، وإنما تمام بيان حالهم بعد أخذ الميثاق عليهم في جملة: (فنسوا حظا مما ذُكِّروا به)، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فنسوا حظا مما ذُكِّروا به)؟

جوَّز الوقف هنا الأشموني، ورخَّص فيه السجاوندي، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى بيَّن حالهم مع كتابهم وأنهم نسوا حظا مما ذُكِّروا به، ثم بيَّن عقوبة نسيانهم لشيء من كتابهم في قوله: (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)، فالوقف هنا له وجه، للفصل بين بيان حالهم وبيان عقوبتهم، والوصل أولى. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن ذكر العقاب الدنيوي قد انتهى هنا، ثم بين الله عقابهم الأخروي بجملة بصيغة المستقبل في قوله: (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ويعفوا عن كثير) هو من تتمة بيان حال الرسول عليه الصلاة والسلام من أنه جاء مبينا لهم لكثير مما أخفوه من كتابهم، ومتجاوزا عن كثير منه أيضا، فإنه لم يبين لهم كل ما أخفوه من كتابهم، فلا تستقيم الجملة إلا بقوله: (ويعفوا عن كثير).

ثم يصح الوقف على قوله: (ويعفوا عن كثير) كما نص عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ لأن حال النبي عليه الصلاة والسلام من بيان ما جاء في كتابهم قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ (قد) في قوله: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)، فصح الفصل بينهما، وقوله: (ويعفوا عن كثير) رأس آية في غير الكوفي. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن ههنا جمل معطوفة على بعضها، وكل جملة قائمة بنفسها في بيان المراد، فكل جملة منها مستقلة.

فالجملة الأولى: (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام).

والجملة الثانية: (ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه)، ويصح الوقف هنا أيضا كما نص عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء.

ثم الجملة الأخيرة في الآية (ويهديهم إلى صراط مستقيم).

فيصح الفصل بين الجمل المعطوفات على بعضها لاستقلالها في بيان المراد منها، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى هنا حكاية قول الكفار، ثم بدأ الجواب عنهم في قوله: (قل فمن يملك من الله شيئا...) إلى آخر الجملة، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الاستفهام قد انتهى هنا، وهو الاستفهام الذي بدأ بقوله: (فمن يملك)، ثم جاءت جملة تقريرية لبيان عظمة ملك الله سبحانه وتعالى في قوله: (ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما)؟

صحَّح الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، ولم ينص عليه آخرون، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (يخلق ما يشاء) تحتمل هذه الجملة أن تكون مستأنفة، ولعل هذا هو الأقرب؛ لأنها جملة فعلية بعد جملة اسمية. وتحتمل أن تكون خبرا بعد خبر، فالله سبحانه وتعالى أخبر أنه مالك السماوات والأرض وما بينهما، وأنه خالق ما يشاء، لكن هذا التقدير فيه نوع بُعد. والله تعالى أعلم، فالله سبحانه وتعالى أخبر بالأمرين لا على أن الجملة الثانية خبر بعد خبر، بل هي جملة قائمة بنفسها مستقلة، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (يخلق ما يشاء)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الفعلية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في قوله: (والله على كل شيء قدير) في بيان عموم قدرة الله سبحانه وتعالى، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن حكاية قول اليهود والنصارى قد انتهى هنا، ثم جاء الجواب عليهم في قوله: (قل فلِمَ يعذبكم بذنوبكم)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (قل فلِمَ يعذبكم بذنوبكم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الاستفهامية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة خبرية تخبر بحقيقة حالهم، فالاستفهام الإنكاري عليهم قد انتهى في قوله: (فلِمَ يعذبكم بذنوبكم)، يعني: بما أنكم أبناء الله وأحباؤه، ثم أخبر بأنهم بشر ممن خلق، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (بل أنتم بشر ممن خلق)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن قوله بعدها: (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) جملة فعلية مستأنفة بعد جملة اسمية في قوله: (بل أنتم بشر ممن خلق).

وإذا نظرنا إليها معنويا فإنه لا يصح الوقف لئلا يُوهم بأن الكفار من اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قد يغفر الله لهم. فلو قرأ قارئ: (بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لأوهم أنهم قد يستحقون المغفرة كما يستحقها من يستحقها من عامة المسلمين المذنبين، وهذا غير صحيح، بل من مات على كفره فإنه لا يُغفر له، كما قال الله سبحانه وتعالى: (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، فالصحيح الوقف على قوله: (بل أنتم بشر ممن خلق).

وهل يصح الوقف على قوله: (يغفر لمن يشاء)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأنه ينبغي الجمع بين جملة الترغيب والترهيب خاصة إذا جاءت جملة الترغيب في سياق يحتاج إلى ترهيب كهذا السياق الذي ادَّعى فيه اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم يستحقون المغفرة، فلا ينبغي والحالة هذه أن يوقف على جملة الترغيب لوحدها في قوله: (يغفر لمن يشاء)، بل لا بد من الجمع بين أن الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وبناء عليه لا يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ويعذب من يشاء)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه أن الجملتين اللتين بيَّنتا مغفرة الله لمن يشاء وتعذيبه من يشاء قد انتهتا هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في بيان عموم ملك الله سبحانه وتعالى في قوله: (ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة التي بيَّنت عموم ملك الله سبحانه وتعالى قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة في بيان أن العباد سيبعثون إلى الله سبحانه وتعالى ويصيرون إليه في قوله: (وإليه المصير)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن قوله: (أن تقولوا) متعلق بما قبله، وتقدير الجملة: أن الله أخبر أهل الكتاب بأنه قد جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم بعد فترة من انقطاع الرسل لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فـ (أن تقولوا) على تقدير: لئلا تقولوا، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير)؟

صحَّح الوقف هنا وجوَّزه وحسَّنه بعض علماء الوقف والابتداء، ولم ينص عليه البقية، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (فقد جاءكم بشير ونذير) هي جملة معطوفة على جملة: (قد جاءكم رسولنا)، ووقع بينهما عارض في قوله: (يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير)، وهي جملة معطوفة مستقلة بنفسها، لكنها مرتبطة بما قبلها، للجواب على: ألا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، وبناء عليه فالوقف هنا محتمل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فقد جاءكم بشير ونذير)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في قوله: (والله على كل شيء قدير)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ١٢-١٩

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

قال ابن كثير: «لمّا أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه، الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل، وذكّرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة فيما هداهم له من الحق والهدى، شرع يبيّن لهم كيف أَخَذ العهود والمواثيق على مَن كان قبلهم من أهل الكتابين: اليهود والنصارى، فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعنًا منه لهم، وطردا عن بابه وجنابه، وحجابا لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق، وهو العلم النافع والعمل الصالح. فقال تعالى: {ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا} يعني: عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه.

وقد ذكر ابن عباس ومحمد بن إسحاق وغير واحد أن هذا كان لما توجه موسى عليه السلام، لقتال الجبابرة، فأمر بأن يقيم النقباء، من كل سبط نقيب... وهكذا لمّا بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة، كان فيهم اثنا عشر نقيبا». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٤).

وقال ابن عثيمين: «ينبغي للناس أن يتخذوا نقباء يرجعون إليهم في أمورهم، عند النزاع يكونون مصلحين، وعند الإشكال يكونون موضحين، وما أشبه ذلك، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، إذا كانوا ثلاثة في سفر أن يؤمروا أحدهم من أجل أن يوجههم ويدبر شؤونهم، ولا يكون الأمر فوضى». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٧٧).

﴿وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

قال البغوي: «{وقال الله إني معكم} ناصركم على عدوكم، ثم ابتدأ الكلام فقال: {لئن أقمتم الصلاة}». «تفسير البغوي» (٣/ ٣١).

وقال ابن عثيمين: «الصلاة والزكاة مفروضة على الأمم السابقة... لكن لا يلزم من كونها مفروضة أن تكون مماثلة لما وجب علينا في الكيفية والوقت والمقدار... وهذا كقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، فالتشبيه هنا للفرض، شَبَّه الفرض بالفرض، ولا يلزم أن يكون صيامهم كصيامنا، وبقي الحج فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمم السابقة كان الحج مشروعًا في حقهم، فهذه الأركان العظيمة -أركان الإسلام- مشروعة عند كل أمة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٨٣).

وقال ابن عثيمين: «{وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ} أي: إلى مستحقها. ولهذا نقول: إن "آتى" تنصب مفعولين: الأول: الزكاة، والثاني: محذوف، أي: آتيتم الزكاة أهلها، وسميت زكاة لأنها تزكّي أخلاق باذلها، تزكيها يعني تنميها، فإن بذل المال ينمّي الأخلاق بلا شك، وإذا أردت أن ينشرح صدرك فأكثر من النفقة لكن بدون إسراف». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٧١).

وقال ابن عثيمين: «يجب على بني إسرائيل الإيمان بجميع الرسل وعلى رأسهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تعالى لم يتكفل لهم بهذا الثواب إلا إذا آمنوا برسله، لقوله: {وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي}، ومن المعلوم أنّ من كذّب رسولًا واحدًا فقد كذّب جميع الرسل، كما قال الله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ}، مع أنه لم يسبق رسول قبل نوح، لكن لما كذّبوا نوحًا صار تكذيبهم إياه تكذيبًا لجميع الرسل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٨٤).

وقال ابن عثيمين: «وجوب نصرة الرسل، لقوله: {وَعَزَّرْتُمُوهُمْ}، فنُصرتهم في حياتهم أن يكون معهم في الجهاد والدفاع وغير ذلك، ونُصرتهم بعد وفاتهم أن يَنصروا شرائعهم ويقيموها بين الناس، فواجب علينا نحن الآن أن ننصر شريعة النبي صلى الله عليه وسلم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٨٤).

وقال ابن عثيمين: «بيان فضل الله عزّ وجل على العباد، حيث إنَّه يعطيهم الرزق ثم يقول تعالى: {وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ}، وهو المعطي أولًا والمثيب ثانيًا، لقوله: {وَأَقْرَضْتُمُ}، والحكمة في التعبير عن الإنفاق في سبيل الله بالقرض، أن الله جعل الإنفاق في سبيله بمنزلة القرض الذي يلزم المستقرض أن يوفيه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٨٤).

وقال ابن عثيمين: «الأعمال الصالحة تكفّر الأعمال السيئة، لقوله تعالى: {لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}، ويدل لهذا قوله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أتبع السيئة الحسنة

تمحُها)». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٨٥).

وقال ابن عثيمين: «{وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} هذه معطوفة على قوله: {لَأُكَفِّرَنَّ}، وإذا جمعت بينها وبين أكفِّر، صار بها النجاة من المرهوب وحصول المطلوب، النجاة من المرهوب في قوله: {لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}؛ لأنها إذا كفِّرت لم يعاقب عليها، وحصول المطلوب في قوله: {وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، وبالتتبع والاستقراء نجد أن أغلب ما يكون تقديم النجاة من المرهوب، ليَرِدَ المطلوب على محلّ خالٍ مما يُرهِب، فتكون التصفية قبل التحلية؛ يعني: صَفِّ الشيء قبل أن تحلّيه، اكنس المكان قبل أن تفرشه، وتأمل الآن في القرآن والسنة وفي غيرهما أيضًا، تجد أن النفي غالبًا يكون مقدمًا على الإثبات: فكلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" قدّم فيها النفي على الإثبات؛ ليَرِدَ الإثبات على مكان خالٍ من الشوائب». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٧٣).

وقال ابن عثيمين: «قد نعتب على بعض الناس أن يفسّر جنة المأوى بأنها البستان الكثير الأشجار، وأنها سميت بذلك لأن أشجارها ملتفّ بعضها إلى بعض، فهي تستر من فيها، نقول: هذا لا شك أنه يقلّل من تخيّل الجنة وأنها شيء عظيم، فنقول: الجنة: هي الدار التي أعدّها الله تعالى لأوليائه، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ هذا يهزّ المشاعر، ويوجب أن يسارع الإنسان ويسابق إليها». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٧٤).

وقال ابن عثيمين: «الأنهار: جمع نهر، وقد ذكر الله عز جل أنواعها في سورة القتال، قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}، فالأنهار أربعة أنواع كما تقدم.

فإن قال قائل: كيف نجمع بين قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}، فذكر نهرًا واحدًا وهنا ذكر أنهارًا؟

الجواب: الإفراد باعتبار الجنس فلا ينافي التعدد، فالمراد جنس الأنهار». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٨٦).

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾.

قال ابن تيمية: «ترك الواجب سبب لفعل المحرّم، قال تعالى: {ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم

فنسوا حظا مما ذكّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة}، فهذا نصّ في أنهم تركوا بعض ما أمروا به، فكان تركه سببا لوقوع العداوة والبغضاء المحرّمين، وكان هذا دليلا على أن ترك الواجب يكون سببا لفعل المحرّم كالعداوة والبغضاء، والسبب أقوى من المسبب. وكذلك قال في اليهود: {فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به}، فنقض الميثاق ترك ما أمروا به؛ فإن الميثاق يتضمن واجبات». «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٠٩-١١٠).

وقال السعدي: «{وجعلنا قلوبهم قاسية} أي: غليظة، لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغّبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة». «تفسير السعدي» (ص٢٢٥).

وقال ابن عثيمين: «كلما عصى الإنسان ربه قسا قلبه، لقوله: {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}، عكس ذلك أن نقول: كلما أطاع الإنسان ربه لان قلبه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٩٧).

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

قال السعدي: «{نسوا حظا مما ذكّروا به} فإنهم ذكّروا بالتوراة وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظا منه، وهذا شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم.
وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوفّقوا للقيام بما أمروا به، ويستدلّ بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه مما نسوه». «تفسير السعدي» (ص٢٢٥).

وقال ابن عثيمين: «كل إنسان يحرّف الدليل فسيعطّل المدلول، وسيدّعي معنى لا يدل عليه اللفظ، فيكون جانيًا على النص من وجهين: الأول: تعطيل النص عمّا أريد به، والثاني: إثبات معنى لا يراد به». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٩٠).

وقال ابن عثيمين: «المعاصي سبب لقلة الفهم -أعني: فهم كلام الله عزّ وجل- أو للعدوان في فهمه، لقوله: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} وتحريف الكلم عن مواضعه: إما أن يكون سببه الجهل وفقد العلم، وإما

أن يكون سببه الاستكبار والعدوان». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٩٨).

وقال ابن عثيمين: «المعاصي سبب لنسيان ما ذُكِّر به الإنسان، وقد تقدم أن النسيان نوعان: نسيان علم ونسيان عمل، وهذا كله لا شك سبب. أما كون المعاصي سبب لنسيان العلم فقد دل عليه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}، فإذا كانت الهداية سببًا لزيادة العلم فالمعصية سببٌ لنقصانه، وأما كون المعاصي سببًا لنسيان الترك فلقول الله تبارك وتعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ}، يعني: إن تولّوا وأعرضوا فاعلم أن سبب ذلك هو أنهم أذنبوا، فأراد الله تعالى أن يصيبهم ببعض ذنوبهم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٩٨).

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

قال السعدي: «{ولا تزال تطّلع على خائنة منهم} أي: خيانة لله ولعباده المؤمنين.

ومن أعظم الخيانة منهم، كتمهم عمن يعظهم ويحسن فيهم الظن الحق، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة.

وهذه الخصال الذميمة حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم، فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأَخَذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة، وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذكّر به، وأنه لا بد أن يبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية». «تفسير السعدي» (ص٢٢٥).

وقال ابن عثيمين: «خيانة اليهود لا تزال باقية، لقوله: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ}... ومن تدبّر تاريخهم عرف أنهم على ما وصفهم الله لا يزالون خونة، وأنه لا يُفرح منهم بعهد، ولا يوثق منهم بوعد؛ إذ إنهم خونة، إن رأوا قوة في مقابلهم ضعفوا أمامها، إن رأوا ضعفًا قووا أمامه، فهم يتبعون مصالحهم، ولا يبالون بوفاء الوعد أو العهد أو عدم وفائه؛ لأنهم لا يزالون خونة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٩٩).

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال ابن كثير: «{فاعف عنهم واصفح} وهذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: ما عاملت مَن عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم،

ولهذا قال تعالى: {إن الله يحب المحسنين} يعني به: الصفح عمن أساء إليك.
وقال قتادة: هذه الآية {فاعف عنهم واصفح} منسوخة بقوله: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٦).

وقال ابن عثيمين: «حسن معاملة الإسلام لعدوه، وذلك حين أمر الله بالعفو عنهم والصفح، ولا سيما إذا ظهر النصر لنا، فحينئذٍ يأتي دور العفو؛ لأن العفو الحقيقي الذي يمدح عليه صاحبه هو: العفو مع القدرة، أما العفو مع العجز فهذا ليس بعفو، ولا يحمد عليه الإنسان». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٩٩).
وقال ابن عثيمين: «عدم المؤاخذة على الذنب من الإحسان، لقوله: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، فدلّ هذا على أن عدم المؤاخذة على الذنب يعتبر إحسانًا، وكثير من الناس لا يفهم من الإحسان إلا الشيء الإيجابي، يعني الإعطاء والصدقة والهدية والتبرع، وليس كذلك.
ويتفرع على هذه الفائدة أن فوات الأجر يعتبر عقوبة، فقوله صلى الله عليه وسلم: (من اقتنى كلبًا إلا كلب ماشية أو حرث أو صيد انتقص من أجره كل يوم قيراط)، هذه عقوبة، وإن كانت ليست عقوبة إيلام وتعذيب، لكن فوات محبوب.
ثم ليعلم أن أصل العفو ليس مشروعًا إلا إذا كان فيه إصلاح، فالعفو لا بد أن يكون في محلّه، ولذلك الله عزّ وجل اشترط في العفو أن يكون إصلاحًا فقال: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ}، ولهذا لو كان عفونا عن هذا الرجل يؤدي إلى تسلّطه وعدوانه على الناس لم نعف عنه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ١٩٩).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.
قال السعدي: «سمّى الله تعالى ما ذكّروا به حظا، لأنه هو أعظم الحظوظ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية، كما قال تعالى: {فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظّ عظيم}، وقال في الحظّ النافع: {وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو حظّ عظيم}». «تفسير السعدي» (ص٢٢٥).

وقال ابن عثيمين: «لم يقل: ومن النصارى، بل قال: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}، مع أنه في الآية الأخرى يثبت الله تعالى لهم هذا الوصف، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى}، لكن هنا قال: {قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}، وفائدة ذلك: إقامة الحجة عليهم حيث يدَّعون أنهم نصارى، وأنهم أهل نصرٍ للحق، ومع ذلك نسوا حظًّا مما ذكّروا به». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٠١).

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

قال البغوي: «{فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} بالأهواء المختلفة والجدال في الدين.

قال مجاهد وقتادة: يعني بين اليهود والنصارى.

وقال قوم: هم النصارى وحدهم، صاروا فرقا، منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية، وكل فرقة تكفّر الأخرى». «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢).

وقال ابن عثيمين: «{فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ} أي: ألقيناها بينهم، لكنه عبّر بالإغراء كأنّ كل واحد قد أغري بالآخر من شدة العداوة بينهم.

وقوله: {الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}، "العداوة": بالقول والفعل، و"البغضاء": بالقلب. يعني: فلا موالاة بينهم ولا موادة، بل العداوة التي هي ضد الولاية، والبغضاء التي هي ضد المودة.

وقوله: {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} يعني: حتى إلى وقتنا هذا، فالنصارى مختلفون متعادون، يضلّل بعضهم بعضًا، ويكفّر بعضهم بعضًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٠٢).

وقال ابن عثيمين: «إضاعة حق الله من أسباب إلقاء العداوة والبغضاء بين الناس، بمعنى أنك متى وجدت عداوة وبغضاء بين الناس، فهذا بسبب إعراضهم عن دين الله، لقوله: {فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا}... و"الفاء" للسببية... العكس يكون بالعكس، بمعنى أن الناس إذا قاموا بطاعة الله واتفقوا عليها فإن الله يُلقي بينهم المودة والمحبة والولاية». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٠٥).

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

قال ابن كثير: «هذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله، وما نسبوه إلى الرب عز وجل وتعالى وتقدّس عن قولهم علوا كبيرا، مِن جعلهم له صاحبة وولدا، تعالى الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٧).

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

قال السعدي: «لمّا ذكر تعالى ما أخذه الله على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأنهم نقضوا ذلك إلا قليلا منهم، أمرهم جميعا أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، واحتجّ عليهم بآية قاطعة دالة على صحة نبوته، وهي: أنه بيّن لهم كثيرا مما يُخفون عن الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم، فإذا كانوا هم المشار إليهم في العلم، ولا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا ما عندهم، فالحريص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم، فإتيان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن العظيم الذي بيّن به ما كانوا يتكاتمونه بينهم، وهو أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب من أدلّ الدلائل على القطع برسالته، وذلك مثل صفة محمد في كتبهم، ووجود البشائر به في كتبهم، وبيان آية الرجم، ونحو ذلك». «تفسير السعدي» (ص٢٢٦).

وقال ابن عثيمين: «الذين يطنطنون الآن ويريدون أن يقرّبوا بين الأديان ويقولون: إن الله سماهم أهل كتاب، زعمًا منهم أو إيهامًا منهم أن ذلك من باب التكريم لهم والرضا بما هم عليه، نقول: إن الله لم يخاطبهم بذلك تكريمًا لهم، وكيف يكون ذلك إكرامًا لهم؟ والله يقول: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}، لكنه ناداهم بهذا الوصف إقامة للحجة عليهم، وأن تصرّفهم أبعد ما يكون عن العقل، لأن أهل الكتاب يجب أن يكونوا أوّل عامل به». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢١١).

وقال ابن عثيمين: «محمد رسول الله مرسل إلى أهل الكتاب، لقوله: {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا}، وهو كذلك، حتى أقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يسمع به يهوديٌّ ولا نصراني ثم لا يؤمن بما جاء به إلا كان من أصحاب النار، فهو مرسل إليهم بالقرآن والسنة وإجماع المسلمين». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢١١).

وقال ابن عثيمين: «من كتم العلم من هذه الأمة ففيه شبه باليهود والنصارى؛ لأن هذا هو دأبهم، فمن كتم فقد شابههم في أقبح خصلة -والعياذ بالله- وهي كتمان ما جاءهم من العلم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢١٢).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

قال ابن عثيمين: «ما جاء به محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم كله نور، نور يشعّ، إن تأملت أخباره استنرت بها، وأحكامه كذلك، فهو نور يستنير به الإنسان في طريقه إلى الله عزّ وجل، وفي طريقه إلى معاملة عباد الله.

هو أيضًا نور في القلب، فكل من تمسك بشريعة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ازداد نورًا في قلبه، وفراسة واستنباطًا للأحكام الشرعية وغير ذلك.

هو أيضًا نورٌ في الوجه؛ لأن المتمسك بشريعة النبي عليه الصلاة والسلام لا بد أن يؤثّر ذلك عليه في مقاله وفعاله وحاله، فيستنير الوجه، ولهذا تجد للعلماء الربانيين نورًا في وجوههم يكاد يكون محسوسًا، أما المعنوي فمعلوم، حتى لو كان العالم الرباني جلده ليس بأبيض فإنه يستنير وجهه، والنور شيء واللون شيء آخر.

ونورٌ أيضًا في القبر، فإن الإنسان إذا كان مؤمنًا -جعلنا الله منهم- يُفسح له في قبره مد بصره ويأتيه من روح الجنة ونعيمها.

هو أيضًا نورٌ يوم القيامة، قال تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ}.

إذًا: فكلمة نور شاملة عامة في كل ما يمكن أن يكون فيه ظلمة فالدين الإسلامي ينيره». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢١٢).

وقال ابن عثيمين: «كلمة (مُبين)... يصح أن تكون متعدية أو لازمة، فإن كانت لازمة فالمعنى: أنه بيِّنٌ بنفسه، وإن كانت متعدية فالمعنى: أنه مبيّنٌ لغيره، والقرآن لا شك أن بيانه بنفسه وإبانته لغيره هو وصفه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢١٣).

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾.

قال البغوي: «{سبل السلام} قيل: السلام هو الله عز وجل، وسبيله دينه الذي شرع لعباده، وبعث به رسله. وقيل: السلام هو السلامة، كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد، والمراد به: طرق السلامة». «تفسير البغوي» (٣/ ٣٣).

وقال السعدي: «ذَكَر مَن الذي يهتدي بهذا القرآن، وما هو السبب الذي من العبد لحصول ذلك، فقال: {يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام} أي: يهدي به من اجتهد وحرص على بلوغ مرضاة الله، وصار قصده حسنا سبل السلام، التي تسلّم صاحبها من العذاب، وتوصله إلى دار السلام، وهو العلم بالحق، والعمل به، إجمالا وتفصيلا». «تفسير السعدي» (ص٢٢٦).

وقال ابن عثيمين: «{سُبُلَ السَّلَامِ} ولم يقل: سبيل السلام، مع أن التعبير الغالب أنه يعبر عن طريق الإسلام بالإفراد، وعن طرق الضلال بالجمع، لكن هنا لما قال: {اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ} تعيّن أن يكون المراد بالسبل هنا شرائع الإسلام؛ لأنه إذا كان متبعًا لرضوان الله فقد اهتدى وأسلم وآمن، لكن الإسلام له شرائع، وله سبل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٠٨).

وقال ابن عثيمين: «كلما اتبع الإنسان ما يرضي الله ازداد معرفة بشريعة الله، لقوله: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}، واذكرها بالعكس: مَن أعرض عن رضوان الله فإنه لا يُهدى سبل الله؛ لأنه ليس أهلًا للهداية، وعلى هذا فنقول لكل طالب علم: أتريد أن يهديك الله ويرزقك علمًا؟ سيقول: بلى، نقول: عليك باتباع رضوان الله، كلما رأيت شيئًا يرضي الله فافعله، وكلما رأيت شيئًا يغضب الله فاجتنبه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢١٥).

وقال ابن عثيمين: «طرق السلامة كثيرة متعددة، لقوله: {سُبُلَ السَّلَامِ}؛ فمثلًا: أركان الإسلام خمسة، كل واحد سبيل، أبواب الجنة ثمانية، كل باب له أناس مختصّون به، إذًا: هناك سبل، وهناك أبواب، والمراد بذلك الشرائع، أما الإسلام جملة فهو سبيل واحد». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢١٨).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

قال البغوي: «{لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} وهم اليعقوبية من النصارى، يقولون: المسيح هو الله تعالى». «تفسير البغوي» (٣/ ٣٣).

وقال ابن عثيمين: «الجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات وهي: "اللام"، و"قد"، والقسَم المقدّر؛ لأن قوله: {لَقَدْ} يقدّر بقولك: واللهِ لقد كفر الذين قالوا...

إذا قال قائل: ما الذي أعلمكم أن هناك شيئًا محذوفًا هو القسَم؟ نقول: أعلمنا ذلك ربنا عزّ وجل؛ لأن الله تعالى قال: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}، واللسان العربي: كلما جاءت مثل هذه الصيغة فهي مقدّرة بقسَم، وعلى هذا فيكون الذي دلّنا على ذلك هو كلام الله عزّ وجل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٢١).

وقال ابن عثيمين: «"المسيح": بمعنى الماسح، والمسيح الدجال بمعنى: الممسوح، وليُنتَبه إلى الفرق: المسيح هنا بمعنى: الماسح، قال العلماء: لأنه لا يمسح ذا عاهة إلا برأ بإذن الله، يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، فسمّي مسيحًا. المسيح الدجال: مسيح بمعنى ممسوح؛ لأن عينه ممسوحة، حيث إنه أعور.

وأما من استحب من العلماء رحمهم الله وعفا عنهم، أن يقال للمسيح الدجال: المسيخ، يعنى ممسوخًا، وفي عيسى ابن مريم المسيح فهذا غلط؛ لأن الذي علَّم أمته أن يقولوا: (أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال) أعلم منهم بذلك، ومع ذلك سمّاه المسيح». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٢٣).

وقال ابن عثيمين: «التصريح والتأكيد بكفر من قال: إن الله هو المسيح ابن مريم، وهم النصارى، فما بقي شك في أن النصارى كفار، ومن قال: إنهم غير كفار، وأنهم مؤمنون، فإنه كافر إن علم ما جاء في القرآن والسنة من كفرهم؛ لأن لازم قوله هذا تكذيب الله ورسوله، وما أدري -سبحان الله-؟ أيداهنون النصارى من أجل أنهم أقوياء ماديًا وينسون الذي أقدرهم على هذه المادة، مَن الذي أقدرهم على هذه المادة إلا الله، فكيف يخشونهم ولا يخشون الله؟ كيف يداهنونهم ويبسطون لهم الأرض ويفرشون لهم ورودًا، ويقولون: أنتم مؤمنون بالله واليوم الآخر، وأنتم على دين، ونحن على دين، واليهود على دين، وكأنّ الخلاف الذي بيننا وبين اليهود والنصارى كالخلاف الذي بين أحمد بن حنبل ومحمد بن إدريس؟ -

سبحان الله - وهذه البدعة راجت على بعض الناس حتى راج أنه لا يجوز قتل المرتدّ؛ لأن الناس أحرار، يختار الإنسان من دينه ما يشاء، ولا إكراه في الدين -سبحان الله-، هذا انقلاب -نسأل الله العافية- هذا أشد من التفسخ الخلُقي؛ لأن هذا يعود على العقيدة، وأن لا نتبرأ منهم، والله عزّ وجل يقول: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ}. لماذا نداهنهم؟ بل نكفّرهم ونقول ما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، ونقول: إن آمنوا بمثل ما آمنّا به فقد اهتدوا، وإلا فهم في ضلال». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٢٧).

وقال ابن عثيمين: «جواز انتساب الإنسان إلى أمه إذا لم يكن له أب، لقوله: {الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}...

فإن قال قائل: إن كان للإنسان أب فهل يجوز أن يُنسب إلى أمه؟

نقول: إن كان المراد الانتساب المطلق فهذا لا يجوز، وإن كان الانتساب لأنه اشتهر بها لكنه معروف أنه ولد فلان فهذا لا بأس به، فمثلًا: عبد الله بن بحينة: بحينة اسم أمه، واسم أبيه مالك، ومع ذلك يطلق عليه هذا الاسم، كما نقول أيضًا في الانتساب إلى الجد، إذا كان للجد شهرة والانتساب إليه يعد شرفًا دون أن ينقطع الانتساب إلى الأب فلا بأس بذلك، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم عام حنين: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)، صلوات الله وسلامه عليه؛ لأن عبد المطلب أشهر من عبد الله في قومه، وهو سيد معروف فلا بأس، لكن بشرط أن لا يُنسى الأب، أما إن نسي فلا يجوز؛ لأنه يترتب على هذا مسائل حكمية». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٣١).

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال السعدي: «ردّ الله عليهم بأدلة عقلية واضحة، فقال: {قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا}، فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعهم لو أراد الله أن يهلكهم، ولا قدرة لهم على ذلك دلّ على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك، ولا في قوّته شيء من الفكاك.

ومن الأدلة: أن {لله} وحده {ملك السماوات والأرض}، يتصرف فيهم بحكمه الكوني والشرعي

والجزائي، وهم مملوكون مدبّرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير إلها معبودا غنيا من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال». «تفسير السعدي» (ص٢٢٦).

وقال ابن عثيمين: «القدرة أن يفعل الفاعل ما أراد بدون عجز، وثَمَّ شيئان قدرة وقوة، وبينهما فرق: فالقوة: تكون من ذوي الإدراك وغيرهم، فيقال: الحديد قوي، ويقال: فلان قوي، وأما القدرة فلا تقال إلا فيما له إدراك، إذ لا يقال عن الحديد مثلًا: إنه قدير.

ثانيًا: أن القدرة ضدها العجز، والقوة ضدها الضعف، وهي من هذه الناحية أخصّ من القدرة؛ لأنه ليس كل قادر قويًّا، قد يكون الإنسان يقدر على أن يحمل هذا الكيس فوق ظهره لكن مع التعب والمشقة، هذا نقول: إنه قادر ولا نقول: إنه قوي، وإذا أخذه بسهولة ولم يتعب منه، قلنا: إنه قوي، ويلزم من قوته أن يكون قادرًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٣٦).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.

سبب النزول: «عن ابن عباس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وشأس بن عدي، فكلموه، فكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الله، وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تخوّفنا يا محمد! نحن والله أبناء الله وأحباؤه! كقول النصارى، فأنزل الله جل وعز فيهم: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه)، إلى آخر الآية». «تفسير الطبري» (١٠/ ١٥٠).

وقال ابن كثير: «{وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه} أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه، وله بهم عناية، وهو يحبنا. ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: "أنت ابني بِكري". فحملوا هذا على غير تأويله، وحرّفوه. وقد ردّ عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم، وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، يعني: ربي وربكم. ومعلوم أنهم لم يدّعوا لأنفسهم من البنوّة ما ادّعوها في عيسى عليه السلام، وإنما أرادوا بذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٨).

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾.

قال البغوي: «{قل فلم يعذبكم بذنوبكم} يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه فإن الأب لا يعذّب ولده، والحبيب لا يعذّب حبيبه، وأنتم مقرّون أنه معذّبكم؟

وقيل: فلم يعذبكم أي: لم عذّب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير؟». «تفسير البغوي» (٣/ ٣٤).

وقال ابن عثيمين: «نقض الله تعالى دعواهم بأمرين:

الأمر الأول: أنهم أذنبوا. والأمر الثاني: أنهم عذّبوا.

فكيف تقولون أنكم أحباء له وأنتم تعصونه وتذنبون؟ ثم كيف يكون حبيبًا لكم وهو يعذّبكم؟». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٣٨).

وقال ابن عثيمين: «ينبغي في المناظرة أن تبطل حجة خصمك أولًا، ثم تأتي بما يثبت قولك، ولهذا تجد العلماء الذين يذكرون أقوال العلماء -أي: اختلافهم- تجدهم يذكرون أولًا الرد على القول المقابل لأقوالهم، ثم يذكرون ما يثبت أقوالهم، وهذا كله مبني على القاعدة المعروفة، وهي: التخلية قبل التحلية». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤١).

وقال ابن عثيمين: «عذاب الله لبني إسرائيل -أي: لليهود والنصارى- لم ينقطع ولن ينقطع، لقوله: {فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ}، فلم يقل: فلِمَ عذّبكم، ليستفاد بذلك أن تعذيب الله تعالى لهم مستمر؛ لأن الفعل المضارع يفيد الاستمرار، واليهود معذّبون مشرّدون خاصة؛ لأن دعواهم المحبة والبنوّة أعظم من دعوى النصارى، وهم -إن شاء الله- سيعذّبون العذاب الأخير على يد المسلمين، وذلك حينما يقتتلون مع المسلمين، فيقتلهم المسلمون، حتى إن اليهودي يختبئ خلف الشجرة، فتنادي المسلم: هذا يهوديٌّ فاقتله». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤١).

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾.

قال ابن عثيمين: «البشر هم بنو آدم، وسموا بشرًا؛ لأن أبشارهم بادية، بخلاف بقية المخلوقات، فإن غالبها

أبشارها غير بادية، بنو آدم أبشارهم بادية لحكمة عظيمة، ولذلك تجدهم مفتقرين إلى اللباس شتاءً وصيفًا حياءً وخجلًا، فأراد الله عزّ وجل أن يجعل أبشارهم بادية، حتى يعرفوا أنهم مضطرّون إلى ستر هذه العورة، وإلى فعل ما يَقُون به أنفسهم من الأذى، إشارة إلى أنهم كما أنهم مستحقون لهذا حسًّا، فهم مستحقون له أيضًا معنى، فليلبسوا لباس التقوى حتى يتّقوا به النار، كما يلبسون لباس الجلود حتى يتّقوا بها الأذى».

«تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٣٨).

﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

قال ابن عثيمين: «{يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} فالأمر إليه، يغفر لمن يشاء أن يغفر له، فيوفقه لفعل أسباب المغفرة، وإنما قلنا ذلك؛ لأن لدينا قاعدة مهمة وهي: أن كل فعل قرنه الله بالمشيئة فلا بد أن يكون موافقًا للحكمة؛ لأن مشيئة الله ليست مشيئة مجردة ترجح شيئًا على شيء بدون سبب.

وعلى هذا فقوله: {لِمَنْ يَشَاءُ} أي: لمن اقتضت حكمته أن يغفر له، وهو التائب من الذنب، وكذلك من مَنَّ الله عليه بالمغفرة بدون توبة، وهو المذكور في قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

وقوله: {وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} يعذّب من يشاء أن يعذّبه بأن فعل ما يقتضي التعذيب، وليس الأمر لمجرد المشيئة؛ لأن الله تعالى لا يعذّب أحدًا إلا بذنب، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا}، لا ظلمًا بزيادة السيئات، ولا هضمًا بنقص الحسنات، وعلى هذا فيكون التعذيب المقرون بالمشيئة مقيدًا بما إذا اقتضت الحكمة أن يُعَذِّبَ، ومن ذلك: أنتم أيها اليهود والنصارى، فقد شاء الله تعالى أن يعذّبكم، وفعلًا عذبكم بذنوبكم؛ لأنكم عصيتموه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٣٩).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

قال ابن عثيمين: «اختصاص وانفراد الله عزّ وجل بالملك، وأنه لا مالك معه، لقوله: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ}، ووجه ذلك تقديم الخبر على المبتدأ.

فإن قال قائل: إن الله أثبت لعباده ملكًا، كقوله: {أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ}، {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}، وما أشبه

ذلك؟

قلنا: لا سواء بين المُلكين، فمُلك الله تعالى عام تام، ومُلك الآدمي قاصر ناقص، ولهذا لا يملك الإنسان أن يتلف ماله، مع أنه ماله، فلو أراد إنسان أن يحرق ماله، قلنا: لا يمكن، وحجرنا عليه ومنعْناه؛ لأنه خلاف ما أمر الله به، بل هو مما نهى الله عنه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤٣).

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال ابن كثير: «الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغيّر الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتمّ النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عمّ جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعبّاد النصارى والصابئين...

عن عياض بن حمار المجاشعي، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته: (... إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عجمهم وعربهم، إلا بقايا من أهل الكتاب)...

وكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فهدى الخلائق، وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وتركهم على المحجّة البيضاء، والشريعة الغراء». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٠).

وقال ابن عثيمين: «{يُبَيِّنُ لَكُمْ} أي: يبين كل ما يحتاج الناس إلى بيانه، ولهذا قال الله تعالى في القرآن الكريم: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤٤).

وقال ابن عثيمين: «{عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ}؛ أي: مدة من الزمن لم يأتِ فيها رسول، هذه المدة ليس لنا كبير فائدة في معرفتها على التحديد، لكن نعرف أنها مدة طويلة تقدّر بنحو ستمائة سنة بين عيسى وبين محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ لأن آخر الأنبياء الذين بعثوا إلى الناس هو عيسى عليه الصلاة والسلام، ومن بعده محمد صلى الله عليه وسلم، فليس بينهما نبي، ولهذا ما يذكر في بعض التواريخ: أن خالد بن سنان وفلان وفلان أنهم أنبياء، وأنهم بعثوا بعد عيسى، فهذا كله ليس بصحيح، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه ليس بينه وبين

عيسى نبي، ويدل على ذلك أن عيسى عليه السلام قال: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}، فلم يأتِ أحد بعد عيسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤٤).

وقال ابن عثيمين: «"مِن" هذه -أي: في قوله: (أن تقولوا ما جاءنا مِن بشير ولا نذير)- يعربها المعربون على أنها: زائدة لفظًا، لكنها تزيد في المعنى التوكيد، وهذه قاعدة معروفة عند البلاغيين: أن جميع الحروف الزائدة تفيد التوكيد، وأصل الكلام: ما جاءنا بشير ولا نذير، هذا الأصل، لكن إذا دخلت "مِنْ" صارت أدلّ على النفي مما لو لم تدخله، ولهذا يقولون: إن النفي قد يكون نصًّا في التعميم إذا كان الحرف النافي هو "لا"، أو اقترن بحرف الجر الزائد، سواء كان "مِن" أو "الباء"». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤٦).

وقال ابن عثيمين: «ينبغي أن ينادى المخاطب بالوصف الذي يقتضي أن يقوم بما وُجِّه إليه، لقوله: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ} وهذا موجود في اللغة العربية، فإذا كنت تخاطب مؤمنًا تقول: يا أيها المؤمن، وإذا كنت تخاطب رجلًا تقول: يا أيها الرجل، كأنك تذكر له ما كان ينبغي من أجله أن يستمع إليك ويمتثل ما توجّهه إليه، وفي كوننا نوجه الخطاب بالنداء بالوصف الذي يقتضي أن يمتثل فيه فوائد:

أولًا: توبيخ هذا الرجل إذا خالف؛ لأنه لا ينبغي أن يخالف وهو متّصف بهذه الصفة.

ثانيًا: حثه على الموافقة باعتبار هذا الوصف الذي اتّصف به، ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول دائمًا: (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر)، (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر)». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤٨).

وقال ابن عثيمين: «محمد رسول الله مرسل إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى، لقوله: {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا} يعني: إليكم... الذين كفروا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم من هؤلاء -أي: من اليهود والنصارى- كفار؛ لأنهم كفروا بالرسول الذي أرسل إليهم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٤٨).

وقال ابن عثيمين: «إذا احتجنا إلى معرفة اللغات الأجنبية لبيان الشريعة كان ذلك مما يثاب عليه؛ لأن من صفات النبي صلى الله عليه وسلم أنه يبين للناس بأي وسيلة، وعلى هذا فمن تعلّم اللغة غير العربية من أجل الدعوة إلى الله كان مثابًا على ذلك؛ لأنها وسيلة لتبيين الشريعة ونشرها». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٥٠).

وقال ابن عثيمين: «من لم تبلغه الرسالة فإنه معذور، وهو ظاهر، لقوله: {أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٥١).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ١٢-١٩

١- كما أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل فقد أخذه علينا بأن نعبده وحده لا شريك له، ونتّبع رسوله صلى الله عليه وسلم، فمَن وفّى منّا بهذا العهد والميثاق فأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وآمن بالرسل، ونصرهم، ونصر شرائعهم، وتصدّق في وجوه الإحسان ابتغاء مرضاة الله =كان الله معه بالنصر والتأييد، وكفّر عنه سيّئاته، وأدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

٢- مَن نقض ميثاق الله وعهده، وخالف شرعه وأمره، عاقبه الله بطرده من رحمته، فلا يدرك إلا التعاسة والشقاء، وبقساوة قلبه، فلا يلين للمواعظ والآيات، فالحذر الحذر ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾.

٣- من صفات اليهود أنهم يحرّفون كلام الله تحريفا لفظيا ومعنويا، ويتركون العمل ببعض ما ورد في الكتاب المنزّل عليهم، فكلّ مَن حاول تحريف كلام الله لفظا أو معنى ففيه شبه من اليهود -نسأل الله العافية- ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

٤- اليهود قوم خونة عبر التاريخ، فلا أمان لهم، ولا عهد يلتزمون به، ولا عقد يوفونه، فلا تأمن جانبهم، وكن دوما على حذر منهم ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

٥- احرص على التحلّي بالعفو والصفح، فتلك صفة المحسنين، وسبيل المتّقين ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٦- ترك العمل ببعض الشرائع يؤدّي إلى انتشار العداوة والبغضاء بين الناس، وكلّما ازداد ترك الشريعة في المجتمع ازدادت العداوة والبغضاء بين أفراده، ولو تمسّكنا بشريعة ربنا لتآلفت قلوبنا،

واجتمعت على الخير والهدى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

٧- اعلم أن الله سوف ينبّئك بما كنت تصنع في الدنيا، في موقف عصيب ستقفه بين يدي الله عز وجل، فماذا أعددت لذلك الموقف؟ ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

٨- من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان يبيّن لأهل الكتاب كثيرا مما كانوا يُخفونه من كتابهم، مع أنه صلى الله عليه وسلم كان أميّا لا يقرأ ولا يكتب ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

٩- اعلم أنّ من أعظم مِنن الله علينا أن أنزل إلينا هذا القرآن الكريم، فهو نور في الطريق للسالكين، وكتاب واضح ظاهر مُبين، فاحرص على تدبّره والتمسّك به واتّباع كلّ ما يُرضي الله لتهتدي إلى سبُل السلام، وتسير على الصراط المستقيم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

١٠- يجب عليك أن تعتقد أنّ كلّ مَن زعم أنّ الله هو المسيح ابن مريم فإنه كافر كفرا بَواحا لا شكّ فيه ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

١١- الله سبحانه هو رب العالمين، وخالق الخلق أجمعين، وهو مالك السماوات والأرض وما بينهما، وهو على كل شيء قدير، ولو أراد أن يهلك مَن في الأرض جميعا في لحظة لأهلكهم، ولو آخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، فعظِّم الله حقّ تعظيمه، واقدُره حقّ قدْره ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

١٢- اعلم أنّ محبّة الله سبحانه وتعالى لا تُنال بالدّعاوى والأماني، بل بالعمل بما يُرضي الله، وتجنّب ما يُسخطه سبحانه، والله سبحانه وتعالى لا يعذّب من يُحبّه، بل ينصره ويؤيّده ويواليه ويُكرمه ويُحسن إليه، فإن أردت أن يُحبّك الله فأحبّه أنت أولا، وعظّم أمره ونهيه، وتقرّب إليه بالطاعة

والإحسان، وتجنّب الذنوب والمعاصي حذرا من نزول عذاب الله العاجل قبل الآجل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾.

١٣- اعلم أن الله سبحانه وتعالى يغفر لمن يشاء ممّن يعلم سبحانه أنه يستحقّ المغفرة، ويعذّب من يشاء ممّن يعلم سبحانه أنه يستحقّ العذاب، فأرِ الله من نفسك خيرا، وأبشر ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

١٤- اعلم أنّ من أعظم مِنن الله علينا أن أرسل إلينا محمدًا صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشّرا ونذيرا، بعد انقطاع الرسل مدةً من الزمن، فلنتمسّك بما جاءنا به، ولنعضّ عليه بالنواجذ حتى نلقى الله وهو راضٍ عنّا ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (٢٠-٢٦) من المختصر في التفسير

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٠﴾

واذكر -أيها الرسول- حين قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم نعمة الله عليكم حين جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، وجعلكم ملوكًا تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين مُسْتعبدين، وأعطاكم من نعمه ما لم يعط أحدًا من العالَمِين في زمانكم.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢١﴾

قال موسى: يا قوم، ادخلوا الأرض المطهرة: (بيت المقدس وما حوله) التي وعدكم الله بدخولها وقتال مَن فيها من الكافرين، ولا تنهزموا أمام الجبارين، فيكون مآلكم الخسران في الدنيا والآخرة.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝٢٢﴾

قال له قومه: يا موسى، إن في الأرض المقدسة قومًا أولي قوة وأولي بأس شديد، وهذا يمنعنا من دخولها، فلن ندخلها ما دام هؤلاء فيها؛ لأنه لا حول لنا ولا قوة بقتالهم، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون فيها.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾

قال رجلان من أصحاب موسى ممن يخشون الله ويخافون عقابه، أنعم الله عليهما بالتوفيق لطاعته، يحضَّان قومهما على امتثال أمر موسى عليه السلام: ادخلوا على الجبابرة باب المدينة، فإذا اقتحمتم الباب، ودخلتموه فإنكم -بإذن الله- ستغلبونهم وثوقًا بسُنَّة الله بترتيب النصر على اتخاذ الأسباب من الإيمان بالله واعداد الوسائل المادية، وعلى الله وحده اعتمدوا وتوكلوا إن كنتم مؤمنين حقًّا، فالإيمان يستلزم التوكل عليه سبحانه.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾

قال قوم موسى من بني إسرائيل مُصِرِّينَ على مخالفة أمر نبيهم موسى عليه السلام: إنا لن ندخل المدينة ما دام الجبارون فيها، فاذهب أنت -يا موسى- وربك فقاتلا الجبارين، أما نحن فسنبقى مقيمين في مكاننا متخلفين عن القتال معكما.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾

قال موسى لربه: يا رب لا سلطان لي على أحد إلا على نفسي وأخي هارون، فافصل بيننا وبين القوم الخارجين عن طاعتك وطاعة رسولك.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

قال الله لنبيه موسى عليه السلام: إن الله حرَّم دخول الأرض المقدسة على بني إسرائيل مدة أربعين سنة، يضلّون هذه المدة في الصحراء حيارى لا يهتدون، فلا تأسف -يا موسى- على القوم الخارجين عن طاعة الله، فإن ما يصيبهم من عقاب هو بسبب معاصيهم وذنوبهم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• التوكل على الله تعالى والثقة به سبب لاستنزال النصر.

• جاءت الآيات لتحذر من الأخلاق الرديئة التي كانت عند بني إسرائيل.

• الخوف من الله سبب لنزول النعم على العبد، ومن أعظمها نعمة طاعته سبحانه.

• مخالفة الرسل توجب العقاب، كما وقع لبني إسرائيل؛ إذ عاقبهم الله تعالى بالتيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ٢٠-٢٦ من المختصر في التفسير

[>التفسير]

[> التعليق]

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)

واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم نعمة الله عليكم حين جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى،

قال الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ" يعني واذكر حين قال موسى لقومه من بني إسرائيل: " يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ" يعني تذكّروا نِعَم الله عليكم، " نِعْمَةَ" هنا مفرد مضاف فيعم جميع النعم، والمراد ذكر النعم بالقلوب والألسنة؛ وذلك بالاعتراف بها وشكر الله سبحانه وتعالى عليها، ثم ذَكَر النعم التي ذكَّرهم بها فقال: " إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ" يعني أرسل إليكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى فهداكم الله بواسطة هؤلاء الأنبياء.

وجعلكم ملوكًا تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين مُسْتعبدين،

ذكر النعمة الثانية فقال: "وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا" وملوكًا هنا تحتمل معنيين:

الأول: أنه جعلهم أحرارا لا مملوكين، فهم يملكون أمر أنفسهم بعد أن كانوا مملوكين مستعبدين عند فرعون وقومه،

وتحتمل أنه جعل المُلك لكم.

وأعطاكم من نعمه ما لم يعط أحدًا من العالَمِين في زمانكم.

✍ قال في النعمة الثالثة: " وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" أي وأعطاكم من النعم الدينية والدُّنيوية ما لم يعطه أحدًا من عالَمي زمانكم، وليس المقصود من جميع العالَمين في جميع الأزمنة.

يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١)

■ قال موسى: يا قوم، ادخلوا الأرض المطهرة: (بيت المقدس وما حوله)

✍ قال لهم موسى: " يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ" أي اذهبوا إلى الأرض المقدسة يعني المطهرة، والمراد بالأرض المقدسة بيت المقدس وما حوله، فأمرهم بأن يدخلوها فاتحين لها.

■ التي وعدكم الله بدخولها وقتال مَن فيها من الكافرين،

✍ قال: " ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ" قيل في معنى " الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ" أي وعدكم بدخولها والنصر على من فيها من الكافرين، وقيل في معناه أي التي قدّر لكم دخولها وُسكناها، والمراد بهم عموم بني إسرائيل أن الله قدر لهم سكنى الأرض المقدسة، وقيل في معناها كذلك التي أمركم بدخولها. والله تعالى أعلم.

■ ولا تنهزموا أمام الجبارين،

✍ هذا معنى قوله: " وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ" أي لا تتراجعوا عن قتال الجبارين ولا تنهزموا أمامهم.

■ فيكون مآلكم الخسران في الدنيا والآخرة

✍ قال: " فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ" أي فترجعوا خاسرين في دنياكم وأُخراكم، فيخسرون دنياهم بما يفوتهم من النصر على الأعداء وفتح بلادهم، ويخسرون آخرتهم بما يفوتهم من الثواب وبما يستحقونه من العقاب.

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)

قال له قومه: يا موسى، إن في الأرض المقدسة قومًا أولي قوة وأولي بأس شديد، وهذا يمنعنا من دخولها، فلن ندخلها ما دام هؤلاء فيها؛ لأنه لا حول لنا ولا قوة بقتالهم، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون فيها.

كان ردُّهم ردًّا سيئًا حين قالوا لموسى: "يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا" يعني في الأرض المقدسة "قَوْمًا جَبَّارِينَ" يعني أقوياء شديدي البأس، "وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا" امتنعوا عن قتال هؤلاء الجبارين لأنهم أشداء أقوياء؛ فاعتذروا بذلك عن دخول الأرض المقدسة، وزعموا أنهم لا قوة لهم لقتال هؤلاء الجبارين، "فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ" يعني نريد أن ندخلها بدون قتال.

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)

قال رجلان من أصحاب موسى ممن يخشون الله ويخافون عقابه، أنعم الله عليهما بالتوفيق لطاعته،

"قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا" وصف الله هذين الرَّجلين بأمرين:

الأول: أنهم يخافون، يعني يخافون الله ويخافون عقابه.

والثاني: أنهم أنعم الله عليهما؛ أي أنعم عليهما بالصلاح والهداية والتوفيق لطاعته وقول كلمة الحق في هذا الموطن الذي انخذل فيه قومُهم، فقالوا لهم حاضين لهم على امتثال أمر موسى عليه السلام: ...

يحضَّان قومهما على امتثال أمر موسى -عليه السلام-: ادخلوا على الجبابرة باب المدينة، فإذا اقتحمتم الباب، ودخلتموه فإنكم - بإذن الله - ستغلبونهم وثوقًا بسُنَّة الله بترتيب النصر على اتخاذ الأسباب من الإيمان بالله وإعداد الوسائل المادية،

قال: "ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ" يعني اقتحموا عليهم باب المدينة، فإذا اقتحمتموه وتجاوزتموه فستغلبونهم بإذن الله سبحانه وتعالى، وقالوا هذا ثقةً منهم بما يعرفونه من سنة الله سبحانه وتعالى أنه ينصر المؤمنين إذا اتخذوا الأسباب الحسية والمعنوية للنصر؛ فمن الأسباب الحسية أن يذهبوا، ويقاتلوا، ويدخلوا عليهم الباب.

وعلى الله وحده اعتمدوا وتوكلوا إن كنتم مؤمنين حقًّا، فالإيمان يستلزم التوكل عليه سبحانه.

وقالوا لقومهم: "وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" أي اعتمدوا على الله وحده؛ فالله ينصر من يشاء من عباده ولو كان أولئك القوم جبابرةً أقوياءَ أشداء فالله سبحانه وتعالى هو القوي العزيز الغالب الذي إن نصركم فلن يغلبكم أحد.

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)

قال قوم موسى من بني إسرائيل مُصِرِّينَ على مخالفة أمر نبيهم موسى عليه السلام: إنا لن ندخل المدينة ما دام الجبارون فيها، فاذهب أنت - يا موسى - وربك فقاتلا الجبارين، أما نحن فسنبقى مقيمين في مكاننا متخلفين عن القتال معكما.

أصروا على موقفهم وعلى مخالفة أمر موسى عليه السلام، وأجابوا إجابةً أقبح من اجابتهم الأولى فقالوا: "إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا" يعني مادام هؤلاء الجبابرة موجودون في المدينة فلن ندخل المدينة، ولن نقاتل الجبارين، ثم قالوا: "فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا" يعني قاتلا الجبارين وافتحا المدينة، فإن فتحتماها أتينا إليها وسكنّا فيها، أما هم فقالوا عن أنفسهم: "إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" يعني مقيمون متخلفون ننتظر فتح المدينة من عندك. والله المستعان.

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥)

قال موسى لربه: يا رب لا سلطان لي على أحد إلا على نفسي وأخي هارون، فافصل بيننا وبين القوم الخارجين عن طاعتك وطاعة رسولك.

اعتذر موسى عليه السلام لربه فقال: "رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي" لا سلطان لي عليهم، لا أقدر على أن آخذهم إلى الأرض المقدسة بالقوة لقتال الجبابرة، " فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" فاحكم وافصل بيننا وبين هؤلاء الفاسقين الخارجين عن طاعتك وطاعة رسولك حين امتنعوا عن قتال الجبابرة ودخول الأرض المقدسة.

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)

قال الله لنبيه موسى عليه السلام: إن الله حرَّم دخول الأرض المقدسة على بني إسرائيل مدة أربعين سنة، يضلون هذه المدة في الصحراء حيارى لا يهتدون،

عاقبهم الله سبحانه وتعالى على امتناعهم عن دخولِ الأرض المقدسة وقتالِ الجبابرة بتحريمها عليهم أربعين سنة، قوله: " أَرْبَعِينَ سَنَةً" يَحتمِل أن يتعلق بالتحريم فتكونُ الأرضُ المقدسةُ محرمةً عليهم مدة أربعين سنة ثم يدخلونها، ويَحتمِل أن تكون متعلقة بالتِّيه في الأرض؛ فهم يتيهون في الأرض مدة أربعين سنة في صحراء لا يهتدون إلى الخروج منها؛ وبناءً على هذا القول يكون قوله: "مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ" أي تأبيدا؛ فهؤلاء لن يدخلوا الأرض المقدسة وإنما سيتيهون في الأرض أربعين سنة. والله المستعان.

فلا تأسف – يا موسى – على القوم الخارجين عن طاعة الله، فإن ما يصيبهم من عقاب هو بسبب معاصيهم وذنوبهم.

قال: " فَلَا تَأْسَ" أي فلا تحزن ولا تأسف "عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" وما أصابَهم من عقاب الله سبحانه وتعالى.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

التوكل على الله تعالى والثقة به سبب لاستنزال النصر.

كما جاء في قول الرَّجُلين: "وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" يعني إن كنتم مؤمنين بالله فتوكلوا عليه في نزول النصر عليكم وهزيمة أعدائكم ولو كانوا أقوياء أشداء.

جاءت الآيات لتحذر من الأخلاق الرديئة التي كانت عند بني إسرائيل.

✍ بيّنت هذه الآيات ما تحلَّى به بنو إسرائيلَ من الأخلاقِ السيئةِ الرديئة؛ وذلك في امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة، وقولهم بكل سفاهة ووقاحة: "اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ". والله المستعان.

■ الخوف من الله سبب لنزول النعم على العبد، ومن أعظمها نعمة طاعته سبحانه.

✍ من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على العبد أن يوفقَه لطاعته، ومن الأسباب التي يُحَصِّلُ بها هذه النعمة أن يكون ممن يخاف الله، وهذا مأخوذٌ من قوله تعالى: "قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ" أي يخافون الله "أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا" يعني بالتوفيق لطاعته سبحانه.

■ مخالفة الرسل توجب العقاب، كما وقع لبني إسرائيل؛ إذ عاقبهم الله تعالى بالتِّيه.

✍ كلُّ من خالف الرسل فإنه يعاقب عقابا عاجلا أو آجلا، وبنو إسرائيل لما امتنعوا عن امتثال أمر موسى عليه السلام عاقبهم الله بالتِّيه في الصحراء أربعين سنة، كما في قوله تعالى: "قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ".

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (٢٠-٢٦)

الكلمة	المعنى
وَجَعَلَكُم مُلُوكًا	وجعلكم أحرارًا تملكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين
الأرضَ المُقَدَّسَة	الأرضَ المُطهّرة، وهي بيت المقدس ومَا حوله
ولا تَرتَدُّوا عَلَى أَدبَارِكُم	ولا ترجعوا عن القتال
جَبَّارِين	أقوياء، لا طاقة لنا بقتالهم
فَافْرُق	فَاحْكُمْ
يَتِيهُون	يسيرون ضائعين مُتحيّرين
فَلَا تَأْسَ	فلا تَحزَنْ

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ٢٠-٢٦

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية العشرين وحتى الآية السادسة والعشرين.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله تعالى بعدها: (إذ جعل فيكم أنبياء)، هو من بيان النعمة التي أمرهم موسى عليه السلام أن يذكروها.

وهل يصح الوقف على قوله: (إذ جعل فيكم أنبياء)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (وجعلكم ملوكا) هو من تمام بيان النعمة التي أمرهم موسى عليه السلام أن يذكروها.

وهل يصح الوقف على قوله: (وجعلكم ملوكا)؟

اختلف علماء الوقف والابتداء في الوقف هنا، وأكثرهم على أن الوقف هنا يُنظر فيه إلى قوله تعالى بعدها: (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين):

هل هذه الجملة لأُمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ كما ذهب إليه بعض المفسرين، فيصح الوقف على قوله: (وجعلكم ملوكا)، لأن النعم التي أمرهم موسى عليه السلام أن يذكروها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في بيان نعمة أنعم الله بها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن كانت هذه الجملة إنما هي في تتمة وصف قوم موسى عليه السلام؛ فإنه لا يصح الوقف على قوله: (وجعلكم ملوكا)؛ لأن هذه الجملة ستصير من تتمة النعم التي أمرهم موسى عليه السلام أن يذكروها.

ولعل هذا هو الأقرب، وهو الموافق لسياق الآية، والمراد من كون الله سبحانه وتعالى آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين -كما ذكره المفسرون-: أنه سبحانه وتعالى أنزل عليهم المنَّ والسلوى، وفلق لهم البحر، وظلّلهم بالغمام، إلى غير ذلك من النعم التي فضّلهم الله بها على عالَمي زمانهم، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (ولا ترتدّوا على أدباركم) نهي بعد أمر في قوله: (ادخلوا الأرض المقدسة).

فمن نظر الى أنها جملة معطوفة بنهي بعد جملة أمر صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن هذا النهي هو من تتمة الأمر السابق، فأمرهم موسى عليه السلام بأن يدخلوا الأرض المقدسة وألَّا يرتدُّوا على أدبارهم فيمتنعوا عن دخولها. فمن نظر إلى هذه النظرة منع من الوقف هنا. ولعل هذا هو الأقرب، والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (ولا ترتدّوا على أدباركم)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فتنقلبوا خاسرين) هو لبيان عاقبة ونتيجة الارتداد على الأدبار، فالله سبحانه وتعالى بيّن أنهم إن ارتدوا على أدبارهم سينقلبوا خاسرين، فلم يصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (قالوا يا موسى إنّ فيها قوما جبارين) هل يصح الوقف هنا؟

صحَّح الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) هو الجواب الحقيقي لأمْرهم بدخول الأرض المقدسة. فلمّا أمَرهم موسى عليه السلام أن يدخلوا الأرض المقدسة كان جوابهم: (وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها)، لكنهم قدّموا لهذا الجواب بمقدمة قالوا فيها: (إن فيها قوما جبارين) ليتعلّلوا بذلك عن امتناعهم عن دخول الارض المقدسة، فالأقرب عدم صحة الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله تعالى: (وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها)؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) هو من تتمة كلامهم وبيان أنهم لن يدخلوا الأرض المقدسة ما دام الجبارون فيها، فإن خرجوا منها فإنهم سيدخلونها، فهو من تتمة بيان الجملة السابقة، فمن نظر الى هذا لم يصحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أنهم انتهوا من بيان قرارهم في الامتناع من دخول الأرض المقدسة، ثم بيّنوا في جملة شرطية أنهم سيدخلوا الأرض المقدسة إن خرج منها الجبارون، فإنه صحّح الوقف هنا. والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن المَقُول لم يأتِ بعد، فما الذي قاله الرجلان؟ قالا: (ادخلوا عليهم الباب)، ولا يصح الوقف قبل ذكر المقول، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ادخلوا عليهم الباب)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الجملة التي بعدها: (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) هي جملة في معنى الشرط، وفيها بيان نتيجة دخول الباب بعد أن أمرا قومهما بدخول الباب، فمن نظر إلى أن الأمر قد انتهى عند قوله: (ادخلوا عليهم الباب)، ثم جاءت النتيجة في جملة في معنى الشرط في قوله: (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون)، صحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن هذه الجملة التي في معنى الشرط هي من تتمة بيان الأمر، لم يصحّح الوقف هنا. والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر المتعلق بدخول الباب ونتيجته قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة فيها نصيحة عامة من هذين الرجلين، وهي في قوله: (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)، فصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها)؟

جوَّز الوقف هنا الأشموني، وجعله الأنصاري صالحا، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن إخبارهم أنهم لن يدخلوا الأرض المقدسة أبدا قد انتهى هنا، ثم جاء خطاب منهم إلى موسى عليه السلام بأن يذهب هو وربه فيقاتلا، قالوا: (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)، فمن نظر إلى هذا صحّح الفصل بين الجملتين، بين الجملة الخبرية وجملة الأمر.

ومن نظر إلى أنه من تتمة كلامهم، وأنهم إنما أرادوا أن يُثبتوا أنهم لن يذهبوا أبدا حين قالوا: (فاذهب أنت وربك فقاتلا)، فإنه لم يصحّح الفصل بينهما. والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

الآية التي بعدها: (قال ربِّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي) هل يصحّ الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى الإخبار عن موسى عليه السلام أنه لا يملك إلا نفسه وإلا أخاه الذي وافقه على الذهاب إلى الأرض المقدسة، أو أن المعنى: أنه لا يملك إلا نفسه، وأن أخاه أيضا لا يملك إلا نفسه، فيكون قوله: (وأخي) معطوفا على الياء من قوله:

(إني لا أملك)، أي: إني لا أملك إلا نفسي، وإنّ أخي لا يملك إلا نفسه، وعلى كلا الاحتمالين يصح الوقف على قوله: (وأخي)؛ لأنه جاء بعدها جملة تضمنت الدعاء على الذين رفضوا دخول الأرض المقدسة، قال: (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (قال فإنها محرّمة عليهم) هل يوقف هنا؟ أو يوقف على قوله: (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة)؟

وجهان عند العلماء وهما مبنيان على تفسير الآية:

هل الله سبحانه وتعالى حرَّم على هؤلاء الذين امتنعوا دخول الأرض المقدسة دخولها تحريما مؤبدا، فيكون الوقف على قوله: (قال فإنها محرمة عليهم)، ويكون قوله: (أربعين سنة يتيهون في الأرض) إخبار أنهم سيتيهون في الأرض أربعين سنة لا يهتدون سبيلا، ثم سيفتح الله الأرض المقدسة بالجيل الذي يأتي بعدهم، هذا قول.

وقيل: إنها محرمة عليهم لمدة أربعين سنة، فالله سبحانه وتعالى عاقبهم بأن حرَّم عليهم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة، ثم سيدخلونها هم، وسيُحِلّها لهم بعد فترة العقوبة، فيكون التحريم مؤقتا لمدة أربعين.

وهما وجهان محتملان عند علماء التفسير، فيحتمل الوقف على قوله: (محرمة عليهم)، ثم يصل القارئ: (أربعين سنة يتيهون في الأرض). أو يقف: (محرمة عليهم أربعين سنة)، ثم يقول: (يتيهون في الأرض)، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (يتيهون في الأرض)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن عقوبتهم، ثم نهى موسى عليه السلام أن يأسَى على القوم الفاسقين، فصحّ الفصل بين النهي والخبر، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ٢٠-٢٦

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾.

قال السعدي: «{اذكروا نعمة الله عليكم} بقلوبكم وألسنتكم، فإنّ ذكرها داعٍ إلى محبته تعالى، ومنشّط على العبادة».

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾.

قال البغوي: «{وجعلكم ملوكا} قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أصحاب خدم وحشم...

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإنّ لي خادما، قال: فأنت من الملوك.

قال السدي: {وجعلكم ملوكا} أحرارا تملكون أمر أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم.

قال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية، فمن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك».

«تفسير البغوي» (٣/ ٣٥).

﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

قال ابن كثير: «{وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين} يعني: عالمي زمانكم، فكأنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم، من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم، كما قال: {ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على العالمين}، وقال تعالى إخبارا عن موسى لما قالوا: {اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضّلكم على العالمين}.

والمقصود: أنهم كانوا أفضل أهل زمانهم، وإلا فهذه الأمة أشرف منهم، وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجا، وأكرم نبيا، وأعظم مُلكا، وأغزر أرزاقا، وأكثر أموالا وأولادا، وأوسع مملكة، وأدوم عزا، قال الله عز وجل: {كنتم خير أمة أخرجت للناس}، وقال: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء

على الناس}...

وروى ابن جرير عن ابن عباس وأبي مالك وسعيد بن جبير أنهم قالوا في قوله: {وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين} يعني: أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكأنهم أرادوا أن هذا الخطاب في قوله: {وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين} مع هذه الأمة. والجمهور على أنه خطاب من موسى لقومه، وهو محمول على عالمي زمانهم كما قدمنا.

وقيل: المراد: {وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين} يعني بذلك: ما كان تعالى نزّله عليهم من المنّ والسلوى، وتظلّلهم من الغمام، وغير ذلك مما كان تعالى يخصّهم به من خوارق العادات، فالله أعلم».

«تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٤).

وقال ابن عثيمين: «(وآتاكم) بمعنى: أعطاكم، والفرق بين "أتاكم" "وآتاكم"، أن "أتاكم" بمعنى: جاءكم، "وآتاكم" بمعنى: أعطاكم...

{أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} أي: من العالمين الذين سبقوكم، بل والذين في وقتكم، وهنا تأمل أنه لم يقل: ما لن يؤتِيَ، بل قال: ما لم يؤتِ، وبينهما فرق، فلو قال: ما لن يؤتيَ؟ صار قوم موسى أفضل الناس إلى يوم القيامة، ولن يُعطى أحدٌ مثلهم، لكن إذا قال: ما لم يؤتِ: يعني في الماضي، وهو كذلك؛ لأن الله تعالى آتى هذه الأمة والحمد لله ما لم يؤتِ بني إسرائيل ولا غيرهم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٥٥).

وقال ابن عثيمين: «ينبغي للداعية أن يُذكِّر من يوجه إليهم الخطاب بنعم الله عليهم؛ لأن تذكيرهم بالنعم يوجب لهم محبة الله، ولهذا جاء في الأثر: (أحبّوا الله لما يغذوكم به من النعم).

... كلما أنعم الله على عبده بنعمة وجب عليه من السمع والطاعة ما لم يجب على غيره.

... وجود الأنبياء بين الناس من أكبر النعم؛ لأن الله قدّم ذلك على الملك فقال: {جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا}، ولا شك أن حاجة الناس إلى ذلك أعظم من حاجتهم إلى الملك.

... تقديم مقام العلماء على الأمراء، لقوله: {إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا}، والعلماء ورثة الأنبياء».

«تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٥٦).

﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾.

قال ابن جرير: «ويعني بقوله: (التي كتب الله لكم) التي أثبت في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن ومنازل دون الجبابرة التي فيها.

فإن قال قائل: فكيف قال: (التي كتب الله لكم) وقد علمت أنهم لم يدخلوها بقوله: (فإنها محرمة عليهم)؟ فكيف يكون مثبتا في اللوح المحفوظ أنها مساكن لهم، ومحرما عليهم سكناها؟

قيل: إنها كتبت لبني إسرائيل دارا ومساكن، وقد سكنوها ونزلوها وصارت لهم، كما قال الله جل وعز.

وإنما قال لهم موسى: (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم)، يعني بها: كتبها الله لبني إسرائيل، =وكان الذين أمرهم موسى بدخولها من بني إسرائيل= ولم يعن صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى ذكره كتبها للذين أمرهم بدخولها بأعيانهم.

ولو قال قائل: قد كانت مكتوبة لبعضهم ولخاص منهم= فأخرج الكلام على العموم، والمراد منه الخاص، إذ كان يوشع وكالب قد دخلا، وكانا ممن خوطب بهذا القول= كان أيضا وجها صحيحا». «تفسير الطبري» (١٠/ ١٦٩).

وقال ابن كثير: «{التي كتب الله لكم} أي: التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل: أنها وراثة مَن آمن منكم». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٥).

وقال ابن عثيمين: «الكتابة هنا هي الكتابة القدرية؛ لأن الكتابة تتنوع إلى نوعين:

كتابة شرعية: مثل قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}.

وكتابة قدرية: مثل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٥٩).

وقال ابن عثيمين: «{الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ}... هي مكتوبة لهم حين كانوا مؤمنين؛ فهي كتبت لهم لا لأنهم من بني إسرائيل، بل لأنهم مؤمنون، ولا شك أنهم في عهد موسى هم أفضل أهل الأرض، وموسى عليه السلام يخاطب قومًا صدّقوا وآمنوا به، وقد قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}. إذًا: فقول بني إسرائيل: إن هذه أرض الميعاد، نقول: إن شاء الله هي أرض ميعاد

هلاككم، أما أنها أرض لكم مكتوبة شرعًا فلا، وأما قدرًا فيمكن، لكن شرعًا ليس لهم فيها حق إطلاقًا، قال تعالى: {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}، فكما أن الله أورث بني إسرائيل بلاد فرعون وأرضه؛ لأنهم كانوا مسلمين، فكذلك المسلمون المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم يرثون بني إسرائيل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٧٠).

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

قال ابن عثيمين: «الأمور لا تتم إلا بوجود المصالح وانتفاء المفاسد، لقوله: {وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ}، ولذلك نجد في الشرع أوامر ونواهي؛ لأن العبادة لا تتم إلا بأن يرغم الإنسان نفسه على فعل الطاعات، وعلى الكف عن المعاصي والمحرمات، فالشرع تجد فيه فعل وفيه ترك، حتى يتم الامتحان والاختبار، ونضرب مثلًا بالصوم فيه ترك للمحبوب، وفي الزكاة بذل للمحبوب، وهذا الذي يكون به تمام الامتحان». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٧١).

وقال ابن عثيمين: «الكفر ردة عن الاستقامة، لقوله تعالى: {وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ}، فالمرتد متأخر وليس متقدمًا، إذا قلنا هذا صار الإيمان تقدمًا، ولذلك نقول لأولئك القوم الذين يريدون من الأمة الإسلامية أن ترجع إلى الوراء وهو عندهم تقدّم، نقول: أخطأتم، وذلك لأنهم يرون أن رجوع الناس إلى زمن السلف الصالح تأخّر، ونحن نقول لهم: مخالفة طريق السلف الصالح هو التأخر؛ لأنه يسمى في القرآن ردة أو ارتدادا على الدبر، لكن موافقة السلف الصالح هي التقدم حقيقة، ولكنه يحتاج إلى عزيمة وقوة وتطبيق». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٧١).

وقال ابن عثيمين: «ينبغي للإنسان الداعية إلى الله أن يذكر عواقب السيئات من أجل تنفير النفوس، صحيح أن الدعوة إلى الله تعالى تحصل بأن يقول: هذا حرام، وهذا حلال، وهذا واجب، لكن إذا ذَكر الترغيب والترهيب كان في ذلك حفز للنفوس على الامتثال، وجه ذلك أن موسى قال لقومه: {فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٧٢).

وقال ابن عثيمين: «ذكر العواقب السيئة في الدنيا من أجل ردع الناس عن المعاصي والمخالفة لا ينافي الإخلاص، ولهذا كان الرسل يحذّرون أقوامهم، كما أن ذكر العواقب الحسنة من أجل الحث على الطاعة لا ينافي الإخلاص، وهذا من الثواب العاجل، ومن عاجل بشرى المؤمن؛ لأن الله تعالى يقول: {فَأَمَّا مَنْ

أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحب أن ينسأ له في أثره ويبسط له في رزقه فليصل رحمه)، أليس هذا أمرًا دنيويًّا؟ ومع ذلك ذكره النبي عليه الصلاة والسلام وسيلة إلى فعل الطاعة، وهي صلة الرحم... وانظر إلى الفواحش، الزنا مثلًا له عقوبة من أجل أن يرتدع الإنسان عنه ويخشى أنه إذا زنا أن يجلد أو يرجم، وكذلك قطع اليد في السرقة: من أجل أن يهاب الناس السرقة ولا يقدموا عليها، فلا يقال: يكفي الوازع الإيماني؛ لا يقال هذا؛ لأننا لو قلنا: يكفي الوازع الإيماني لوجب أن نعطّل جميع الحدود، ولكن نقول: الوازع الإيماني لا شك أنه هو الأصل، لكن الرادع السلطاني مقوٍّ لهذا الأصل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٧٢).

﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

قال الطبري: «قالوا: إن في الأرض المقدسة التي تأمرنا بدخولها، قوما جبارين لا طاقة لنا بحربهم، ولا قوة لنا بهم. وسموهم (جبارين)، لأنهم كانوا لشدة بطشهم وعظيم خلقهم -فيما ذكر لنا- قد قهروا سائر الأمم غيرهم.

وأصل "الجبار": المصلح أمر نفسه وأمر غيره، ثم استعمل في كل من اجترّ نفعا إلى نفسه بحق أو باطل طلب الإصلاح لها، حتى قيل للمتعدي إلى ما ليس له -بغيا على الناس، وقهرا لهم، وعتوا على ربه- "جبار"، وإنما هو "فعّال" من قولهم: "جبر فلان هذا الكسر"، إذا أصلحه ولأمه...

ومن أسماء الله تعالى ذكره "الجبار"، لأنه المصلح أمر عباده، القاهر لهم بقدرته». «تفسير الطبري» (١٠/ ١٧١).

وقال ابن كثير: «ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنه كان فيهم عوج بن عنق... وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع، تحرير الحساب! وهذا شيء يستحى من ذكره.

ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن).

ثم قد ذكروا أن هذا الرجل كان كافرا، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم

يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحا دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: {ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا}، وقال تعالى: {فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون. ثم أغرقنا بعد الباقين}، وقال تعالى: {قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم}، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر وولد زنية؟! هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له: "عوج بن عنق" نظر، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٦).

وقال ابن عثيمين: «{قَالُوا يَامُوسَى} وهذا لا شك أنه جفاء في مخاطبته، أن يخاطبوا نبيهم باسمه، ولهذا نهى الله هذه الأمة أن يخاطبوا الرسول صلى الله عليه وسلم باسمه في قوله: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} على أحد التفسيرين؛ لأن بعض العلماء يقولون: المعنى لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضًا، وإن كانت هذه الآية تشمل هذا المعنى وتشمل المعنى الثاني، وهو: أنه إذا دعاكم لا تجعلوا دعاءه كدعاء بعضكم بعضًا إن شئتم أجبتم وإن شئتم لم تجيبوا، بل يجب عليكم أن تجيبوا، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٦٠).

وقال ابن عثيمين: «تأمل قولهم: {فَإِنْ يَخْرُجُوا} لم يقولوا: فإذا خرجوا، كأنهم يستبعدون خروجهم؛ لأن "إن" الشرطية: تتميز عن "إذا" بأنّ "إن" يكون فعل الشرط فيها حاصلًا وغير حاصل، بل قد يكون من الأشياء المستحيلة، لكن "إذا" تدل على وقوع الشرط، لكن المؤقت حصول الشرط، إذا قلت: إن قام زيد قمت، تجد الفرق بينها وبين قولك: إذا قام زيد قمت، إذا قام معناه أنه سيقوم، لكن لا أقوم إلا إذا قام فهو شرط للتوقيت أي: توقيت القيام، لكن: إن قام زيد قمت شرط لحصول القيام، وقد يحصل وقد لا يحصل، وقد يكون من المستحيل أن يحصل، كما في قول الله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}، هذا في حق الله، وفي حق الرسول: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}، وكلا الأمرين ممتنعان غاية الامتناع، الأول: وهو أن يكون للرحمن ولد، والثاني: وهو أن يشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الداعي إلى الإخلاص والتوحيد». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٦١).

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

قال الطبري: «هذا خبر من الله عز ذكره عن الرجلين الصالحين من قوم موسى: "يوشع بن نون" و"كالب بن يافنا"، أنهما وفيا لموسى بما عهد إليهما من ترك إعلام قومه بني إسرائيل -الذين أمرهم بدخول الأرض المقدسة على الجبابرة من الكنعانيين- بما رأيا وعاينا من شدة بطش الجبابرة وعظم خلقهم، ووصفهما الله عز وجل بأنهما ممن يخاف الله ويراقبه في أمره ونهيه». «تفسير الطبري» (١٠/ ١٧٦).

قال ابن عثيمين: «الخوف من الله مما يحمل العبد على طاعة الله؛ لقوله: {يَخَافُونَ}، ولا شك أن الخوف مما يحمل على الطاعة، كما أن الرَّجاء أيضًا مما يحمل على الطاعة، لكن الغالب أن الخوف يحمل على عدم المخالفة، وعدم الوقوع في النهي، والرجاء يحمل على الموافقة في الطاعات وفي الأوامر.

... من نعمة الله على العبد، أن ينعم الله عليه بالخوف منه، لقوله: {أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٧٥).

وقال ابن عثيمين: «أنعم الله عليهما بأمور:

أولًا: خوف الله عزّ وجل، فإن خوف الله من أكبر النعم؛ لأن خوف الله يستلزم اجتناب محارم الله، والقيام بطاعته.

ثانيًا: أنعم الله عليهما بالقوة: بقوة النفس؛ لأنهما الآن يقابلان أمة؛ لأن قوم موسى كلهم قالوا له: {إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا}، هذان الرجلان قابلا الأمة كلها، مما يدل على الشجاعة والعزيمة الصادقة، وهذه لا شك أنها نعمة...

وقوله: {أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا} أيضًا بحصافة الرأي؛ لأن كل من قرأ البشائر التي ذكرها موسى عليه الصلاة والسلام، لا شك أنه سوف يُقْدِم، الأولى: {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} والثانية: {الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ}، إذًا: أنعم الله عليهم من هذه الوجوه الثلاثة، وقد يكون أكثر من هذا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٦٣).

وقال ابن عثيمين: «{ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ} أي: سيروا إليهم ولا تشعروهم بأنكم سائرون، وائتوهم بغتة، ادخلوا عليهم الباب بدون أن يكون هناك سابق علم؛ لأنه ما من قوم قوتلوا في ديارهم إلا ذلوا. ولهذا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه حين أراد أن يجاهد أهل مكة في الفتح، سأل الله تعالى أن يعمي الأخبار عنهم حتى يبغتهم في دارهم. ولهذا قالا: {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ} أي: لا تنذروهم ولا تخبروهم أنكم

قادمون عليهم، و "أل" في قوله: "الباب" للعهد الذهني، أي: باب المدينة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٦٥).

﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن القيم: «شرَط في إيمانهم أن يكونوا متوكلين، والمعلّق على الشرط عدمٌ عند عدمه، وهذا يدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، فمن لا توكل له لا إيمان له، قال تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}، وقال: {وعلى الله فليتوكل المؤمنون}، وقال: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون}، وهذا يدل على انحصار المؤمنين فيمن كان بهذه الصفة». «مدارج السالكين» (٢/ ٤٠٨).

وقال السعدي: «أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}، فإنّ في التوكل على الله -وخصوصا في هذا الموطن- تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء.

ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله». «تفسير السعدي» (ص٢٢٨).

وقال ابن عثيمين: «التوكل قال العلماء: إنه صدق الاعتماد على الله، أي: أن يعتمد الإنسان على ربه اعتمادًا صادقًا مع الثقة به وحسن الظن وفعل الأسباب، هذه أربعة أوصاف:

الأول: صدق الاعتماد على الله، الثاني: مع الثقة به. الثالث: وحسن الظن، والرابع: فعل الأسباب.

فإذا اجتمعت هذه الأوصاف الأربعة فإذا هو حقيقة التوكل.

فمن اعتمد على الله لكنه في شك فإنه ليس بمتوكل حقيقة.

كذلك أيضًا لو أنه اعتمد على الله ولكنه لم يثق تلك الثقة، إما لما يعلم من ذنوبه أو لما يعلم من قصور الأسباب، أو لغير ذلك، فإنه لم يصدق التوكل.

والثالث: حسن الظن، وحسن الظن في التوكل أن يظن الإنسان بربه تبارك وتعالى أنه حسبه، لقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.

وقوله: مع فعل الأسباب؛ لأن هذا لا بد منه، إذ إن الله تعالى يقدّر الشيء بسببه، وهذا من تمام حكمته،

انظر إلى قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا}، ثم قال: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ}، فلا بد من سعي، ولذا قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ}، فلا بد من فعل الأسباب، ولكن بشرط أن تكون الأسباب شرعية، إما منصوصًا عليها في الكتاب والسنة، وإما معلومة بالتجارب التي يشهد لها القدر». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٦٦).

وقال ابن عثيمين: «لا يعتمد الإنسان على نفسه وعلى السبب الحسي، لقولهما بعد أن وجّها قومهما إلى أن يدخلوا عليهم الباب: {وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا}، ويشهد لهذا المعنى المأخوذ من هذه الآية، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز). احرص على ما ينفعك: هذا بفعل ما تستطيع من الأسباب، واستعن بالله: يعني: لا تعتمد على نفسك، اطلب العون من الله عزّ وجل حتى يحصل المراد...

قد يتوكل الإنسان ويعتمد الإنسان على من ينفق عليه مثلًا، فالابن يعتمد على أبيه في الحصول على النفقة، كذلك الموظف يعتمد على وظيفته، هذه مسألة دقيقة جدًّا، فإن أشعرت نفسك بأن هذا سبب محض وأن الذي جعله سببًا هو الله، وأن الله قادر على أن يمنع نفوذ هذا السبب، وجعلت الأمر كله إلى الله عزّ وجل، فإن ذلك لا ينافي التوكل، لا أصله ولا كماله، وأما إذا اعتمدت عليه وعلّقت قلبك به، فإن هذا بلا شك نوع من الشرك، إن نسيت الله بالكلية -والعياذ بالله- وجعلت هذا هو الذي يجلب لك الأمور بنفسه فهذا شرك أكبر وإلا كان أصغر.

ومن ذلك ما يقع كثيرًا للمرضى، من اعتمادهم على الطبيب اعتمادًا كليًّا، حتى إنه يشعر في نفسه أن الشفاء كان منه، وهذا خطر عظيم، أما إذا اعتمدت على الطبيب على أنه سبب، والمسبب هو الله عزّ وجل، وأن الله تعالى إن قدّر لك الشفاء فهو الذي شفاك، وإلا فالطبيب لن ينفعك، وغاية ما هنالك أنني أذهب إلى الطبيب، كما أوقد النار لطهي طعامي مثلًا، فهذا لا بأس به، ولابد أن يكون في القلب شيء من التعلق بمن ينفعه، لكن يجب أن نجعل الأول والآخر هو الله عزّ وجل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

قال ابن عثيمين: «{فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ}، فمن ربه؟ قال بعض المفسرين: ربه هو هارون؛ لأن الرب يطلق على السيد، وهارون أكبر من موسى، والأكبر من الأخوين يكون سيدًا للأصغر منهما، لكن هذا بعيد،

والظاهر أنهم أرادوا الرب رب العالمين عزّ وجل؛ لأن موسى يدعوهم إلى الله، وإلى ربهم تبارك وتعالى. فكأنهم من عجرفتهم وكبريائهم وغطرستهم، يقولون: ما دام أن عندك رب، اذهب أنت وربك فقاتلا، فأرادوا من الله أن ينزل الميدان يقاتل مع موسى -قاتلهم الله-، ومع ذلك قالوا: {إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} ها هنا: في المكان القريب؛ لأن "هنا": للقريب، و "هنالك": للبعيد. هنا في مكاننا لن نتعداه، سنبقى متفرجين عليك أنت وربك، ولا يخفى ما في هذا الكلام من الغطرسة والعجرفة والجفاء -والعياذ بالله-». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٦٧).

وقال ابن عثيمين: «حتى قولهم: "اذْهَبْ"، بهذه الصيغة، كأنهم آمرون لموسى، أيضًا فيه استعلاء واستكبار {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ} يعني: ما رجوه رجاء وقالوا: ألا تذهب يا رسول الله، أو يا نبي الله، أو ما أشبه ذلك». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٨٠).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾.

قال ابن الجوزي: «{لا أملك إلا نفسي وأخي} فيه قولان:

أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه.

والثاني: لا أملك إلا نفسي وإلا أخي، أي: وأملك طاعة أخي، لأن أخاه إذا أطاعه فهو كالملك له، وهذا على وجه المجاز، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»، فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله، يعني: أني متصرف حيث صرفتني، وأمرك جائز في مالي». «زاد المسير في علم التفسير» (١/ ٥٣٤).

﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

قال ابن عثيمين: «جواز دعاء الإنسان ربه عزّ وجل أن يفصل بينه وبين أهل الفسوق والفجور، لقوله: {فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.

ويمكن أن يتفرع على هذه الفائدة جواز هجران الفسقة؛ لأن الهجر مفارقة، ولكننا نقول: السنة دلت على أن الهجر إن كان فيه مصلحة فافعله وإلا فلا تفعل، فإن كان هجران العاصي أو المبتدع لا يزيد الأمر إلا شدة، وأنت إنما هجرت للإصلاح ولأجل أن يرتدع، وهو لن يرتدع بالهجر بل يمكن أن يزيد في الشر،

ونضرب لذلك مثلًا: لو أنك رأيت رجلًا حالقًا لحيته وهجرته هل سوف ينتهي عن ذلك؟ إن كان سينتهي فلا بأس، وأما إذا كان لا ينتهي ويزداد كراهة لك ولما تدعوه إليه من الحق ويستمر فأي فائدة في هجره؟ ثم عندنا الحديث الصحيح: (لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث). وهذا مُسَلَّم، وما ورد عن السلف من الهجر يُحمل على أنه هجر للإصلاح أو لئلا يغتر بهم الخلق». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٨١).

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال القرطبي: «(أربعين) ظرف زمان للتيه، في قول الحسن وقتادة، قالا: ولم يدخلها أحد منهم، فالوقف على هذا على: (عليهم).

وقال الربيع ابن أنس وغيره: إن (أربعين سنة) ظرف للتحريم، فالوقف على هذا على (أربعين سنة).

فعلى الأول إنما دخلها أولادهم، قاله ابن عباس. ولم يبق منهم إلا يوشع وكالب، فخرج منهم يوشع بذرياتهم إلى تلك المدينة، وفتحوها.

وعلى الثاني فمن بقي منهم بعد أربعين سنة دخلوها». «تفسير القرطبي» (٦/ ١٣٠).

وقال ابن كثير: «لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدَرا مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه، يسيرون دائما، لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة، من تظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صمّاء تُحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا، تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيّد الله بها موسى بن عمران. وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٩).

وقال السعدي: «ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد والذل المانع من السعادة». «تفسير السعدي» (ص٢٢٨).

وقال ابن عثيمين: «{مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ} تحريمًا قدريًّا، كما في قوله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ}، والتحريم قد يكون شرعيًّا، كما في قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}، وقد يكون قدريًّا كما تقدم».

«تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٦٨).

وقال ابن عثيمين: «{أَرْبَعِينَ سَنَةً} شمسية أو هلالية؟ هلالية؛ لأن التوقيت بالهلال، كما قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}، وإلى وقت ليس ببعيد التوقيت بالهلال، حتى إن اليهود لما صاموا يوم عاشوراء صامه الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: (نحن أحقّ بموسى منكم)».

«تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٦٨).

وقال ابن عثيمين: «استجابة الدعاء، لقوله: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِم}، واستجابة الله للدعاء تتضمن عدة صفات: منها: الاستجابة، ومنها: العلم، ومنها: السمع، ومنها: القدرة، كل هذه الصفات ثابتة بالاستجابة؛ لأنه لو لم يسمع لم يستجب، ولو لم يعلم ما يريد الداعي لم يستجب، ولو لم يقدر لم يستجب أيضًا».

«تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٨٣).

وقال ابن عثيمين: «العقوبة تعمّ لقوله: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ}، وقد قال الله تعالى في آية أخرى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٨٣).

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

قال السعدي: «لما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رقّ لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن الله قد حتمها، قال: {فلا تأس على القوم الفاسقين} أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا». «تفسير السعدي» (ص٢٢٨).

فائدة عامة:

قال ابن القيم: «ومن تلاعبهم بهم -يعني: تلاعب الشياطين باليهود-: أن الله سبحانه أنجاهم من فرعون وسلطانه وظلمه، وفرَق بهم البحر، وأراهم الآيات والعجائب، ونصرهم وآواهم، وأعزهم وآتاهم ما لم

يؤت أحدا من العالمين، ثم أمرهم أن يدخلوا القرية التي كتب الله لهم، وفي ضمن هذا بشارتهم بأنهم منصورون، ومفتوح لهم، وأن تلك القرية لهم، فأبوا طاعته وامتثال أمره، وقابلوا هذا الأمر والبشارة بقولهم: {فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون}.

وتأمل تلطف نبي الله تعالى موسى عليه السلام بهم، وحسن خطابه لهم، وتذكيرهم بنعم الله عليهم، وبشارتهم بوعد الله لهم: بأن القرية مكتوبة لهم، ونهيهم عن معصيته بارتدادهم على أدبارهم، وأنهم إن عصوا أمره ولم يمتثلوا انقلبوا خاسرين، فجمع لهم بين الأمر والنهي، والبشارة والنذارة، والترغيب والترهيب، والتذكير بالنعم السالفة، فقابلوه أقبح المقابلة، فعارضوا أمر الله تعالى بقولهم: {ياموسى إن فيها قوما جبارين}، فلم يوقروا رسوله وكليمه، حتى نادوه باسمه، ولم يقولوا: يا نبي الله! وقالوا: {ياموسى إن فيها قوما جبارين}، ونسوا قدرة جبار السماوات والأرض الذي يذلّ الجبابرة لأهل طاعته، وكان خوفهم من أولئك الجبارين الذين نواصيهم بيد الله أعظم من خوفهم من الجبار الأعلى سبحانه، وكانوا أشد رهبة في صدورهم منه.

ثم صرحوا بالمعصية والامتناع من الطاعة، فقالوا: {لن ندخلها حتى يخرجوا منها}، فأكدوا معصيتهم بأنواع من التأكيد:

أحدها: تمهيد عذر العصيان بقولهم: {ياموسى إن فيها قوما جبارين}.

والثاني: تصريحهم بأنهم غير مطيعين، وصدّروا الجملة بحرف التأكيد، وهو (إنّ)، ثم حققوا النفي بأداة (لن) الدالة على نفي المستقبل، أي: لا ندخلها الآن، ولا في المستقبل.

ثم علّقوا دخولها بشرط خروج الجبارين منها، فقال لهم رجلان من الذين أنعم الله عليهما بطاعته والانقياد إلى أمره، من الذين يخافون الله. هذا قول الأكثرين، وهو الصحيح.

وقيل: من الذين يخافونهم من الجبارين، أسلما واتبعا موسى عليه السلام: {ادخلوا عليهم الباب} أي: باب القرية، فاهجموا عليهم، فإنهم قد ملئوا منكم رعبا، {فإذا دخلتموه فإنكم غالبون}، ثم أرشدهم إلى ما يحقق النصر والغلبة لهم، وهو التوكل، فكان جواب القوم أن: {قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون}.

فسبحان من عظم حلمه حيث يقابَل أمره بمثل هذه المقابلة، ويواجَه رسوله بمثل هذا الخطاب، وهو يحلم عنهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة، بل وسعهم حلمُه وكرمه، وكان أقصى ما عاقبهم به: أن ردّدهم في برية التيه

أربعين عاما، يظلّل عليهم الغمام من الحر، وينزل عليهم المنّ والسلوى.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنا نقاتل عن يمينك وشمالك، وبين يديك، ومن خلفك، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه لذلك، وسرّ به.

فلما قابلوا نبي الله بهذه المقابلة قال: {ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين}». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (٢/ ١٠٩٠-١٠٩٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ٢٠-٢٦

١- يجب علينا أن نذكر نعمة الله علينا، ومن أعظمها نعمة إرسال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلينا، واصطفائنا لنكون من أمته التي هي خير أمة أخرجت للناس، وكذلك ما أنعم به علينا في هذا الزمان من رغد العيش، وتوفّر وسائل الراحة، فتذكّرنا لهذه النعم وغيرها يورثنا محبة المُنعِم سبحانه، وشكره على آلائه، والحياء من معصيته، والقيام بعبوديته على الوجه الذي يُرضيه عنّا ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

٢- الخسارة الكبرى تكمُن في الامتناع عن امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

٣- لا تمتنع عن الانقياد لأوامر الله بالحجج الواهية ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

٤- إذا رُزقت الخوف من الله في الغيب والشهادة والسرّ والعلانية فقد رُزقت خيرا كثيرا، فيُثمر ذلك أن تقول بالحق حيث كنت، لا تخشى في الله لومة لائم، فاللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

٥- ابذل الأسباب الصحيحة مع الاعتماد على الله سبحانه، فذلك بداية تيسير الوصول إلى النتائج المرجوّة بإذن الله تعالى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

٦- احرص على الترقّي في درجات التوكل على الله مع بذل الأسباب الحسية، واحذر أن يكون توكّلك على الله في الأمور التي تعجز عن أسبابها فقط، حيث يتوكّل كل الناس حتى الكافرون، وإنما يتميّز المؤمن بتوكّله على الله ولو قويت عنده الأسباب الموصلة إلى المراد ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٧- احذر من التعالي والاستكبار عن اتّباع الحق، والردّ على الناصحين بالسخرية والاستهزاء، فإنّ عاقبة ذلك وخيمة في الدنيا قبل الآخرة ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

٨- اسأل الله أن يباعد بينك وبين المجاهرين بالفسوق والعصيان، حتى لا تتأثّر بهم، وحتى تسلم من شرّهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

٩- عقوبات الله للفاسقين المعاندين متنوّعة، فقد تكون في الدين أو الدنيا أو النفس أو المال أو العِرض أو العقل، وقد تكون بالهمّ والغمّ، فاحرص على معرفة أنواع العقوبات حتى لا تغترّ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (٢٧-٣٤) من المختصر في التفسير

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾

واقصص -أيها الرسول- على هؤلاء الحسدة الظالمين من اليهود خبر ابْنَي آدم، وهما قابيل وهابيل، بالصدق الذي لا مرية فيه، حين قَدّمَا قُرْبانًا يتقرب به كل منهما إلى الله سبحانه، فَقَبِلَ الله القُرْبان الذي قدّمه هابيل؛ لأنه من أهل التقوى، ولم يقبل قربان قابيل؛ لأنه ليس من أهل التقوى، فاستنكر قابيل قبول قُرْبان هابيل حسدًا، وقال: لأقتلنّك يا هابيل، فقال هابيل: إنما يقبل الله قُرْبان من اتّقاه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾

لئن مَدَدتَّ يدك إليّ تقصد قتلي فلست مجازيك بمثل صنيعك، ذلك ليس جبنًا مني، ولكني أخاف الله رب المخلوقات.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

فقال له مرهبًا: إني أريد أن ترجع بإثم قتلي ظلمًا وعدوانًا إلى آثامك السابقة، فتكون من أصحاب النار الذين يدخلونها يوم القيامة، ذلك الجزاء جزاء المعتدين، وأنا لا أريد أن أرجع بإثم قتلك فأكون منهم.

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾

فزيَّنتْ لقابيل نفسُه الأمارة بالسوء قتلَ أخيه هابيل ظلمًا فقتله، فأصبح بسبب ذلك من الناقصين أنفسهم حظوظهم في دنياهم وأخراهم.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾

فأرسل الله غرابًا يثير الأرض أمامه ليدفن فيها غرابًا ميتًا؛ ليعلمه كيف يستر بدن أخيه، قال القاتل أخاه حينئذ: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الآخر الميّت فأواري سوأة أخي، فواراه حينئذ، فأصبح من المتحسرين.

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾

من أجل قَتْل قابيل أخاه أعلمنا بني إسرائيل أن من قَتَل نفسًا بغير سبب من قِصاص أو إفساد في الأرض بالكفر أو الحِرابة، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق عنده بين البريء والجاني. ومن امتنع عن قتل نفس حرَّمها الله تعالى معتقدًا حرمة قتلها ولم يقتل؛ فكأنما أحيا الناس جميعًا؛ لأن صنيعه فيه سلامتهم جميعًا، ولقد جاءت رسلُنا إلى بني إسرائيل بالحجج الواضحة والبراهين الجلية، ومع هذا فإن كثيرًا منهم متجاوزون لحدود الله بارتكاب المعاصي، ومخالفة رسلهم.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾

ما عاقبة الذين يحاربون الله ورسوله، ويبارزونه بالعداوة والإفساد في الأرض بالقتل وأخذ الأموال وقطع الطريق؛ إلا أن يُقَتَّلُوا من غير صلب، أو يقتلوا مع الصلب على خشبة ونحوها، أو تقطع يد أحدهم اليمنى مع الرجل اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، أو يغرَّبوا في البلاد؛ ذلك العقاب لهم فضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾

إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين من قبل قدرتكم -يا أولي الأمر- عليهم، فاعلموا أن الله غفور لهم بعد التوبة، رحيم بهم، ومن رحمته بهم إسقاط العقاب عنهم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• قصة ابني آدم ظاهرها أن أول ذنب وقع في الأرض -في ظاهر القرآن- هو الحسد والبغي، والذي أدى به للظلم وسفك الدم الحرام الموجب للخسران.

• الندامة عاقبة مرتكبي المعاصي.

• أن من سَنَّ سُنَّة قبيحة أو أشاع قبيحًا وشجَّع عليه، فإن له مثل سيئات من اتبعه على ذلك.

• حرمة النفس البشرية، وأن من صانها وأحياها فكأنما فعل ذلك بجميع البشر، وأن من أتلف نفسًا بشرية أو آذاها من غير حق فكأنما فعل ذلك بالناس جميعًا.

• عقوبة الذين يحاربون الله ورسوله ممن يفسدون بالقتل وانتهاب الأموال وقطع الطرق هي: القتل بلا صلب، أو مع الصلب، أو قطع الأطراف من خلاف، أو بتغريبهم من البلاد؛ وهذا على حسب ما صدر منهم.

• توبة المفسدين من المحاربين وقاطعي الطريق قبل قدرة السلطان عليهم توجب العفو.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ٢٧-٣٤ من المختصر في التفسير

[📕 <التفسير]

[🖊 > التعليق]

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾

📕 واقصص -أيها الرسول- على هؤلاء الحسدة الظالمين من اليهود خبر ابْنَي آدم، وهما قابيل وهابيل، بالصدق الذي لا مرية فيه،

🖊 نعم، قال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ" يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقصص على اليهود الحسدة الظالمين خبر ابنَي آدم -وهما قابيل وهابيل- "بِالْحَقِّ" يعني بالصدق الذي لا مرية فيه، يعني لا شك فيه، فهو خبرٌ حقٌّ واقع.

📕 حين قَدمَا قُرْبانًا يتقرب به كل منهما إلى الله سبحانه،

🖊 هنا معنى قوله: "إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا" يعني أن كل واحدٍ منهما قدم قربانا يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى.

📕 فَقَبِلَ الله القُرْبان الذي قدمه هابيل؛ لأنه من أهل التقوى، ولم يقبل قربان قابيل؛ لأنه ليس من أهل التقوى،

🖊 نعم، قال تعالى: "فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ"، قبِل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان هابيل، وكيف عُرِف قَبول قربان هذا وعدم قبول قربان الآخر؟ لعله بالعادة السابقة في الأمم أن علامة تقبل القربان أن تنزلَ نار من السماء فتُحرِقه. والله أعلم.

📕 فاستنكر قابيل قبول قُرْبان هابيل حسدًا، وقال: لأقتلنك يا هابيل، فقال هابيل: إنما يقبل الله قُرْبان من اتقاه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

🖊 نعم، قال: "قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ " استنكر أن يُقبلَ قربان أخيه ولا يُقبَلَ قربانُه فحسد أخاه على هذا وهدده بالقتل، فرد عليه هابيل وقال: "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" وأصح الأقوال في المراد بهذه الجملة: أن المرادَ إنما يتقبل الله ممن اتقاه في ذلك العمل بأن يعمله خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى متّبعا فيه هَدي الأنبياء، وليس المقصود أنه لا يُقبَل العمل إلا ممن كان متقيا فلا يُقبَل أي عمل إلا ممن كان الأصل فيه أو الغالب عليه التقوى. والله أعلم.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾

لئن مَدَدتَّ يدك إليّ تقصد قتلي فلست مجازيك بمثل صنيعك، ذلك ليس جبنًا مني، ولكني أخاف الله رب المخلوقات.

🖊 نعم أتم هابيلُ كلامَه فقال: "لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ" أي لإن مددت يدك إليّ تريد قتلي فلن أفعلَ مثل فعلك، لماذا؟ علل ذلك فقال: "إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" يعني ليس جُبنًا وخوفًا منك؛ لكني أخاف الله أن يؤاخذني على إثم قتلي لك، فدل على أن من يخاف الله سبحانه وتعالى لا يُقدِم على الذنوب. والله المستعان.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

فقال له مرهبًا: إني أريد أن ترجع بإثم قتلي ظلمًا وعدوانًا إلى آثامك السابقة،

🖊 نعم، أتم هابيل كلامه فقال: " إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ" يعني أريد إذا تجرأتَ وقتلتني "أَن تَبُوءَ" بمعنى ترجع "بِإِثْمِي" يعني بإثم ذنبي ظلمًا وعدوانا، " وَإِثْمِكَ" أي وإثمك الذي فعلته قبل ذلك وأدى إلى عدم قَبول قربانك.

فتكون من أصحاب النار الذين يدخلونها يوم القيامة، ذلك الجزاء جزاء المعتدين، وأنا لا أريد أن أرجع بإثم قتلك فأكون منهم.

🖊 نعم، قال: "فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ" يعني إذا قتلتني وبؤت بإثمي وإثمك ستكون من أصحاب النار "وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" يعني هذه عاقبة وجزاء الذين يظلمون الناس ويعتدون عليهم، وفي هذه الجملة

تقرير أنه لا يريد أن يكون مثل أخيه فيتجرأ عليه في القتل حتى لا يكونَ من أصحاب النار ولا يكونَ من الظالمين.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾

فزيَّنتْ لقابيل نفسُه الأمارة بالسوء قتلَ أخيه هابيل ظلمًا فقتله.

✐ قال: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ" طوعت له نفسه أي زينت له نفسه أن يقتل أخاه فقتله ظلما.

فأصبح بسبب ذلك من الناقصين أنفسهم حظوظهم في دنياهم وأُخراهم.

✐ نعم، قال: "فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ" أي فأصبح بقتله أخاه ممن خسِر دنياه وآخرته لأنه باع آخرتَه بدنياه.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾

فأرسل الله غرابًا يثير الأرض أمامه ليدفن فيها غرابًا ميتًا؛ ليعلمه كيف يستر بدن أخيه،

✐ نعم، قال: " فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ" لما قتل قابيلُ أخاه هابيل لم يعرف ماذا يفعلُ بجسده لأنه أول ميت مات من بني آدم، فأراد الله أن يعلمه ذلك فأرسل له غرابًا معه غرابٌ ميت، فجاء ذلك الغراب "يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ" يعني يحفر حفرةً في الأرض ليدفن الغراب الميت؛ فيتعلم كيف يستر بَدن أخيه " كَيْفَ يُوَارِي" أي يُغطي " سَوْءَةَ أَخِيه" والمراد بالسَوْءَةَ ما تسوءُ رؤيتُه من جسد أخيه الذي بدأ يتغير ويتعفن.

قال القاتل أخاه حينئذ: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب الذي وارى الغرابَ الآخر الميتَ فأواري سوأة أخي، فواراه حينئذ؛ فأصبح من المتحسِّرين.

✐ نعم، هنا قال قابيل: "يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي" يعني أنه يستغرب من نفسه أنه لم يكن مثل الغراب الذي علِم كيف يواري سوأة الغراب الميت قال: " فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ"

يعني أنه واراه حين إذٍ ودفنه وأصبح من النادمين المتحسرين على قتل أخيه.

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾

من أجل قَتْل قابيل أخاه أعلمنا بني إسرائيل أن من قَتَل نفسًا بغير سبب من قِصاص أو إفساد في الأرض بالكفر أو الحِرابة، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق عنده بين البريء والجاني.

نعم، قال تعالى: "مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ" يعني من أجل ما حصل من قتل قابيلَ أخاه هابيل " كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ" أي شرعنا لهم وأخبرناهم وأعلمناهم "أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا" يعني من قتل نفسًا بغير سببٍ وحقٍّ يوجِب قتله فكأنما قتل الناس جميعا لأنه لا يصير عنده فرق بين البريء والجاني، فكما تجرأ على قتل هذه النفس بغير حق فقد يتجرأُ على قتل غيره أيضا بغير حق، ثم قد يقتدي به غيرُه فيَقتل أيضا بغير حق؛ فيكونُ بذلك قد سنَّ سُنة سيئة بقتل الناس البُرَآء، فلذلك صار كأنما قتل الناس جميعا، وقال هنا: "مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ"

هنا ذكر أمرين يجوز القتل بهما:

- الأول: أن يقتل نفسًا بغير حق متعمدا فإنه يحل قتلُه على تفصيلٍ مذكور في كتب الفقه.
- والأمر الثاني: أن يكون مفسدا في الأرض، إما بإفساده لأديان الناس أو لأبدانهم وأموالهم، وإفسادُ أديان الناس يكون بالدعوة إلى الكفر والردة والمحاربة للمسلمين، وإفسادُ أبدانهم وأموالهم يكون بقطع الطريق.

ومن امتنع عن قتل نفس حرَّمها الله تعالى معتقدًا حرمة قتلها ولم يقتل؛ فكأنما أحيا الناس جميعًا؛ لأن صنيعه فيه سلامتهم جميعًا،

نعم، قال: "وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" يعني من استبقَ أحدا فلم يقتله مع أن نفسَه تدعوه إلى قتله فمنعه خوف الله تعالى من قتله فهذا كأنه أحيا الناس جميعا؛ لأن ما معه من الخوف من الله سبحانه

وتعالى سيمنعُه من قتل من لا يستحق القتل وسيقتدي به الآخرون كذلك فيمتنعون عن قتل من لا يستحق القتل فكان بذلك كأنما أحيا الناس جميعا.

ولقد جاءت رسلُنا إلى بني إسرائيل بالحجج الواضحة والبراهين الجلية،

نعم، قال تعالى:" وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ" الضمير هنا راجع إلى بني إسرائيل، جاءتهم الرسل "بِالْبَيِّنَاتِ" يعني بالحجج والبراهين والآيات على صحة ما دَعَوهُم إليه من الإيمان بالله وبرسله واليوم الآخر وعلى صحة الشرائع التي أَتَو بها.

ومع هذا فإن كثيرًا منهم متجاوزون لحدود الله بارتكاب المعاصي، ومخالفة رسلهم.

نعم، قال: "ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ" يعني معَ ما جاءتهم به رسلهم من الحجج الواضحة والبراهين الجلية فـ "إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم" يعني من بني إسرائيل "بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ" أي معتدون متجاوزون حدود الله في ارتكاب المعاصي والاعتداءِ على عباد الله.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾

ما عاقبة الذين يحاربون الله ورسوله، ويبارزونه بالعداوة والإفساد في الأرض بالقتل وأخذ الأموال وقطع الطريق؛

نعم، هذه الآية جاءت في أحكام قُطَّاع الطريق الذين يَعرِضون للناس في طرق سفرهم، فيغصبونهم أموالهم وقد يقتلونهم أو يُخِيفونهم مما يؤدي إلى امتناع الناس من سلوك الطريق التي يوجد فيها هؤلاء القُطَّاع، قال تعالى: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ۚ " أي ليس جزاءُ هؤلاء الذين يحاربون اللهَ رسوله وذلك بإظهار العداوة لله ورسله ودينه والاعتداء على أحكامه "وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا" وذلك بالقتل وأخذ الأموال وقطع الطريق إلى آخر ما هنالك.

📕 إلا أن يُقْتَلُوا من غير صلب، أو يقتلوا مع الصلب على خشبة ونحوها، أو تقطع يد أحدهم اليمنى مع الزجل اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، أو يغرَّبوا في البلاد؛

🖊 نعم، قال: "أَن يُقَتَّلُوا" يعني إنما جزاؤهم "أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ"

هذه أربعُ عقوبات:

- " أَن يُقَتَّلُوا" هذا واضح.
- " أَوْ يُصَلَّبُوا" بمعنى أنهم يُقتلون مع صَلبهم على خشبة وتعليقهم عليها ليرتدع أشباهُهم.
- " أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ" بمعنى تُقطع اليد اليمنى مع الرِّجل اليسرى ثم إن عاد إلى قطع الطريق قُطِعت يده اليسرى مع رجلِه اليمنى، هذا معنى " مِّنْ خِلَافٍ".
- " أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ" يعني يُغرَّبوا في البلاد فيُبعَدوا إلى بلد غير بلدهم، أو يُسجَنوا في السجن حتى تظهرَ توبتُهم.

واختلف المفسرون هل هذه العقوبات الأربع

- على التخيير، بمعنى أن كل قاطع طريق يفعل به الإمامُ أو نائبُه ما يراه المصلحة من هذه الأمور المذكورة.
- أو أن عقوبتهم تكون بحسب جرائمهم

- فإن قَتَلوا وأخذوا مالاً فإنهم يُقتَلون ويُصلَبون،

- وإن قَتلوا ولم يأخذوا مالاً فإنهم يُقتَلون فقط،

- وإن أخذوا مالاً ولم يَقتُلوا قُطِّعَت أيديهم وأرجلُهم من خلاف،

- وإن أخافوا الناس ولم يَقتلوا ولا أخذوا مالا فإنهم يُنفَون من الأرض،

هذا هو التفصيل الذي ذكره جماعة من الأئمة، وهو مَروِيٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، على اختلاف بينهم في بعض تفاصيله. والله تعالى أعلم.

■ ذلك العقاب لهم فضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

✐ نعم قال: "ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا" هذه العقوبة ذلٌّ وفضيحةٌ لهم في الدنيا "وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" كذلك؛ فدل ذلك أن قطع الطريق من أعظم الذنوب وهو من كبائر الذنوب التي تُوجِب فضيحة الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾

■ إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين من قبل قدرتكم -يا أولي الأمر- عليهم، فاعلموا أن الله غفور لهم بعد التوبة، رحيم بهم، ومن رحمته بهم إسقاط العقاب عنهم.

✐ نعم، قال: "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ" استثنى من العقوبات التي ذكرها في الآية السابقة: الذين تابوا وأظهروا توبتهم قبل القدرة عليهم، يعني قبل القبض عليهم والتمكن من الإمساك بهم، قال: "فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" فما كان من حقِّ لله من تحتُّم القتل أو الصلب أو القطع أو النفي فإنه يسقط؛ لأنه أظهرَ توبته قبل القدرة عليه، أما إذا كان قد أظهر توبتَه بعد أن قُبِض عليه فإن حق الله لا يسقط عنه، وهذا هو الذي دل عليه مفهوم الآية. والله تعالى أعلم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]:

• ■ قصة ابني آدم ظاهرها أن أول ذنب وقع في الأرض -في ظاهر القرآن- هو الحسد والبغي، والذي أدى به للظلم وسفك الدم الحرام الموجب للخسران.

✐ نعم، هذه القصة التي حصلت بين ابنَي آدم دافعها الأساسي هو الحسد والبغي، وأدى هذا الحسد والبغي إلى الظلم والقتل مما أدى به إلى الخسران، وهذا ظاهر في سياق القصة.

• ■ الندامة عاقبة مرتكبي المعاصي.

✐ نعم، مرتكب المعاصي لا بد أن يندم؛ فإما أنه يندم لأن نفسَه توبخه على ارتكاب المعصية، أو يندمُ

إذا قُبض عليه وفُضِح أمره، أو يندمُ يوم القيامة، وهذا مأخوذٌ من قوله تعالى: " فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ".

- 📕 أن من سَنَّ سُنَّة قبيحة أو أشاع قبيحًا وشجَّع عليه، فإن له مثل سيئات من اتبعه على ذلك.

🖊 نعم، من سَن سنة قبيحة وبدأ بعادة سيئة ثم تبِعه الناس على ذلك فإنه يتحمل آثام من تبِعه، وهذا مأخوذٌ من قوله تعالى: " مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا" لماذا؟ لأنه سَنَّ سُنَّة سيئة في قتل من لا يستحقُّ القتل، وقد يُؤخَذُ هذا أيضًا من قوله تعالى: "فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ" لأنه سيتحمَّل آثام من يتْبَعُه من هذا الفعل القبيح، وقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما مِن نفسٍ تُقتَلُ ظُلمًا إلَّا كان على ابنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن دَمِها لأنَّه أوَّلُ مَن سنَّ القتلَ)[1]. والله المستعان.

- 📕 حرمة النفس البشرية، وأن من صانها وأحياها فكأنما فعل ذلك بجميع البشر، وأن من أتلف نفسًا بشرية أو آذاها من غير حق فكأنما فعل ذلك بالناس جميعًا.

🖊 نعم، هذه الآيات فيها بيان حرمة النفس البشرية، وأنه لا يجوز الاعتداء عليها إلا بحق، وهذا الحق هو ما بينته الشريعة، وهذا ظاهر في قوله تعالى: "مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا".

- 📕 عقوبة الذين يحاربون الله ورسوله ممن يفسدون بالقتل وانتهاب الأموال وقطع الطرق هي: القتل بلا صلب، أو مع الصلب، أو قطع الأطراف من خلاف، بتغريبهم من البلاد؛ وهذا على حسب ما صدر منهم.

🖊 نعم، عقوبةُ الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا بهذه الأمور الأربعة التي ذكرها الله، وهذا على خلافٍ بين أهل العلم في طريقة تنفيذها هل هو راجعٌ إلى الإمام بحيث أنه يُخيَّر فيها أو أنها بحسب جرائمهم. والله أعلم.

---

[1] (ما مِن نفسٍ تُقتَلُ ظُلمًا إلَّا كان على ابنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن دَمِها لأنَّه أوَّلُ مَن سنَّ القتلَ) أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧)

• 📕 توبة المفسدين من المحاربين وقاطعي الطريق قبل قدرة السلطان عليهم توجب العفو.

🖊 نعم، توجب العفو في حقوق الله سبحانه وتعالى كما قال: "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (٢٧-٣٤)

الكلمة	المعنى
قَرَّبَا قُربَانًا	قَدَّمَا شيئا يُتقَرّب به إلى الله
بَسَطتَ	مَدَدتَ
تَبُوءَ بِإِثمِي	تَرجِعَ حاملا إثمَ قَتْلِي
وإِثمِك	وذنبِك السابق
فطَوَّعَتْ	فزَيَّنَتْ وسَهَّلَتْ
يَبحثُ في الأرض	يَحفِرُ في الأرض حُفرةً
سَوْأَةَ أخيه	ما تَسوء رؤيته، وهو جسد أخيه الذي بدأ يتغيّر
فأُوَارِي	فأَستُر
يُصَلَّبُوا	يُشَدّوا على خشبة
مِن خِلَاف	بقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى
يُنفَوا مِنَ الأرض	يُبعَدوا من بلادهم أو يُسجَنوا
خِزيٌ	ذُلٌّ وفضيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ٢٧-٣٤

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية السابعة والعشرين وحتى الآية الرابعة والثلاثين.

أبدأ بقول الله تعالى: (واتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق) هل يصح الوقف هنا؟

نص السجاوندي رحمه الله على أن الوقف هنا لازم، ونص الأشموني على أنه حسن، ولم ينص بقية علماء الوقف والابتداء على وقفٍ هنا، وعلّل السجاوندي لزوم الوقف هنا بأن (إذْ) الواردة في قوله (إذْ قرّبا قربانا) ليست ظرفا لـ (واتلُ)، ولو وُصلت هذه الجملة بما بعدها لالتبست وصار معنى الكلام محالا.

وقصده من ذلك أننا لو ربطنا (إذْ) في قوله: (إذْ قرّبا) وهي ظرف للزمن الماضي بقوله: (واتلُ) لصار الأمر بالتلاوة في الزمن الماضي، وهذا محال.

لكن ما ذهب إليه السجاوندي هنا فيه بعد، وذلك أن (إذْ) هنا متعلقة بالنبأ، يعني: (واتل عليهم نبأ ابني آدم) حين قرّبا قربانا، فـ(إذْ) متعلقة بالنبأ، لا بالأمر بتلاوة النبأ عليهم. وهذا الذي جعل عامة علماء الوقف والابتداء لا ينصّون على وقفٍ هنا، ولعله هو الأقرب، والأشموني رحمه الله جعله حسنا إن عُلِّق (إذْ) بـ (اذكر)، يعني: اذكر إذ قرّبا قربانا، وليس بوقف إن جُعل ظرفا لـ (اتلُ)، وكما ذكرت إنما هو ظرف للنبأ، وليس ظرفا لـ (اتلُ عليهم) وبناء عليه لا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (إذْ قرّبا قربانا فتُقُبّل من أحدهما ولم يُتَقَبّل من الآخر)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن حكاية ما حصل من فعلهم قد انتهت هنا، ثم بدأ ذكرُ ما حصل بينهما من كلام وتهديد بالقتل، فصح الوقف هنا للفصل بين حكاية ما وقع منهم من تقريب القربان وبين ما حصل بينهم من كلام بعد ذلك، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (قال لأقتلنّك)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن قول القاتل لأخيه وتهديدَه له قد انتهى هنا، ثم جاء جواب أخيه المقتول له في قوله: (قال إنما يتقبل الله من المتقين)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يديَ إليك لأقتلك) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن القسَم الذي ابتدأ به كلامه في قوله: (لئن بسطت إليَّ يدك) اللام هذه موطئة للقسم، ثم جاء بعد القسم شرط انتهى عند قوله: (ما أنا بباسط يديَ إليك لأقتلك). فمن نظر إلى أن جملة القسم ومعها جملة الشرط قد انتهيا هنا صحح الوقف هنا، ومن نظر إلى أن قوله بعدها: (إني أخاف الله رب العالمين) إنما هو تعليل لهذا الخبر الذي أخبر به وأقسم عليه من أنه لن يبسط يده إلى أخيه ليقتله، منع من الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن خطاب الأخ المقتول لأخيه القاتل قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في قوله: (وذلك جزاء الظالمين)، واختلفت عن الجملة الأولى في كونها خبرا وليست خطابا، وهي جملة مستأنفة، فصح الفصل بينها وبين ما قبلها، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (فطوّعت له نفسه قتل أخيه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأنّ قوله: (فقتله) جملة معطوفة على جملة: (فطوّعت)، وهذه الجملة المعطوفة جاءت لبيان نتيجة مطاوعته لنفسه، فطوعت له نفسه قتل أخيه فطاوعها فقتله، فلا يصح الفصل بينهما.

وهل يصح الوقف على قوله: (فقتله)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فأصبح من الخاسرين) أيضا جملة معطوفة جاءت لبيان نتيجة قتله لأخيه أنه أصبح من الخاسرين، فلا وقف في هذه الآية، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (لِيُرِيَه) اللام هنا لام التعليل، ولا يصح الوقف قبل التعليل، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (لِيُرِيَه كيف يواري سوءة أخيه)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الخبر عما حصل من الغراب قد انتهى هنا، ثم جاء كلام القاتل في بيان تحسره وندامته في قوله: (قال يا ويلتى أَعَجَزت أن أكون مثل هذا الغراب...) إلى آخر كلامه، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (قال يا ويلتى أَعَجَزت أن أكون مثل هذا الغراب فأُواريَ سوءة أخي)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن كلامه الذي تَنَدَّم به بعد رؤيته للغراب قد انتهى هنا، ثم جاء الخبر عن حاله في جملة معطوفة مستقلة قائمة بنفسها في قوله: (فأصبح من النادمين)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (من أجل ذلك) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ وقد نصّ بعض علماء الوقف والابتداء على صحة الوقف هنا، وبعضهم نصّ على أن الوقف هنا وقف تعانق، بحيث لو وقف على أحد الموضعين لم يقف على الموضع الآخر، وذلك إما أن يقف على رأس الآية في قوله: (فأصبح من النادمين)، أو يقف على قوله: (من أجل ذلك). فإذا وقف على قوله: (فأصبح من النادمين) فإنه يلزمه الوصل فيقول: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل...) إلى آخره، وإن لم يقف قرأ: (فأصبح من النادمين من أجل ذلك).

والوجه الأول هو المعتبر عند عامة المفسرين، وهو الذي اعتمده علماء الوقف والابتداء المتقدمون كالنَحَّاس والداني، حيث اعتبروا الجار والمجرور في قوله: (من أجل ذلك) متصلا بما بعده، فالمعنى: من أجل ما حصل بين ابني آدم كتبنا على بني إسرائيل.. إلى آخر ما ذكر الله.

وأما من علَّق الجار والمجرور في قوله: (من أجل ذلك) بما قبله، فإنه جعل الجملة أن الله أخبر عن القاتل أنه أصبح من النادمين من أجل ما رأى من الغراب، أو من أجل ما حصل منه تجاه أخيه. وهذا المعنى بعيد عن سياق الآية من ناحية، ومخالف لنظم القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن رؤوس الآيات الأصل أنها منفصلة عما بعدها، ولا توصل بما بعدها إلا بحجة يقينية ظاهرة، وتعليق الجار والمجرور في قوله: (من أجل ذلك) بما بعده في نفس الآية ممكن، وهو المشهور عند علماء التفسير، فالإتيان بالوجه الآخر وربطه بالآية التي قبله فيه بُعد ونوع تكلف.

ولعل بعض من ربط الجار والمجرور في قوله: (من أجل ذلك) بما قبله أراد أن ينفي التعليل في أفعال الله سبحانه وتعالى، وهذا قول خاطئ، وعقيدة فاسدة، بل الله سبحانه وتعالى قد أثبت الحكمة والتعليل في

أفعاله في آيات كثيرة، حتى أوصلها بعض أهل العلم إلى أكثر من مائة آية، في مثل قوله تعالى: (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)، وفي قوله تعالى: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه). وقد نص بعض علماء الوقف والابتداء على أن ربط (من أجل ذلك) بما قبلها قول لمن لا معرفة لهم بالعربية، وأنه قول خارج عن قول أهل التفسير.

فترجَّح من هذا أن الوقف الصحيح على رأس الآية في قوله: (فأصبح من النادمين)، ثم لا وقف على قوله: (من أجل ذلك)، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)؟

نص على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن جملة الشرط التي ابتُدِئت بقوله: (مَن قتل نفسا) قد انتهت عند قوله: (فكأنما قتل الناس جميعا)، ثم جاءت جملة شرط آخر في قوله: (ومَن أحياها)، فمن نظر إلى هذا صحَّح الوقف هنا.

لكن جملة: (ومَن أحياها) وإن كانت جملة شرطية قائمة بنفسها إلا أنها من تتمة بيان ما كتبه الله على بني إسرائيل، فالله سبحانه وتعالى كتب على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، وكتب عليهم أيضا أن من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا.

فمن نظر إلى هذا منع من الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن ما ذكره الله مما كتبه على بني إسرائيل قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بلام القسم (ولقد)، متضمنة خبرا جديدا عن بني إسرائيل في قوله: (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات)؟

جوَّز الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، ولم ينص عليه الأكثر، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى قال بعدها: (ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون)، و (ثم) هنا ليست لذكر حدث حصل بعد حدث، إنما هي لمجرد ترتيب الأخبار، لكن جملة: (ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) هي

جملة معطوفة على جملة جواب القسم التي هي: (قد جاءتهم رسلنا بالبينات)، فهي من تتمة بيان حالهم مع رسلهم، فالأقرب هنا عدم الوقف، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن قوله: (أن يُقَتَّلوا) خبر المبتدأ في قوله (جزاء)، فجزاؤهم أن يُقتَّلوا، ولا وقف قبل أن تنتهي الجملة الاسمية بمبتدئها وخبرها.

وهل يصح الفصل بين المعطوفات بـ (أو) في قوله: (أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوْا من الأرض)؟

الجواب: لا يصح الفصل بينها؛ لماذا؟ لأن هذه العقوبات هي عقوبات هؤلاء الذين يسعون في الأرض فسادا ويحاربون الله ورسوله، وهي على التخيير، والتخيير فيها راجع إلى الإمام، وليست كل عقوبة مستقلة بنفسها، فلا فصل بين هذه العقوبات.

ثم يصح الوقف على قوله: (أو يُنفوْا من الأرض) في نهاية ذكر العقوبات كما نص عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، لأن الجملة الاسمية باسمها وخبرها وما عُطف على خبرها وذِكر عقوبات هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في قوله: (ذلك لهم خزي في الدنيا)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ذلك لهم خزي في الدنيا)؟

نص على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الله سبحانه وتعالى أشار إلى أن هذا العقاب خزيٌ لهؤلاء في الدنيا، ثم ذكر في الجملة التي تليها أنهم متوعَّدُون في الآخرة بعذاب عظيم، فمن رأى أن العقوبة الدنيوية جاءت في جملة مستقلة والأخروية كذلك صحح الفصل بينهما.

ومن رأى أن تمام التهديد إنما يكون بذكر العقوبتين معا لم يصحح الوقف هنا، والأقرب صحة الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) هل يصح الوقف هنا؟

نص على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الاستثناء قد انتهى هنا في قوله: (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم)، والمعنى: أي فلا تقتلوهم ولا تُصَلِّبوهم ولا تقطعوا أيديهم

وأرجلهم من خلاف ولا تنفوهم من الأرض، ثم جاءت جملة: (فاعلموا أن الله غفور رحيم) تضمنت إيماءً لهذا الحكم، أي: فاقبلوا منهم توبتهم، ولا تؤاخذوهم بما حصل منهم.

لكن الاستثناء في أول الآية يحتمل أن يكون منقطعا بمعنى (لكن)، وبناءً عليه تكون (الذين) مبتدأ، وخبرها: (اعلموا أن الله غفور رحيم)، فلا يصح الوقف بناء على ذلك، والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ٢٧-٣٤

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾.

قال ابن كثير: «{بالحق} أي: على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب، ولا وهم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، كما قال تعالى: {إن هذا لهو القصص الحق}، وقال تعالى: {نحن نقص عليك نبأهم بالحق}، وقال تعالى: {ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون}». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٢-٨٤).

وقال ابن عثيمين: «واعلم أن الحق يوصف به الخبر، ويوصف به الحكم، فإن كان الخبر فهو: الصدق، وإن كان الحكم فهو: العدل، كما قال الله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}، فقوله: {بِالْحَقِّ} يعني: بالصدق الثابت الذي لا مرية فيه ولا اختلاف». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٨٦).

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾.

قال الطبري: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، أن اللذين قرّبا القربان كانا ابني آدم لصلبه، لا من ذريته من بني إسرائيل، وذلك أن الله عز وجل يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة، والمخاطَبون بهذه الآية كانوا عالِمين أن تقريب القربان لله لم يكن إلا في ولد آدم، دون الملائكة والشياطين وسائر الخلق غيرهم. فإذ كان معلوما ذلك عندهم، فمعقول أنه لو لم يكن معنيا بـ(ابني آدم) اللذين ذكرهما الله في كتابه ابناه لصلبه، لم يفدهم بذكره جل جلاله إياهما فائدة لم تكن عندهم. وإذ كان غير جائز أن يخاطبهم خطابا لا يفيدهم به معنى، فمعلوم أنه عنى بـ(ابني آدم)، ابني آدم لصلبه، لا بني بنيه الذين بعُد منه نسبهم، مع إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل على أنهما كانا ابني آدم لصلبه، وفي عهد آدم وزمانه، وكفى بذلك شاهدا». «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٠٨).

وقال ابن كثير: «وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف، أن الله تعالى قد شرع لآدم عليه السلام أن يزوّج بناته من بنيه لضرورة الحال، ولكن قالوا: كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فكان يزوّج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل دميمة، وأخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر

بها على أخيه، فأبى آدم ذلك إلا أن يقرّبا قربانا، فمن تقبّل منه فهي له، فقرّبا، فتقبّل من هابيل، ولم يتقبل من قابيل، فكان من أمرهما ما قصّ الله في كتابه...

عن ابن عباس قال: كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه، وإنما كان القربان يقرّبه الرجل، فبينا ابنا آدم قاعدان إذ قالا: لو قربنا قربانا، وكان الرجل إذا قرب قربانا فرضيه الله أرسل إليه نارا فتأكله، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار، فقرّبا قربانا، وكان أحدهما راعيا، وكان الآخر حراثا، وإنّ صاحب الغنم قرّب خير غنمه وأسمنها، وقرّب الآخر بعض زرعه، فجاءت النار فنزلت بينهما، فأكلت الشاة وتركت الزرع، وإن ابن آدم قال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قربانا فتقبّل منك ورد عليّ؟ فلا والله لا ينظر الناس إليك وإليّ وأنت خير مني، فقال: لأقتلنك. فقال له أخوه: ما ذنبي؟ إنما يتقبل الله من المتقين. رواه ابن جرير.

فهذا الأثر يقتضي أن تقريب القربان كان لا عن سبب، ولا عن تدارئ في امرأة، كما تقدم عن جماعة من تقدم ذكرهم، وهو ظاهر القرآن: {إذ قرّبا قربانا فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين}، فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده لقبول قربانه دونه.

ثم المشهور عند الجمهور أن الذي قرّب الشاة هو هابيل، وأن الذي قرّب الطعام هو قابيل، وأنه تقبّل من هابيل شاته، حتى قال ابن عباس وغيره: إنه الكبش الذي فدي به الذبيح، وهو مناسب، والله أعلم، ولم يتقبّل من قابيل. كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٢-٨٤).

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

«قال عبد الله بن عمر: لو أعلم أن الله تقبّل مني سجدة واحدة لم يكن غائب أحب إلي من الموت، {إنما يتقبل الله من المتقين}». «الروح» (٢/ ٦٤٦).

«قال ابن زيد في قوله: (إنما يتقبل الله من المتقين)، قال يقول: إنك لو اتقيت الله في قربانك تقبّل منك، جئت بقربان مغشوش بأشرّ ما عندك، وجئت أنا بقربان طيب بخير ما عندي. قال: وكان قال: يتقبل الله منك ولا يتقبل مني!». «تفسير الطبري» (١٠/ ٢١١).

وقال ابن تيمية: «الناس لهم في هذه الآية -وهي قوله تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين}- ثلاثة أقوال: طرفان ووسط.

فالخوارج والمعتزلة يقولون: لا يتقبل الله إلا ممن اتقى الكبائر، وعندهم صاحب الكبيرة لا يقبل منه حسنة بحال.

والمرجئة يقولون: من اتقى الشرك.

والسلف والأئمة يقولون: لا يتقبل إلا ممن اتقاه في ذلك العمل، ففعله كما أُمر به، خالصا لوجه الله تعالى».

«منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢١٦).

وقال ابن تيمية: «التقوى في العمل بشيئين:

أحدهما: إخلاصه لله، وهو أن يريد به وجه الله، لا يشرك بعبادة ربه أحدا.

والثاني: أن يكون مما أمره الله به وأحبه، فيكون موافقا للشريعة، لا من الدين الذي شرعه مَن لم يأذن الله له.

وهذا كما قال الفضيل بن عياض في قوله: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال: أخلصه وأصوبه، وذلك أن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة». «جامع الرسائل لابن تيمية» (١/ ٢٥٧).

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال ابن تيمية: «أمر النبي صلى الله عليه وسلم المكرَه في قتال الفتنة بكسر سيفه، وليس له أن يقاتل، وإن قُتل، كما في صحيح مسلم عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتن، ألا ثم تكون فتن: القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ألا فإذا نزلتْ - أو وقعت - فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدقّ على حدّه بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاة. اللهم هل بلغت. اللهم هل بلغت. اللهم هل بلغت. فقال رجل: يا رسول الله. أرأيت إن أُكرهت حتى يُنطلق بي إلى إحدى الصفين أو - إحدى الفئتين -

فيضربني رجل بسيفه أو بسهمه فيقتلني؟ قال: يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار).

ففي هذا الحديث أنه نهى عن القتال في الفتنة؛ بل أمر بما يتعذر معه القتال من الاعتزال، أو إفساد السلاح الذي يقاتِل به، وقد دخل في ذلك المكره وغيره، ثم بيّن أن المكره إذا قُتل ظلما كان القاتل قد باء بإثمه وإثم المقتول، كما قال تعالى في قصة ابني آدم عن المظلوم: {إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين}، ومعلوم أن الإنسان إذا صال صائل على نفسه جاز له الدفع بالسنة والإجماع؛ وإنما تنازعوا هل يجب عليه الدفع بالقتال؟ على قولين هما روايتان عن أحمد: إحداهما: يجب الدفع عن نفسه ولو لم يحضر الصف. والثانية: يجوز الدفع عن نفسه. وأما الابتداء بالقتال في الفتنة فلا يجوز بلا ريب». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٣٨-٥٣٩).

وقال ابن كثير: «في الصحيحين، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار). قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصا على قتل صاحبه)...

قال أيوب السختياني: إنّ أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة: {لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين} لَعثمان بن عفان رضي الله عنه. رواه ابن أبي حاتم.

... عن أبي ذر قال: ركب النبي صلى الله عليه وسلم حمارا وأردفني خلفه، وقال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟). قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (تعفّف)، قال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موت شديد، ويكون البيت فيه بالعبد، يعني القبر، كيف تصنع؟). قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (اصبر). قال: (يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضا، يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء، كيف تصنع؟). قال: الله ورسوله أعلم. قال: (اقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك). قال: فإن لم أُترك؟ قال: (فأْت مَن أنت منهم، فكن فيهم)، قال: فآخذ سلاحي؟ قال: (إذًا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك، حتى يبوء بإثمه وإثمك). رواه مسلم وأهل السنن سوى النسائي». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٦-٨٧).

وقال ابن عثيمين: «النبي صلى الله عليه وسلم أمر من أراده أحد على نفسه أن يقاتله، ومن أراده على ماله أن يقاتله، ومن أراده على أهله أن يقاتله، وبيَّن أن المدافع إذا قُتل فهو شهيد، وأن الآخر الصائل إذا قُتل فهو في النار؛ لأنه أراد قتل صاحبه.

ولكن العلماء رحمهم الله قالوا: إن هذا بالنسبة للشريعة الإسلامية يختلف باختلاف المصلحة، ففي حال الفتنة ينبغي الاستسلام، وفي حال الأمن تجب المدافعة، وهذا هو الصحيح؛ لأنه في حال الفتنة ربما يترتب على القتل بالمدافعة إراقة دماء كثيرة، ولهذا استسلم عثمان رضي الله عنه للقتلة، وطلب منه الصحابة أن يدافعوا عنه فأبى؛ لأنهم لو دافعوا لاشتبكوا بهؤلاء الخوارج، ثم حصل إراقة دماء كثيرة».

وقال ابن عثيمين: «الإنسان ينبغي له إذا امتنع من شيء محرم أن يبين لصاحبه أنه إنما امتنع لا عجزًا ولا خوفًا، ولكن للمعنى الذي من أجله امتنع، وذلك لقوله: {مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}، ونظير هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الصائم: (وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم)، ليبين أنه لم يقاتله عجزًا ولا ضعفًا، ولكن لأجل الصيام الذي ينهى فيه الإنسان عن المقاتلة والمسابة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٩٥).

وقال ابن عثيمين: «الخوف من الله هو أقوى الأسباب الرادعة عن معصيته، لقوله: {مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٩٥).

وقال ابن عثيمين: «من أريد قتله ولم يدافع خوفًا من الإثم فإنه لا حرج عليه، ولكن كيف يكون خوفًا من الإثم؟ لأنه ربما يَقتل الصائل فيتعجل؛ لأن الواجب في دفع الصائل أن يدافَع بالأسهل فالأسهل، فإن رجع عن صوله بالتهديد لم يُضرَب، وإن رجع بالضرب اليسير لم يُضرَب كثيرًا، وإن رجع بالضرب الكثير لم يُقتل، وإن لم يندفع إلا بالقتل فالحكم أنه يُقتل، إلا أن العلماء رحمهم الله استثنوا من ذلك مسألة وقالوا: ما لم يخَف أن يبادره بالقتل، فإن خاف أن يبادره بالقتل فلا بأس أن يقتله لأول وهلة، كما لو كان هذا الصائل معه سلاح أشهره على صاحبه، وصاحبه يخاف أن يطلقه عليه فيقتله، فحينئذٍ لا حرج أن تبادره بالقتل؛ لأن هذا الصائل ربما لا يعطيك فرصة أن تدفعه بيدك مثلًا، أو تصيح به، أو ما أشبه ذلك، وحينئذٍ لا بأس أن تبدره بالقتل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٩٦).

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من نفس تُقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سنّ القتل). «صحيح البخاري» (٤/ ١٣٣)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٠٤).

وقال ابن كثير: «قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، في قوله: {إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك} أي: بإثم قتلي، وإثمك الذي عليك قبل ذلك.

قال ابن جرير: وقال آخرون: يعني ذلك أني أريد أن تبوء بخطيئتي، فتتحمل وزرها، وإثمك في قتلك إياي. وهذا قول وجدته عن مجاهد، وأخشى أن يكون غلطا؛ لأن الصحيح من الرواية عنه خلافه...

وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول، ويذكرون في ذلك حديثا لا أصل له: (ما ترك القاتل على المقتول من ذنب).

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا يشبه هذا، ولكن ليس به... عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قتل الصبر لا يمرّ بذنب إلا محاه)، وهذا بهذا لا يصح، ولو صح فمعناه أن الله يكفّر عن المقتول بألم القتل ذنوبه، فأما أن تُحمَل على القاتل فلا.

ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص، وهو الغالب، فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات، فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته، فإن نفدت ولم يستوف حقه أُخذ من سيئات المقتول فطُرحت على القاتل، فربما لا يبقى على المقتول خطيئة إلا وُضعت على القاتل. وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم كلها، والقتل من أعظمها وأشدها، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٧-٨٨).

وقال ابن عثيمين: «القتل سبب لدخول النار، لقوله: {فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}، وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. وهل هو مخلد فيها أبدًا؟ نقول: اختلفت الأمة في ذلك:

فمنهم من قال: إنه مخلدٌ فيها أبدًا، وهم الخوارج والمعتزلة، لكن الفرق بينهم أن الخوارج كفّروه، وأما المعتزلة فلم يكفّروه، بل قالوا: في منزلة بين منزلتين.

والذي عليه أهل السنة والجماعة أنه يدخل النار ولكن لا يخلّد فيها، ولكن هل يدخل النار قطعًا أو هو داخل في قوله تعالى: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}؟ المشهور في مذهب أهل السنة: أنه داخل تحت المشيئة، ولكن يبقى حق المقتول، هل يدخل تحت المشيئة؟

الجواب: إن تاب القاتل توبة نصوحًا، فإنه يدخل في ذلك، بمعنى: أن الله لا يعاقبه على حق المقتول لعموم قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا}، فظاهر الآية أنه إذا تاب توبة نصوحًا فإن الله سبحانه وتعالى يتحمّل عنه ولا يعذّبه، وهذا في غير الحق المالي، يعني: نقول: لو تاب هذا القاتل، هل تسقط الدية عنه؟ الجواب: لا؛ لأنه حق للآدمي». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٩٦).

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

قال ابن عثيمين: «الحذر من النفس الأمارة بالسوء؛ لأنها قد تطوّع للإنسان أكبر المعاصي، فيجب على الإنسان أن يكون حازمًا بالنسبة لنفسه ويقظًا، فلا يَتبعها فيما تطوّعه له من معاصي الله». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٩٨).

وقال ابن عثيمين: «قتال المؤمن لا يوجب الكفر، ولا يُخرج من الإيمان، وتبقى الأخوّة؛ لقوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}، وبهذا التقرير نعرف أن الكفر في الكتاب والسنة قد يراد به الكفر الأصغر، ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٢٩٨).

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله: «تأمّل خلّة عجيبة جُعلت للبهائم والوحوش والسباع والدوابّ على كثرتها، لا

يُرى منها شيء -يعني: بعد موته-، وليست شيئا قليلا فتَخفى لقلّتها، بل قد قيل: إنها أكثر من الناس.
واعتبر ذلك بما تراه في هذه الصحاري من أسراب الظباء والبقر والوعول والذئاب والنمور، وضروب الهوام على اختلافها، وسائر دواب الأرض، وأنواع الطيور، التي هي أضعاف أضعاف بني آدم؛ لا تكاد ترى منها شيئا ميتا، لا في كناسه، ولا في أوكاره، ولا في مساقطه ومراعيه وطرقه وموارده ومناهله ومعاقله ومعاصمه؛ إلا ما عدا عليه عاد؛ إما افترسه سبع، أو رماه صائد، أو عدا عليه عاد أشغله وأشغل بني جنسه عن إحراز جسمه وإخفاء جيفته.
فدلّ ذلك على أنها إذا أحسّت بالموت، ولم تُغلب على أنفسها، كَمَنَتْ حيث لا يوصل إلى أجسامها، وقبرت جيفها قبل نزول البين بها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري بجيفها، وأفسدت الهواء بروائحها، فعاد ضرر ذلك بالناس، وكان سبيلا إلى وقوع الوباء.
وقد دلّ على هذا قوله تعالى في قصة ابني آدم: {فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين}.
وأما ما جعل عيشه بين الناس، كالأنعام والدواب؛ فلقدرة الإنسان على نقله، واحتياله في دفع أذيته، منع مما جعل في الوحوش كالسباع.
فتأمل هذا الذي حار بنو آدم فيه وفيما يفعلون به؛ كيف جُعل طبعا في البهائم، وكيف تعلّموه من الطير!
وتأمل الحكمة في إرسال الله تعالى لابن آدم الغراب المؤذن اسمه بغربة القاتل من أخيه، وغربته هو من رحمة الله تعالى، وغربته بين أبيه وأهل بيته، واستيحاشه منهم واستيحاشهم منه، وهو من الطيور التي تنفر منها الإنس ومن نعيقها وتستوحش بها، فأرسل الله إليه مثل هذا الطائر حتى صار كالمعلم له والأستاذ، وصار بمنزلة المتعلّم والمستدلّ». «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٦٧٨).

وقال ابن عثيمين: «الحيوانات قد تكون مرشدة للبشر كما في هذه القصة، الغراب أرشد ابن آدم إلى أن يحفر لأخيه ويدفنه، وصارت سنة البشر إلى يومنا هذا، إلا من ضلّ عن الصراط المستقيم، كالذين يحرقون موتاهم، ويضعونهم في اليمّ، وما أشبه ذلك.
وهل الميزة في شيء معين يقتضي التفضيل المطلق؟
الجواب: لا، وهذه قاعدة ينبغي أن نعرفها، أنه إذا امتاز أحد بشيء فإن هذا لا يقتضي التمييز المطلق، ومن

ذلك ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام: أنه يكون في آخر الزمان أيام الصبر، للعامل فيهن أجر خمسين من الصحابة، فهل يقال: إن هؤلاء الذين يكونون في تلك الأيام أفضل من الصحابة على سبيل الإطلاق؟ الجواب: لا، لكن يتميزون بميزة. كذلك نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام أحيانًا يفضّل بعض الصحابة على بعض في قضية معينة، فلا يلزم من ذلك التفضيل المطلق، كما في قوله: (لأعطينّ الراية غدًا رجلًا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله)، فأعطاها عليَّ بن أبي طالب، وهذا لا يقتضي أن يكون أفضل من أبي بكر وعمر، وأمثال هذا كثير.

فيجب أن نعرف الفرق بين الفضل المطلق والفضل المعين، فهل نقول: إن الغربان أفضل من بني آدم؟ الجواب: لا، وإن كان للغربان فضل في كيفية مواراة الأموات». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٠٠).

وقال ابن عثيمين: «الواجب في الدفن ما تُوارى به السوأة، أي: ما يغطّى به الجسم، لكن العلماء رحمهم الله زادوا على ذلك شرطًا لا بد منه، وهو أن يكون الدفن مواريًا للسوأة، ومانعًا للسباع وللرائحة، يعني: لا بد أن يمنع السباع أن لا تحفر القبر، وأن يمنع الرائحة أن لا تخرج من القبر، فلو أن إنسانًا حفر حفرة يسيرة ثم وارى عليها التراب، لكن يسهل على السباع أن تحفره وتَخرج رائحته، فإن هذا لا يجزئ، فلا بد من تعميق القبر على وجه يمنع السباع والرائحة، وكلما كان أعمق في الأرض فهو أحسن». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٠٢).

وقال ابن عثيمين: «بدن الميت كله عورة؛ لأن القبر يواري البدن كله، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إنّ بدن الميت كله عورة، لكن هذا بالنسبة إلى وجوب تعميم الكفن، لا بالنسبة للنظر، ولهذا قَبَّل أبو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، مع أنه لا حاجة لذلك، إنما هو شوق إليه، وأما المغسّل فجاز له النظر إلى الميت للحاجة، ولذلك نقول: إن الأفضل ألّا يمس سائره إلا بخرقة، لكن في العورة المغلّظة لا بد أن تكون مستورة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٠٢).

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

قال البغوي: «{فكأنما قتل الناس جميعا} اختلفوا في تأويلها:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: مَن قتل نبيا أو إماما عدلا فكأنما قتل الناس جميعا، ومن

شدّ عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا.

قال مجاهد: مَن قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها، كما يصلاها لو قتل الناس جميعا، (ومن أحياها): مَن سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعا.

قال قتادة: عظّم الله أجرها، وعظّم وزرها، معناه: مَن استحلّ قتل مسلم بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا في الإثم؛ لأنهم لا يسلمون منه، {ومن أحياها} وتورّع عن قتلها، {فكأنما أحيا الناس جميعا} في الثواب؛ لسلامتهم منه.

قال الحسن: (فكأنما قتل الناس جميعا) يعني: أنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا، (ومن أحياها): أي: عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله (فكأنما أحيا الناس جميعا).

قال سليمان بن علي: قلت للحسن: يا أبا سعيد: هي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إي والذي لا إله غيره، ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا». «تفسير البغوي» (٣/ ٤٦).

وقال ابن القيم: «ظنّت طائفة أن قوله: {من أجل ذلك} تعليل لقوله: {فأصبح من النادمين}، أي: من أجل قتله لأخيه، وهذا ليس بشيء؛ لأنه يشوش صحة النظم، وتقلّ الفائدة بذكره، ويذهب شأن التعليل بذلك للكتابة المذكورة، وتعظيمِ شأن القتل، حين جعل علة لهذه الكتابة، فتأمله.

فإن قلت: كيف يكون قتل أحد ابني آدم للآخر علة لحكمه على أمة أخرى بذلك الحكم؟ وإذا كان علة فكيف كان قاتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم؟

قلت: الرب تعالى يجعل أقضيته وأقداره عللا وأسبابا لشرعه وأمره، فجعل حكمه الكوني القدري علة لحكمه الديني الأمري، وذلك أن القتل عنده لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد فخّم أمره، وعظّم شأنه، وجعل إثمه أعظم من إثم غيره، ونزّل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأنفس كلها.

ولا يلزم من التشبيه أن يكون المشبّه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه، فإذا كان قاتل الأنفس كلها يصلى النار، وقاتل النفس الواحدة يصلاها؛ صحّ تشبيهه به. كما يأثم من شرب قطرة واحدة من الخمر، ومن شرب عدة قناطير، وإن اختلف مقدار الإثم. وكذلك من زنى مرة واحدة، وآخر زنى مرارا كثيرة، كلاهما آثم وإن اختلف قدر الإثم.

وهذا معنى قول مجاهد: مَن قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها من قتل الناس جميعا.

وعلى هذا فالتشبيه في أصل العذاب لا في وصفه، وإن شئت قلت: التشبيه في أصل العقوبة الدنيوية وقدرها، فإنها لا تختلف بقلة القتل وكثرته، كما لو شرب قطرة، فإن حدّه حد من شرب راوية، ومن زنى بامرأة واحدة حده حد من زنى بألف، وهذا تأويل الحسن وابن زيد، قالا: يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا.

ولك أن تجعل التشبيه في الأذى والغم الواصل إلى المؤمنين بقتل الواحد منهم، فقد جعلهم كلهم خصماءه، وأوصل إليهم من الأذى والغم ما يشبه القتل». «شفاء العليل» (٢/ ١٣٠-١٣١).

وقال ابن كثير: «عن أبي هريرة قال: دخلت على عثمان يوم الدار، فقلت: جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين. فقال: يا أبا هريرة، أيسرّك أن تَقتل الناس جميعا وإيّاي معهم؟ قلت: لا. قال فإنك إن قتلت رجلا واحدا فكأنما قتلت الناس جميعا، فانصرفْ مأذونا لك، مأجورا غير مأزور. قال: فانصرفت ولم أقاتل». «تفسير ابن كثير» (٣/ ٩٢).

وقال السعدي: «دلت الآية على أن القتل يجوز بأحد أمرين:

إما أن يقتل نفسا بغير حق متعمدا في ذلك، فإنه يحلّ قتله، إن كان مكلفا، مكافئا، ليس بوالد للمقتول.

وإما أن يكون مفسدا في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم إلا بالقتل، وكذلك قطاع الطريق ونحوهم، ممن يصول على الناس لقتلهم، أو أخذ أموالهم». «تفسير السعدي» (ص٢٢٩).

وقال ابن عثيمين: «{أَوْ فَسَادٍ} أطلق الله تبارك وتعالى الفساد، والمراد بالفساد: الفساد الذي تعمّ مفسدته، لا الفساد الخاص، فلو أن شخصًا أحرق دكان آخر، فهذا فساد، لكنه لا يُقتل بذلك، بل لا بد أن يكون مراده الفساد العام». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٠٥).

وقال ابن عثيمين: «الفساد في الأرض مبيح لقتل النفس، لقوله: {أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ}، ومن ذلك: قطع الطريق. يعني: هؤلاء الذين يعرضون للناس بالسلاح في الطرقات، فيغصبونهم المال، وربما يقتلونهم،

هؤلاء مفسدون في الأرض، وكذلك من المفسدين في الأرض في وقتنا الحاضر: هؤلاء الذين يأتون بالمخدرات ويجلبونها إلى البلاد الإسلامية، هم مفسدون في الأرض ولا شك». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣١٥).

وقال ابن عثيمين: «إثبات العلة للأحكام الشرعية، لقوله: {مِنْ أَجْلِ}، وهذه من أقوى صيغ التعليل، وإثبات العلة والحكمة لا شك أنها من كمال الله عزّ وجل، فالله تعالى لا يشرع شيئًا إلا لحكمة، ولا يقدّر شيئًا إلا لحكمة.

وأما من قال: إنه لا يجوز إثبات الحكمة لله عزّ وجل، وأن الله يفعل لمجرد المشيئة، ويشرع لمجرد المشيئة، فإن هذا قول باطل من نحو ألف وجه كما ذكره بعض العلماء، ثم إنه تنقصٌ لله عزّ وجل أن تكون أفعاله وأحكامه الشرعية مبنية على غير حكمة.

وقد أبطل الله تعالى ذلك في آيات متعددة: قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}، وقال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}. وذكر الله تعالى أنه ينزل من السماء ماءً ليحيي به الأرض بعد موتها، والآيات في هذا كثيرة، والنصوص كثيرة، وإثبات الحكمة لله هو غاية التنزيه عن النقص والعيب». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٠٩).

وقال ابن عثيمين: «{وَمَنْ أَحْيَاهَا} أي: أنقذها من الموت أو القتل، وليس المعنى: أنه نفخ فيها الروح؛ لأن ذلك لا يكون إلا لله عزّ وجل، وهذا يشمل أشياء:

أولًا: لو همّ الإنسان بقتل شخص (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ)، ثم استيقظ ورأى أن ذلك حرام، ثم كفّ عن هذا القتل، يكون قد أحيا هذه النفس، فبعد أن طوّعت له نفسه قتله تراجع.

ثانيًا: الدفع: دفع الصائل الذي يريد أن يقتل شخصًا، فيدفعه، ويكون بهذا أحيا نفسًا، أي: أنقذها من القتل.

ثالثًا: أن يقع شخص في هلكة كحريق أو غرق أو هدم، فيأتي شخص آخر فينقذه، فهذا أحيا نفسًا، فيكون كالذي أحيا الناس جميعًا في الثواب الذي يثاب عليه، أو في حسن نيته بإنقاذ هذه النفس المعصومة، فيكون كأنه أنقذ الناس جميعًا؛ لأن طويته حسنة ونيته نية الرحمة، فإذا رحم واحدًا من الخلق فكأنما رحم الناس جميعًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٠٧).

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.

قال ابن عثيمين: «جعل الله عزّ وجل آيات الرسل مناسبة لعصرهم، كما ذكر أهل العلم أن موسى عليه الصلاة والسلام أتى بالعصا وباليد؛ لأن السحر انتشر في عهده، فأتى بآيات لا يمكن للسحرة أن يعارضوها.

وعيسى عليه الصلاة والسلام أتى في زمن ترقى فيه الطب، فأتى بآيات لا يمكن للطب أن يعارضها، وهي: إحياء الموتى، وإخراجهم من القبور، وإبراء الأكمه والأبرص.

ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث في قوم قويت فيهم البلاغة وانتشرت، وصاروا يتفاخرون، فجعل الله أعظم آياته عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم، الذي لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله، بل ولا الجن، قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٠٨).

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾.

قال البغوي: «وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى: {أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض}، فذهب قوم إلى أن الإمام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي، كما هو ظاهر الآية، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد.

وذهب الأكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير...

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق: إذا قَتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصُلبوا، وإذا قَتلوا ولم يأخذوا المال قُتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقتلوا قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، فإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نُفُوا من الأرض.

وهو قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي رحمهم الله تعالى.

وإذا قَتل قاطع الطريق يقتل حتما حتى لا يسقط بعفو ولي الدم.

وإذا أخذ من المال نصابا وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى.

وإذا قتل وأخذ المال يقتل ويصلب. واختلفوا في كيفيته: فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أن يقتل ثم

يصلب، وقيل: يصلب حيا ثم يطعن حتى يموت مصلوبا، وهو قول الليث بن سعد، وقيل: يصلب ثلاثة أيام حيا، ثم يُنزل فيقتل.

وإذا أخاف السبيل ينفى. واختلفوا في النفي: فذهب قوم إلى أن الإمام يطلبه، ففي كل بلدة يوجد ينفى عنه، وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز. وقيل: يطلب لتقام الحدود عليه، وهو قول ابن عباس والليث بن سعد، وبه قال الشافعي. وقال أهل الكوفة: النفي هو الحبس، وهو نفي من الأرض.

وقال محمد بن جرير: ينفى من بلده إلى غيره، ويحبس في السجن في البلد الذي نفي إليه حتى تظهر توبته. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من حبس في السجون، وقال: أحبسه حتى أعلم منه التوبة، ولا أنفيه إلى بلد فيؤذيهم». «تفسير البغوي» (٣/ ٤٩).

وقال القرطبي: «إذا أخيف الطريق انقطع الناس عن السفر، واحتاجوا إلى لزوم البيوت، فانسدّ باب التجارة عليهم، وانقطعت أكسابهم، فشرع الله على قطاع الطريق الحدود المغلظة، وذلك الخزي في الدنيا ردعا لهم عن سوء فعلهم، وفتحا لباب التجارة التي أباحها لعباده لمن أرادها منهم، ووعد فيها بالعذاب العظيم في الآخرة. وتكون هذه المعصية خارجة عن المعاصي، ومستثناة من حديث عبادة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فمن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة). والله أعلم.

ويحتمل أن يكون الخزي لمن عوقب، وعذاب الآخرة لمن سلم في الدنيا، ويجري هذا الذنب مجرى غيره. ولا خلود لمؤمن في النار على ما تقدم، ولكن يعظم عقابه لعظم الذنب، ثم يخرج إما بالشفاعة وإما بالقبضة». «تفسير القرطبي» (٦/ ١٥٧).

وقال ابن تيمية: «مَن كان من المحاربين قد قَتل فإنه يقتله الإمام حدا، لا يجوز العفو عنه بحال، بإجماع العلماء، ذكره ابن المنذر، ولا يكون أمره إلى ورثة المقتول؛ بخلاف ما لو قَتل رجل رجلا لعداوة بينهما أو خصومة أو نحو ذلك من الأسباب الخاصة؛ فإن هذا دمه لأولياء المقتول، إن أحبّوا قَتلوا، وإن أحبّوا عفوا، وإن أحبّوا أخذوا الدية؛ لأنه قتله لغرض خاص». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣١٠).

وقال ابن تيمية: «عند جميع العلماء قوله تعالى في المحاربين: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض}

لا يقتضي أن الإمام يخير تخيير مشيئة. ففعل هذه الأربع مسائل كلهم متفقون على أنه يتعين هذا في حال وهذا في حال. ثم أكثرهم يقولون: تلك الأحوال مضبوطة بالنص، فإن قتلوا تعين قتلهم، وإن أخذوا المال ولم يقتلوا تعين قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، كما هو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد. وروي في ذلك حديث مرفوع. ومنهم من يقول: التعيين باجتهاد الإمام، كقول مالك، فإذا رأى أن القتل هو المصلحة قَتل؛ وإن لم يكن قد قَتل». «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١١٨).

وقال السعدي: «وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات، وأجلّ الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض». «تفسير السعدي» (ص٢٣٠).

وقال ابن عثيمين: «{يُحَارِبُونَ اللهَ}، أي: يتصدّون لحرب الله عزّ وجل، وهل المعنى أنهم يحملون السلاح على الله؟ كلا، المعنى: أنهم يضادّون الله في أمره، فيفعلون ما نهى الله عنه، ويتركون ما أمر به، على وجه الاستكبار والعناد، وهذه محاربة.

ويحاربون الرسول قد نقول أيضًا: إنه يمكن أن يشمل الحرب بالسلاح، والحرب بالرفض لما دعا إليه، لكن بالنسبة لله عزّ وجل لا يشمل الحرب بالسلاح؛ لأن هذا غير واقع ولا يمكن أن يقع». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣١٩).

وقال ابن عثيمين: «{أَنْ يُقَتَّلُوا} بالتشديد، ولم يقل: "أن يقتَلوا" كأنه والله أعلم يشير إلى شناعة قتلهم، وإلى تعددهم أيضًا؛ لأنه إذا تعدد المحل أو تعدد الفعل صحّ أن تأتي الصيغة بما يدل على الكثرة، وهنا إذا قلنا: إن المراد بقوله: (أن يقتّلوا) الجماعة الكثيرة صار هذا لتعدد المحل، أن يقتل زيد وعمرو وبكر وخالد إلى آخره، وإذا قلنا: لشناعة القتل معناه أننا نقتلهم قتلًا شنيعًا ينزجر به غيرهم...

تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، فسرها العلماء بأن تقطع اليد اليمنى والرِّجْل اليسرى، ويكون القطع في اليد من مفصل الكف من الذراع، ويكون القطع في الرِّجل من مفصل القدم من العقب؛ لأن الرِّجل لها قدم ولها عقب، والعقب الذي يسمى العرقوب، فالعرقوب لا يقطع، إنما يقطع من مفصل القدم من العرقوب». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٢٠).

وقال ابن عثيمين: «يجب عليه -يعني: الإمام- أن ينظر ما هو الأصلح؛ لأن كل من خُيِّر لمصلحة غيره وجب عليه اتباع الأصلح، وكل من خُيّر لمصلحة نفسه والتيسير على نفسه فله أن يختار الأيسر، فعندنا الآن تخيير مصلحة وتخيير تيسير، من خُيّر لمصلحة الغير فتخيير مصلحة، فولي اليتيم إذا قيل له: لك أن تبيع ملكه أو تشتري له ملكًا أو ما أشبه ذلك، فهذا التخيير يعتبر تخيير مصلحة لا تشهي وتيسير. وقوله تعالى في كفارة اليمين: {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}، هذا تخيير تيسير وتشهي». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٢٣).

وقال ابن عثيمين: «فإن قال قائل: هل وقع مثل هذا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: نعم، وقع، قدم أناس من جهينة أو عرينة أو عكل، أو من هؤلاء وهؤلاء، قدموا المدينة، فاستوخموها وأصيبوا بشيء من حُمَّاها، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يلحقوا بإبل الصدقة، ويشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا، فشربوا من أبوال الإبل وألبانها، وزالت عنهم الحُمَّى وصحّوا، فبدّلوا نعمة الرسول عليه الصلاة والسلام كفرًا، فسملوا عيني الراعي، وسَمْلُها: أن تحمى حديدة مثل المخيط وتكحل بها العين -والعياذ بالله-، وهذا تعذيب شنيع، نسأل الله العافية، ثم قتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في إثرهم، وجيء بهم بعد أن ارتفع النهار، فأمر بهم صلى الله عليه وسلم أن تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وأن تسمل أعينهم بالمسامير؛ لأنهم فعلوا ذلك بالراعي، والقصاص واجب، وأبقاهم في الحرة يستغيثون ولا يغاثون، حتى إن الواحد منهم يأكل الثرى من العطش، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام تركهم ولم يحسمهم، يعني ما حسم الدماء، حتى لا يحصل النزيف، تركهم يرفسون بدمائهم، ويستغيثون ولا يغاثون؛ لأن الرحمة بالناس عمومًا تقتضي أن نعامل هذا المجرم بما يمنع الإجرام». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٢٦).

﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن كثير: «{ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم} أي: هذا الذي ذكرته من قتلهم، ومن صلبهم، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ونفيهم =خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا، مع ما ادّخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة، وهذا قد يتأيّد به من ذهب إلى أن هذه الآية نزلت في المشركين، فأما أهل الإسلام فقد ثبت في الصحيح عند مسلم، عن عبادة بن الصامت قال: أخذ علينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء: (ألّا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا يغتاب بعضنا بعضا، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له، ومن ستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠١).

وقال ابن عثيمين: «عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، وربما يؤخذ من قوله: {عَذَابٌ عَظِيمٌ}، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في المتلاعنين، قال: (إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة). «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٢٧).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال البغوي: «{إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم} فمن ذهب إلى أن الآية نزلت في الكفار، قال معناه: إلا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود، ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال.

وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليهم -وهو قبل أن يظفر به الإمام- تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقا لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد، فإن كان قد قَتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتّم القتل، ويبقى عليه القِصاص لوليّ القتيل، فإن شاء عفا عنه وإن شاء استوفاه، وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه القطع، وإن كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب، ويجب ضمان المال، وهو قول الشافعي رضي الله عنه.

وقال بعضهم: إذا جاء تائبا قبل القدرة عليه لا يكون لأحد عليه تبعة في دم ولا مال إلا أن يوجد معه مال بعينه فيردّه إلى صاحبه.

وروي عن علي رضي الله عنه في حارثة بن يزيد كان خرج محاربا، فسفك الدماء، وأخذ المال، ثم جاء تائبا قبل أن يقدر عليه فلم يجعل علي رضي الله عنه عليه تبعة في دم ولا مال، إلا أن يوجد معه مال فيرد إلى صاحبه.

أما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها». «تفسير البغوي» (٣/ ٥٠).

وقال ابن عثيمين: «هؤلاء المجرمون مع عظم جرمهم إذا تابوا قبل القدرة عليهم سقط عنهم الحد، ويؤخذ سقوط الحد من قوله تعالى: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يعني: فإذا علمتم ذلك فاغفروا لهم...

وهل يلحق بذلك سائر الحدود كحد الزنا والسرقة وما أشبه ذلك؟

الجواب: نعم يلحق به؛ لأن التوبة إذا أسقطت هذا الحد العظيم في الجرم العظيم فما دونه من باب أولى، فالسارق مثلًا إذا تاب إلى الله، وأتى بالمال المسروق وردّه إلى صاحبه فإننا لا نقطع يده؛ لأنه تاب إلى الله قبل أن نقدر عليه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٢٧-٣٢٨).

وقال ابن عثيمين: «لو قال قائل: بعض البلاد التي يحدث فيها الشغب يقوم الحاكم بإنشاء بعض القوانين حتى يرجع أولئك المحاربون، كقانون العفو العام، فيعفو عن الجميع حتى لو سرقوا وقتلوا ونهبوا كل ما فعلوا فإنه يعفى عنهم إذا وضعوا السلاح، فهل له ذلك لكي يكفّ شرهم؟

الجواب: هذا إنما نجوّزه إذا دعت الحاجة إليه، بأن كنّا لا نقدر عليهم، فيكون جائزًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٢٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ٢٧-٣٤

١- احذر داء الحسد، فإنه من كبائر الذنوب الموبقة، وهو يجرّ صاحبه إلى ذنوب أخرى كالقتل والاعتداء والغيبة والنميمة والظلم، فيُحبط الحسنات، ويضاعف السيئات، حتى يصبح صاحبه من الخاسرين في الدنيا والآخرة ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

٢- اعلم أن الله لا يتقبّل منك عبادة إلا إذا اتّقيته سبحانه وتعالى فيها، بالإخلاص له، والاتّباع لسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، فاجعل عباداتِك كلَّها كذلك، حتى لا يذهب عملك هباءً منثورًا ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

٣- من أعظم ما يردعك عن ارتكاب المعاصي، ويمنعك من اقتراف الآثام مخافة الله رب العالمين، فاحرص على غرس مخافة الله في قلبك، بتدبّر كتابه، ومعرفة أسمائه وصفاته، والتفكر في عظمته وجبروته وكبريائه ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

٤- ظلم الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم يورث دخول النار والعياذ بالله، فسلّم يدك ولسانك من دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

٥- خُذ حِذرك من نفسك، فإن لها أهواءً وشهوات، فقد تطوّع لك الباطل وتزيّنه، وتدعوك إليه وترغّبك فيه، فخالفْ هواها، واتّبعْ شرع الله وهديه ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

٦- المعاصي تورث الندامة في الدنيا، والخسارة في الآخرة، فقد قال الله عن ابن آدم الذي قتل أخاه ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وقال: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾.

٧- احرص على اكتساب خبرات الحياة وتجاربها ممّا تراه من حولك، فالله سبحانه وتعالى قد يبعث لك من مخلوقاته ما يرشدك إلى شيء من مصالحك الدنيوية ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ

لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾.

٨- من أعظم الجرائم وأقبح الآثام: قتل النفس بغير حق، فمن فعل ذلك فكأنما قتل الناس جميعا، ويوم القيامة سيأخذ المقتول من حسنات القاتل، فربما جرّده من حسناته كلها، فيدخل النار خاسئا حقيرا والعياذ بالله، فالحذر الحذر ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

٩- احرص على السعي في إحياء الأنفس، بمنْع الراغب في القتل عن القتل، والعفو عن القاتل، وإنقاذ الأنفس من المهالك كالغرَق والحريق والهدْم، ومنْع إشاعة الفتن التي تراق فيها الدماء، وعلاج المرضى الذين يُخاف عليهم الهلاك ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

١٠- اعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلّغ البلاغ المبين، وتركنا على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فتمسّك بهديه، واقتفِ آثاره، فإن مخالفة الهدى بعد ظهور دلائله من الخسران المبين ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.

١١- من كمال الشريعة الإسلامية وجمالها أنها حفظت للناس مصالحهم كلّها، ومنعت من الاعتداء عليها، وعاقبت على ذلك بأشدّ العقوبات، حتى يعيش الناس في أمن وأمان، ورخاء واطمئنان ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

١٢- إذا كان مَن تاب من قطّاع الطريق قبل القدرة عليه يسقط عنه الحدّ، فما دونه من الذنوب من باب أولى، فبادر بالتوبة إلى الله من ذنوبك كلها حتى يسقط عنك العذاب يوم القيامة، فإن الله غفور رحيم ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (٣٥-٤٣) من المختصر في التفسير

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾.

يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واطلبوا القرب منه بأداء ما أمركم به، والبعد عما نهاكم عنه، وجاهدوا الكفار ابتغاء مرضاته؛ لعلكم تنالون ما تطلبونه، وتُجَنَّبُون ما ترهبونه إذا قمتم بذلك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾.

إن الذين كفروا بالله وبرسله، لو قُدِّرَ أن لكل منهم ملك ما في الأرض جميعًا ومثله معه فقدموه ليفكوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ما قُبِلَ منهم ذلك الفداء، ولهم عذاب مُوجع.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾.

يريدون الخروج من النار إذا دخلوها، وأنى لهم ذلك؟! فلن يخرجوا منها، ولهم فيها عذاب دائم.

ولمَّا ذكر الله حكم من يجاهر بأخذ أموال الناس بَيَّنَ حكم من يأخذها خفية وهو السارق، فقال:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾.

والسارق والسارقة فاقطعوا -أيها الحكام- اليد اليمنى لكل منهما مجازاة لهما وعقوبة من الله على ما ارتكباه من أخذ أموال الناس بغير حق، وترهيبًا لهما ولغيرهما، والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في تقديره وتشريعه.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾.

فمن تاب إلى الله من السرقة، وأصلح عمله، فإن الله يتوب عليه تفضُّلًا منه؛ ذلك أن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم، لكن لا يسقط عنهم الحد بالتوبة إذا وصل الأمر إلى الحكام.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠﴾.

لقد علمتَ -أيها الرسول- أن الله له ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما بما يشاء، وأنه يعذب من يشاء بعدله، ويغفر لمن يشاء بفضله، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾.

يا أيها الرسول، لا يحزنك الذين يسارعون في إظهار أعمال الكفر ليغيظوك من المنافقين الذين يُظْهِرُونَ الإيمان، ويبطنون الكفر. ولا يحزنك اليهود الذين يُصْغُون لكذب كبارهم ويقبلونه، مقلِّدين لزعمائهم الذين لم يأتوك إعراضًا منهم عنك، يُبَدِّلُونَ كلام الله في التوراة بما يوافق أهواءهم، يقولون لأتباعهم: إن وافق حكم محمد أهواءكم فاتبعوه، وإن خالفها فاحذروا منه، ومن يرد الله إضلاله من الناس فلن تجد -أيها الرسول- من يدفع عنه الضلال ويهديه إلى سبيل الحق، أولئك المتصفون بهذه الصفات من اليهود والمنافقين هم الذين لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر، لهم في الدنيا خزي وعار ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وهو عذاب النار.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾.

هؤلاء اليهود كثيرو الاستماع للكذب، كثيرو الأكل للمال الحرام كالربا، فإن تحاكموا إليك -أيها الرسول- فافصل بينهم إن شئت، اترك الفصل بينهم إن شئت، فأنت مُخير بين الأمرين، وإن تركت الفصل بينهم فلن يستطيعوا أن يضروك بشيء، وإن فصلت بينهم فافصل بينهم بالعدل، وإن كانوا ظَلَمة وأعداء، إن الله يحب العادلين في حكمهم، ولو كان المتحاكمون أعداء للحاكم.

﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣﴾.

وإنَّ أَمْرَ هؤلاء لعجب، فهم يكفرون بك، ويتحاكمون إليك طمعًا في حكمك بما يوافق أهواءهم، وهم عندهم التوراة التي يزعمون الإيمان بها، فيها حكم الله، ثم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق أهواءهم، فجمعوا بين الكفر بما في كتابهم، والإعراض عن حكمك، وما صنيع هؤلاء بصنيع المؤمنين، فليسوا إذن من المؤمنين بك وبما جئت به.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• حكمة مشروعية حد السرقة: لردع السارق عن التعدي على أموال الناس، وتخويف من عداه من الوقوع في مثل ما وقع فيه.

• قَبول توبة السارق ما لم يبلغ السلطان، وعليه إعادة ما سرق، فإذا بلغ السلطان وجب الحكم، ولا يسقط بالتوبة.

• يحسن بالداعية إلى الله ألَّا يحمل همًّا وغمًا بسبب ما يحصل من بعض الناس مِن كُفر ومكر وتآمر؛ لأن الله تعالى يبطل كيد هؤلاء.

• حِرص المنافقين على إغاظة المؤمنين بإظهار أعمال الكفر مع ادعائهم الإسلام.

• تعداد بعض صفات اليهود، مثل الكذب وأكل الربا ومحبة التحاكم لغير الشرع؛ لبيان ضلالهم وللتحذير منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ٣٥-٤٣ من المختصر في التفسير

[📕 >التفسير]

[🖋 > التعليق]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

📕 يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واطلبوا القرب منه بأداء ما أمركم به، والبعد عما نهاكم عنه،

🖋نعم، قال الله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ" أي خافوا عقاب الله، وتقوى اللهِ تكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم قال: "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ" الوسيلةُ: هي القربُ من الله سبحانه وتعالى، فأمرنا الله أن نطلب القرُبَ منه، والقربُ من الله سبحانه وتعالى يكون بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه،

📕 وجاهدوا الكفار ابتغاء مرضاته؛

🖋نعم، قال: "وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ" أي وجاهدوا الكفار ابتغاء مرضاة الله ونصرةً لدين الله سبحانه وتعالى، مجاهدة الكفار تكون بالنفس وبالمال وباللسان، ويدخل في المجاهدةِ في سبيل الله مجاهدةُ النفس؛ وهي البوابة لمجاهدة الكفار والانتصار عليهم، ومجاهدةُ النفس تكون بالثباتِ على الطاعات، والبعدِ عن المعاصي، والصبرِ على أقدار الله.

📕 لعلكم تنالون ما تطلبونه، وتُجَنَّبُون ما ترهبونه إذا قمتم بذلك.

🖋نعم، فقال: "لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" يعني أن هذه الأعمال -وهي تقوى الله، وطلبَ القرب منه، والجهاد في سبيله- سببٌ للفلاح في الدنيا وفي الآخرة،

والفلاح يكون:

-بنيل المطلوب؛ وأعظمُه دخول جنات النعيم والتلذذ برؤية الله سبحانه وتعالى.

-وتجنبِ كل ما يكرهه الإنسان ويخاف منه؛ وأعظمُه دخول النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ

ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

■ إن الذين كفروا بالله وبرسله، لو قُدِّرَ أن لكل منهم ملك ما في الأرض جميعًا ومثله معه فقدموه ليفكوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ما قُبِلَ منهم ذلك الفداء، ولهم عذاب مُوجِع.

نعم، قال الله: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ" يعني لو أن لكل واحدٍ من الكفار مُلَكُ ما في الأرض جميعا "وَمِثْلَهُ مَعَهُ" يعني ضعف ما في الأرض جميعا ثم قدَّمه يوم القيامة ليفتديَ به نفسَه من عذاب الله؛ لأنه سيرى من عذابِ الله وشدته ما لا طاقة له على تحمله، فلو كان له هذا وقدَّمه ليفتديَ به لم يُقبَل منه لأن محل الافتداء قد فات، ومحلُّ الافتداء إنما هو في الدنيا؛ فيفتدِي الإنسانُ نفسَه بالعملِ بطاعة الله وتجنبِ معاصي الله والتصدقِ في وجوه الخير، أما يوم القيامة فلا ينفعُه ذلك "وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" أي مُوْجع غاية الوجع والشدة.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

■ يريدون الخروج من النار إذا دخلوها، وأنَّى لهم ذلك؟! فلن يخرجوا منها، ولهم فيها عذاب دائم.

نعم، أخبر الله عن حالهم وهم في النار أنهم يريدون أن يخرجوا من النار، لماذا؟ لما يلاقونه من الشدة والعذاب الأليم، ثم أخبر اللهُ أنهم لن يخرجوا منها قال: "وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا" ثم أخبر الله أن لهم عذابًا مقيما أي دائما مستمرا لا انقطاع له. والله المستعان.

■ ولما ذكر الله حكم من يجاهر بأخذ أموال الناس بيَّن حُكم من يأخذها خفية.

نعم، لما ذكر الله حكم قطاع الطريق الذين يأخذون أموال الناس جهرا غصبا بالقوة في قوله تعالى في المقطع السابق: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) بيّن في الآيات التالية ما يتعلقُ بحكم من يأخذ أموال الناس خُفية وهو السارق.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ ۗ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

■ والسارق والسارقة فاقطعوا – أيها الحكام – اليد اليمنى لكل منهما مجازاة لهما وعقوبة من الله على

ما ارتكباه من أخذ أموال الناس بغير حق، وترهيبًا لهما ولغيرهما،

✍نعم، قال الله: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا" الخطابُ هنا لولاةِ الأمر والحُكَّام وليس لعامة الناس؛ لأنهم هم المفوَّضون بتنفيذ هذه الحدود الشرعية، قال: "فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا" تُقطع اليد اليمنى للسارق من الكوع إذا سرق في المرة الأولى، فإن عاد للسرقة قُطِعت رجلُه اليسرى، فإن عاد مرة ثالثة قيل تُقطع يده اليسرى ثم في المرة الرابعة رجلُه اليمنى، وقيل بل يُحبسُ حتى يموت، وتُقطعُ اليد اليمنى من الكوع لأن اليد عند الإطلاق إنما هي الكف، ولا بد من حسم هذا القطع بالزيت حتى يقف الدم ولا يستمر لأنه لو استمر في الخروج لمات الإنسان، وإنما المطلوب قطعُ يده لا قتله، وجاء في السنة تقييض عموم السارق والسارقة بأنه لا بد أن تكون السرقة من الحرز ولا بد أن يبلغ المسروقُ نصابًا وهو ربعُ دينارٍ فصاعدا ، والحِرز هو المكان الذي يُحفظ المال في مثله عادةً، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى في فقرة الفوائد.

📕 والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في تقديره وتشريعه.

✍نعم، قال: "وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" فهو عزيز ومن عزته أنه يعاقب من يتعدى حدوده ولا يغلبه شيء، وهو حكيم سبحانه فيما يُقَدِّرُه ويشرَعُه لعباده، وهو أعلم بما يُصلِح عبادَه (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

📕 فمن تاب إلى الله من السرقة، وأصلح عمله، فإن الله يتوب عليه تفضُّلاً منه؛

✍نعم، قال تعالى: "فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ" أين الظلم هنا؟ السرقة، فالسرقة ظلم لأنك أخذت مال أخيك المسلم بغير حق، "وَأَصْلَحَ" وأصلح عملَه بأن ردَّ المالَ المسروقَ إلى صاحبِه فإن الله يتوبُ عليه ويقبلُ منه توبتَه.

📕 ذلك أن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم، لكن لا يسقط عنهم الحد بالتوبة إذا وصل الأمر إلى الحكام.

✍نعم، قال: "إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" يعني أن الله تاب عليه لأنه سبحانه وتعالى غفورٌ لعباده رحيمٌ بهم، ثم نبهوا هنا إلى أن الحدَّ الذي هو قطع يده لا يسقط بالتوبة إذا وصل الأمر إلى القاضي والحاكم، وإنما يسقط

إذا تاب قبل أن يصل الأمر إلى الحاكم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

لقد علمتَ - أيها الرسول - أن الله له ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما بما يشاء، وأنه يعذب من يشاء بعدله، ويغفر لمن يشاء بفضله، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

نعم، قال: "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" الاستفهام هنا استفهامٌ تقريري، أي لقد علمتَ -أيها الرسول عليه الصلاة السلام- أن الله له مُلك السماوات والأرض، ومن تمام مُلكه أنه سبحانه يعذب من يشاء بعدله ويغفر لمن يشاء بفضله؛ فيعذب السارق بقطع يده، ويغفر لمن تاب قبل القدرة عليه، والله على كل شيء قدير، يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد سبحانه وتعالى.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يا أيها الرسول، لا يحزنك الذين يسارعون في إظهار أعمال الكفر ليغيظوك من المنافقين الذين يُظْهِرُونَ الإيمان، ويبطنون الكفر.

نعم، قال الله: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ" كان النبي عليه الصلاة السلام إذا أظهر أحدٌ الإيمانَ ثم أظهر الكفر فإنه يحزن لذلك، فقال الله له: "لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ" وبيّن له أنهم في الحقيقة لم يؤمنوا وإنما " قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ" وهذا حالُ المنافقين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام فإنهم إنما كانوا يُظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ثم إذا أُتيحت لهم الفرصة أظهروا كفرَهم ليضطرب المسلمون ويظنون أن جماعةً من المسلمين قد ارتدوا لمَّا رأوا شيئا مثلا يظنون أنه يقدح في شيءٍ من صدق النبي عليه الصلاة والسلام أو صدق القرآن فأمره الله بألا يحزن لحال هؤلاء.

ولا يحزنك اليهود الذين يُصْغُون لكذب كبارهم ويقبلونه، مقلِّدين لزعمائهم الذين لم يأتوك إعراضًا

منهم عنك،

نعم، قال: "وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا" أي لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين هادوا؛ وذلك لأنهم "سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ" فلما يكذب كبارُهم في حكمهم على النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم يسمعون كلامهم ويستجيبون لكلامهم، ثم قال: "سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ" أي أنهم يُقلِّدون ويستجيبون لأوامر زعمائهم الذين لم يحضروا مجلسك تكبرًا وإعراضًا منهم عنك.

يُبَدِّلُونَ كلام الله في التوراة بما يوافق أهواءهم،

نعم، قال: "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ" هذا حال اليهود أنهم يُحرِّفون كلام الله الذي جاءهم في التوراة بما يوافق أهواءَهم، قال: "مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ" أي من بعد ما عقَلوه وعلِموه موضوعًا في مواضعه من التوراة .

يقولون لأتباعهم: إن وافق حكم محمد أهواءكم فاتبعوه، وإن خالفها فاحذروا منه،

نعم ، "يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا" يعني يقولون لأتباعهم إن جاءكم محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- بما يوافق الذي بدلناه وحرفناه من أحكام التوراة فاعملوا به، وإن جاءكم بما يخالف ذلك فاحذروا قبولَه والعملَ به. والله المستعان.

ومن يرد الله إضلاله من الناس فلن تجد - أيها الرسول - من يدفع عنه الضلال ويهديه إلى سبيل الحق،

نعم، قال الله: "وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا" من أراد اللهُ إضلالَه وإهلاكه فلن يستطيع أحد أن يهديَه كائنًا من كان؛ لذلك قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) . والله المستعان.

أولئك المتصفون بهذه الصفات من اليهود والمنافقين هم الذين لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر، لهم في الدنيا خزي وعار، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وهو عذاب النار.

نعم، قال الله: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ" فالله سبحانه وتعالى لم يرد لهم الهداية ولم يرد أن يُطهر قلوبهم من النفاق والغش والكذب والخداع والتحريف، ثم بين مصيرَهم فقال: "لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ" أي ذل وعار "وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ". نسأل الله السلامة والعافية .

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

هؤلاء اليهود كثيرو الاستماع للكذب، كثيرو الأكل للمال الحرام كالربا،

نعم، وصفهم الله بصفتين فقال: "سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ" فاليهود كثيرو الاستماع للكذب وكثيرو الكذب كذلك، فهم يكذبون كثيرًا ويقبَلون الكذب من الكذابين كذلك، "أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ" أي يُكثرون من أكل المال الحرام كالربا والرِّشوة وهذا حالُهم المستمر إلى يوم القيامة.

فإن تحاكموا إليك - أيها الرسول - فافصل بينهم إن شئت، واترك الفصل بينهم إن شئت، فأنت مُخيَّر بين الأمرين،

نعم، قال: "فَإِنْ جَاءُوكَ" يعني يتحاكمون إليك لما يحصل بينهم من النزاعات "فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ" يعني إن شئت أن تحكم بينهم بما أنزل الله عليك فاحكم بينهم، وإن شئت أن تُعرِض عنهم ولا تحكمَ بينهم فهذا أيضا إليك، فأنت مخير بين الأمرين.

وإن تركت الفصل بينهم فلن يستطيعوا أن يضروك بشيء،

نعم، قال: "وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا" يعني لو أعرضت عنهم وتركت الحكم بينهم فإنهم لا يستطيعون أن يضروك إليك.

وإن فصلت بينهم فافصل بينهم بالعدل، وإن كانوا ظَلَمة وأعداء،

نعم، قال: "وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ" يعني مهما أظهروا العداوة لك ومهما توغلوا في الكفر وبلغوا فيه الدركاتِ المتدنية فإنه لا يجوز أن تظلم في الحكم بينهم، بل لا بد أن تحكم بينهم بالعدل، كما قال الله: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ).

إن الله يحب العادلين في حكمهم، ولو كان المتحاكمون أعداء للحاكم.

نعم، قال: "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" والمُقسِطُون هم العادلون في الحكم.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

وإِنَّ أَمْرَ هؤلاء لعجب، فهم يكفرون بك، ويتحاكمون إليك طمعًا في حكمك بما يوافق أهواءهم، وهم عندهم التوراة التي يزعمون الإيمان بها، فيها حكم الله، ثم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق

أهواءهم، فجمعوا بين الكفر بما في كتابهم، والإعراض عن حكمك،

✍نعم، قال: "وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ" يعني عجيبٌ أمرُهم يُحكِّمونك وهم يعلمون أن عندهم التوراة التي فيها حكم الله لكنهم حرَّفوها "ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ" أي يُعرِضون عن حكم التوراة ويُعرِضون عن حكمك إذا حكمت بينهم، فحالُهم أنهم لم يؤمنوا لا بك، ولا بما في كتابك، ولا بما في كتابهم من حكم الله سبحانه وتعالى .

📕 وما صنيع هؤلاء بصنيع المؤمنين، فليسوا إذن من المؤمنين بك وبما جئت به.

✍قال: "وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ" يعني هذا الصنيع لا يحصل من المؤمن الذي يؤمن بالله سبحانه وتعالى، لذلك ذكر الله حالَ المؤمنين فقال: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ:

📕 •حكمة مشروعية حد السرقة: لردع السارق عن التعدي على أموال الناس، وتخويف من عداه من الوقوع في مثل ما وقع فيه.

✍نعم، من الحِكَم في مشروعية حد السرقة الذي هو قطع اليد حتى يرتدع السارق عن التعدي على أموال الناس -هذا من ناحية- ، وحتى يرتدع من عداه من أن يقع في مثل ما وقع فيه السارق، لذلك قال الله: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ" أي عقوبةً وردعًا للسارقين.

📕 •قَبول توبة السارق ما لم يبلغ السلطان وعليه إعادة ما سرق، فإذا بلغ السلطان وجب الحكم، ولا يسقط بالتوبة.

✍نعم، توبة السارق مقبولة وتدرأ عنه الحد إلا إذا وصل الأمر إلى الحاكم، فإذا وصل الأمر إلى الحاكم وجب إقامة الحد عليه، وأما توبتُه فيما بينه وبين الله؛ فإن صدق في توبته قَبِل الله توبتَه، قال الله: "فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ."

📕 •يحسن بالداعية إلى الله ألَّا يحمل همًّا وغمًا بسبب ما يحصل من بعض الناس مِن كُفر ومكر وتآمر؛

لأن الله تعالى يبطل كيد هؤلاء.

✐نعم، اللهُ سبحانه وتعالى أرشد نبيَّه صلى الله عليه وسلم إلى ألا يَحزُنَه الذين يسارعون في الكفر، قال: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا" وينبغي أن يكون الداعيةُ على خطَى النبي عليه الصلاة والسلام فلا يَحزُنْه حال هؤلاء ويعلم علم اليقين أن من أراد الله فتنتَه فلن يملك له من الله شيئا.

•حِرص المنافقين على إغاظة المؤمنين بإظهار أعمال الكفر مع ادعائهم الإسلام.

✐ نعم، المنافقون يحرصون على إغاظة المؤمنين؛ فيُظهِرون شيئًا من أعمال الكفر والتودد للكفرة مع أنهم يدّعون الإسلام، وهذا كلُّه حتى يؤذوا المسلمين لذلك قال الله: "لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ". والله المستعان.

•تعداد بعض صفات اليهود، مثل الكذب وأكل الربا ومحبة التحاكم لغير الشرع؛ لبيان ضلالهم وللتحذير منها.

✐نعم، عدد الله سبحانه وتعالى بعضَ صفات اليهود في هذه الآيات أنهم: سماعون للكذب، أكالون للسحت، وأنهم يحبون التحاكم لغير شرع الله. وهذا كلُّه ليس لمجرد وصف أولئك القوم؛ بل لنحذرَ نحن أن نكون مثلَهم أو أن نتصفَ بشيءٍ من صفاتهم. والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (٣٥-٤٣)

الكلمة	المعنى
وابتَغُوا إليه الوَسِيلة	واطلُبُوا القُرب منه بطاعته
لِيَفتَدُوا به	لِيَفُكّوا أنفسهم به من العذاب
مُقِيم	دائم
نَكَالًا من الله	عقوبةً ورَدْعًا من الله
مِن بعدِ ظُلمِه	مِن بعدِ سَرِقتِه
لم يأتُوك	لم يَحضُروا مجلسك تكبرا
مِن بعدِ مواضعِه	من بعدِ ما علِموه موضوعًا في مواضعِه
إن أوتيتم هذا	إن جاءكم بما يوافق الحكم الذي بدّلتموه
فِتنتَه	إضلالَه وإهلاكَه
أكّالون لِلسُّحت	كثيرو الأكل للمال الحرام
بِالقِسط	بالعدل
المُقسِطِين	العادِلين
يَتَوَلَّوْن	يُعرِضون
مِن بَعدِ ذلك	مِن بَعدِ تحكيمِك

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ٣٥-٤٣

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية الخامسة والثلاثين وحتى الآية الثالثة والأربعين.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله)، ثم قال: (وابتغوا إليه الوسيلة)، ثم قال: (وجاهدوا في سبيله)، ثم قال: (لعلكم تفلحون) فهنا ثلاثة أوامر للمؤمنين، ثم بين أنهم إن فعلوا ذلك فلعلهم يحققون الفلاح لأنفسهم. فهل يصح الوقف على شيء من هذه الأوامر؟

أما قوله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فلم ينص أحد من علماء الوقف والابتداء على وقف عليه.

وأما قوله: (وابتغوا إليه الوسيلة) فقد نصّ بعض علماء الوقف والابتداء على أن الوقف هنا صالح أو جائز أو مفهوم، يعني أنه دون درجة التام والكافي.

ونصّ بعضهم على أن الوقف على قوله: (وجاهدوا في سبيله) كذلك إما صالحٌ أو جائزٌ أو مفهوم.

لكن لا يحسن الابتداء بحرف الترجّي في قوله: (لعلكم تفلحون)؛ لأنه متعلق بالجملة التي قبله كتعلق التعليل، وبالتالي لا يصح الوقف على قوله: (وجاهدوا في سبيله).

لكن هل يصح الوقف على قوله: (وابتغوا إليه الوسيلة)؟

لعل الأقرب والعلم عند الله أنه لا يصح كذلك؛ لأن هذه الأوامر الثلاثة كلها يرجى تحقيق الفلاح بها، فالأقرب أنه لا وقف في الآية، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (إنّ الذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأمرين:

الأول: أن اللام في قوله بعدها: (ليفتدوا به) لام التعليل، ولا يوقف قبل لام التعليل.

والثاني: أن جواب (لو) لم يأتِ بعد، فلا يصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة)؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟

لأن جواب (لو) لم يأت بعد، وجوابها في قوله: (ما تُقبِّل منهم)، فتركيبة الجملة: لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة، هذا كله داخل في فعل الشرط، النتيجة في الجواب في قوله: (ما تُقبِّل منهم).

ثم يصح الوقف على قوله: (ما تُقبِّل منهم) كما نص عليه بعض علماء الوقف والابتداء؛ لأن الشرط قد انتهى هنا بفعله وجوابه، ولأن جملة: (إنّ) التي ابتُدئت بها الآية: (إنّ الذين كفروا) كذلك انتهت هنا، وانتهى خبرها هنا؛ لأن خبرها هي جملة الشرط، وانتهى هنا بيان عدم قبول الفداء منهم.

ثم ذكر في جملة تصلح أن تكون مستأنفة أو معطوفة أن لهم عذابا أليما في الآخرة، وهي جملة مستقلة، فصح الوقف قبلها، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه بعدها: (ولهم عذاب مقيم) هو من تتمة بيان أنهم لن يخرجوا من النار، فإن العذاب المقيم هو العذاب الدائم المستمر، فمَن نظر إلى هذا لم يصحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن جملة: (ولهم عذاب مقيم) هي جملة مثبتة بعد جملة منفية في قوله: (وما هم بخارجين منها)، وأن جملة: (ولهم عذاب مقيم) جملة معطوفة مستقلة قائمة بنفسها، صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (جزاء بما كسبا) مفعول لأجله أي: اقطعوا أيديهما لجزائهما بما كسبا، ولا يصح الوقف قبل المفعول لأجله؛ لأنه من تتمة الجملة.

وكذلك لا يصح الوقف على قوله: (جزاء بما كسبا) لذات العلة، لأن قوله: (نكالًا من الله) أيضا مفعول لأجله، فلم يصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (نكالًا من الله)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر بالقطع وتعليله قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في بيان عزة الله سبحانه وتعالى وحكمته في هذا الحُكم وفي عامة الأحكام الشرعية، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (فمَن تاب من بعد ظلمه وأصلح) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن جواب الشرط لم يأتِ بعد، أين الشرط؟ في قوله (مَن)، وفعل الشرط: (تاب من بعد ظلمه وأصلح)، جواب الشرط: (فإن الله يتوب عليه)، ولا يصح الوقف قبل جواب الشرط.

ثم يصح الوقف على قوله: (فإن الله يتوب عليه) لأن جملة الشرط قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مبدوءة بـ (إنّ) في قوله: (إن الله غفور رحيم)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهَبْطي، وجوَّزه الأشموني، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (يعذّب من يشاء) يحتمل أن يكون خبرا ثانيا لـ (أنّ)، تقدير الجملة: ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض، وأن الله يعذب من يشاء، وبناء عليه لا يصح الوقف.

ويصح أن يكون قوله: (يعذّب من يشاء) مستأنفا، فتكون جملة (أنّ) قد انتهت عند قوله: (ألم تعلم أنّ الله له ملك السماوات والأرض)، وانتهى معها الإخبار بأنّ الله له ملك السماوات والأرض، ثم استأنف فقال: (يعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء)، وبناء عليه يصح الوقف على قوله: (له ملك السماوات والأرض)، والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (يعذّب من يشاء)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (ويغفر لمن يشاء) هو من تتمة بيان مشيئة الله سبحانه وتعالى من أنه (يعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء)، فلا يُكتفى ببيان أنه يعذب من يشاء فقط ويوقف عليه.

وهل يصح الوقف على قوله: (ويغفر لمن يشاء)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن بيان ملك الله سبحانه وتعالى وتصرّفه في ملكه قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في قوله: (والله على كل شيء قدير)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر)، هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن الجار والمجرور في قوله: (من الذين قالوا) متعلق بفاعل (يسارعون)، يعني: لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر، بيَّنهم بأنهم الذين قالوا آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم إلى آخر ما ذكر، فلم يصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (مِن الذين قالوا آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)؟

ذهب أكثر علماء الوقف والابتداء إلى تعانق الوقف هنا، يعني أنه يحتمل الوقف على قوله: (ولم تؤمن قلوبهم)، ثم الابتداء بقوله: (ومِن الذين هادوا سمَّاعون للكذب)، ويحتمل أن تقف على قوله: (ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا)، ثم تبتدئ: (سمَّاعون للكذب).

ووجه الوقف على قوله: (ولم تؤمن قلوبهم) أنه قد انتهى من ذكر الذين نهى نبيَّه صلى الله عليه وسلم ألّا يَحزُنه مسارعتهم في الكفر، وهم الذين قالوا آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين، ثم ابتدأ واستأنف بيان حال أناسٍ آخرين، وهم اليهود، بقوله: (ومِن الذين هادوا سمَّاعون للكذب)، فتكون (سمَّاعون) هنا مبتدأ، وما قبلها خبر، والتقدير: ومن الذين هادوا قوم سمَّاعون للكذب. ومما يرجح الوقف هنا قوله بعدها: (يحرّفون الكلم من بعد مواضعه)، وهذا من وصف اليهود خاصة.

وأما الوقف على: (ومن الذين هادوا) فوجهه: أن معنى الآية أن الله نهى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يَحزُنه الذين يسارعون في الكفر، وهم طائفتان: (الذين قالوا آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين، و (الذين هادوا). فيكون قوله: (ومن الذين هادوا) معطوفا على قوله: (من الذين قالوا آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)، ويكون قوله (سمَّاعون للكذب) مرفوعا على إضمار: هم سمَّاعون للكذب.

وهذان الوجهان محتملان كما ذهب إليه أكثر علماء الوقف والابتداء، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (سمَّاعون للكذب)؟

نص على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله: (سمَّاعون لقوم آخرين لم يأتوك)، يحتمل أن يكون مستأنفا، ويحتمل أن يكون تابعا للأول، يعني أن الله بين أنهم سمَّاعون لأمرين: للكذب، ولقوم آخرين لم يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولعل هذا هو الأقرب، وبناء عليه لا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (سمَّاعون لقوم آخرين لم يأتوك)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن ما وصفهم الله به من تعاملهم مع النبي صلى الله عليه وسلم واستماعهم للكذب وللطاعنين فيه قد انتهى هنا، وكان وصفا لهم بجملة اسمية، ثم جاء وصف لهم في حقيقة تعاملهم مع كتابهم الذي نزل عليهم بجملة فعلية في قوله: (يحرّفون الكلم من بعد مواضعه)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (يحرّفون الكلم من بعد مواضعه)؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تُؤتَوْه فاحذروا) يحتمل أن يكون مستأنفا في بيان حالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وما أُنزل إليه. ويحتمل أن يكون حالا لقوله: (يحرّفون) أي: يحرفون الكلم بقولهم إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تُؤتَوْه فاحذروا.

فإذا كان حالا فإنه لا يصح الوقف على قوله: (من بعد مواضعه)، وإذا كان مستأنفا صح الوقف، والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأنه بيّن موقفهم من الضدَّيْن: إن أوتيتم فخذوا وإن لم تُؤتَوْا فاحذروا، فلا يصح ولا يكتمل بيان حالهم إلا بذكر الضدَّيْن، فلا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وإن لم تُؤتَوْه فاحذروا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن بيان موقفهم مما يأتيهم من النبي صلى الله عليه وسلم قد انتهى هنا، ثم بين الله سبحانه وتعالى في جملة شرطية مستأنفة حكما عامًّا في أن من أراد الله فتنته فلن يملك له النبي صلى الله عليه وسلم من الله شيئا، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط قد انتهت هنا بفعلها وجوابها، ثم جاءت جملة مستأنفة بيَّنت حال قلوب هؤلاء في قوله: (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الاسمية قد انتهت هنا، وانتهى معها بيان أن الله لم يرد تطهير قلوبهم، ثم جاءت جملة تضمنت ذكر مصيرهم في الدنيا وفي الآخرة في قوله: (لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (لهم في الدنيا خزي)؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو من تتمة مصيرهم وعذابهم، فعذابهم في الدنيا الخزي، وفي الآخرة عذاب عظيم، فمن نظر إلى هذا لم يصحح الوقف على قوله: (لهم في الدنيا خزي).

ومن نظر إلى أن جملة: (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) جملة قائمة مستقلة بنفسها، كرر فيها الله سبحانه وتعالى قوله: (لهم) صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (سمَّاعون للكذب أكَّالون للسحت) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن وصفهم قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة شرطية تضمنت تخيير النبي صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم إن جاءوا أو الإعراض عنهم وعدم الحكم بينهم، في قوله: (فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الشرطية قد انتهت هنا بفعلها وجوابها، وانتهى معها تخيير النبي صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم أو الإعراض عنهم. ثم جاءت جملة شرطية أخرى تضمنت خبرا في أنه لو أعرض عنهم فإنهم لن يضروه بشيء في قوله: (وإن تُعرض عنهم فلن يضروك شيئا)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (وإن تُعرض عنهم فلن يضرّوك شيئا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط التي تضمنت الإخبار أنهم لن يضروا النبي صلى الله عليه وسلم شيئا إن أعرض عنهم قد انتهت هنا. ثم جاءت جملة شرطية أخرى في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بينهم بالقسط والعدل إن أراد الحكم بينهم في قوله: (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الشرطية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مبدوءة بـ (إنّ) في بيان محبة الله سبحانه وتعالى للمقسطين العادلين في قوله: (إن الله يحب المقسطين)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وكيف يُحَكِّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ثم يتوَلَّوْن من بعد ذلك) هو المقصود من هذا الاستفهام الإنكاري، فالمراد: كيف يُحَكِّمونك وقد توَلَّوْا عن حكم الله الموجود عندهم في التوراة.

فلا يصح الوقف على قوله: (وعندهم التوراة فيها حكم الله)؛ لأن المراد بيان توَلِّيهِم عن حكم الله الموجود في التوراة.

ثم يصح الوقف على قوله: (ثم يتوَلَّوْن من بعد ذلك) كما نص عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ لأن جملة الاستفهام قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة نفي نفى فيها الإيمان عنهم في قوله: (وما أولئك بالمؤمنين)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ٣٥-٤٣

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

قال الطبري: «(وابتغوا إليه الوسيلة) يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

والوسيلة: هي الفعيلة من قول القائل: "توسّلت إلى فلان بكذا"، بمعنى: تقرّبت إليه، ومنه قول عنترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... إن يأخذوك، تكحّلي وتخضّبي

يعني بـ"الوسيلة"، القربة». «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٩٠).

وقال ابن تيمية: «ابتغاء الوسيلة إلى الله إنما يكون لمن توسّل إلى الله بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتّباعه. وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد باطنا وظاهرا، في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته، في مشهده ومغيبه، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه، ولا بعذر من الأعذار.

ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته. وهو صلى الله عليه وسلم شفيع الخلائق، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأوّلون والآخرون، فهو أعظم الشفعاء قدرا، وأعلاهم جاها عند الله، وقد قال تعالى عن موسى: {وكان عند الله وجيها}، وقال عن المسيح: {وجيها في الدنيا والآخرة}، ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاها من جميع الأنبياء والمرسلين؛ لكن شفاعته ودعاءه إنما ينتفع به من شفع له الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا له، فمن دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم وشفع له توسّل إلى الله بشفاعته ودعائه، كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته، وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

ولفظ (التوسل) في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى. والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به، وأما بدون الإيمان به فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة». «مجموع الفتاوى» (١/ ١٤٣).

وقال ابن كثير: «والوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود.
والوسيلة أيضا: علَم على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وقد ثبت في صحيح البخاري... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن قال حين يسمع النداء: اللهمّ ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة)...
في صحيح مسلم... عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرا، ثم سلُوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٣).

وقال ابن عثيمين: «الإشارة إلى الإخلاص، لقوله: {فِي سَبِيلِهِ} حيث أضافه إلى نفسه عزّ وجل، إشارة إلى أنه يجب على الإنسان أنْ يكون جهاده في سبيل الله، ومتى يكون الجهاد في سبيل الله؟ سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، أي: سئل عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، وفي رواية: ليرى مكانه، أيّ ذلك في سبيل الله؟ فعدل عن الجواب عن الثلاثة كلها وقال: (مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)، وقضى على هذه الثلاث:
فالذي يقاتل شجاعة ليس في سبيل الله، ومعنى الشجاعة أن الرجل الشجاع يحب القتال؛ ويحب أن يقاتل؛ لأن هذا يوافق طبيعته وغريزته.
الثاني: يقاتل حمية لقومه وعصبيته، ومن هؤلاء بعض العرب مع الأسف يقاتلون اليهود باسم العروبة، ولو قاتلوا باسم الإسلام لأبادوهم؛ لأنهم إذا قاتلوا باسم الإسلام خرج من بينهم الرجس وهم النصارى، ودخل فيهم أمم لا تحصى من المسلمين من العجم وغيرهم، وأريد بالعجم مَنْ سوى العرب من الروم والفرس والبربر والهنود وغيرهم، أممًا لا يحصيها إلا الله، ولحصل بذلك النصر بإذن الله، إذا قام هؤلاء المقاتلون المسلمون بما يلزمهم من طاعة الله عزّ وجل، وعدم الإعجاب بالنفس». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٣٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال الطبري: «وإنما هذا إعلام من الله جل ثناؤه لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم وغيرهم من سائر المشركين به سواء عنده فيما لهم من العذاب الأليم والعقاب العظيم. وذلك أنهم كانوا يقولون: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) اغترارا بالله جل وعز وكذبا عليه. فكذّبهم تعالى ذكره بهذه الآية وبالتي بعدها، وحسم طمعهم، فقال لهم ولجميع الكفرة به وبرسوله: (إن الذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبّل منهم ولهم عذاب أليم. يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم)، يقول لهم جل ثناؤه: فلا تطمعوا أيها الكفرة في قبول الفدية منكم، ولا في خروجكم من النار بوسائل آبائكم عندي بعد دخولكموها، إن أنتم متّم على كفركم الذي أنتم عليه، ولكن توبوا إلى الله توبة نصوحا». «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٩٣).

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

قال البغوي: «{يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها} فيه وجهان:

أحدهما: أنهم يقصدون ويطلبون المخرج منها، كما قال الله تعالى: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها).

والثاني: أنهم يتمنّون ذلك بقلوبهم، كما قال الله تعالى إخبارا عنهم: (ربنا أخرجنا منها)». «تفسير البغوي» (٣/ ٥١).

قال ابن تيمية: «وقد قيل: إن قوله: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمّا وحزنا وقسوة وظلمة قلب وجهلا، فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم، ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يطيّبون عيشهم إلا بما يزيل العقل، ويلهي القلب، من تناول مسكر، أو رؤية مُلْهٍ، أو سماع مطرب، ونحو ذلك». «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (١/ ١١٠).

وقال ابن كثير: «{يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم} كما قال تعالى: {كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها} الآية، فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسّه، ولا سبيل لهم إلى ذلك، كلما رفعهم اللهب فصاروا في أعالي جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد، فيردونهم إلى أسفلها، {ولهم عذاب مقيم} أي: دائم مستمر لا خروج لهم منها، ولا محيد لهم عنها...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالرجل من أهل النار، فيقول: يا ابن آدم، كيف وجدت مضجعك؟ فيقول: شر مضجع، فيقول: هل تفتدي بقراب الأرض ذهبا؟ قال: فيقول: نعم، يا رب! فيقول: كذبت! قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل: فيؤمر به إلى النار). رواه مسلم...

عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة)، قال: فقلت لجابر بن عبد الله: يقول الله: {يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها}، قال: اتل أول الآية: {إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به} الآية، ألا إنهم الذين كفروا». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٥-١٠٧).

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

«عن قتادة قوله: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)، لا تَرْثُوا لهم أن تقيموا فيهم الحدود، فإنه والله ما أمر الله بأمر قط إلا وهو صلاح، ولا نهى عن أمر قط إلا وهو فساد». «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٩٧).

وقال الطبري: «قوله: (والله عزيز حكيم)، يقول جل ثناؤه: (والله عزيز) في انتقامه من هذا السارق والسارقة وغيرهما من أهل معاصيه، (حكيم) في حكمه فيهم وقضائه عليهم. يقول: فلا تفرّطوا أيها المؤمنون، في إقامة حكمي على السراق وغيرهم من أهل الجرائم الذين أوجبت عليهم حدودا في الدنيا عقوبة لهم، فإني بحكمتي قضيت ذلك عليهم، وعلمي بصلاح ذلك لهم ولكم». «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٩٨).

وقال البغوي: «وحكمه أنّ من سرق نصابا من المال مِن حرز لا شبهة له فيه تُقطع يده اليمنى من الرّسغ،

ولا يجب القطع في سرقة ما دون النصاب عند عامة أهل العلم، وحكي عن ابن الزبير أنه كان يقطع في الشيء القليل، وعامّة العلماء على خلافه.

واختلفوا في القدر الذي يقطع فيه: فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقطع في أقل من ربع دينار، فإن سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع، وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي رحمهم الله... عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (القطع في ربع دينار فصاعدا)...

وإذا سرق السارق أول مرة تقطع يده اليمنى من الكوع، ثم إذا سرق ثانيا تقطع رجله اليسرى من مفصل القدم. واختلفوا فيما إذا سرق ثالثا: فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى، ثم إذا سرق رابعا تقطع رجله اليمنى، ثم إذا سرق بعده شيئا يعزّر ويحبس حتى تظهر توبته، وهو المروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو قول قتادة، وبه قال مالك والشافعي، لما روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق يسرق: (إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله).

وذهب قوم إلى أنه إن سرق ثالثا بعدما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع، بل يحبس، وروي ذلك عن علي رضي الله عنه، وقال: "إني لأستحي أن لا أدع له يدا يستنجي بها، ولا رجلا يمشي بها"، وهو قول الشعبي والنخعي، وبه قال الأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي». «تفسير البغوي» (٣/ ٥١).

وقال ابن القيم: «لمّا سمع بعض العرب قارئًا يقرأ: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ} "والله غفور رحيم"، قال: ليس هذا كلام الله تعالى، فقال القارئ: أتكذِّبُ بكلام الله تعالى؟ فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله تعالى، فعاد إلى حفظه وقرأ: {وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، فقال الأعرابي: صدقت، عَزَّ فَحَكَم فَقَطع؛ ولو غَفَر وَرَحم لَما قَطَع. ولهذا إذا ختمت آية الرحمة باسم عذاب، أو بالعكس، ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه». «جلاء الأفهام» (١/ ١٨٥).

وقال ابن عثيمين: «وهنا نجد أن الله بدأ بالسارق قبل السارقة، وفي باب الزنا ذكر الله الزانية قبل الزاني، والحكمة في ذلك، أن السرقة مبناها على القوة والجلد والنشاط، والرجال أخصّ من النساء في هذا، فبدأ

بهم، ولذلك نجد السُّراق من الرجال أكثر منهم من النساء، أما الزنا فبالعكس؛ لأن الزنا سلع البغايا – والعياذ بالله– فبدأ بالزانية؛ لأنه في النساء أكثر، كما هو مشاهد». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٤٦).

وقال ابن عثيمين: «ذكر الله تعالى حكمتين:

الحكمة الأولى: مجازاة هؤلاء على فعلهم، أي: السُّرَّاق، لقوله: {جَزَاءً بِمَا كَسَبَا}.

والثانية: منع اعتياد السرقة منهم ومن غيرهم، وذلك في قوله: {نَكَالًا مِنَ اللهِ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٥٠).

وقال ابن عثيمين: «قطع أيديهما مخاطَب به جميع الأمة، لقوله: {فَاقْطَعُوا}، والخطاب للأمة كلها، لكن الأمة في الواقع تتمثل في ولاة أمورها؛ لأنهم هم الذين يرعون مصالحها، فإذا حصل التقصير من ولاة الأمور وجب على الأمة أن ينبّهوهم على ذلك». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٥١).

وقال ابن عثيمين: «فإن قال قائل: كيف تقطع بربع دينار وهي لو قُطعت عمدًا لكان فيها خمسمائة دينار؟ يعني لو أن إنسانًا جنى على شخص وقطع يده، قلنا: عليك خمسمائة دينار، والسارق يَسرق ربع دينار وتقطع يده. ولهذا أورد التشكيك في هذه المسألة أبو العلاء المعرّي فقال:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار؟

تناقض ما لنا إلا السكوت له ... ونستعيذ بمولانا من النار

فقال: تناقض، وجه التناقض عنده، أنه كيف يد ديتها خمسمائة دينار تقطع وتهدر بربع دينار؟ هذا تناقض؛ لأنه إذا كانت اليد ديتها خمسمائة دينار فلا تقطع إلا بسرقة خمسمائة دينار؛ وإذا كانت تقطع بربع دينار صارت ديتها ربع دينار وإلا فتناقض؟ لكنهم ردوا عليه فقالوا:

قل للمعرّي عارٌ أيما عار ... جهل الفتى وهو عن ثوب التّقى عاري

عار: أي: ليس عنده علم ولا عبادة.

يد بخمس مئين عسجد وديت ... لكنها قطعت في ربع دينار

حماية النفس أغلاها، وأرخصها ... حماية المال فافهم حكمة الباري

فانظر إلى الجواب والشاهد في البيت الأخير، يعني أن ديتها جعلت خمسمائة دينار حماية للنفوس، حتى لا يجترئ أحد على قطع أيدي الناس، وقطعت في ربع دينار حماية للأموال حتى لا يجترئ أحد على السرقة، وهذا جواب واضح معقول.

وهناك جواب آخر يشبه أن يكون أدبيًا، قال: إنها لما خانت هانت، ولما كانت أمينة كانت ثمينة، لما خانت بالسرقة هانت وصارت قيمتها ربع دينار، ولما كانت أمينة كانت ثمينة، وكانت قيمتها خمسمائة دينار، وعلى كل حال هذه أجوبة في الواقع لهؤلاء الذين يوردون مثل هذه الشبه، وإلا فإننا نعلم علم اليقين أن الله لا يفرق بين شيئين إلا وبينهما فرق أوجب التفريق في الحكم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٥٨).

وقال ابن عثيمين: «مسألة: إذا سَرق مرتين هل نقطع غير اليمنى؟

نقول: إذا كان ذلك قبل القطع فإنه لا تقطع إلا اليد اليمنى، يعني لو سرق عشرين مرة قبل أن نقطعه لا نقطع إلا يدًا واحدة، فإن قطعناها أول مرة، ثم سرق ثانية، فإنها تقطع رجله اليسرى لا يده اليسرى... لقول الله تبارك وتعالى في المحاربين: {أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ}، فيكون القطع لليد اليمنى والرجل اليسرى، لئلا يتعطل جانب منه كامل عن المنفعة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٦١).

وقال ابن عثيمين: «لو أراد السارق أن يعيد يده بعد قطعها هل له ذلك؟

الجواب: هذا سؤال جيد، فلو حاول السارق أن يُجري عملية لردّ يده لا يُمكَّن من ذلك؛ لأن المقصود قطعها، لكن لو كان قصاصًا بأن اقتُصّ منه ثم أراد أن يجري العملية لردّها هل نمنعه؟ الظاهر لا نمنعه، بخلاف السرقة، فللشارع قصد في إتلاف يده، وأما القصاص فالمقصود منه أن تُقطع يد الجاني كما قُطعت يد المجنيّ عليه، ولهذا لو فرض أنّ المجنيّ عليه رُدّت يده وعادت سليمة مائة بالمائة لا يقطع الجاني». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٦٢).

وقال ابن عثيمين: «الجزاء من جنس العمل؛ لأنه لما سرق والغالب أن الأخذ والإعطاء باليمين قطعت يده. فإن قال قائل: يلزم على قولكم بقطع الآلة التي سرق بها أن توجبوا قطع ذَكَر الزاني، فما الجواب؟

الجواب: على كل حال واضح، وهو أن الزاني ذكر الله له عقوبة خاصة، والسارق له عقوبة خاصة، هذا دليل سمعي.

وأما الدليل العقلي: فالضرر الذي يترتب على قطع الذَكَر ليس كالضرر الذي يترتب على قطع اليد؛ لأن هذا يلزم منه قطع النسل، ومصادمة ما يريده الرسول عليه الصلاة والسلام من هذه الأمة، وهو تكثير النسل.

وأيضا لأن يد السارق إذا قُطعت صارت نكالًا لأن اليد ظاهرة، لكنّ قطع ذَكَر الزاني لا يعلمه أحد؛ لأنه مستور، وحِكَمٌ أخرى، فلذلك لم يوجب الله تعالى أن يقطع ذكر الزاني، بل أوجب الجلد والتغريب لغير

المحصن، والرجم للمحصن». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٦٣).
وقال ابن عثيمين: «الرد على كل ناعق يقول: إنّ قطع الأيدي وحشية، وأن ذلك يستلزم أن يكون نصف الشعب أشلّ، ليس له إلا يد واحدة، لقوله: {وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فيقال: بل هذه هي عين الحكمة، وعين الصواب؛ لأنه لو ترك الناس لحصلت الفوضى، وابتزاز الأموال، والسطو على الآمنين، فكان قطع اليد لا شك أنه هو الحكمة، وانظر إلى الشعوب التي تطبّق هذه الحدود الشرعية كيف تقلّ فيها الجريمة، وعلى العكس الشعوب التي لا تطبّقها». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٦٩).

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
قال البغوي: «{فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم} هذا فيما بينه وبين الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين، قال مجاهد: قطع السارق توبته، فإذا قطع حصلت التوبة، والصحيح أن القطع للجزاء على الجناية، كما قال: {جزاء بما كسبا}، فلا بد من التوبة بعد، وتوبته الندم على ما مضى، والعزم على تركه في المستقبل، وإذا قُطع السارق يجب عليه غُرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق باقيا عنده يستردّ وتقطع يده؛ لأن القطع حق الله تعالى، والغُرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كاسترداد العين». «تفسير البغوي» (٣/ ٥٤).

وقال ابن تيمية: «قال سبحانه: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، فأمر بقطع أيديهم جزاء على ما مضى، ونكالا عن السرقة في المستقبل منهم ومن غيرهم، وأخبر أن الله يتوب على من تاب، ولم يدرأ القطع بذلك؛ لأن القطع له حكمتان: الجزاء والنكال، والتوبة تسقط الجزاء ولا تسقط النكال، فإن الجاني متى علم أنه إذا تاب لم يعاقَب لم يردع ذلك الفساق ولم يزجرهم عن ركوب العظائم، فإن إظهار التوبة والإصلاح لمقصود حفظ النفس والمال سهل.
ولهذا لم نعلم خلافا يُعتمد في أن السارق أو الزاني لو أظهر التوبة بعد ثبوت الحد عليه عند السلطان لم يسقط الحد عنه، وقد رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعزا والغامدية وأخبر بحسن توبتهما وحسن

مصيرهما». «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (ص٣٦٣).

وقال ابن كثير: «روى ابن ماجه... أن عمرو بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني سرقت جملا لبني فلان فطهّرني! فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إنّا افتقدنا جملا لنا، فأمر به فقُطعت يده، قال ثعلبة: أنا أنظر إليه حين وقعت يده وهو يقول: الحمد لله الذي طهّرني منك، أردت أن تدخلي جسدي النار.

... عن عبد الله بن عمرو قال: سرقت امرأة حليا، فجاء الذين سرقتْهم فقالوا: يا رسول الله، سرقتْنا هذه المرأة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقطعوا يدها اليمنى). فقالت المرأة: هل من توبة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمُّك)! قال: فأنزل الله عز وجل: {فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم}». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١١١).

وقال ابن عثيمين: «واعلم أن لله تبارك وتعالى على عبده توبتين: التوبة الأولى: التوفيق للتوبة، والتوبة الثانية: قبولها من التائب، فمن الأول قوله تعالى: {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}، تاب عليهم قبل أن يتوبوا بدليل قوله: {لِيَتُوبُوا}، هذه التوبة توبة التوفيق، أن الله يوفق الإنسان إلى التوبة فيتوب إلى ربه عزّ وجل.

وأما قبول التوبة: فمثل قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}، ومثله هذه الآية: {فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ}، أي: يقبل توبته.

وهل يصح في قوله: {فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ} أن يكون بمعنى يوفقه للتوبة؟

الجواب: لا، لقوله: {فَمَنْ تَابَ} فهو الآن قد وفِّق: {فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ} أي: من هذا الظلم الذي تاب منه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٧٢).

وقال ابن عثيمين: «لا بد في التوبة من الإصلاح؛ لقوله: {وَأَصْلَحَ} ولكن هل الإصلاح شرط للتوبة في جميع الأعمال؟ أو شرط للتوبة في ذلك العمل الذي وقع فيه الظلم؟

الجواب: الثاني، ولهذا نقول: الصحيح أنه يجوز أن يتوب من ذنب مع الإصرار على غيره، لكن هو لا يستحق أن يسمى تائبًا على وجه الإطلاق، بل يقيد أنه تائب من كذا.

إذًا قوله: {وَأَصْلَحَ} أي: ما أفسده بظلمه، وإن لم يكن أصلح جميع أحواله». «تفسير العثيمين: المائدة»

(١/ ٣٧٦).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال ابن عثيمين: «{يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} في هذه الآية قَدَّم التعذيب على المغفرة، وفي آية أخرى قدّم المغفرة على التعذيب، والمناسبة واضحة، لأن الكلام هنا عن الحدود والعقوبات، فناسب أن يُقدّم التعذيب على المغفرة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٧٨).

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

سبب النزول: قال ابن كثير: «الصحيح أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا، وكانوا قد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم، من الأمر برجم من أحصن منهم، فحرّفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم، والإركاب على حمار مقلوبين. فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا فيما بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم وبين الله، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك.

وقد وردت الأحاديث بذلك، فقال مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أنه قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟)، فقالوا: نفضحهم ويُجلَدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتم، إنّ فيها الرجم. فأَتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم! فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرُجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة. أخرجاه، وهذا لفظ البخاري». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١١٣).

وقال السعدي: «كان الرسول صلى الله عليه وسلم من شدة حرصه على الخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى إلى أنه لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء. فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير. إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال مبينا للسبب الموجب لعدم

الحزن عليهم فقال: {من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم}، فإن الذين يؤسى ويحزن عليهم، من كان معدودا من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهرا وباطنا، وحاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن الإيمان -إذا خالطت بشاشته القلوب- لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبغ به بدلا». «تفسير السعدي» (ص٢٣١).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

قال ابن تيمية: «{سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك} قيل: اللام لام كي، أي: يسمعون ليكذبوا، ويسمعون لينقلوا إلى قوم آخرين لم يأتوك، فيكونون كذابين ونمامين جواسيس.

والصواب أنها لام التعدية، مثل قوله: {سمع الله لمن حمده}، فالسماع مضمّن معنى القبول، أي: قابلون للكذب، ويسمعون من قوم آخرين لم يأتوك، ويطيعونهم، فيكون ذما لهم على قبول الخبر الكاذب، وعلى طاعة غيره من الكفار والمنافقين». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٥٢).

وقال ابن تيمية: «قوله: (سمّاعون للكذب) أي: مصدّقون به، وإلا مجرد سماع صوت الكاذب وفهم كلامه ليس مذموما على الإطلاق.

وكذلك: (سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي: مستجيبون لهم مطيعون، كما قال في حق المنافقين: (وفيكم سمّاعون لهم) أي: مستجيبون مطيعون لهم.

ومَن قال: إن المراد به الجاسوس فهو غالط، كغلط من قال: (سماعون لهم) هم الجواسيس، فإن الجاسوس إنما ينقل خبر القوم إلى من لا يعرفه، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ما يذكره ويأمر به ويفعله يراه ويسمعه كل مَن بالمدينة، مؤمنهم ومنافقهم، ولم يكن يقصد أن يكتم يهود المدينة ما يقوله ويفعله». «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» (٢/ ٢٨٦).

وقال ابن عثيمين: «والذين هادوا هم الذين قالوا: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}: أي: رجعنا إليك من المعصية إلى الطاعة، فيُسمّون الذين هادوا، ويُسمّون اليهود، أما التسمية الأولى فلقولهم: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}، وأما الثانية: فنسبة إلى أبيهم يهوذا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٣٩٧):

وقال ابن عثيمين: «من اليهود من هو سمّاع للكذب، نقّال للكذب، بمعنى أنه يصدّق الكذب ولا يتحرى فيه ويقبله، وأيضًا ينقل الكذب، وهذا شيء مشاهد، فينبني على هذه الفائدة أنّ من كان هذه حاله ففيه شبه من اليهود، فالذي يقبل الكذب ويتحدّث به، ويأخذه مسلَّمًا مشابه لليهود، والذي ينقل الكذب كذلك مشابه لليهود، فمن كذَّب أو صدَّق بالكذب، فإنه مشابه لليهود بلا شك، وهذا يقتضي الحذر من هذا الخلق الذميم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٠٤).

وقال ابن عثيمين: «من حرَّف الكلم عن مواضعه من هذه الأمة ففيه شبه من اليهود، فيقتضي هذا التحذير من تحريف الكلم عن مواضعه؛ لئلا يقع الإنسان في مشابهة اليهود». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٠٦).

وقال ابن عثيمين: «ذمّ أولئك الذين لا يقبلون من الحق إلا ما وافق أهواءهم، وإذا لم يوافق أهواءهم ذهبوا يتطلبون الرخص من هذه الأمة، فإن كثيرًا من الناس على هذا المنوال، إذا أُفتي بما تطمئن إليه نفسه قَبِلَهُ، وإلا ذهب يطلب آخرين يُفتُونه بما يشتهي، فهذا نقول: إن فيه شبهًا من اليهود».

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال السعدي: «{أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم} أي: فلذلك صدر منهم ما صدر. فدلّ ذلك على أنّ من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتّباع هواه، وأنه إن حُكم له رضي، وإن لم يُحكم له سخط، فإنّ ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أنّ من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به، وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، ودلّ على أن طهارة القلب، سبب لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد، وعمل سديد». «تفسير السعدي» (ص٢٣٢).

وقال ابن عثيمين: «ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائمًا أن يطهّر قلبه، وأن يعتني بأعمال القلب، واعتناء المرء بأعمال القلب يجب أن يكون أشدّ من اعتنائه بعمل الجسد؛ لأن عمل الجسد يقع من كل إنسان، من مؤمن ومنافق، لكن عمل القلب هو المهم. -أسأل الله أن يصلح قلوبنا جميعًا-». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤١٠).

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

قال البغوي: «نزلت في حكّام اليهود: كعب بن الأشرف وأمثاله، كانوا يرتشون، ويقضون لمن رشاهم.

قال الحسن: كان الحاكم منهم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كمّه، فيريها إياه، ويتكلم بحاجته، فيسمع منه، ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب، ويأكل الرشوة.

وعنه أيضا قال: إنما ذلك في الحكم، إذا رشوته ليحق لك باطلا، أو يبطل عنك حقا، فأما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا بأس.

فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك.

وقال ابن مسعود: هو الرشوة في كل شيء». «تفسير البغوي» (٣/ ٥٨).

وقال ابن تيمية: «قال: {سمّاعون للكذب أكّالون للسحت}، فذكر ما يدخل في آذانهم وقلوبهم من الكلام، وما يدخل في أفواههم وبطونهم من الطعام: غذاء الجسوم وغذاء القلوب، فإنهما غذاءان خبيثان: الكذب والسحت، وهكذا من يأكل السحت من البرطيل ونحوه يسمع الكذب كشهادة الزور؛ ولهذا قال: {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت}». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٩٦).

وقال ابن تيمية: «قال الله تعالى عن اليهود: {سمّاعون للكذب أكّالون للسحت} لأنهم كانوا يأكلون السحت من الرشوة التي تسمى البرطيل، وتسمى أحيانا الهدية وغيرها. ومتى أكل السحتَ وليُّ الأمر احتاج أن يسمع الكذب من شهادة الزور وغيرها. وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش – الواسطة – الذي بينهما. رواه أهل السنن». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٠٢).

وقال ابن عثيمين: «كل ما اكتُسب بكسب محرم فهو سُحت، فيشمل الربا وهو شائع في اليهود، والرشوة وهي أيضًا شائعة في اليهود، والغصب والسرقة والغش والخيانة وغير ذلك، ووجهه: أن الحرام يسحت الحلال وينزع بركته، أو أنه نفسه، أي: الحرام سُحت ينسحت ويزول، ولا يكون فيه بركة، فالسحت إذًا وصف في نفسه وفي غيره، أما كونه وصفًا في نفسه؛ لأنه لا بركة فيه، كما قال تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}، وكما جاء

في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه، فيمن كسب مالًا محرمًا أنه: (إن أنفقه لم يبارَك له فيه، وإن تصدّق به لم يُقبل منه، وإن خَلَّفَهُ كان زادَه إلى النار). وأما كونه وصفًا في غيره؛ لأنه يسحت المال الآخر». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤١١).

﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

قال الطبري: «وأما قوله: (إن الله يحب المقسطين) فمعناه: إن الله يحب العادلين في حكمهم بين الناس، القاضين بينهم بحكم الله الذي أنزله في كتابه، وأمره أنبياءه صلوات الله عليهم. يقال منه: "أقسط الحاكم في حكمه"، إذا عدل وقضى بالحق، "يُقسط إقساطا".

وأما "قسط"، فمعناه: الجور، ومنه قول الله تعالى ذكره: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)، يعني بذلك: الجائرين عن الحق». «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٣٥).

وقال البغوي: «اختلفوا في حكم الآية اليوم: هل للحاكم الخيار في الحكم بين أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا؟ فقال أكثر أهل العلم: هو حكم ثابت، وليس في سورة المائدة منسوخ، وحكّام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب، إن شاءوا حكموا وإن شاءوا لم يحكموا، وإن حكموا حكموا بحكم الإسلام، وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة.

وقال قوم: يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بينهم، والآية منسوخة، نسخها قوله تعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله)، وهو قول مجاهد وعكرمة، وروي ذلك عن ابن عباس، وقال: لم يُنسخ من المائدة إلا آيتان، قوله تعالى: (لا تُحِلّوا شعائر الله) نسخها قوله تعالى: (فاقتلوا المشركين). وقوله: (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)، نسخها قوله تعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله).

فأما إذا تحاكم إلينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما، لا يختلف القول فيه، لأنه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة.

قوله: {وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط} أي: بالعدل، {إن الله يحب المقسطين} أي: العادلين، روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المقسطون عند الله على منابر من نور)». «تفسير البغوي» (٣/

.(٥٩

وقال ابن تيمية: «وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل، لقوله تعالى: {وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}، فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبدا، والشرع الذي يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله، ليس في الشرع ظلم أصلا، بل حكم الله أحسن الأحكام، والشرع هو ما أنزل الله، فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل». «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٢٨).

وقال ابن تيمية: «مِن حكم الشريعة إعطاء كل ذي حق حقه، كما في السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُنزل الناس منازلهم. وأن من كان منهم أقرب إلى الحق والسنة عرفت مرتبته، ووجب تقديمه في ذلك الأمر على من كان أبعد عن الحق والسنة منه، قال تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم: (وأمرت لأعدل بينكم)، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله)، وقال في حق أهل الكتاب: (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط)، وقال: (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحق). فكيف الحال بين طوائف أهل القبلة؟ بل الحكم بين مَن فيه فجور ومن فيه بدعة بالعدل ووضعهم مراتبهم وترجيح هذا من الوجه الذي هو فيه أعظم موافقة للشريعة والحق أمر واجب، ومَن عدل عن ذلك ظانا أنه ينبغي الإعراض عن الجميع بالكلية فهو جاهل ظالم، وقد يكون أعظم بدعة وفجورا من بعضهم». «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٣١٦).

وقال ابن عثيمين: «{وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا} لا في الدنيا ولا في الآخرة، إن تُعرض عنهم ولا تحكم بينهم، فإنهم لن يضروك لكن قد يؤذونك، والأذية لا يلزم منها الضرر، بدليل أن الله سبحانه وتعالى أثبت أن بني آدم يؤذونه، ونفى أن يضرّه أحد، فقال جلَّ وعلا: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني)، وكذلك في القرآن: {إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا}.

والأذية ثبتت في القرآن والأحاديث القدسية، قال الله تعالى في القرآن: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ}، وقال في الحديث القدسي: (يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر)، فالضرر منفي عن الله عزّ وجل بالقرآن والأحاديث القدسية، والأذية ثابتة، ومن المعلوم أنه لا يلزم من الأذية الضرر، بدليل أن الإنسان إذا جلس إلى جنبه رجل آكل بصلًا فإنه يتأذّى به، ولا يضره». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤١٣).

وقال ابن عثيمين: «{وَإِنْ حَكَمْتَ} يعني رأيت أن تحكم، واخترت أن تحكم فاحكم بينهم بالقسط، والقسط هو العدل، حتى لو كان الحكم لكافر على مسلم، يحكم عليه بالعدل، حتى إن العلماء رحمهم الله قالوا: يجب أن يعدل بين الخصمين ولو بين مسلم وكافر، في اللفظ واللحظ والجلوس والتقديم وكل شيء؛ لأن هذا حكم يجب أن يعدل فيه، فعبد الله بن رواحة لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليخرص على اليهود الثمار، جمعهم وقال: إني جئتكم من أحب الناس إليَّ -يعني: الرسول صلى الله عليه وسلم- وإنكم لأبغض إليَّ من عدّتكم من القردة والخنازير -رضي الله عنه كلمة شجاع-، وما حبي له وبغضي لكم بموجب أن لا أعدل فيكم، -وإلا من المعلوم أن النفس بالطبيعة البشرية تميل مع من تحب، وعلى من تبغض- لكن هو يقول: لا يمكن أن لا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض، وعدَل فيهم رضي الله عنه». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤١٤).

وقال ابن عثيمين: «من اكتسب المال الحرام ففيه شبه من اليهود، فآكلو الربا مشابهون لليهود، وآكلو الأموال بالغش مشابهون لليهود، وآكلو الأموال بالحلف الكاذب مشابهون لليهود، فكل من اكتسب مالًا بغير حق بطريق محرم فهو مشابه لليهود». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤١٦).

وقال ابن عثيمين: «لا يجوز للإنسان أن يراعي في حكمه قريبًا، ولا صديقًا، ولا غنيًا، ولا فقيرًا، لقوله: {بِالْقِسْطِ}، وهذا يعني: أن ينظر إلى القضية من حيث هي قضية، لا من حيث إنها قضية فلان بن فلان». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤١٧).

وقال ابن عثيمين: «إثبات تفاضل محبة الله عزّ وجل، وجه الدلالة: أن المحبة هنا علّقت بوصف، وهو الإقساط؛ لأن "مقسطين" من الرباعي، وإذا كان كذلك فإن المعلق بوصف يزيد بزيادته وينقص بنقصانه، أرأيت لو قلت: أَكْرِم المجتهد من الطلبة، فإنّ إكرامك يزيد بزيادة الاجتهاد وينقص بنقصه.

إذًا إثبات كون الله يحب المقسطين يدل على تفاضل محبة الله عزّ وجل، وأنه يحب أحدًا أكثر من أحد، ويحب أحدًا ولا يحب الآخر، وهذه القاعدة في كل شيء». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤١٩).

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن تيمية: «والصحيح أن هذه التوراة الذي بأيدي أهل الكتاب فيها ما هو حكم الله، وإن كان قد بدّل وغيّر بعض ألفاظهما، كقوله تعالى: {ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا

آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم}. إلى قوله: {وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله}، فعُلم أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس وبعد مجيء بختنصر وبعد مبعث المسيح وبعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيها حكم الله.

والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن قيل: أنه غيّر بعض ألفاظها بعد مبعثه فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك، فإن هذا غير معلوم لنا، وهو أيضا متعذر، بل يمكن تغيير كثير من النسخ وإشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غيّر بعد ذلك، ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والإنجيل متفقة في الغالب، إنما تختلف في اليسير من ألفاظها، فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ممكن، لا يمكن أحد أن يجزم بنفيه، ولا يقدر أحد من اليهود والنصارى أن يشهد بأن كل نسخة في العالم بالكتابين متفقة الألفاظ؛ إذ هذا لا سبيل لأحد إلى علمه، والاختلاف اليسير في ألفاظ هذه الكتب موجود في الكثير من النسخ، كما قد تختلف نسخ بعض كتب الحديث أو تبدّل بعض ألفاظ بعض النسخ، وهذا خلاف القرآن المجيد الذي حفظت ألفاظه في الصدور بالنقل المتواتر، لا يحتاج أن يحفظ في كتاب، كما قال تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، وذلك أن اليهود قبل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عهده وبعده منتشرون في مشارق الأرض ومغاربها، وعندهم نسخ كثيرة من التوراة، وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة، ولم يتمكن أحد من جمع هذه النسخ وتبديلها، ولو كان ذلك ممكنا لكان هذا من الوقائع العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها.

وكذلك في الإنجيل قال تعالى: {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه}، فعُلم أن في هذا الإنجيل حكما أنزله الله تعالى، لكن الحكم هو من باب الأمر والنهي، وذلك لا يمنع أن يكون التغيير في باب الأخبار، وهو الذي وقع فيه التبديل لفظا، وأما الأحكام التي في التوراة فما يكاد أحد يدّعي التبديل في ألفاظها».
«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ٤٢١-٤٢٤).

وقال ابن عثيمين: «من استفتى عالمًا طلبًا للرخصة ففيه شبه من اليهود، ولهذا قال العلماء: يحرم الاستفتاء طلبًا للرخصة، وقالوا: من تتبّع الرخص فقد تزندق، وصفة تَتَبُّعِ الرخص أنه إذا أفتاك عالم ولم ترد فتواه

ذهبت إلى عالم آخر ليفتيك بما يناسبك، ولا شك أن المستفتي إنما أراد اتباع الهوى دون الهدى؛ لأنه لمّا أفتي بما يرى هو أنه الحق ذهب إلى عالم آخر، وقلنا: يرى أنه الحق؛ لأنه لم يستفتِ هذا العالم إلا وهو يعتقد أن فتواه حق وشريعة، فلمّا لم يوافق هواه ذهب ليستفتي آخر، فصارت حاله تنادي بأنه لا يريد الهدى، وإنما يريد الهوى.

نعم، لو أن الإنسان استفتى عالمًا في مكان في بلدته، لا يرى عالمًا أحسن منه، لكن في نيته أنه لو حصل له أن يستفتي من هو أعلم لفعل، فهنا نقول: لا بأس أن يأخذ بقوله، وإذا ظفر بعالم أوثق منه عنده فليستفته، ويكون هنا بمنزلة استعمال التراب بدلًا عن الماء عند العجز عنه؛ وبمنزلة أكل الميتة عند العجز عن أكل المذكاة، وعليه فيفرق بين شخصين سألا عالمًا ثم استفتيا غيره، أحدهما سأل هذا العالم؛ لأنه لا يرى في بلده من هو أعلم منه، وفي نيته أنه إذا ظفر بمن هو أوثق استفتاه، فاستفتاء هذا للعالم الثاني حكمه جائز، والثاني استفتى العالم الذي في بلده على أن فتواه هي الحق، لكنه تثاقلها، ثم استفتى عالمًا آخر لعله يجد رخصة، هذا لا يجوز، اثنان عملهما واحد، لكن حكمهما مختلف». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٢١-٤٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ٣٥-٤٣

١- تقرّبْ إلى ربك بأنواع القربات، وتودّدْ إليه بشتّى الطاعات، ومن أعظمها جهاد المشركين والمنافقين بالنفس واللسان، لتكون من المفلحين ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٢- افتدِ نفسك من عذاب الله بالعمل الصالح والنفقة في وجوه الخير ما دمت على قيد الحياة، فإنه لن ينفع أحدا يوم القيامة أن يفتدي من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٣- اعلم أن الشخص الذي يموت على كفره بعد قيام الحجة عليه مخلّدٌ في النار أبد الآبدين، لا يخرج منها، ولا يُخفّف عنه من عذابها -نسأل الله العافية والسلامة- ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

٤- اعلم أنّ تطبيق الحدود الشرعية أمانٌ للمجتمع من الجرائم، وحفظ للضروريات الخمس الكبرى: الدين والنفس والمال والعِرض والعقل، ففيها ردع للجاني عن تكرار جنايته، وردع لغيره عن ارتكاب فعلته، ولا عقوبة أفضل ولا مساوية ولا مقاربة لعقوبة الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله سبحانه هو الذي خلقنا، وخلق أفعالنا وصفاتنا، فهو أعلم بما يُصلحنا، ويُصلح معاشنا ومعادنا، وله سبحانه ملك السماوات والأرض، فهو يعذّب من يشاء فيحكم عليه بقطع يده أو جلده أو قتله، ويغفر لمن يشاء بفضله وإحسانه ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٥- ربنا سبحانه وتعالى غفور رحيم كريم، يتوب على من تاب إليه، ويَقبل من أناب إليه، فمن تاب من ذنبه وأصلح ما أفسده تاب الله عليه، وإن كان الذنب في حقوق العباد، ما دام أنه ردّ الحقوق إلى أهلها، فداوِم على التوبة إلى الله من جميع الذنوب والخطايا، مع ردّ الحقوق إلى أهلها ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٦- لا تحزن لكثرة المعترضين على شرع الله، ولا لكثرة المنسلخين من دين الله، فإنّ في قلوبهم مرضا يمنعهم من الانقياد للحق والهدى، ولو خالطت بشاشة الإيمان قلوبَهم لَمَا سارعوا في الكفر ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

٧- احذر من الاتصاف بشيء من صفات اليهود، مثل قبول الكذب وتصديقه، والاستماع للمعارضين للشريعة، وتحريف كلام الله لفظا أو معنى، واتباع الهوى، وأكل المال الحرام ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾، ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

٨- اعلم أن الهداية والإضلال بيد الله سبحانه وحده، وأنه لا يملك أحد لنفسه ولا لغيره الهداية، فاسأل الله الهداية والثبات عليها، وتعوّذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، واسأل الله أن يطهّر قلبك ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٩- يجب العدل في الحكم بين المتخاصمَين، ولو كان أحدهما كافرا والآخر مسلما، ولا يجوز الجَور والظلم ولو كان أحد المتخاصمَين عدوا للقاضي أو الحكم ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

١٠- اِقبَل حكم الله تعالى، ولا تعترضْ عليه، ولا تتولّ عنه، ولا تجعله حكما قابلا للأخذ والردّ، بل سلّمْ به، وأذعنْ له، موقنا أنه خير ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (٤٤-٥٠) من المختصر في التفسير

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾

إنا أنزلنا التوراة على موسى -عليه السلام-، فيها إرشاد ودلالة على الخير، ونور يُسْتضاء به، يحكم بها أنبياء بني إسرائيل الذين انقادوا لله بالطاعة، ويحكم بها العلماء والفقهاء الذين يُرَبُّونَ الناس لما استحفظهم الله على كتابه، وجعلهم أمناء عليه يحفظونه من التحريف والتبديل، وهم شهداء عليه بأنه حق، وإليهم يرجع الناس في أمره، فلا تخافوا -أيها اليهود- الناس وخافوني وحدي، ولا تأخذوا بدلًا من الحكم بما أنزل الله ثمنًا قليلًا من رئاسة أو جاه أو مال، ومن لم يحكم بما أنزل الله من الوحي مستحلًّا ذلك، أو مفضلًا عليه غيره، أو مساويًا له معه فأولئك هم الكافرون حقًّا.

﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾

وفرضنا على اليهود في التوراة أنَّ من قتل نفسًا متعمِّدًا بغير حق قُتِلَ بها، ومن قلع عينًا متعمِّدًا قُلِعَتْ عينه، ومن جدع أنفًا متعمدًا جُدِعَ أنفه، ومن قطع أذنًا متعمِّدًا قُطِعَتْ أذنه، ومن قلع سنا متعمدًا قُلِعَتْ سنه، وكتبنا عليهم أن في الجروح يُعاقَب الجاني بمثل جنايته، ومن تطوع بالعفو عن الجاني كان عفوه كفارة لذنوبه؛ لعفوه عمن ظلمه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في شأن القصاص وفي شأن غيره، فهو متجاوز لحدود الله.

﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾

وأتبعنا آثار أنبياء بني إسرائيل بعيسى بن مريم مؤمنًا بما في التوراة، وحاكمًا بها، وأعطيناه الإنجيل مشتملًا على الهداية للحق، وعلى ما يزيل الشبهات من الحجج، ويحل المشكلات من الأحكام، وموافقًا لما نزل من قبله من التوراة إلا في القليل مما نسخه من أحكامها، وجعلنا الإنجيل هدًى يهتدي به المتّقون، وزاجرًا عن ارتكاب ما حرمه عليهم.

﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾

ولْيؤمِنِ النصارى بما أنزل الله في الإنجيل، ولْيحكموا به فيما جاء به من صدق قبل بعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – إليهم، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله، التاركون للحق، المائلون إلى الباطل.

ولَمَّا ذكر الله التوراة والإنجيل ومدحهما، ذكر القرآن ومدحه فقال:

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾

وأنزلنا إليك –أيها الرسول– القرآن بالصدق الذي لا شك ولا ريب أنه من عند الله، مصدقًا لما سبقه من الكتب المنزلة، ومؤتمَنًا عليها، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو باطل، فاحكم بين الناس بما أنزل الله عليك فيه، ولا تتبع أهواءهم التي أخذوا بها، تاركًا ما أنزل عليك من الحق الذي لا شك فيه، وقد جعلنا لكل أمة شريعة من الأحكام العملية وطريقة واضحة يهتدون بها، ولو شاء الله توحيد الشرائع لوحَّدها، ولكنه جعل لكل أمة شريعة؛ ليختبر الجميع فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، فإلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، وسينبئكم بما كنتم تختلفون فيه، وسيجازيكم على ما قدمتم من أعمال.

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾

وأن احكم بينهم –أيها الرسول– بما أنزل الله إليك، ولا تتبع آراءهم النابعة من اتباع الهوى، واحذرهم أن يضلوك عن بعض ما أنزل الله عليك، فلن يألوا جهدًا في سبيل ذلك، فإن أعرضوا عن قبول الحكم بما أنزل الله إليك فاعلم أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم عقوبة دنيوية، ويعاقبهم على جميعها في الآخرة، وإن كثيرًا من الناس لخارجون عن طاعة الله.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾

أَيُعْرِضون عن حكمك طالبين حكم أهل الجاهلية من عبدة الأوثان الذين يحكمون تبعًا لأهوائهم؟! فلا أحد أحسن حكمًا من الله عند أهل اليقين الذين يعقلون عن الله ما أنزل على رسوله، لا أهل الجهل والأهواء

الذين لا يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم وإن كان باطلًا.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• بيان شرعة القصاص العادل في الأنفس والجراحات، وهي أمر فرضه الله تعالى على مَن قبلنا.

• الحث على فضيلة العفو عن القصاص، وبيان أجرها العظيم المتمثّل في تكفير الذنوب.

• الترهيب من الحكم بغير ما أنزل الله في شأن القصاص وغيره.

• الأنبياء متفقون في أصول الدين مع وجود بعض الفروق بين شرائعهم في الفروع.

• وجوب تحكيم شرع الله والإعراض عمّا عداه من الأهواء.

• ذم التحاكم إلى أحكام أهل الجاهلية وأعرافهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ٤٤-٥٠ من المختصر في التفسير

[📕 <التفسير]

[🖊 > التعليق]

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

📕 إنا أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام، فيها إرشاد ودلالة على الخير، ونور يُسْتضاء به، يحكم بها أنبياء بني إسرائيل الذين انقادوا لله بالطاعة،

🖊 نعم، قال الله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ" يعني على موسى عليه السلام "فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" يعني أنها تضمنت الهداية والدلالة على الخير، وفيها نور كذلك يُستضاء به للوصول إلى أحكام الله سبحانه وتعالى، ثم قال: "يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا" فأنبياء بني إسرائيل كانوا يحكمون بالتوراة بين اليهود، ووصفَهم بأنهم "الَّذِينَ أَسْلَمُوا" بمعنى أنهم انقادوا لله بالطاعة ولم يخرجوا عن حكم التوراة ولم يُحرِّفوها.

📕 ويحكم بها العلماء والفقهاء الذين يُرَبُّونَ الناس

🖊 نعم، قال: "وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ" عطفًا على "النَّبِيُّونَ"، فالنبيون والربانيون والأحبار كانوا يحكمون بالتوراة بين اليهود، والمراد بالأحبار العلماء، والمراد بالربانيين اختلف فيه العلماء:

فمنهم من قال: هم العُبَّاد من بني إسرائيل،

ومنهم من قال: هم العلماءُ الحكماء الذين يعرفون أحوال الناس ويسوسونهم سياسةً حسنة،

وقيل هم الذين يُرَبُّون الناس بصغار العلم قبل كباره،

فكان الربانيون والأحبار يحكمون بالتوراة بين اليهود.

لما استحفظهم الله على كتابه، وجعلهم أمناء عليه يحفظونه من التحريف والتبديل، وهم شهداء عليه بأنه حق،

نعم، قال: "بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ" يعني أن الربانيين والأحبار كانوا يحكمون بالتوراة لأن الله أمرهم ووكَّلهم بحفظِ أحكام التوراة والحكمِ بها بين بني إسرائيل وجعلهم أمناء على هذه الأحكام، وجعلها أمانة عندهم، فهم يحفظونها من الزيادة والنقصان والكتمان والتحريف، "وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ" أي أنهم شهداء على أحكام التوراة بأنها حق، وقيل أنهم شهداء حيث أنهم يُرجَع إليهم في أحكام التوراة وفيما يشتبهُ على الناس في أحكام التوراة.

وإليهم يرجع الناس في أمره، فلا تخافوا - أيها اليهود - الناس وخافوني وحدي، ولا تأخذوا بدلاً من الحكم بما أنزل الله ثمنًا قليلاً من رئاسة أو جاه أو مال،

نعم، قال: "فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا" أي فلا تَخشَوُا الناس في إظهار ما جاء في التوراة ومن ذلك البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وذِكر أوصافِه التي انطبقت عليه انطباقًا تاما، فلا تخافوا الناس في بيان هذه الأحكام "وَاخْشَوْنِ" أي وخافوا الله سبحانه وتعالى فإنه هو النافع الضار "وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا" أي لا تكتموا الحق لأجل متاعٍ قليلٍ عُرِض عليكم مقابلَ كتمان ما جاء في التوراةِ من الحقِّ والهدى.

ومن لم يحكم بما أنزل الله من الوحي مستحلًّا ذلك، أو مفضِّلاً عليه غيره، أو مساويًا له معه فأولئك هم الكافرون حقًّا.

نعم، قال: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" أي من لم يحكم بأحكام الله التي أنزلها في كتابه إما استحلالاً للحكم بغير ما أنزل الله أو تفضيلاً للحكم بغير ما أنزل الله على حكم الله أو اعتقاد أنه مساوٍ لحكم الله فأولئك هم الكافرون حقا.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

وفرضنا على اليهود في التوراة أنَّ من قتل نفسًا متعمِّدًا بغير حق قُتِلَ بها،

نعم، قال تعالى: "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا " أي وأوجبنا وفرضنا على اليهود في التوراة "أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ" يعني من قتل نفسا متعمدا بغير حق فإنه يُقتَلُ بهذه النفس.

ومن قلع عينًا متَعمِّدًا قُلِعَتْ عينه،

قال: "وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ" يعني من قلع عينَ إنسانٍ متعمِّدا قُلِعَت عينُه.

ومن جدع أنفًا متَعمِّدًا جُدِعَ أنفه

نعم، قال: "وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ" أي من جدع أنفًا فقطعه عمدًا فإنه يُقطَع أنفُه ويُجدَع.

ومن قطع أذنًا متَعمِّدًا قُطِعَتْ أذنه،

نعم، قال: "وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ" من قطع أذنَ إنسان عمدا قطعت أذنه.

ومن قلع سنًّا متَعمِّدًا قُلِعَتْ سنُّه،

نعم، قال: "وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ" أي من قلع سِنَّ إنسان متعمدا عُدوانًا قُطِعَت سنه.

وكتبنا عليهم أن في الجروح يُعاقَب الجاني بمثل جنايته،

نعم، قال: "وَالْجُرُوحَ قِصَاص" أي أن الجروح يُقتَص فيها بمثل الجناية، فَيُفعَل بالجاني كما فعل بالمجنيِّ عليه، فمن جرح غيرَه عمدا اقتُص منه مثل جرحه للمجروح من حيث طولُه وعرضُه وعمقُه وحدُّه وموضعُه، وهذا من كمال حُكم الله وشرعه، وليُعلم أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا مالم يرد شرعنا بخالفه، فهذه الأحكام التي ذكر الله أنها قد وردت في التوراة لم يأت شرعنا بخلافها فهي أحكام لنا كذلك.

ومن تطوع بالعفو عن الجاني كان عفوه كفارة لذنوبه؛ لعفوه عمن ظلمه،

نعم، قال تعالى: "فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ" يعني بالقصاص فعفا عن الجاني "فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ" أي أن عفوه عن الجاني كفارة لذنوبه قيل لذنوب العافي سواء كان معتدًى عليه أو كان وليًّا لللمقتول، وقيل كفارة لذنوب الجاني فإنه لو عُفِيَ عنه فإن الله كذلك يعفو عنه ما حصل منه. والله أعلم.

ومن لم يحكم بما أنزل الله في شأن القصاص وفي شأن غيره، فهو متجاوز لحدود الله.

نعم، قال: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" أي أن من لم يحكم بأحكام الله سبحانه وتعالى التي أنزلها في كتبه "فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" المتجاوزون لحدود الله، الذين ظلموا أنفسهم أولاً بمعصية الله سبحانه وتعالى، وظلموا غيرهم بالحكم عليهم بغير ما أنزل الله.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾

وأتبعنا آثار أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم مؤمنًا بما في التوراة، وحاكمًا بها،

نعم، قال تعالى: "وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ" أي وأتبعنا أنبياء بني إسرائيل بعيسى عليه السلام وكان آخر أنبياء بني إسرائيل ولم يكن بينه وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي، قال: "مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ" أي مؤمنًا بما في التوراة، ومصدقًا لما جاء فيها، وحاكمًا بها بين بني إسرائيل؛ إلا أنه عليه السلام كان في شريعته تخفيفٌ لبعض أحكام التوراة كما قال الله سبحانه وتعالى عنه في خطابه لبني إسرائيل: (وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)[1]

وأعطيناه الإنجيل مشتملاً على الهداية للحق، وعلى ما يزيل الشبهات من الحجج، ويحل المشكلات من الأحكام، وموافقًا لما نزل من قبله من التوراة إلا في القليل مما نسخه من أحكامها،

---

[1] [سورة آل عمران ٥٠]

✍ نعم، قال: "وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ" يعني أعطينا عيسى عليه السلام الإنجيل، ثم وصف الإنجيل بأن فيه هدًى ونورا، فهو هدايةٌ للحق ومزيلٌ للشبهات، وفيه نورٌ يستضاء به للوصول إلى أحكام الله سبحانه وتعالى وتطبيقِها للوصول الى جنته "وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ" أي أن الإنجيلَ وأحكامَ الإنجيل مصدقةٌ وموافقةٌ لما جاء في التوراة إلا في القليل مما نسخه من أحكامها كما سبق.

وجعلنا الإنجيل هدًى يُهْتدى به، وزاجرًا عن ارتكاب ما حرمه عليهم.

✍ نعم، قال: "وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" أعاد وصف الإنجيل بأنه هدًى لكنه قيده هنا بأنه هدى للمتقين أي إنما ينتفع بهدايته المتقون، ووصفه كذلك بأنه "مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" أي أنه جازرٌ لهم عن ارتكاب ما حرم الله عليهم، وفيه من الوعيد والمواعظ ما يمنع المتقين من ارتكاب المحرمات.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

ولْيؤمِنِ النصارى بما أنزل الله في الإنجيل، وليحكموا به - فيما جاء به من صدق قبل بعثة محمد صلّى الله عليه وسلّم إليهم -،

✍ نعم، قال الله: "وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ" أي ليكن إيمانُهم بالإنجيل إيمانًا كاملاً، ولْيُحَكِّموه فيما بينهم بما أنزل الله فيه لا بما حرَّفوه، ومما ورد في الإنجيل صريحًا واضحا البشارةُ بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم وذِكرُ أوصافه، فليُحَكِّموا الإنجيل حتى يعلموا صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمنوا به ويدخلوا في دين الإسلام.

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله، التاركون للحق، المائلون إلى الباطل.

✍ نعم، قال: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" أي من لم يحكم بأحكام الله التي أنزلها في كتبه "فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" الذين خرجوا عن طاعة الله عمدا وتركوا الحق عدوانا.

■ ولما ذكر الله التوراة والإنجيل ومدحها ذكر القرآن ومدحه، فقال:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

■ وأنزلنا إليك – أيها الرسول – القرآن بالصدق الذي لا شك ولا ريب أنه من عند الله،

✎ نعم، قال: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ" أي أنزلناه مشتملاً على الحق، و أنزلناه كتابَ حقٍّ لا شك ولا ريب فيه أنه من عند الله.

■ مصدقًا لما سبقه من الكتب المنزلة،

✎ نعم، قال: "مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ" أي أنه مصدقٌ لما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل فهو يشهد لها ويوافقُها، ويطابقُ أخبارُه أخبارَها، ويطابقُها في الشرائع الكبار؛ في العقيدةِ والإيمانِ وأصولِ الأخلاقِ والعبادات، فصار وجودُ القرآنِ مُصدِّقًا للكتب السابقة.

■ ومؤتَمَنًا عليها، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو باطل،

✎ نعم، قال: "وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ" يعني أن القرآنَ مؤتمنٌ على ما في الكتب السابقة، فما ورد في الكتب السابقة مما جاء القرآنُ بتأييده فهو حق، وما ورد فيها مما جاء القرآنُ بإبطاله فهو باطل، فالقرآنُ حاكمٌ على الكتب السابقة، وشاهدٌ بصحة ما صح منها، ومُبيّن لتحريف ما حُرِّف منها، واشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة.

■ فاحكم بين الناس بما أنزل الله عليك فيه، ولا تتبع أهواءهم التي أخذوا بها، تاركًا ما أنزل عليك من الحق الذي لا شك فيه،

✐ نعم، قال: "فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ" يعني بما أنزل الله عليك في القرآن "وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ" يعني لا تتبع أهواءَ اليهودِ والنصارى وتأخذ بأحكامهم وتترك ما جاءك من الحق وأنزل الله عليك من الهدى.

■ وقد جعلنا لكل أمة شريعة من الأحكام العملية وطريقة واضحة يهتدون بها،
✐ نعم، قال: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا" أي لكل أمة جعل الله شريعة تفصيلية من الأحكام العملية تخالف ما جاء في الشرائع الأخرى، "وَمِنْهَاجًا" يعني وطريقةً واضحةً يهتدون بها، إلا أن جميع الشرائع قد اتفقت في أصول العقائد وأصول العبادات وأصول الأخلاق والمعاملات، فلا يوجد في شريعة من الشرائع إباحةٌ للظلم ولا إباحةٌ للزنا ولا إباحةٌ، للقتل بغير حق كما لا يوجد في شريعة من الشرائع عبادة غير الله وحده سبحانه وتعالى.
وهذه الشرائع التي اختلفت من نبي لآخر ومن أمة لأخرى هي التي يصح أن تتغير بتغير الأزمنة والأحوال أما الأحكامُ الثابتة التي فيها حفظٌ لأصولِ العقائدِ وللضروريات الخمس الكبرى فإنها لا تختلف من شريعة لأخرى.

■ ولو شاء الله توحيد الشرائع لوحَّدها، ولكنه جعل لكل أمة شريعة؛ ليختبر الجميع فيظهر المطيع من العاصي،
✐ نعم، قال: "وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ" يعني لو شاء الله لجعل الشريعةَ شريعةً واحدة؛ لكنه أراد أن يختبر كل أمة بما شرعَه لهم.

■ فسارعوا إلى فعل الخيرات وترك المنكرات،
✐ نعم، هذا معنى قوله: "فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ" أي تسابقوا إلى فعل الخيرات وترك المنكرات.
■ فإلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، وسينبئكم بما كنتم تختلفون فيه، وسيجازيكم على ما قدمتم من أعمال.

🖉 نعم، قال: "إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" أي أننا جميعًا سنرجع إلى الله تعالى يوم القيامة، وأنه سيحاسبنا على أعمالنا، وسيخبرنا بها، وسيجازينا عليها. والله المستعان.

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾

📕 وأن احكم بينهم – أيها الرسول – بما أنزل الله إليك، ولا تتبع آراءهم النابعة من اتباع الهوى،

🖉 نعم، قال: "وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ" كرر الأمر بالحكم بما أنزل اللهُ في القرآن لا في التوراة المحرفة ولا في الإنجيل المحرفة ، "وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ" كرر التحذير من اتباع أهوائهم لأنهم يدَّعون أنه قد جاء في كتبهم ما لم يأتِ، فإنما أنت مُكلف بأن تحكم بينهم بما أنزل الله عليك في القرآن.

📕 واحذرهم أن يضلوك عن بعض ما أنزل الله عليك، فلن يألوا جهدًا في سبيل ذلك،

🖉 نعم، قال: "وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ" حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم (وهو تحذير عامٌ للأمة) أن يفتنوك -يعني أهل الكتاب- فيُضِلُّوك ويصدُّوك ويصرفوك عن بعض ما أنزل الله عليك من الأحكام في القرآن فإنهم سيبذلون جهدًا لذلك فاحذر من مكرهم.

📕 فإن أعرضوا عن قبول الحكم بما أنزل الله إليك فاعلم أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم عقوبة دنيوية، ويعاقبهم على جميعها في الآخرة، وإن كثيرًا من الناس لخارجون عن طاعة الله.

🖉 قال: "فَإِنْ تَوَلَّوْا" يعني عن الاستجابة لحُكم القرآن "فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ" يعني فاعلم أن الله يريد أن يعاقبَهم ببعض ذنوبهم فيُعجِّلَ عقوبتها في الدنيا بصرفهم عن اتباع الحق، وهذه أكبرُ عقوبةٍ يمكن أن يعاقَبَ بها الإنسانُ في الدنيا؛ أن يُصرَف عن الحق، وأما بقيةُ ذنوبِهم فإنهم يعاقبون بها في الآخرة، ثم قال: "وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ" أي أن كثيرا من الناس خارجون عن طاعة الله عمدا. والله المستعان.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

أَيُعْرِضون عن حكمك طالبين حكم أهل الجاهلية من عبدة الأوثان الذين يحكمون تبعًا لأهوائهم؟!

نعم، قال: "أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ" استفهام إنكاري، أي أيُعرضون عن حكم الله الذي أنزله في القرآن ويطلبون حكمَ أهلِ الجاهلية، وحكمُ الجاهلية هو كلُّ حكمٍ خالف ما أنزل اللهُ على رسولِه صلى الله عليه وسلم، فليس هناك إلا حكمُ اللهِ ورسولِهِ أو حكمُ الجاهلية، فمن أعرض عن حكمِ الله ورسوله ابتلاه الله بحكمِ الجاهلية، وحكمُ الجاهليةِ مبنيٌّ على الجهلِ والظلمِ والبغيِ والعدوان؛ ولهذا أضافه الله إلى الجاهلية، وأما حكمُ اللهِ سبحانه وتعالى فإنه مبنيٌّ على العلمِ والعدلِ والنورِ والهدَى.

فلا أحد أحسن حكمًا من الله عند أهل اليقين الذين يعقلون عن الله ما أنزل على رسوله، لا أهل الجهل والأهواء الذين لا يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم وإن كان باطلاً.

نعم، قال: "وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" أي لا أحد أحسن حكمًا من الله لأن الله سبحانه وتعالى هو ربُّ العالمين، وخالقُ الخلقِ أجمعين، وهو الذي خلقَ الخلقَ، وخلقَ صفاتِهم، وهو العليمُ بهم (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[٢] فحكمُه أحسنُ الحكم وبه تستقيم الحياةُ للبشرية جمعاء.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

- بيان شِرعة القصاص العادل في الأنفس والجراحات، وهي أمر فرضه الله تعالى على من قبلنا.

نعم، القَصاص العادل "أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ" هذا من تمام العدل الذي شرعه الله علينا وعلى الأممِ من قبلنا.

- الحث على فضيلة العفو عن القصاص، وبيان أجرها العظيم المتمثّل في تكفير الذنوب.

نعم، هذا في قوله تعالى: "فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ" يعني من عفا عن الجاني فإن عفوَه يكون كفارةً لذنوبه.

---

[٢] [سورة الملك ١٤]

▪ • الترهيب من الحكم بغير ما أنزل الله في شأن القصاص وغيره.

✎ نعم، كرر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات:

"وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"

"وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"

"وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"

وهذا ترهيب عظيم من الوقوع في هذه الجناية العظيمة؛ وهي الحكم بغيرِ ما أنزل الله.

▪ • الأنبياء متفقون في أصول الدين مع وجود بعض الفروق بين شرائعهم في الفروع.

✎ نعم، الأنبياءُ كلُّهم متفقون في أصولِ الدين، سواءً في ذلك أصولُ العقائد أو أصولُ العبادات أو أصولُ المعاملات والأخلاق وإن اختلفت شرائعُهم في بعض الفروع التفصيلية، قال الله سبحانه وتعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا".

▪ • وجوب تحكيم شرع الله والإعراض عمّا عداه من الأهواء.

✎ نعم، أمر الله سبحانه وتعالى بتحكيم ما أنزل سبحانه في القرآن "فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله" "وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ" فدل على وجوبِ الحكمِ بما أنزل الله والإعراضِ عن حكمِ الجاهلية.

▪ • ذم التحاكم إلى أحكام أهل الجاهلية وأعرافهم.

✎ نعم، قال الله سبحانه وتعالى: "أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ" فذمَّ التحاكمَ إلى أحكامِ أهلِ الجاهلية لأنها مشتملةٌ على الظلم والبغي والعدوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (٤٤-٥٠)

الكلمة	المعنى
الذين أسلَمُوا	الذين انقَادُوا لِحُكمِ الله
والربّانيّون	وعلماء اليهود الحكماء الذين يُربّون الناس بِشَرعِ الله
والأحبار	وعامة علماءُ اليهود
بِما استُحفِظُوا	بما استودِعُوا علمه
والجروحَ قِصاص	والجروحَ يُعاقَب فيها الجاني بمثل جنايته
تَصدَّق به	تَنازَل عن حقّه في القِصَاص
وقَفّينا على آثارهم	وأَتْبَعْنا آثارَ النبيين
ومُهيمِنًا عليه	وحاكما عليها، وشاهدا بصحّتها، وأمينا عليها
شِرعة ومنهاجا	شريعةً وطريقةً واضحةً في الدين
لِيَبلُوَكُم	لِيَختَبِركم
يَفتِنُوك	يَصرِفُوك ويَصُدُّوك

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ٤٤-٥٠

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية الرابعة والأربعين وحتى الآية الخمسين.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، ولم ينصّ عليه الأكثر، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) يحتمل أن يكون حالا بعد حال، وبناء عليه لا يصح الوقف على قوله: (فيها هدى ونور).

ويحتمل أن يكون مستأنفا؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر في الجملة الأولى في قوله: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) عما اشتملت عليه التوراة من الهدى والنور، ثم بين في قوله: (يحكم بها النبيون الذين أسلموا...) إلى آخر الجملة، أن الأنبياء والصالحين من الربانيين والأحبار يحكمون بما في التوراة. ولعل هذا هو الأقرب، وبناء عليه يصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

ثم هل يصح الوقف على قوله تعالى: (بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الفعلية التي تضمنت الخبر عمن يُحَكِّم التوراة من النبيين والربانيين والأحبار قد انتهت هنا، ثم جاءت بعدها جملة نهي عن خشية الناس، وكتمان الحق لأجلهم، وأمر بخشية الله سبحانه وتعالى وحده في قوله: (فلا تخشوا الناس واخشون)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (فلا تخشوا الناس واخشون)؟

صحّح الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن النهي عن خشية الناس والأمر بخشية الله سبحانه وتعالى قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة نهي آخر تضمنت النهي عن شراء ثمن قليل بآيات الله.

فمن نظر إلى أن هذا النهي من تتمة النهي الأول؛ لأن الذين يحرفون أحكام التوراة إنما كانوا يحرفونها لأحد أمرين: إما خشية من الناس، أو أنهم كانوا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا مما يعطونه من الدنيا، فمن نظر إلى هذا لم يصحّح الوقف بينهما.

ومن نظر إلى أنهما نهيان مستقلان قائمان بأنفسهما، صحح الفصل بينهما، ولعل هذا هو الأقرب، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة النهي قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة شرطية في بيان حكم من لم يحكم بما أنزل الله في قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) يختلف الوقف والابتداء في هذا المقطع من الآية باختلاف القراءات فيها، كما نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، وفيها ثلاث قراءات:

فمن قرأها كاملة بالنصب: (أن النفسَ بالنفس والعينَ بالعين والأنفَ بالأنف والأذنَ بالأذن والسنَ بالسن والجروحَ قصاص)، كما هي قراءة عاصم ونافع وحمزة ويعقوب وخلف، وهي القراءة المشهورة المتداولة التي يقرأ بها أكثر الناس اليوم، فإنه لا يقف بين هذه المعطوفات؛ لأنها معطوفة عطف كلمات مفردة، ويكون المعنى: أن الله كتب على بني إسرائيل في التوراة هذه الأحكام كاملة.

ومن قرأها بالنصب إلا قوله تعالى: (والجروحُ قصاص) قرأها بالرفع، كما هي قراءة أبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، فإنه يقف على قوله: (والسنَّ بالسن) قبل: (والجروحُ قصاص)؛ لأن كل ما قبلها معطوف على بعضه عطف كلمات، وأما قوله: (والجروحُ قصاص) فإنه مستأنف، والمعنى: أنه كُتب على بني إسرائيل في التوراة ما سبق، ثم ابتدأ الله سبحانه جملة جديدة أخبر فيها أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن الجروح قصاص.

ومن قرأ الكلمة الأولى فقط بالنصب: (أن النفسَ بالنفس)، ثم قرأ الباقي بالرفع: (والعينُ بالعين والأنفُ بالأنف والأذنُ بالأذن والسنُّ بالسن والجروحُ قصاص)، كما هي قراءة الكسائي، فإنه يقف على قوله: (أن النفسَ بالنفس)، وما بعده مستأنف: (والعينُ بالعين)، ثم ما بعده معطوف عليه إلى قوله: (والجروحُ قصاص)، والمعنى: أن الذي كُتب على بني إسرائيل أن النفسَ بالنفس فقط، ثم ابتدأ الله سبحانه جملة جديدة أخبرنا فيها أن القصاص في العين بالعين وفي الأنف بالأنف وفي الأذن بالأذن وفي السن بالسن، وأن الجروح قصاص. والله تعالى أعلم.

ثم يصح الوقف على قوله: (والجروح قصاص) على جميع القراءات كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن ذكر ما فيه القِصاص قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة شرط جديدة في بيان حكم جديد متعلق بمن تنازل عن شيء من ذلك لوجه الله في قوله: (فمن تصدّق به فهو كفارة له)، فصح الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فمن تصدّق به فهو كفارة له)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة شرط جديدة في بيان حكم من لم يحكم بما أنزل الله في قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) جملة معطوفة على قوله: (وقفّينا على آثارهم)، وهي جملة قائمة بنفسها مستقلة بالمعنى المقصود منها، وتحتمل أن تكون جملة مستأنفة، وعلى كلا الاحتمالين يصح الوقف قبلها، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور)؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ومصدقا لما بين يديه) معطوف على موضع قوله: (فيه هدى ونور)، والتقدير: وآتيناه الإنجيل كائنا فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة، فلا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (ومصدقا لما بين يديه من التوراة)؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (وهدى وموعظةً للمتقين) منصوب على الحالية، وهو حال من الإنجيل، أي: وآتيناه الإنجيل هدى وموعظة للمتقين، فلا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة

شرط لبيان حكم من لم يحكم بما أنزل الله في قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى الخبر هنا عن القرآن وحاله وما تضمّنه، ثم جاء أمر بالحكم به في قوله: (فاحكم بينهم بما أنزل الله)، فصحّ الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله تعالى: (فاحكم بينهم بما أنزل الله)؟

جعل النكزاوي الوقف هنا مفهوما، وجعله الأشموني جائزا، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، ووُضعت هنا علامة الوصل أولى في مصحف المدينة، وإذا تأملنا فإن الأمر بالحكم بالقرآن قد انتهى هنا، ثم جاء نهي عن اتباع أهوائهم في الحكم والانصراف عن حكم القرآن في قوله: (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)، أي: منصرفا عما جاءك من الحق.

فمن نظر إلى أن هذا النهي هو من تتمة الأمر بالحكم بالقرآن، إذ لا يتم الحكم بين الناس بالقرآن إلا بالامتناع عن اتباع أهوائهم= لم يصحح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن هذا النهي جملة مستقلة بنفسها صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا محتمل، والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولا تتّبع أهوائهم عمّا جاءك من الحق)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى النهي عن اتباع أهواء الناس في الحكم، ثم جاء خبر في جملة مستقلة عن أن لكل أمة شريعة ومنهاجا في قوله تعالى: (لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله تعالى: (لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنه قد انتهى هنا الخبر عن أن لكل أمة شريعة ومنهاجا، ثم جاءت جملة شرطية في بيان أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة في دينهم، وفي الشرائع التي يشرعها لهم، لكنه أراد ابتلاء كل أمة بما يشرع لهم في زمانهم، فصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله تعالى: (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة)؟

نصّ النكزاوي على أن الوقف هنا مفهوم، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، بل منع منه الأشموني؛ قال: لحرف الاستدراك بعده؛ لأن بعده: (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم)، ولا يصح الوقف قبل الاستدراك؛ لأنه من تتمة بيان الجملة، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله تعالى: (ولكن ليبلوَكم فيما آتاكم)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن جملة الشرط التي تضمنت بيان أن الله سبحانه وتعالى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة لكنه أراد أن يبتليهم بالشرائع، والاستدراك الذي دخل عليها قد انتهى هنا، ثم جاء أمر باستباق الخيرات، وهو أمر قائم بنفسه، إلا أنه عُطف على ما قبله بالفاء.

فمن نظر إلى الفاء لم يصحّح الوقف هنا، ومن نظر إلى أنه أمر مستقلّ صحح الوقف هنا، ولعل هذا هو الأقرب، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فاستبقوا الخيرات)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر قد انتهى هنا، ثم جاء الخبر بعده عن أن الجميع سيرجع إلى الله سبحانه وتعالى ليحكم بينهم في قوله: (إلى الله مرجعكم جميعا)، فصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (إلى الله مرجعكم جميعا)؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني؛ قال: لفاء العطف بعده في قوله: (فينبئكم)، ولأن مقصود الجملة بيان أنكم سترجعون إلى الله لينبئكم بما كنتم فيه تختلفون، فلا وقف هنا، والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي، وجعله النكزاوي مفهوما، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الأمر بالحكم بما أنزل الله قد انتهى هنا، ثم جاء النهي عن اتباع أهوائهم في الحكم وترك الحكم بما أنزل الله.

فمن نظر إلى أن هذا النهي هو من تتمة الأمر بالحكم بما أنزل الله لم يصحّح الوقف هنا، ومن نظر إلى أنه نهي مستقل قائم بجملة مستقلة صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا واسع، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (ولا تتّبع أهواءهم)؟

نصّ على الوقف هنا الهبطي، وجعله النكزاوي مفهوما، ولم ينص عليه بقية علماء الوقف والابتداء كذلك، وإذا تأملنا فإن النهي عن اتباع أهوائهم قد انتهى هنا، ثم قال الله: (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك). وهذا الأمر بالحذر من أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه هو من تتمة النهي عن اتباع أهوائهم، ومن تتمة الأمر بالحكم بينهم بما أنزل الله، إذ لا يتم الحكم بينهم بما أنزل الله إلا بترك اتباع أهوائهم، ولا يتم الحذر من أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه إلا بترك اتباع أهوائهم، فمن نظر إلى هذا لم يصحّح الوقف هنا.

ومن نظر إلى أن قوله تعالى: (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) جملة أمر قائمة بنفسها صحّح الوقف هنا، والأمر في هذا واسع، والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله تعالى: (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن ما يتعلق بالأمر بالحكم بما أنزل الله والنهي عن اتباع أهواء الناس قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة شرطية في بيان حالهم إذا تولّوا عن حكم الله سبحانه وتعالى في قوله: (فإن تولّوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم)، فصحّ الوقف هنا، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (أن يصيبهم ببعض ذنوبهم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط قد انتهت هنا بفعلها وجوابها، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ(إنّ) في قوله: (وإنّ كثيرا من الناس لفاسقون)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (أفحكم الجاهلية يبغون) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الاستفهام الإنكاري الذي ابتدئت به الآية قد انتهى هنا، ثم جاء استفهام آخر في جملة أخرى في قوله: (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)، فصح الفصل بينهما، والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ٤٤-٥٠

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

قال ابن عثيمين: «{فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} الهدى: العلم، والنور: آثار هذا العلم، وذلك أن الإنسان كلما ازداد علمًا ازداد نورًا وبصيرة في دين الله عزّ وجل». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٢٤).

«في التوراة هدى ونور، لقوله: {فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}، وفي القرآن الكريم قال الله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ}، فالقرآن كله هدى، وكله نور، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا}، وفي هذه الآية قال الله تعالى في التوراة: {فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}، وهذا التعبير بينه وبين التعبير القرآني بالنسبة للقرآن الكريم فرق عظيم؛ لأن التوراة جعل فيها هدى ونور، والقرآن جعله هو الهدى والنور». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٢٨).

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾.

قال الطبري: «و"الربانيون" جمع رباني، وهم العلماء الحكماء البصراء بسياسة الناس، وتدبير أمورهم، والقيام بمصالحهم». «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٤١).

وقال البغوي: «{والأحبار}... قال الكسائي وأبو عبيد: هو من الحِبر الذي يُكتب به. وقال قطرب: هو من الحَبر الذي هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها، وفي الحديث: (يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره)، أي: حسنه وهيئته، ومنه التحبير وهو التحسين، فسمي العالم حبرا لما عليه من جمال العلم وبهائه». «تفسير البغوي» (٣/ ٦١).

«{للذين هادوا} فيه تقديم وتأخير، تقديره: فيها هدى ونور للذين هادوا. ثم قال: يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون.

وقيل: هو على موضعه، ومعناه: يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا، كما قال: (وإن أسأتم فلها) أي: فعليها، وقال: (أولئك لهم اللعنة) أي: عليهم.

وقيل: فيه حذف، كأنه قال: للذين هادوا وعلى الذين هادوا، فحُذف أحدهما اختصارا». «تفسير البغوي»

(٣/ ٦٠).

وقال ابن تيمية: «وقد عُلم أن الرسل جميعهم بعثوا بالإسلام العام المتضمن لذلك، كما قال تعالى: {يحكم بها النبيون الذين أسلموا}، وقال موسى: {إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين}، وقال تعالى: {بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه}، وقال الخليل لما قال له ربه: {أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب} - أيضا وصى بها بنيه - {يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون}، وقال يوسف: {توفّني مسلما} ونظائره كثيرة». «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٢٣).

وقال ابن القيم: «قال ابن عباس: الرجم في كتاب الله لا يغوص عليه إلا غوّاص، وهو قوله تعالى: {ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب}.
واستنبطه غيره من قوله: {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا}». «زاد المعاد» (٥/ ٥٥).

وقال ابن عثيمين: «{الَّذِينَ أَسْلَمُوا} يعني: الإسلام التام، الذي هو إسلام القلب، وإسلام اللسان، وإسلام الجوارح، يعني: الاستسلام لله ظاهرًا وباطنًا.
ولا تعجب أن يوصف الأنبياء بالإسلام؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أقوى الناس استسلامًا لله عزّ وجل... فإسلام الأنبياء متضمن للإيمان؛ وذلك لأنه إسلام القلب واللسان والجوارح». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٢٥).

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾.

قال السعدي: «{بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء} أي: بسبب أن الله استحفظهم على كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه.

وهم شهداء عليه، بحيث أنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه على الناس منه، فالله تعالى قد حمّل أهل العلم ما لم يحمّله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حُمّلوا، وأن لا يقتدوا بالجهال، بالإخلاد إلى البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا.

وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلّموا الناس وينبّهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصا الأمور الأصولية، والتي يكثر وقوعها، وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم، ولهذا قال: {فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا} فتكتمون الحق، وتظهرون الباطل، لأجل متاع الدنيا القليل.

وهذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعادته، بأن يكون همه الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم أن الله قد استحفظه ما أودعه من العلم واستشهده عليه، وأن يكون خائفا من ربه، ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثر الدنيا على الدين.

كما أن علامة شقاوة العالم أن يكون مخلدا للبطالة، غير قائم بما أُمر به، ولا مُبالٍ بما استُحفظ عليه، قد أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدنيا، قد ارتشى في أحكامه، وأخذ المال على فتاويه، ولم يعلّم عباد الله إلا بأجرة وجعالة، فهذا قد من الله عليه بمنة عظيمة، كفرها ودفع حظا جسيما محروما منه غيره، فنسألك اللهم علما نافعا، وعملا متقبلا، وأن ترزقنا العفو والعافية من كل بلاء يا كريم». «تفسير السعدي» (ص٢٣٣).

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

قال ابن عثيمين: «اعلم أن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم سببًا لكون الإنسان يخشى الناس دون الله، فقال عزّ وجل: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}. الشيطان يأتي إلى ضعاف الدين، وإلى ضعاف الهمة والحزم، يقول: لا تفعل هذا، فإذا فعلت تقوم عليك الأمة، تنكر عليك الأمم، فيخاف، والمؤمن حقًّا لا يخاف». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٣٢).

«المنحرف عن الدين وعن نشر العلم ينحرف لأحد سببين: السبب الأول: خشية الناس، والسبب الثاني: الطمع في الدنيا...

فلو أنك تأملت أسباب الانحراف، وأعني بذلك انحراف العلماء، لوجدته يدور على شيئين: إما الخوف من الناس، وإما طلب الدنيا والرئاسة والمال وما أشبه ذلك». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٣٣).

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

«عن ابن عباس، قال: إن الله عز وجل أنزل: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} و {أولئك هم الظالمون} و {أولئك هم الفاسقون}، قال: قال ابن عباس: أنزلها الله في الطائفتين من اليهود، وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا واصطلحوا على أنّ كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقا، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وذلّت الطائفتان كلتاهما لمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لم يظهر، ولم يوطّئهما عليه، وهو في الصلح، فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلا، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة: أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حيّين قطّ دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبلدهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنا إنما أعطيناكم هذا ضَيما منكم لنا، وفرَقا منكم، فأمّا إذْ قدم محمد فلا نعطيكم ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم، ثم ذكرت العزيزة، فقالت: والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا، ما أعطونا هذا إلا ضيما منا، وقهرا لهم، فدُسّوا إلى محمد مَن يَخبُر لكم رأيه: إن أعطاكم ما تريدون حكّمتموه، وإن لم يعطكم حذرتم، فلم تحكّموه، فدَسّوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من المنافقين ليَخبُروا لهم رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله رسوله بأمرهم كله وما أرادوا، فأنزل الله عز وجل: {يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا} إلى قوله: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}. ثم قال: فيهما والله نزلت، وإياهما عنى الله عز وجل». «مسند أحمد» (٤/ ٨٨-٨٩).

وقال ابن تيمية: «ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون

بعاداتهم التي لم يُنزلها الله سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإنّ كثيرا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالا، كمن تقدم أمرهم». «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٣٠).

وقال ابن القيم: «قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}.

قال ابن عبَّاسٍ: ليس بكفرٍ ينقل عن الملَّة، بل إذا فعَلَه فهو به كفرٌ؛ وليس كمن كفَر بالله واليوم الآخر.

وكذلك قال طاووسٌ.

وقال عطاءٌ: هو كفرٌ دون كفرٍ، وظلمٌ دون ظلمٍ، وفسقٌ دون فسقٍ.

ومنهم من تأوَّلَ الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدًا له، وهو قول عكرمة. وهو تأويلٌ مرجوحٌ، فإنَّ نفسَ جحوده كفرٌ، سواءٌ حكَم أو لم يحكُم.

ومنهم من تأوَّلَها على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، قال: ويدخل في ذلك الحكمُ بالتَّوحيد والإسلام، وهذا تأويل عبد العزيز الكِنانيِّ. وهو أيضًا بعيدٌ، إذ الوعيد على نفي الحكم بالمنزَّل، وهو يتناول تعطيلَ الحكم بجميعه وببعضه.

ومنهم من تأوَّلَها على الحكم بمخالفة النّصِّ تعمُّدًا من غير جهلٍ به ولا خطأٍ في التّأويل، حكاه البغويُّ عن العلماء عمومًا.

ومنهم من تأوَّلَها على أهل الكتاب، وهو قول قتادة والضّحاك وغيرهما، وهو بعيدٌ خلافُ ظاهر اللَّفظ، فلا يصار إليه.

ومنهم من جعله كفرًا ينقُل عن الملَّة.

والصَّحيحُ: أنَّ الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين: الأصغرَ والأكبرَ، بحسب حال الحاكم:

فإنّه إن اعتقد وجوبَ الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدَلَ عنه معصيةً، مع اعترافه بأنّه مستحقٌّ للعقوبة= فهذا كفرٌ أصغر.

وإن اعتقد أنَّه غيرُ واجبٍ، وأنّه مخيَّرٌ فيه، مع تيقُّنه أنّه حكمُ الله تعالى، فهذا كفرٌ أكبر. وإن جهِلَه وأخطَأَه

فهذا مخطئٌ له حكمُ المخطئين». «مدارج السالكين» (١/ ٥١٩).

وقال ابن عثيمين: «{فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (أولاء): مبتدأ، و (هم): ضمير فصل، وجاء ضمير الفصل لإفادة الحصر والتوكيد. وقد تقدم أن ضمير الفصل له ثلاث فوائد: الأولى: إفادة الحصر، والثانية: التوكيد، والثالثة: التمييز بين الخبر والصفة، ولهذا سمّي ضمير فصل.

ويظهر ذلك بالمثال: إذا قلت: "زيد الفاضل"، وعبّرت تعبيرًا آخر: "زيد هو الفاضل"، أيهما أبلغ في إثبات الفضل لزيد؟ الثاني، فقولنا: "زيد هو الفاضل" يعني: لا غير، فيفيد الحصر والتوكيد أيضًا.

ويفيد التمييز بين الخبر والصفة؛ لأنك إذا قلت: "زيد الفاضل"، يحتمل أن تكون "الفاضل" صفة لزيد، ويترقّب المخاطَب الخبر، "زيد الفاضل" ما شأنه؟ يتوقع الإنسان الخبر، فإذا قلت: "زيد هو الفاضل" لم يحتمل أن تكون "الفاضل" صفة، بل تتعين أن تكون خبرًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٢٧-٤٢٨):

«من الناس من يُقدم على التكفير مع انتفاء شروطه، ويحصل بذلك شر كثير، تمرد على الحكام، وتضليل للعامة، وفوضى في المجتمع، ودماء تراق بغير حق. واسأل مَنْ سلفك مِن الأمة، ماذا حصل من الخوارج الذين كَفّروا معاوية رضي الله عنه، ثم كفروا عليًّا رضي الله عنه، وهم يقومون الليل ويتلون القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الصحابة وهم الصحابة، (يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم، وقراءته مع قراءتهم)، ومع ذلك حصل من شرهم ما لا يعلمه إلا الله، ومن قرأ عنهم -وآخر الأمة كأولها- علم أن الخروج على الأئمة لا شك أنه مفسدة عظيمة، وأن بقاء الحكام على غير ما أنزل الله لا شك مضرة عظيمة، لكن الواجب أن يُدرأ أشدّ المفسدتين بأخفّهما، فإذا جرت الدماء يصعب جدًّا إيقافها، وأن تحقن بعد أن أريقت، لكنَّ إصلاح الحكام ربما يتحقق مع المران والمجالسة والمناصحة.

فلهذا أقول: إن المسألة خطيرة، وإن الواجب على الإنسان أن يَدرس ما قاله أهل العلم في هذه المسألة دراسة خالية من العاطفة، كلنا نحب أن تكون كلمة الله هي العليا، والله تعالى يعلم ذلك، وكلنا يحب أن يكفّ الشر عن الأمة، لكننا نعلم جيدًا خطورة الوضع فيما إذا قيل: إن هذا الحاكم كافر وليس عندنا فيه من الله برهان.

فإذا وجدنا كفرًا بواحًا صريحًا واضحًا عندنا فيه من الله برهان، وطبّقنا البرهان على الواقع وتبين أنه كفر، فهل يسوغ لنا أن نخرج على الإمام؟ حتى لو قلنا: إنه يسوغ؛ فلا بد من شروط، أهمها: أن يكون لنا القدرة

على إزاحته، وأن ننظر ماذا يترتب على الخروج وفقًا للأصول العامة من الدين الإسلامي، أما أن نخرج عليه بدونها فلا يليق، وليس من الحكمة، ولا من الشريعة. وهل أُمر المسلمون وهم مضطهدون في مكة أن يقاتِلوا؟ ما أمروا أن يقاتِلوا؛ لأنهم لا طاقة لهم بذلك، فإذا قدّرنا أن هذا الحاكم كافر كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان كالشمس، ورأيناه يسجد للصنم، فهل نخرج عليه؟

الجواب: لا نخرج، ومسألة الخروج هذه لا تجوز إلا بشروط، فأين القدرة الآن من هؤلاء الذين يخرجون فئات وفئات؟ ثم يحصل من الشر العظيم ما هو معلوم للجميع، وهذه الفئات أيضًا لا تتسلط على الحكومة نفسها، بل تتسلط على الشعب المسكين الأعزل الذي لا حول له ولا قوة، فيقتلون النساء والصبيان، ويدمّرون البلدان بحجة أنهم يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وهم بهذا الفعل ما حصلوا على المقصود، ولا أثمروا، ولا أنتجوا، إنما كان الضرر عظيمًا مستطيرًا.

لذلك أكرّر أن هذه المسألة من أخطر ما يكون في وقتنا الحاضر، فيجب وجوبًا مؤكدًا لازمًا التثبت في هذا الأمر، والتانّي، والنظر بالحكمة، وإدراك العواقب وفقًا للأصول العامة من الدين الإسلامي، والله المستعان، وهو حسبنا أن يقينا شر الفتن ويصلح أحوال المسلمين». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٣٤).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾.

قال ابن كثير: «وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا حكي مقررا ولم ينسخ، كما هو المشهور عن الجمهور، وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الاسفراييني عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب بهذه الآية، حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة... وقد حكى الإمام أبو نصر بن الصباغ رحمه الله، في كتابه "الشامل" إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه، وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة، وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في كتاب عمرو بن حزم: (أن الرجل يقتل بالمرأة)، وفي الحديث الآخر: (المسلمون تتكافأ دماؤهم). وهذا قول جمهور العلماء». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢١-١٢٢).

وقال ابن عثيمين: «{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} "كتبنا": أي: فرضنا، وكما قال تعالى في آية أخرى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}، فالكَتْبُ بمعنى الفرض، والكتابة نوعان: كتابة شرعية، وكتابة قدرية كونية، فما تعلّق بالأمر والنهي الذي يفعله المكلّف فهي كتابة شرعية، وما تعلّق بالخلق والتكوين فهي كتابة قدرية». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٣٩).

«القصاص ثابت في النفوس ولو اختلف الناس في السن والطول والقصر والعلم والعقل والذكاء وغير ذلك، وجه ذلك: العموم، ولهذا لو أن رجلًا شابًا عالمًا كريمًا حسيبًا قتل طفلًا في المهد فإنه يقتل به؛ لأنه لا عبرة بالاختلاف في هذه الأشياء، وذلك للعموم». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٥١).

«{وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ} يعني: أن من قلع عين شخص قلعنا عينه، فعَيْنٌ بعَيْنٍ، ولا بد من المماثلة، فاليمنى باليمنى، واليسرى باليسرى؛ لأن التعريف في قوله: {وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ} يدل على أن الثاني هو الأول، وهذا يقتضي المماثلة، ولأنه جاء بالباء الدالة على البدل، والبدل لا بد أن يكون مساويًا للمبدل منه. مثاله: رجل قلع عين شخص ضعيف النظر، والقالع نظره قوي تقلع عينه، كما لو قتل الصحيح مريضًا فيقتل به». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٤٣).

«{وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ}... نجد أن بعض الناس يكون عنده حاسة شم يشم الروائح الطيبة والخبيثة، وآخر لا يشم، ولو كان عنده أطيب الروائح أو أخبث الروائح لا يشم، فهل إذا قطع الرجلُ الذي يشم أنفَ من لا يشم، فهل نقطع أنفه أو لا؟ يقطع؛ لأن الآية عامة: {وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ}، ولأن الشم ليس في نفس الخيشوم، بل الشم بالمخ ليس بالأنف، ولهذا يوجد أناس انقطعت آنافهم في حرب أو آفة أو غير ذلك وهم يشمّون، وأناس آنافهم سليمة ومع ذلك لا يشمّون، إذًا الأنف الأشم وغيره سواء». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٤٤).

«{وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ} "الباء" هنا لا شك أنها بدل أو عوض، فلا بد أن يكون السن المقلوع مماثل لسن الجاني، فمثلًا: هل تقلع الثنية بالرباعية؟ الجواب: لا، لعدم الاتفاق، والباء كما تقدم أنها للعوض أو للبدل، لا يمكن أن تكون الرباعية بدلًا عن الثنية أو العكس...

فإذا قلع بعض السن يعني: كسر بعض السن، هل يقتص منه؟ نعم يقتصّ منه ويقدّر بالنسبة، إذا كان الجاني قد برد سن المجني عليه حتى ذهب نصفه، نبرد سن الجاني حتى يذهب نصفه، فإذا قال الجاني: يا جماعة ارأفوا بي، قصوا السن بدلًا عن البرد بالمبرد، هل نطيعه؟ لا نطيعه؛ لأنه كما آلم المجني عليه فإننا نؤلمه،

ولهذا لو قال لنا في مسألة العين أو في مسألة الأذن: بَنِّجُوني قلنا: لا نبنّجك، كما أنك فعلت بالمجني عليه نفعل بك». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٤٦).

«بقي أعضاء ما ذكرت، مثل اليدين والرجلين والأصابع، لكن يثبت الحكم فيها بالقياس على ما ذكر». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٤٧).

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

قال البغوي: «{والجروح قصاص} أي: فيما يمكن الاقتصاص منه، كاليد والرجل واللسان ونحوها، وأما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته». «تفسير البغوي» (٣/ ٦٢).

وقال ابن كثير: «لا يجوز أن يُقتصّ من الجراحة حتى تندمل جراحة المجنيّ عليه، فإن اقتصّ منه قبل الاندمال ثم زاد جرحه فلا شيء له، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد:... أن رجلا طعن رجلا بقرن في ركبته، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أَقِدني. فقال صلى الله عليه وسلم: (لا تعجل، حتى يبرأ جرحك). قال: فأبى الرجل إلا أن يستقيد، فأقاده رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، قال: فعرج المستقيد وبرأ المستقاد منه، فأتى المستقيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا رسول الله، عرجت وبرأ صاحبي. فقال: (قد نهيتك فعصيتني، فأبعدك الله، وبطل عرجك). ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقتصّ من جرح حتى يبرأ صاحبه». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٣).

وقال السعدي: «{والجروح قصاص} والاقتصاص: أن يفعل به كما فعل. فمن جرح غيره عمدا اقتص من الجارح جرحا مثل جرحه للمجروح، حدا، وموضعا، وطولا، وعرضا، وعمقا». «تفسير السعدي» (ص٢٣٣).

وقال ابن عثيمين: «والفقهاء رحمهم الله يقولون: لا يمكن القصاص في جرح إلا في جرح ينتهي إلى عظم، والجرح الذي لا ينتهي إلى عظم لا يمكن القصاص منه، فمثلًا الجرح في الرأس حتى يصل إلى عظم

الرأس يمكن فيه القصاص، الجرح في الساق حتى يصل إلى العظم يمكن، في الفخذ كذلك، في الظهر كذلك، في الأضلاع كذلك، لكن في البطن لا يمكن هذا على ما سبق، وعندي أنه في الوقت الحاضر ممكن؛ لأن الأطباء عندهم من الحذق ما يمكن أن يُقَدِّروا الجرح بكل دقة، وإذا كان الله عزّ وجل لم يُبَيِّن موضع الجروح، بل قال: {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ} فنقول: متى ثبت إمكان القصاص في أي جرح في أي موضع، فإنه واجب». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٤٧).

﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾.

قال البغوي: «{فمن تصدّق به} أي: بالقصاص {فهو كفارة له} قيل: الهاء في "له" كناية عن المجروح وولي القتيل، أي: كفارة للمتصدق، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة...

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تصدّق من جسده بشيء كفّر الله عنه بقدره من ذنوبه).

وقال جماعة: هي كناية عن الجارح والقاتل، يعني: إذا عفا المجني عليه من الجاني فعفوه كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة، كما أن القصاص كفارة له، فأما أجر العافي فعلى الله عز وجل، قال الله تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول إبراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم». «تفسير البغوي» (٣/ ٦٤).

وقال ابن تيمية: «وينبغي أن يُطلب العفو من أولياء المقتول؛ فإنه أفضل لهم، كما قال تعالى: {والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له}.

قال أنس رضي الله عنه: (ما رُفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو). رواه أبو داود وغيره.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٧٧).

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ﴾.

قال ابن تيمية: «وقد ذكر طائفة من العلماء أن قوله تعالى في الإنجيل: {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه} هو خطاب لمن كان على دين المسيح قبل النسخ والتبديل، لا الموجودين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا القول يناسب مناسبة ظاهرة لقراءة من قرأ: (ولِيحكم أهل الإنجيل) بكسر اللام، كقراءة حمزة، فإن هذه لام "كي"، فإنه تعالى قال: {وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}.

فإذا قرئ: (ولِيحكم) كان المعنى: وآتيناه الإنجيل لكذا وكذا وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وهذا يوجب الحكم بما أنزل الله في الإنجيل الحق، لا يدل على أن الإنجيل الموجود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم هو ذلك الإنجيل.

وأما قراءة الجمهور: {ولْيحكم أهل الإنجيل} فهو أمر بذلك، فمن العلماء من قال: هو أمر لمن كان الإنجيل الحق موجودا عندهم أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وعلى هذا يكون قوله تعالى: (ولْيحكم) أمر لهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: لا حاجة إلى هذا التكلف، فإن القول في الإنجيل كالقول في التوراة وقد قال تعالى:{... وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين...}، فهذا قد صرّح بأن أولئك الذين تحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود عندهم التوراة فيها حكم الله، ثم تولوا عن حكم الله، وقال بعد ذلك: {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه}، وهذه لام الأمر، وهو أمر من الله أنزله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، وأمْر من مات قبل هذا الخطاب ممتنع، وإنما يكون الأمر أمرا لمن آمن به من بعد خطاب الله لعباده بالأمر، فعُلم أنه أمر لمن كان موجودا حينئذ أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل، والله أنزل في الإنجيل الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، كما أمر به في التوراة، فليحكموا بما أنزل الله في الإنجيل مما لم ينسخه محمد صلى الله عليه وسلم، كما أُمر أهل التوراة أن يحكموا بما أنزله مما لم ينسخه المسيح، وما نسخه فقد أُمروا فيها باتباع المسيح، وقد أُمروا في الإنجيل باتباع محمد صلى الله عليه وسلم... كما قال تعالى: {الذين يتّبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل}... وقد ثبت في الصحاح والسنن والمسانيد هذا. ففي

الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا له أن امرأة منهم ورجلا زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم). قالوا: نفضحهم ويُجلَدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إنّ فيها الرجم، فأَتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فأمر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرُجما». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ٤٢٤-٤٢٨).

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

قال الطبري: «(ومهيمنا عليه) يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقا للكتب قبله، وشهيدا عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظا لها.

وأصل "الهيمنة": الحفظ والارتقاب. يقال: إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن». «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٧٧).

وقال ابن تيمية: «وأما القرآن فإنه مستقلّ بنفسه، لم يُحوِج أصحابه إلى كتاب آخر، بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن؛ وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب؛ فلهذا كان (مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) يقرّر ما فيها من الحق، ويبطل ما حُرّف منها، وينسخ ما نسخه الله، فيقرّر الدين الحق، وهو جمهور ما فيها، ويُبطل الدين المبدّل الذي لم يكن فيها، والقليل الذي نسخ فيها». «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٨٤).

وقال السعدي: «{مصدقا لما بين يديه من الكتاب} لأنه شهد لها، ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقا لخبرها.

{ومهيمنا عليه} أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية، فهو الكتاب الذي تتبّع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة والإحكام

الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله لم يخالفه». «تفسير السعدي» (ص٢٣٤).

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: احكم يا محمد بين أهل الكتاب والمشركين بما أُنزل إليك من كتابي وأحكامي في كل ما احتكموا فيه إليك، من الحدود والجروح والقوَد والنفوس، فارجم الزاني المحصَن، واقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ظلما، وافقأ العين بالعين، واجدع الأنف بالأنف، فإني أنزلت إليك القرآن مصدّقا في ذلك ما بين يديه من الكتب، ومهيمنا عليه رقيبا، يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبله، ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين يقولون: إن أوتيتم الجلد في الزاني المحصَن دون الرجم، وقتل الوضيع بالشريف إذا قتله، وترك قتل الشريف بالوضيع إذا قتله، فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا عن الذي جاءك من عند الله من الحق، وهو كتاب الله الذي أنزله إليك. يقول له: اعمل بكتابي الذي أنزلته إليك إذا احتكموا إليك فاخترت الحكم عليهم، ولا تتركن العمل بذلك اتباعا منك أهواءهم، وإيثارا لها على الحق الذي أنزلته إليك في كتابي». «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٨٢).

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

«عن قتادة قوله: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) يقول: سبيلا وسنة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلّ الله فيها ما يشاء، ويحرّم ما يشاء بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل». «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٨٥).

وقال ابن تيمية: «جميع الأنبياء كانوا على دين الإسلام، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، الأنبياء إخوة لعلات). وقد أخبر تعالى في القرآن عن نوح وإبراهيم وإسرائيل وأتباع موسى والمسيح وغيرهم أنهم كانوا مسلمين، متفقين على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يُعبَد بما أمر هو سبحانه وتعالى، فلا يُعبَد غيره، ولا يُعبَد هو بدين لم يشرعه.

فلما أُمر أن يصلّي في أول الإسلام إلى بيت المقدس كان ذلك من دين الإسلام، ثم لمّا نُسخ ذلك وأُمر باستقبال البيت الحرام كان هذا من دين الإسلام، وذلك المنسوخ ليس من دين الإسلام.

وقد قال تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} فللتوراة شرعة، وللإنجيل شرعة، وللقرآن شرعة. فمن كان متبعا لشرع التوراة أو الإنجيل الذي لم يُبدّل ولم يُنسخ فهو على دين الإسلام، كالذين كانوا على شريعة التوراة بلا تبديل قبل مبعث المسيح عليه السلام، والذين كانوا على شريعة الإنجيل بلا تبديل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما من اتبع دينا مبدلا ما شرعه الله أو دينا منسوخا فهذا قد خرج عن دين الإسلام، كاليهود الذين بدلوا التوراة كذّبوا المسيح عليه السلام، ثم كذّبوا محمدا صلى الله عليه وسلم. والنصارى الذين بدّلوا الإنجيل وكذّبوا محمدا صلى الله عليه وسلم. فهؤلاء ليسوا على دين الإسلام الذي كان عليه الأنبياء، بل هم مخالفون لهم فيما كذّبوا به من الحق، وابتدعوه من الباطل». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٧٠).

وقال السعدي: «وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع». «تفسير السعدي» (ص٢٣٤).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: فبادروا أيها الناس إلى الصالحات من الأعمال، والقرب إلى ربكم، بإدمان العمل بما في كتابكم الذي أنزله إلى نبيكم، فإنه إنما أنزله امتحانا لكم وابتلاء، ليتبين المحسن منكم من المسيء، فيجازي جميعكم على عمله جزاءه عند مصيركم إليه، فإن إليه مصيركم جميعا، فيخبر كل فريق منكم بما كان يخالف فيه الفرق الأخرى، فيفصل بينهم بفصل القضاء...

فإن قال قائل: أولم ينبّئنا ربنا في الدنيا قبل مرجعنا إليه ما نحن فيه مختلفون؟

قيل: إنه بيّن ذلك في الدنيا بالرسل والأدلة والحجج، دون الثواب والعقاب عيانا، فمصدّق بذلك ومكذّب. وأما عند المرجع إليه فإنه ينبّئهم بذلك بالمجازاة التي لا يشكّون معها في معرفة المُحقّ والمُبطل، ولا

يقدرون على إدخال اللبس معها على أنفسهم. فكذلك خبره تعالى ذكره أنه ينبّئنا عند المرجع إليه بما كنا فيه نختلف في الدنيا. وإنما معنى ذلك: إلى الله مرجعكم جميعا، فتعرفون المُحقّ حينئذ من المُبطل منكم». «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٩٠-٣٩١).

وقال السعدي: «{فاستبقوا الخيرات} أي: بادروا إليها وأكملوها، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقا لغيره مستوليا على الأمر، إلا بأمرين:
المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها.
والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به.
ويستدل بهذه الآية على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات التي يقدر عليها لتتمّ وتكمل، ويحصل بها السبق». «تفسير السعدي» (ص٢٣٤).

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾.
«عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسد، وابن صوريا، وشأس بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه! فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعَنا يهود ولم يخالفونا، وأنّ بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدّقك! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله فيهم: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)، إلى قوله: (لقوم يوقنون)». «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٩٣).

وقال ابن عثيمين: «إذا كان هذا الخطاب موجهًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحي الذي أعطاه الله عزّ وجل من القوة والعزيمة في دين الله ما لا يعطى غيره، فما بالك بغيره؟ وما بالك بمن كان في زمننا الآن؟ فيجب الحذر، واسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا}، لو فعلت صرت أنت خليلهم وصديقهم، وقال: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ

لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}، لولا أنّ الله ثبّته -ونسأل الله الثبات- لكان يركن إليهم شيئًا قليلًا، ولو ركن إليهم شيئًا قليلًا: {إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}، والمخاطَب رسول الله عليه الصلاة والسلام، فما بالك بمن دونه؟ يكون الحذر منهم أشد وأشد». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٨٢).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

قال ابن كثير: «{وإن كثيرا من الناس لفاسقون} أي: أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم، مخالفون للحق، ناؤون عنه، كما قال تعالى: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين}، وقال تعالى: {وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله}». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٠).

وقال السعدي: «{فإن تولوا} عن اتباعك واتباع الحق {فاعلم} أن ذلك عقوبة عليهم، وأن الله يريد {أن يصيبهم ببعض ذنوبهم}، فإنّ للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يُبتلى العبد ويُزيّن له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه». «تفسير السعدي» (ص٢٣٤).

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

قال ابن القيم: «أخبر سبحانه أن كل حكم خالف حكمه الذي أنزله على رسوله فهو من أحكام الهوى، لا من أحكام العقل، وهو من أحكام الجاهلية، لا من حكم العلم والهدى، فقال تعالى: {وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون}، فأخبر سبحانه وتعالى أنه ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى الذي يُضلّ عن سبيله، وليس وراء حكمه إلا حكم الجاهلية». «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٢/ ٦٧٤).

وقال ابن عثيمين: «إذا كان الإنسان في بلاد الكفار هل له أن يتحاكم إليهم ليصل إلى حقه؟

الجواب: إذا كان لا يمكن أن يصل إلى حقه إلا بهذا فليتحاكم إليهم لا على نية أن حكمهم صحيح، لكن

على نية أنهم كالشرطة يستخرجون له حقه من هذا الظالم، ولو لم نَقُل بذلك لضاع حقه، ففرق بين أن نحكّمهم على أنّ حكمهم شريعة، وبين أن نحكّمهم ليخلّصوا حقه، لكن يجب أن يعتقد أن حكمهم باطل في الأصل، وأنهم ليسوا حكامًا شرعيين». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٨٥).

«هل المراد أحكام أهل الجاهلية كوأد البنات وما أشبه ذلك وتحريم بعض المحللات، أو أن المراد: أفحكم الجاهلية يعني: الحكم الموصوف بأنه جهل؟

نقول: كلا المعنيين حق، لكن الثاني أعمّ؛ لأنه يشمل كل حكم مبني على جهل، سواء كان من أحكام أهل الجاهلية الذين هم العرب، أو من أحكام آخرين، وعلى هذا فيكون المعنى: أفحكم الجهل يبغون، والجهل: هو عدم العلم، وكل ما خالف الحق الذي هو حكم الله فهو جهل أو جهالة، إن كان عن غير علم فهو جهل، وإن كان عن علم ولكن خالف الحق متعمدًا فهو جهالة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٨٦).

«قوله: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا}؟ الجواب: لا أحد أحسن، لكن لمن؟ {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} يوقنون بالله، وبأسمائه وصفاته، وبما تقتضيه هذه الأسماء والصفات؛ هؤلاء لا يرون حكمًا أحسن من حكم الله، أما من عنده ضعف في اليقين فإنه قد يرى أنّ حكم غير الله أحسن من حكم الله». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٨٧).

«حكم الله وإن تراءى لبعض الناس أنه ليس بصالح، أو أنه يعيق التقدم الاقتصادي أو الاجتماعي، أو غير ذلك، فإنه يكون خاطئًا؛ لأن العبرة بالنهاية، قد يتراءى للإنسان أن هذا الحكم لا يصلح الآن، لكن في النهاية لا شك أنه هو الصالح، وأن علينا أن نصبر وستكون العاقبة حميدة.

مثلًا: الآن كثير من الناس يرون أنه لا بأس بالتعامل بالربا؛ لأنه على زعمهم ينمي الاقتصاد من الآخذ والمعطي، فنقول: هذا وإن تراءى لكم لكن فيه مفاسد كثيرة، وانظروا إلى الدول التي تستعمل هذا ماذا كان حالها؟ تجد أن فيهم طبقات متباينة غاية التباين، هذا من أفقر الناس، ربما يأكل التراب من الجوع، والثرى من العطش، والآخر مثرٍ ثراءً زائدًا، فهذا الاختلاف العظيم في الطبقات كل ذلك بسبب التعامل المحرم، لكن لو أن الناس مشوا على ما سنه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته لكان الاقتصاد متوازنًا، تجد الغني لا يثري ثراءً فاحشًا، ويعطي الفقير من الزكاة، وتكون الحال بين الغني والفقير متقاربة، لا يطغى أحد على أحد، لكن إذا سلّطنا الشح على المعاملات واستبحنا كل شيء لا بد أن تكون هناك طبقات

متميزة، وإذا وُجِدَت طبقات متميزة فسد المجتمع أمنيًا ووديًا، تجد الغني يَمقُت الفقير ويزدريه ويحتقره، والفقير يكره الغني؛ لأنه يرى أنه قد ابتزّ ماله، وأنه تعاظم عليه، لا سيما إذا كان لا يؤدي الزكاة». «تفسير العثيمين: المائدة» (١/ ٤٨٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ٤٤-٥٠

١- جعل الله على أهل العلم في كل أمة مسؤولية نشر كتاب الله لفظا ومعنى، وحفظه من التغيير والتحريف، والحكم به بين الناس، فيجب على من رزقه الله العلم الشرعي القيام بمسؤوليّته تجاه كتاب الله، والحكم بما أنزل الله، وعدم تحريف أحكام الله خشية من الناس، أو طلبا لشيء من متاع الدنيا الزائل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

٢- الحكم بما أنزل الله واجب حتميّ، لأنه حكم الله الذي خلق الكون والإنسان، ويعلم ما يُصلح أحوال الناس في كل زمان ومكان، فاحكم بما أنزل الله في نفسك وأهلك ومجتمعك، وارضَ بحكم الله، واعتزّ به، ودافع عنه، وأظهر محاسنه، تكُن من المؤمنين الصادقين، وأما مَن لم يحكم بما أنزل الله فإنه كافر ظالم فاسق، ويكون كفره كفرا أكبر مخرجا من الملّة إن استحلّ الحكم بغير ما أنزل الله، أو اعتقد أنه أفضل من حكم الله أو مُساوٍ له، أو اعتقد أنّ حكم الله غير صالح لزمان ما أو مكان ما أو حال ما. وأما مَن غلبته نفسه فحكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه أو مصلحة دنيوية فإنه كافر كفرا أصغر غير مخرج من الإسلام، واعلم أن الإنسان لا يُعذَر بمخالفة حكم الله بحجة أنه مطبّق للقانون أو النظام المخالف لحكم الله، بل الحكم يشمل واضعي القانون المخالف لحكم الله، ويشمل مُطبّقيه كذلك ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

٣- من تمام العدل في شريعة الله التي شرعها لنا ولمن قبلنا: مشروعية الاقتصاص من الجاني المعتدي بقدْر جنايته، موضعا وطولا وعرضا وعُمقا، ليرتدع مَن يريد الاعتداء على الآخرين، ولتبقى النفوس والأجسام والأعضاء محفوظة من البغي والعدوان، فالحمد لله رب العالمين ﴿وَكَتَبْنَا

عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

٤- بادر بالعفو عمّن اعتدى عليك أو ظلمك، فإنه خير لك من أخذ حقك منه في الدنيا، لأنك قد تتجاوز حدك في أخذ حقك من حيث لا تشعر، فتنقلب ظالما بعد أن كنت مظلوما، أما العفو فإنه أمان لك من تجاوز الحد، وكفارة لسيئاتك، ورفعة في درجاتك، ومَن عفا فأجره على الله ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾.

٥- اشتملت كتب الله المنزّلة على أنبيائه على الهدى والنور، وعلى إرشاد الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وهداهم، ولا ينتفع بهداية الله ومواعظه إلا من اتّقى الله وبحث عن الحق متجردا عن هواه، ولذلك لو حكّم أهل الإنجيل الإنجيلَ حقًّا لآمَنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، لِتكرّر البشارة به وذِكر أوصافه في الإنجيل ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ﴾.

٦- من دلائل صحة القرآن أنه جاء مصدّقا للكتب السابقة، مُعترفا بأنها كتب الله المنزّلة على أنبيائه ورسله، مبيّنا ما ورد فيها من أحكام، مقررا لبعضها، وناسخا لبعضها، وموضّحا ما وقع فيها من تحريف، فهل يقدر على هذا كله رجل أميّ لا يقرأ ولا يكتب ولم يخالط أهل الكتاب قط؟! ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

٧- نوّع الله الشرائع بين الأمم لابتلاء الناس واختبارهم في مدى عبوديتهم لربهم، ورضاهم بحكمه، واستقامتهم على أمره، فكُن مُسلما مستسلما لأحكام الله ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾.

٨- من دلائل قوة إيمانك: مسابقتك إلى الخيرات، ومنافستك في الصالحات، وسعيك الحثيث إلى الطاعات، فكن في كل طاعة مبادرا، وفي كل خير سابقا، فإن العمر قصير، والموت يأتي فجأة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

٩- اعلم أن أعداء الدين قد وجّهوا إليك سهامهم، ورموك من كل جهة بشبهة أو شهوة ليفتنوك عن

دينك، ويصدّوك عن التمسك به، فاحذرهم، وتحصّن منهم بسياج متين من العلم النافع والعمل الصالح، وكُن أنت الصخرة الصلبة التي تتكسّر عليها سهام شبهاتهم، والسدّ القويّ الذي يوقف مدّ سيل شهواتهم، مستغيثا بالله أن يعينك ويثبّتك ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾.

١٠- من أخطر عقوبات الذنوب: الصرْف عن الحق والهدى، فيُخذل الإنسان عن اتّباع الحق، ويُصرف عن العمل الصالح، وقد يظنّ أنه مُحسن في اعتقاده وعمله، وإنما هو من الأخسرين أعمالا، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعا، نسأل الله السلامة والعافية ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾.

١١- أكثر الناس فاسقون، وأكثرهم لا يؤمنون، وأكثرهم لا يعقلون، وأكثرهم لا يشكرون، وأكثرهم لا يعلمون، وأكثرهم كافرون، وأكثرهم كاذبون، وأكثرهم للحق كارهون، هكذا أخبر الله عن أكثر الناس في القرآن، فلا تتّبع أكثر الناس، بل ابحث عن الحق المؤيّد بالحجج والبراهين فاتّبعه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (٥١-٥٨) من المختصر في التفسير

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾.

يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله لا تجعلوا من اليهود والنصارى حلفاء وأصفياء توالونهم، فاليهود إنما يوالون أهل ملَّتهم، والنصارى إنما يوالون أهل ملتهم، وكِلا الفريقين تجمعهم معاداتكم، ومن يتولهم منكم فإنه في عِدادهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين بسبب موالاتهم للكفار.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾.

فترى -أيها الرسول- المنافقين ضعفاء الإيمان يبادرون إلى موالاة اليهود والنصارى قائلين: نخاف أن يظفر هؤلاء وتكون لهم الدولة فينالنا منهم مكروه، فلعل الله يجعل الظفر لرسوله وللمؤمنين، أو يأتي بأمر من عنده تندفع به صَوْلة اليهود ومن يواليهم، فيصبح المسارعون إلى موالاتهم نادمين على ما أخفوه من النفاق في قلوبهم؛ لبطلان ما تعلقوا به من أسباب واهية.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾.

ويقول المؤمنون متعجبين من حال هؤلاء المنافقين: أهؤلاء الذين حلفوا مؤكدين أيمانهم: إنهم لمعكم -أيها المؤمنون- في الإيمان والنصرة والموالاة؟! بطلت أعمالهم، فأصبحوا خاسرين بفوات مقصودهم، وما أعد لهم من عذاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾.

يا أيها الذين آمنوا، من يرجع منكم عن دينه إلى الكفر فسوف يأتي الله بقوم بدلًا منهم يحبهم ويحبونه لاستقامتهم، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخشون تعنيف من يعنفهم؛ لتقديمهم رضا الله على رضا المخلوقين، ذلك من عطاء الله الذي يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والإحسان، عليم بمن يستحق فضله فيمنحه إياه ومن لا يستحقه فيحرمه.

ولما نهى الله عن موالاة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، أخبر بمن يَتَعيَّن على المؤمنين موالاتهم، فقال:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾.

ليس اليهود ولا النصارى ولا غيرهم من الكفار أولياءكم، بل إنَّ وليكم وناصركم الله ورسوله، والمؤمنون الذين يؤدّون الصلاة كاملة، ويعطون زكاة أموالهم وهم خاضعون لله أذلاء.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾.

ومن يَتَوَلَّ الله ورسوله والمؤمنين بالنصرة فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون؛ لأن الله ناصرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾.

يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا الذين يسخرون من دينكم، ويتلاعبون به من الذين أعْطُوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى والمشركين حلفاء وأصفياء، واتقوا الله باجتناب ما نهاكم عنه من موالاتهم إن كنتم مؤمنين به، وبما أنزله عليكم.

﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾.

وكذلك يسخرون ويلعبون إذا أَذنْتُم للصلاة التي هي أعظم قربة، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون عن الله معاني عبادته وشرائعه التي شرعها للناس.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• التنبيه على عقيدة الولاء والبراء التي تتلخص في الموالاة والمحبة لله ورسوله والمؤمنين، وبغض أهل الكفر وتجنب محبتهم.

• من صفات أهل النفاق: موالاة أعداء الله تعالى.

• التخاذل والتقصير في نصرة الدين قد ينتج عنه استبدال المُقَصِّر والإتيان بغيره، ونزع شرف نصرة الدين عنه.

• التحذير من الساخرين بدين الله تعالى من الكفار وأهل النفاق، ومن موالاتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ٥١-٥٨ من المختصر في التفسير

[📕 >التفسير]

[🖊 > التعليق]

﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

📕 يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، لا تجعلوا من اليهود والنصارى حلفاء وأصفياء توالونهم،

🖊نعم، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ" يُرشد تعالى عباده المؤمنين بعد أن بين لهم في الآيات السابقة أحوالَ اليهودَ والنصارى وصفاتِهم غيرِ الحسنة ألا يتخذوهم أولياء، ومعنى أولياء: أحباءَ وأنصارا.

📕 فاليهود إنما يوالون أهل ملَّتهم، والنصارى إنما يوالون أهل ملَّتهم، وكِلا الفريقين تجمعهم معاداتكم،

🖊نعم، قال:" بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" يعني الحقيقةُ والواقع أنهم إنما يوالي بعضهم بعضا ،فاليهود يوالون أهل ملتهم ،والنصارى كذلك إنما يوالون أهل ملتهم، وكلا الفريقين يجتمعون على معاداتكم ولا يمكن أن يحبوا المؤمنين ويوادّوهم، فأنتم أجدر بأن ينصرَ بعضُكم بعضا وبأن لا توادّوا اليهود ولا النصارى.

📕 ومن يتولهم منكم فإنه في عِدادهم،

🖊نعم، قال: " وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" أي فإنه يصير من جملتهم وحكمُه حكمهم، وهذا إذا كان توليًّا تاما فإن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم لأنه إذا تولاهم توليًّا تاما فإنه سيعادي المؤمنين ولا بد، أما إذا كان توليًّا قليلاً فإن التوليَ القليل يؤدي إلى الكثير وقد يتدرج به شيئًا فشيئًا حتى يتولاهم توليًّا تاما. والله المستعان.

📕 إن الله لا يهدي القوم الظالمين بسبب موالاتهم للكفار.

🖊نعم، قال: "إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" ومن الظلم أن يواليَ المؤمن الكفار ويعاديَ المؤمنين.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾

فترى – أيها الرسول – المنافقين ضعفاء الإيمان

لعلها المنافقين وضعفاء الإيمان لأنها لو حمّلناها على النفاق الأكبر فإنهم كفار، وإذا حملناها على النفاق الأصغر فإنها محتمِلة ،لكن المنافقون وضعفاءُ الإيمان كلاهما يحصل منهم هذا.

يبادرون إلى موالاة اليهود والنصارى قائلين: نخاف أن يظفر هؤلاء، وتكون لهم الدولة فينالنا منهم مكروه،

نعم، قال تعالى وهو يخبر عن حال المنافقين وضعاف الإيمان" :فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ" من هذَين الصنفَين "يُسَارِعُونَ فِيهِمْ" يعني يبادرون إلى موالاة اليهود والنصارى "يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ" يعني يبررون فعلهم بأنهم يقولون إنما نواليهم خشيةَ أن ينتصروا على المسلمين فيصيبونا مع المسلمين "أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ" أي أن تنزل بنا مصيبة بسبب انتصارهم على المسلمين، وهذا من سوء ظنهم بالله سبحانه وتعالى.

فلعل الله يجعل الظفر لرسوله وللمؤمنين، أو يأتي بأمر من عنده تندفع به صَوْلة اليهود ومن يواليهم،

نعم، قال: "فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ" يعني أن الله سبحانه وتعالى سيأتي بالفتح وهو النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، "أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ" يعني أنه سبحانه سيأتي بأمر من عنده تندفع به صَولة اليهود والنصارى ومن يقف معهم.

فيصبح المسارعون إلى موالاتهم نادمين على ما أخفوه من النفاق في قلوبهم؛ لبطلان ما تعلقوا به من أسباب واهية.

نعم، قال: "فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ" أي فإذا انتصر المسلمون سيندم المنافقون على موالاتهم لأعداء المسلمين.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾

ويقول المؤمنون متعجبين من حال هؤلاء المنافقين: أهؤلاء الذين حلفوا مؤكدين أيمانهم: إنهم

لمعكم – أيها المؤمنون – في الإيمان والنصرة والموالاة؟!

نعم، قال تعالى: "وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ" يعني يتساءل المؤمنون مستغربين من حال المنافقين الذين والَوا اليهود والنصارى: أهؤلاء هم أنفسُهُم الذين أقسموا بالله وحلفوا لكم "جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ" أي مجتهدين في توكيد أيمانهم "إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ" أي أقسموا أنهم سيكونون معكم ضد أعدائكم فهؤلاء هم الذين خذلونا ووالَوا أعداء الله! .

بطلت أعمالهم، فأصبحوا خاسرين بفوات مقصودهم، وما أعد لهم من عذاب.

نعم، قال: "حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ" يعني حبطت أعمال هؤلاء المنافقين الذين والَوا اليهودَ والنصارى لأنهم عملوها على غير إيمان "فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ" أي خسروا الدنيا والآخرة، فلا هم حققوا مقصودهم حين والَوا اليهود والنصارى ولا فازوا بالإيمان وبجنات النعيم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

يا أيها الذين آمنوا، من يرجع منكم عن دينه إلى الكفر فسوف يأتي الله بقوم بدلاً منهم يحبهم ويحبونه لاستقامتهم، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين،

نعم، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ" أي من يرجع منكم عن الإسلام إلى الكفر فإنه لن يضرَّ اللهَ شيئا، بل لن يضرَّ الإسلام شيئا لأن اللهَ قال بعدها: "فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" أي فإن الله سيأتي بمن هو خير منهم وسيُهيِّء لنصرة دينه من هو أحبُّ إليه من هؤلاء، "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" فالله سبحانه وتعالى يحبهم لأنهم يقومون بأمره وهم يحبون الله سبحانه وتعالى لأنه الرب الذي يستحق المحبةَ سبحانه وتعالى، ثم وصفهم بانهم "أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ" أي أنهم رحماءُ بالمؤمنين أشداء على الكافرين؛ كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ)[1]

[1] [سُورَةُ الفَتْح: ٢٩]

■ يجاهدون بأموالهم وأنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخشون تعنيف من يعنفهم؛ لتقديمهم رضا الله على رضا المخلوقين،

✍نعم، وصفهم كذلك بأنهم "يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ" أي يجاهدون بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله، "وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ" لأنهم يقدِّمون رضا ربهم على رضا الناس ،فلا يخشَون من تعنيفِ من يعنفُّهم، وتوبيخِ من يوبخُهم، واعتراضِ من يعترضُ عليهم لأن اللهَ عندهم ونصرةَ دينه فوق كل شيء.

■ ذلك من عطاء الله الذي يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والإحسان، عليم بمن يستحق فضله فيمنحه إياه، ومن لا يستحقه فيحرمه.

✍نعم، ختم الآية ببيانِ أن نصرة الدين فضل من الله سبحانه وتعالى يوفِّق له من يشاء مِن عباده، فهؤلاء الذين ارتدوا عن دين الله لم يستحقوا هذا الفضل وهذا الشرف، وإنما استحقه من كانوا مهيئين لذلك ممن علم الله منهم أنهم أهلٌ للصلاح والتقوى ونصرة الدين "وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "واسعٌ أي كثير الفضل والجود والإحسان، عليمٌ بمن يستحق فضله وجودَه وإحسانَه.

ولما نهى الله عن موالاة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار أخبر بمن يتعيّن على المؤمنين موالاتُهُم، فقال:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

■ ليس اليهود ولا النصارى ولا غيرهم من الكفار، أولياءكم، بل إنَّ وليكم وناصركم الله ورسوله، والمؤمنون الذين يؤدون الصلاة كاملة، ويعطون زكاة أموالهم وهم خاضعون لله أذلاء.

✍نعم، بعد أن نهى الله سبحانه وتعالى عن موالاة اليهود والنصارى وعامة الكفار أخبر بمن هو حقيق بالموالاة فقال: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا" و "إِنَّمَا" تفيد الحصر، فلا وليَّ للمؤمن إلا اللهُ ورسولُه والذين آمنوا فهو يواليهم ،ثم وصف المؤمنين فقال: "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ" فالذي لا يقيم الصلاة ليس حقيقا بالموالاة، "وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ" فالذي لا يؤتي الزكاة ليس أهلاً للموالاة، "وَهُمْ رَاكِعُونَ" أي وهم خاضعونَ لله أذلاءُ له عبوديةً له جل وعلا؛ فهؤلاء الذين يستحقون أن يواليهم المؤمن.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾

ومن يَتَوَلَّ الله ورسوله والمؤمنين بالنصرة فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون؛ لأن الله ناصرهم.

نعم، أخبر الله سبحانه وتعالى هنا أن من "يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا" فله النصر وله التمكين وله الغَلبة ،وهذا ردًّا على المنافقين الذين يزعُمون أنهم إنما والَوا اليهود والنصارى لأنهم يخشَون أن تصيبَهم دائرة إذا انتصر اليهودُ والنصارى والكفار، فرد الله عليهم فقال: "وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا" فهو من حزب الله "فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" ولهم النصر ولهم التمكين ولو تأخر قليلا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا الذين يسخرون من دينكم، ويتلاعبون به من الذين أُعْطُوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى والمشركين حلفاء وأصفياء،

نعم، هنا كرر النهيَ مع وصفٍ يُنْبِئُ عن حال هؤلاء قال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ" أي من يستهزئُ بدينك ويسخرُ به لا يليقُ بكَ إذا كنت مؤمنًا حقًّا أن تتخذه وليًّا لك ومناصرًا وحبيبا ،بل الواجب عليك إن كنتَ مؤمنًا حقًّا أن تُعادِيَه لأنه استهزأ بأعظم شيءٍ عندك وهو الإسلام.

واتقوا الله باجتناب ما نهاكم عنه من موالاتهم إن كنتم مؤمنين به، وبما أنزله عليكم.

نعم، قال: "وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" أي أطيعوا أمرَه واجتنبوا نهيَه، ومما نهاكم عنه: موالاة اليهودِ والنصارى والكفار ،ومما أمركم به :موالاةُ اللهِ ورسولِه صلى الله عليهم وسلم والمؤمنين.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾

وكذلك يسخرون ويلعبون إذا أَذَّنْتُم للصلاة التي هي أعظم قربة، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون عن الله معاني عبادته وشرائعه التي شرعها للناس.

نعم، قال: "وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا" هذا في وصف هؤلاء الذين نهانا الله أن نتخذهم أولياء ممن اتخذوا ديننا هزوًا ولعبا ،ومن صور استهزائهم أنه إذا نودِيَ للصلاة بالأذان اتخذوا

هذا النداء هزوًا ولعبا وهو نداءٌ مشتمل على تعظيم الله سبحانه وتعالى، وهذا من سخافةِ عقولهم، قال: "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" ولو عقلوا لعظموا شعائر الله سبحانه وتعالى.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

▪ • التنبيه علي عقيدة الولاء والبراء التي تتلخص في الموالاة والمحبة لله ورسوله والمؤمنين، وبغض أهل الكفر وتجنب محبتهم.

✍نعم، عقيدة الولاء والبراء عقيدة واجبة يجب على المؤمن أن يواليَ ويحبَّ اللهَ ورسولَه والمؤمنين، وأن يعاديَ ويتبرأَ من الكفر وأهله ويتجنبَ موالاتَهم ومحبتَهم. والمقطعُ كلُّه في هذا.

▪ • من صفات أهل النفاق: موالاة أعداء الله تعالى.

✍نعم، فقد أخبر الله عنهم حين قال: "فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ" يعني في موالاتهم "يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ" فهذا من صفات المنافقين في كل زمان.

▪ • التخاذل والتقصير في نصرة الدين قد ينتج عنه استبدال المُقَصِّر والإتيان بغيره، ونزع شرف نصرة الدين عنه.

✍نعم، من قصَّر في نصرة الدين أو تخاذلَ عن ذلك او ارتد عن دين الله فإنه لن يضرَّ الإسلامَ شيئا بل سيأتي الله بمن يقوم بنصرة الدين ممن يستحق هذا الشرف ،كما قال الله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ". نسأل الله من فضله.

• ▪ التحذير من الساخرين بدين الله تعالى من الكفار وأهل النفاق، وموالاتهم.

✍من أعظمِ من يجبُ البراءةُ منهم من يسخرون بدين الله سبحانه وتعالى سواءً كانوا من الكفار أو من أهل النفاق فإنهم يجبُ البراءةُ منهم لأن الله قال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"، ثم قال: "وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ".

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (٥١-٥٨)

المعنى	الكلمة
أنصارا وأحِبّاء	أولياء
يُبادرون في موالاتهم	يُسارعون فيهم
تنزل بنا مصيبة بسبب انتصار الكفار	تصيبَنا دائرة
بالنصر لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين	بِالفتح
مجتهدين في الحَلِف بأوكَدِ الأيمان	جَهْدَ أيمانِهم
يرجعْ عن الإسلام إلى الكفر	يَرتَدّ منكم عن دينه
رُحماءَ بهم	أذلّةٍ على المؤمنين
أشِدّاءَ عليهم	أعِزّةٍ على الكافرين
عِتَابَ مُعَاتِب أو اعتراضَ مُعترِض	لَومَةَ لَائِم
والله كثير الفضل والجُود والإحسان	والله وَاسِع
وهم خاضعون	وهم راكعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ٥١-٥٨

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية الحادية والخمسين وحتى الآية الثامنة والخمسين.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، بل نصّ السجاوندي رحمه الله على أن الوقف هنا لازم؛ وعلَّل ذلك بأنه لو وُصلت هذه الجملة بالجملة التي بعدها صار قوله تعالى: (بعضهم أولياء بعض) صفةً للذين نُهينا عن اتخاذهم أولياء. فيكون النهي عن اتخاذ أولياء صفتُهم: أن بعضهم أولياء بعض، وهذا محال، وليس مرادًا من الآية. وإنما المراد النهي عن اتخاذهم أولياء على الإطلاق، فانتهى النهي هنا، ثم جاءت جملة خبرية تخبر أن بعضهم أولياء بعض، يعني اليهود والنصارى، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (بعضُهم أولياء بعض)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الخبر قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة شرطية تضمنت حكما جديدا، وهو حكم من يتولى اليهود والنصارى، في قوله: (ومَن يتولّهم منكم فإنه منهم)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله تعالى: (فإنه منهم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الشرطية بفعلها وجوابها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ(إنّ) في قوله: (إن الله لا يهدي القوم الظالمين)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) جملة حالية من فاعل (يسارعون)، أي: يسارعون وحالهم أنهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى

أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة التي تضمنت بيان حال الذين في قلوبهم مرض ومقالَتِهم قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ(عسى)، لبيان أن الله سيأتي بما يجعلهم يندمون على ما أسروا في أنفسهم، في قوله: (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده...) إلى آخر الجملة، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده)؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فيصبحوا) منصوب عطفا على (يأتي)، وتقدير الجملة: فعسى الله أن يأتيَ بالفتح أو يأتيَ بأمر من عنده فتكون النتيجة أنهم يصبحون على ما أسروا في أنفسهم نادمين، فلا وقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) هل يصحّ الوقف هنا؟

الجواب: لا يصحّ؛ نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني، لماذا؟ لأن قوله بعدها: (إنهم لمعكم) هو جواب القسم، فهم أقسموا بالله إنهم لمعكم، ولا يفصل بين القسم وجوابه، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (إنهم لمعكم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن القول: (ويقول الذين آمنوا)، والقسَم: (أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم) قد انتهيا هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة فيها كلام الله سبحانه وتعالى في قوله: (حبطت أعمالهم)، وهذا من كلام الله وليس تتمةً لكلام المؤمنين، فصحّ الفصل بين الجملتين. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (حبطت أعمالهم)؟

الجواب: لا يصحّ؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فأصبحوا خاسرين) جملة معطوفة بفاء العاقبة والنتيجة، أي: كانت نتيجة وعاقبة حبوط أعمالهم أنهم أصبحوا خاسرين، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصحّ؛ لماذا؟ لأن جواب الشرط لم يأتِ بعد، أين الشرط؟ في قوله (مَن)، وفعل الشرط؟ في قوله: (يرتدّ منكم عن دينه)، وجواب الشرط؟ في قوله: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)، فلم يصحّ

الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه السجاوندي والأشموني، لماذا؟ لأن قوله: (أذلّةٍ على المؤمنين) مجرور صفة لقوله: (بقوم)، فصفة هؤلاء القوم أنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (أعزّةٍ على الكافرين)؟

نصّ على الوقف هنا النكزاوي وحده احتمالا، قال: على استئناف ما بعده، يعني: على اعتبار قوله: (يجاهدون في سبيل الله) جملة مستأنفة. قال: فإن جعلتَ ما بعده -يعني: (يجاهدون في سبيل الله)- في موضع النعت للقوم لم تقف عليه، يعني: إن جعلته تتمة لصفات القوم الذين يحبون الله ويحبهم الله - وهي: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين- لم تقف عليه. وهذا هو الظاهر أنه من تتمة صفاتهم، وبناء عليه لم ينصّ عامة علماء الوقف والابتداء على وقف هنا، وهو الصحيح. والله تعالى أعلم.

فقوله (أذلّةٍ على المؤمنين) من صفة القوم، (أعزّةٍ على الكافرين) من صفة القوم، (يجاهدون في سبيل الله) من صفة القوم، (ولا يخافون لومة لائم) من صفة القوم، فلا وقف بين هذه كلها.

لكن طالت الجملة، فإذا أراد أن يقف وقفا حسنا ثم يربط فأين يقف؟

له أن يقف على قوله: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)، ثم يربط فيقول: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين) ثم يعود فيربط فيقول: (أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم).

ثم يصحّ الوقف على قوله: (ولا يخافون لومة لائم) كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن صفات القوم الذين وعد الله أن يأتي بهم قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة لبيان فضل الله سبحانه وتعالى، وأنه يؤتيه من يشاء، في قوله: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصحّ الوقف على قوله: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الاسمية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة لبيان سعة فضل الله وسعة علمه في قوله: (والله واسع عليم)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (الذين يقيمون الصلاة) صفة للذين آمنوا أو بدلٌ منه، والله سبحانه وتعالى أخبر أن ولِيَّنا الله ورسوله والذين آمنوا، ووصف هؤلاء الذين آمنوا الذين هم أولياء لنا بأنهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، فلا وقف إلى نهاية الآية.

الآية التي تليها: (ومن يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصحّ؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فإنّ حزب الله هم الغالبون) هو جواب الشرط في قوله: (ومَن)، ولا يصح الوقف قبل جواب الشرط؛ لأنه من تتمة الجملة. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصحّ؛ لماذا؟ لأن المفعول الثاني لـ(تتخذوا) لم يأتِ بعد، "اتّخذ" تتعدى إلى مفعولين، ولا تتم الجملة إلا بالمفعول الثاني. فنقول مثلا: اتّخذ محمد زيدا صديقا، فإذا لم أقل: "صديقا" لم تتم الجملة.

وهنا المفعول الثاني في قوله (أولياء)، وتقدير الجملة: لا تتخذوا من اتخذ دينكم هزوا ولعبا أولياء، فلا وقف إلا على قوله (أولياء)، كما نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء؛ لأنه نهاية النهي، ثم جاءت بعده جملة تضمنت الأمر بتقوى الله سبحانه وتعالى بعد النهي، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى اعلم.

الآية الأخيرة: (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتّخذوها هزوا ولعبا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الشرطية المبدوءة بـ(إذا) قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة تضمنت تعليل فعلهم في قوله: (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)، يعني: أنهم إنما يتخذون الصلاة هزوا ولعبا لأنهم قوم لا يعقلون، لكنها جملة مستقلة، فصح الوقف قبلها. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ٥١-٥٨

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾.

سبب النزول: «عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لمّا حاربت بنو قينقاع تشبّث بأمرهم عبد الله بن أبيّ بن سلول، وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرّأ إلى الله ورسوله من حِلفهم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج، وله من حِلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبرّأ من حِلف الكفار وولايتهم، فقال: أتولّى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ إلى الله من حِلف هؤلاء الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت القصة في المائدة: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض)». «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٩٧)، «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٥٥).

«سئل ابن سيرين عن رجل يبيع داره من نصارى يتخذونها بِيعَة، قال: فتلا هذه الآية: (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)». «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٠٢).

وقال ابن تيمية: «لمّا قطع الله الموالاة بين المؤمنين وبين الكافرين قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)، واتفق المسلمون على أن اليهودي والنصراني لا يرث مسلما ولو كان ابنه وأباه؛ لأن الله قطع الموالاة بينهما». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ٢٧٨).

وقال ابن القيم: «عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: إنّ لي كاتبا نصرانيا، قال: ما لك؟ قاتلك الله! أما سمعت الله تعالى يقول: {ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم}، ألا اتخذت حنيفا؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: لا أُكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أُعزّهم إذ أذلّهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله.

وكتب إليه بعض عماله يستشيره في استعمال الكفار، فقال: إن المال قد كثر، وليس يحصيه إلا هُم، فاكتب

إلينا بما ترى. فكتب إليه: لا تُدخلوهم في دينكم، ولا تُسلموهم ما منعهم الله منه، ولا تأمنوهم على أموالكم، وتعلّموا الكتابة، فإنما هي حلية الرجال.
وكتب إلى عماله: أما بعد، فإنه مَن كان قِبله كاتب من المشركين فلا يعاشره ولا يؤازره ولا يجالسه ولا يعتضد برأيه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر باستعمالهم، ولا خليفته من بعده». «أحكام أهل الذمة» (١/ ٣٠٢-٣٠٤).

وقال ابن عثيمين: «الخطاب مصدّر بالنداء، فلماذا صُدّر بالنداء؟
أولًا: لتنبيه المخاطَب؛ لأنك إذا أتيت بالكلام مرسلًا قد يحصل من المخاطَب غفلة، لكن إذا ناديته قد يكون في ذلك تنبيه له، فصدّر الخطاب بالنداء للتنبّه والعناية به، ثم وجّه هذا النداء: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} للإغراء والحثّ؛ لأنه كلّما كان الإنسان مؤمنًا كان أقبل للحقّ، فوجّه الخطاب للمؤمنين إغراءً به وحثًا عليه، كما تقول للرجل: يا أيها الكريم، عند بيتك ضيف، المعنى: تحثّه لأن يكرم هذا الضيف، أي: تحثّه على الكرم، وعلى حسن الضيافة له.
ثانيًا: توجيهه للمؤمنين إشارة إلى أن مقتضى الإيمان العمل بما دلّ عليه الخطاب، والخطاب الذي في الآية هو النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء.
ثالثًا: أن مخالفة مقتضى الخطاب منافٍ للإيمان، وهل هو منافٍ للإيمان أصلًا أو كمالًا؟
هذا على حسب ما يقتضيه السياق، قد يكون منافيًا للإيمان أصلًا، وقد يكون منافيًا للإيمان كمالًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٥).
«لو قال قائل: بعض المتأخرين ميّز بين الكفار الذين يحادّون الله ورسوله والكفار من أهل الذمة، وقال: أهل الذمة يجوز موالاتهم، والكفار المُحادّون لله ورسوله لا تجوز موالاتهم؟
الجواب: إنّ هذا غلط، الموالاة ممنوعة دائمًا، أما مسألة البر والمعاملة بالعدل فهذه جائزة فيمن لم يقاتلنا في الدين، ولم يخرجنا من ديارنا، فيجوز أن نبرّهم، ويجوز أن نقسط إليهم، يعني: لا بأس أن نعاملهم بالإحسان والعدل، لكن لا يقرّ في نفوسنا أننا سنكون لهم أولياء: نحامي دونهم، ونذود عنهم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٦).
«ما هي الولاية التي نهى الله سبحانه وتعالى أن نتولّى بها اليهود والنصارى؟ هي المناصرة، أن نناصرهم،

سواء ناصرناهم على مسلمين أو على كافرين، فلا يحل لنا أن نناصرهم على كافرين، ما لم يكن في مناصرتنا إياهم على هؤلاء الكافرين مصلحة للإسلام، فإن كان فيه مصلحة مثل أن تقوم حرب بين كَافِرِينَ وكافرين، ويكون الطرف الثاني أكثر إساءة للمسلمين من الطرف الآخر فهنا لا بأس أن نناصرهم، لا لمصلحتهم، ولكن لمصلحة المسلمين؛ لأن هذا من باب دفع أشرّ الأمرين بأخفّهما...

لو قال قائل: هل من الولاية المحبة؟

الجواب: المحبة لا شك أنَّها وسيلة إلى المناصرة؛ لأنّ من أحب أحدًا نصره، لكن المحبة الطبيعية لا تدخل في هذا، ولهذا أباح الله تعالى للمسلمين أن يتزوّجوا من اليهود والنصارى، ومن المعلوم أن الزوج مع زوجته لا بد أن يكون بينهما محبة، كما قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٩).

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

قال ابن عثيمين: «هل يشمل قوله: {بَعْضُهُمْ}: اليهود أولياء بعض النصارى، يعني: أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض؟ الظاهر أن الآية تشمل هذا، بل لو قيل: إن هذا هو المتبادر لكان أولى؛ لأن النهي عن الطائفتين، فيكون (بعضهم) أي: كل طائفة من هؤلاء وهؤلاء بعضهم أولياء بعض، وإن كان اليهود يقدحون في النصارى، والنصارى يقدحون في اليهود، قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ}، لكنهم ضد المسلمين شيء واحد، يوالي بعضهم بعضًا، ويناصر بعضهم بعضًا على المسلمين، وهذا الذي ذكره الله عزّ وَجَلَّ موجود إلى يومنا هذا، الآن تجد الدولة النصرانية تساعد الدولة اليهودية علنًا وبكل صراحة ووقاحة ولا يبالون، ومن هنا تعلم أنَّه يجب علينا نحن المسلمين أن نتخذهم أعداءً، كما نهانا الله تعالى أن نتّخذهم أولياء». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٠).

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

قال ابن عثيمين: «التحذير من موالاة اليهود والنصارى، لقوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، وهل هذا

يدل على أن تولّيهم من كبائر الذنوب؟

نعم؛ لأن كونهم منهم كالبراءة منهم، فهو كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من غشّ فليس منّا).

إذًا: اتخاذ اليهود والنصارى أولياء من كبائر الذنوب، والولاية كما قلنا: المناصرة، لكن هل يدخل في ذلك أن يستعين الإنسان بهم على شيء خاص، مثل أن يكون هناك مهندس يهودي أو نصراني، ويستعين به على إحكام البناء أو إحكام الماكينة أو ما أشبه ذلك؟

الجواب: لا؛ لأني وإن استعنت به أشعر بأني أعلى منه، وأنه عندي بمنزلة الأجير، ومع ذلك فمتى أمكن أن يتخذ الإنسان عاملًا من المسلمين فهو أولى بلا شك، كقول الله تعالى: {وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ}، {وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ}؛ ولأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن يتّخذ كاتبًا نصرانيًّا، حتَّى إنه لما قُدِّمَت إلى عمر رضي الله عنه كتابة هذا النصراني أعجبته كثيرًا؛ لأنها كتابة جيدة، وحسابات منضبطة تمامًا، فقال لأبي موسى: "هاتِ كاتبك"، قال: يا أمير المؤمنين إنه لا يدخل المسجد، فغضب، قال: "من هذا؟" قال: نصراني، قال: "كيف تأمنه وقد خوّنه الله"، وأنكر عليه كثيرًا، وألحّ عليه أَبو موسى قال: هذا رجل جيد، فقال له: "مات النصراني، والسلام". يعني: نفرض الآن أنَّه مات ماذا تكون حالك؟ وهو سيموت إن عاجلًا أو آجلًا، فانظر كيف كان الخليفة الراشد يحذّر من أن يولّى غير المسلمين أحوال المسلمين، يعني: لا يجوز أن تجعله مثلًا أمينًا على بيت المال، أو أمينًا على أشياء تتعلق بعموم المسلمين، هذه خيانة بلا شك؛ لأنه كيف يجعل هذا الذي خوّنه الله عزّ وَجَلَّ أمينًا على أحوال المؤمنين، أما شيء خاص فهذا لا بأس به؛ لأن الصحابة اتخذوا خدمًا من غير المسلمين، لكن شيء عام هذا لا يجوز بأي حال من الأحوال؛ لأنه مهما تظاهر الكافر بالنصح لك فاعلم أنَّه عدو.

وهل من الموالاة أن نستعين بهم على أعدائنا؟

الجواب: لا، لكن إذا احتجنا إليهم نستعين بهم بشرط أن نأمن خيانتهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان له حلفاء حين عقد الصلح مع المشركين، وحلفاؤه خزاعة، كانوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام، حتَّى إن قريشًا لما اعتدت على خزاعة وهم كفار اعتبر النبي ذلك نقضًا للعهد، وغزا قريشًا، فالمهم أن الاستعانة بهم إذا دعت الحاجة إليها جائزة بشرط أن نأمن خيانتهم، فإن لم نأمن فإنه لا يجوز...

هل من موادتهم أن نبيع ونشتري معهم، فيستفيدون لأنهم يشترون الشيء بعشرة ويبيعونه لنا بعشرين، هل

يعتبر هذا من موالاتهم؟

الجواب: لا؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أعبد الناس لله اشترى منهم، مع أنهم سيكسبون، لكن هذا شيء لا يتعلق بالمودة ولا بالمحبة، وإنَّما يفعله الإنسان لمصلحته، وعلى هذا فمعاملة شركات الكفر لا تعتبر من الموالاة، وإن كسبوا؛ لأننا نحن أيضًا لن نعاملهم ولن نشتري منهم إلَّا لمصلحتنا ولا شك.

هل من موالاتهم أن نضيفهم إذا استضافونا، يعني: لو نزل بك كافر وأكرمته إكرام ضيف، هل يكون هذا من موالاتهم؟

الجواب: لا، لا يكون؛ لأن الله قال: {لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ} وهذا إحسان، {وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} هذا عدل، {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ}، وهذا ظاهر وحكمة، فإذا كانوا يقاتلونا في ديننا، ويخرجونا من ديارنا، ويظاهرون علينا فليس من الحكمة أن نتولاهم بأيّ حال من الأحوال.

هل من موالاتهم أن نشاركهم في أفراحهم؟

إن قلنا: نعم، خطأ وإن قلنا: لا، خطأ، أما ما يتعلق بالعبادة والشعائر الدينية، فلا شك أن مشاركتهم في هذه الأفراح نوع من الموالاة والمناصرة؛ لأنك إذا شاركتهم في هذه المناسبات الدينية كأنك تقول: إنكم على حق، وهذا لا يجوز، أما المشاركة في أفراح أخرى، ككافر ولد له فجعل له وليمة ودعاك، هذا لا بأس أن تذهب إذا لم يكن في ذلك فتنة له، كأن يقول: أنا أدعو المسلمين وأدعو كبراء المسلمين فيأتون إليَّ، إن حصلت فتنة فلا، وأما إذا لم تحصل وكانت المسألة عادية فليس هذا من الموالاة ولا من المناصرة.

جار لك أكرمته، وهو كافر، هل يكون هذا من الموالاة؟

الجواب: لا، هذا ليس من الموالاة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)، ثم إن إكرامك إياه ربما يكون سببًا لدخوله في الإسلام.

هل من توليهم التشبه بهم؟

الجواب: نعم، الدليل: (من تشبّه بقوم فهو منهم)، ولأن التشبه بهم يعطيهم فرحًا وسرورًا، ويرون أنهم مستعلون على غيرهم؛ لأنّ غيرهم صار مقلّدًا لهم، آخذًا بما يتحلّون به من أخلاق أو غيرها». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٤-١٩).

«هل استخدام كثير من المسلمين للتاريخ الميلادي يعتبر نوعًا من الموالاة؟

الجواب: نعم، عدول المسلمين الآن من التاريخ الهجري العربي إلى تاريخ اليهود والنصارى لا شك أنَّه نوع من الموالاة، ولهذا كره الإمام أحمد رحمه الله أن يقول: آذرماه وما أشبه ذلك، والعجب منا نحن العرب! الآن التزامنا بالتاريخ الهجري يقتضيه شيئان: الشيء الأول: الدين؛ والشيء الثاني: العروبة، لأنه مبنيّ على مناسبة عظيمة، وهي الهجرة التي بها تكوّنت الدولة الإسلامية، ولهذا لما اختلفوا في زمن عمر: هل يجعلون التاريخ من البعثة أو من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، من الهجرة؛ لأن الهجرة هي التي حصل بها تكوين الدولة الإسلامية، فمن ثَمَّ جعلوا التاريخ من الهجرة ولم يجعلوه من ربيع الأول؛ لأن مناسبة كونه في المحرم أقوى من مناسبة كونه في ربيع الأول؛ لأن الناس ينصرفون من الموسم: موسم الحج بعد أن أدوا فريضة الصوم وفريضة الحج». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢١-٢٢).

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

قال ابن عثيمين: «الهداية المنفية هنا هداية التوفيق، أما هداية البيان فهي ثابتة لكل أحد، حتَّى الكفار قد هداهم الله عزّ وَجَلَّ، اقرأ قول الله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا. إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا. إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}. يعني: هو مَهدي هداه الله السبيل، أي: بَيَّنَها له سواء كان كافرًا أو شكورًا، واقرأ قول الله عزّ وَجَلَّ: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}. إذًا: لا يهدي الله جلَّ وعلا القوم الظالمين هداية توفيق». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١١-١٢).

«فإن قال قائل: ما الجمع بين هذه الآية وبين من هداهم الله تعالى من أهل الشرك، والشرك ظلم عظيم، ومع ذلك في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وُجد من كان يسجد للأصنام ويعبد الأصنام، وهداه الله، ما الجواب؟

الجواب عن ذلك أن يقال: هذه الآية مقيدة بآية أخرى، والمراد بهم: الذين حقت عليهم كلمة الله، لقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ}، فتكون هذه الآية المطلقة أو العامة مقيّدة بمن حقّت عليه كلمة الله، فهذا لا يمكن أن يهديه أحد، قال تعالى: {مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٩).

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾.

قال البغوي: «{يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة} دولة، يعني: أن يدول الدهر دولة فنحتاج إلى نصرهم إيانا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه: نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا.

وقيل: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط فلا يُعطونا الميرة والقرض». «تفسير البغوي» (٣/ ٦٨).

وقال ابن عثيمين: «وأمراض القلوب أنواع كأمراض الأبدان تمامًا، أمراض الأبدان أنواع: أمراض عضوية في عضو خاص، وأمراض عامة، وأمراض حمى، وأمراض رعشة، أنواع كثيرة، أمراض القلوب كذلك متنوعة، لكنها تدور على شيئين: إما شبهة وإما شهوة، كل أمراض القلوب لا تخرج عن هذين الأمرين: شبهة من حيث يلتبس عليه الحق -والعياذ بالله- بالباطل، ولا يهتدي للحق، هذا مرض شبهة سببه الجهل، ولذلك يجب على كل إنسان أن يزيل عنه هذا المرض بتعلّم الشريعة.

والثاني: مرض الشهوة، أي: مرض إرادة وتشهي، بحيث لا يريد الحق مع علمه به، وهذا أخبث من الأول؛ لأن الأول يرجى صلاحه إذا تعلّم، لكن هذا لا يرجى صلاحه إلَّا أن يشاء الله؛ يعني: لأنّ هذا يعلم الحق ولكنه لم يعمل به، وهذا أشدّ». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٠).

﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

قال الطبري: «وقد يحتمل أن يكون "الأمر" الذي وعد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتي به هو الجزية، ويحتمل أن يكون غيرها. غير أنه أيّ ذلك كان فهو ممّا فيه إدالة المؤمنين على أهل الكفر بالله وبرسوله، ومما يسوء المنافقين ولا يسرهم. وذلك أن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أن ذلك الأمر إذا جاء أصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين». «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٠٦).

وقال ابن عثيمين: «{أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}، الأمر من عنده يعني: الشأن من عنده، وذلك في بيان مخازي هؤلاء الذين في قلوبهم مرض، وهم المنافقون، فيفضحهم، وقد فضحهم الله تبارك وتعالى أيّما فضيحة في القرآن

الكريم في سورة التوبة، وفي سورة الحشر وغيرهما». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٣).
«المنافق لا بد أن يفضحه الله، لقوله: {أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ}، وهذا مشاهَد، كما روي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: "ما أسرّ أحدٌ سريرة إلَّا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه، وفلتات لسانه"، فلا بد أن يظهر نفاق المنافق إلَّا أن يتوب إلى الله». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٥).
«{فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} كلمة "يصبحوا" هنا تعني: فيؤول أمرهم إلى هذا، سواء أدركوا ذلك في المساء أو أدركوه في الصباح، وهذا تعبير لغوي سائغ، يقال: أصبح فلان نادمًا، ويكون ندمه في الليل أو في المساء، فيعبّر أحيانًا بالإصباح عن حصول الشيء في أيّ وقت كان». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٣).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾.

قال ابن تيمية: «وهذه الآيات العزيزة فيها عبرة لأولي الألباب، فإن الله تعالى أنزلها بسبب أنه كان بالمدينة النبوية من أهل الذمة من كان له عز ومنعة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أقوام من المسلمين عندهم ضعف يقين وإيمان، وفيهم منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، مثل عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين وأمثاله، وكانوا يخافون أن تكون للكفار دولة، فكانوا يوالونهم ويباطنونهم. قال الله تعالى: {فترى الذين في قلوبهم مرض} أي: نفاق وضعف إيمان {يسارعون فيهم} أي: في معاونتهم {يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة}، فقال الله تعالى: {فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا} أي: هؤلاء المنافقون الذين يوالون أهل الذمة {على ما أسروا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين}.
فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين، وبما يطّلعون على ذلك من أسرارهم، حتى أُخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتار وسُبي وغير ذلك بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم. ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم:
كل العداوات قد ترجى مودتها ... إلا عداوة من عاداك في الدين
ولهذا وغيره منعوا أن يكونوا على ولاية المسلمين، أو على مصلحة من يقويهم أو يفضل عليهم في الخبرة

والأمانة من المسلمين؛ بل استعمال مَن هو دونهم في الكفاية أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم، والقليل من الحلال يبارك فيه، والحرام الكثير يذهب ويمحقه الله تعالى». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٤٥).

وقال ابن القيم: «قطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين، وأخبر أنه من تولّاهم فإنه منهم في حكمه المبين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: {ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}.

وأخبر عن حال متولّيهم بما في قلبه من المرض المؤدّي إلى فساد العقل والدين، فقال: {فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين}.

ثم أخبر عن حبوط أعمال متولّيهم ليكون المؤمن لذلك من الحذرين، فقال تعالى: {ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جَهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين}.

ونهى المؤمنين عن اتخاذ أعدائه أولياء، وقد كفروا بالحق الذي جاءهم من ربهم، وأنهم لا يمتنعون من سوء ينالونهم به بأيديهم وألسنتهم إذا قدروا عليه، فقال تعالى: {ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق} إلى قوله: {إن يَثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون}.

وجعل سبحانه لعباده المسلمين أسوة حسنة في إمام الحنفاء ومَن معه من المؤمنين، إذ تبرّؤوا ممن ليس على دينهم امتثالا لأمر الله، وإيثارا لمرضاته وما عنده، فقال تعالى: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده}.

وتبرّأ سبحانه ممن اتّخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين، وحذّره نفسه أشدّ التحذير، فقال: {لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتّقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير}». «أحكام أهل الذمة» (١/ ٣٣٠-٣٣١).

وقال ابن عثيمين: «أقسموا به، أي: حلفوا به، والإقسام والحلف واليمين معناها واحد: وهو تأكيد الشيء

بذكرٍ معظّم بصيغة مخصوصة، هذا القسم، قولنا بصيغة مخصوصة، وهي الواو والباء والتاء، هذه حروف القسم، تقول: واللهِ، وتقول: باللهِ، وتقول: تاللهِ.

إذًا: لا بد من أن يكون هناك تأكيد، ولا بد أن يكون المحلوف به معظّمًا، وفي هذه الصيغة يوجد أشياء تكون بمعنى اليمين، ولكنها ليست يمينًا: كالحلف بالطلاق، والحلف بالنذر، والحلف بقول: لَعمرك وما أشبهها، هذه ليست يمينًا اصطلاحًا، وإن كان معناها معنى اليمين». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٦).

«كذب المنافقين، وأنهم يروّجون باطلهم ونفاقهم بالأيمان، ولهذا قال بعض الناس: إذا رأيت الذي يكثر الأيمان على ما لا يحتاج إلى كثرة الأيمان فاعلم أنَّه كاذب؛ لأنه يريد أن يروّج كذبه بكثرة الأيمان، وإلَّا فالصادق لا يحتاج إلى كثرة الأيمان، بل ولا يحتاج إلى يمين أصلًا؛ لأنه واثق من نفسه؛ إلَّا إذا كان المخاطَب منكرًا أو شاكًّا فقد يؤكّده». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٨).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

«عن ابن عباس قوله: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه): إنه وعيد من الله أنه من ارتدّ منهم سنستبدل بهم خيرا منهم». «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٦٠).

وقال البغوي: «قال الحسن: عَلِم الله تبارك وتعالى أنّ قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم، فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه.

واختلفوا في أولئك القوم من هم؟

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا قُبض ارتدّ عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة، وهمّ أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم، فكره ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمَن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل؟). فقال أبو بكر: والله لأقاتلنّ مَن فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدّونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا: أهل القبلة، فتقلّد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بُدًّا من الخروج على أثره.

قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء، ثم حمدناه عليه في الانتهاء.

قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما وُلد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة...

قالت عائشة: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدّت العرب واشرأبّ النفاق، ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها». «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩-٧١).

وقال ابن تيمية: «ما ارتدّ عن الإسلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبّهم يجاهدون عنه، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة. يبين ذلك أنه ذكر هذا في سياق النهي عن موالاة الكفار... فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة، ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة، وهو لما نهى عن موالاة الكفار وبيّن أنّ من تولّاهم من المخاطَبين فإنه منهم بين أنّ مَن تولّاهم وارتدّ عن دين الإسلام لا يضرّ الإسلام شيئا، بل سيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، فيتولّون المؤمنين دون الكفار، ويجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، كما قال في أول الأمر: {فإنْ يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين}. فهؤلاء الذين لم يدخلوا في الإسلام وأولئك الذين خرجوا منه بعد الدخول فيه لا يضرون الإسلام شيئا. بل يقيم الله من يؤمن بما جاء به رسوله وينصر دينه إلى قيام الساعة». «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٠٠-٣٠١).

وقال ابن القيم: «قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}، ذكر لهم أربع علاماتٍ:

أحدها: أنّهم أذلّةٌ على المؤمنين. قيل: معناه: أرقّاءُ رحماء، مشفقون عليهم، عاطفون عليهم. فلمّا ضمّن «أذلّة» هذا المعنى عدّاه بأداة «على». قال عطاءٌ رضي الله عنه: للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيِّده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته، {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}.

العلامة الثّالثة: الجهاد في سبيل الله بالنّفس واليد واللِّسان والمال، وذلك تحقيق دعوى المحبّة.

العلامة الرّابعة: أنّهم لا يأخذهم في الله لومةُ لائمٍ، وهذا علامة صحّة المحبّة، فكلُّ محبٍّ أخذه اللّوم عن محبوبه فليس بمحبٍّ على الحقيقة». «مدارج السالكين» (٣/ ٣٨٧).

وقال ابن جُزي: «وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع فارتدّ في حياة رسول صلّى الله عليه وسلّم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وبنو مدلج قوم الأسود العنسي الذي ادّعى النبوة، وقُتل في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذي ادّعى النبوة، ثم أسلم وجاهد...

(فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) روي أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قرأها، وقال: (قوم هذا)، يعني: أبا موسى الأشعري، والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن، لأن الأشعريين من أهل اليمن.

وقيل: المراد أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردّة، ويقوّي ذلك ما ظهر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الجدّ في قتالهم والعزم عليه حين خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتدّ عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه، فنصرهم الله على أهل الردة، ويقوّي ذلك أيضا أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر، ألا ترى قوله: (أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين)، وكان أبو بكر ضعيفا في نفسه قويا في الله، وكذلك قوله: (وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ): إشارة إلى مَن خالف أبا بكر ولامه في قتال أهل الردّة، فلم يرجع عن عزمه». «تفسير ابن جزي» (١/ ٢٣٥).

وقال ابن كثير: «يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة، وأقوم سبيلا، كما قال تعالى: {وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}، وقال تعالى: {إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين}، وقال تعالى: {إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. وما ذلك على الله بعزيز} أي: بممتنع ولا صعب». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٥).

وقال السعدي: «{يحبهم ويحبونه} فإن محبة الله للعبد هي أجلّ نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة تفضّل

الله بها عليه، وإذا أحبّ الله عبدا يسّر له الأسباب، وهوّن عليه كل عسير، ووفّقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لا بد أن يتّصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: {قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله}.

كما أن من لازم محبة الله للعبد أن يُكثر العبد من التقرّب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: (وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه).

ومن لوازم محبة الله: معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحبّ الله أكثر من ذكره، وإذا أحبّ اللهُ عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل». «تفسير السعدي» (ص٢٣٥).

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

قال البغوي: «{يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم} يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن الصامت قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم"». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٢).

وقال ابن تيمية: «قال تعالى في صفة المحبّين المحبوبين: {يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}، فوصف المحبوبين المحبّين بأنهم أذلّة على المؤمنين، أعزّة على الكافرين، وأنهم يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

فإن المحبة مستلزمة للجهاد؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو

موافق له في ذلك، وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم، ويغضب لغضبهم؛ إذ هم إنما يرضون لرضاه، ويغضبون لما يغضب له». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٧).

وقال ابن القيم: «لمّا كان الذُّلُّ منهم ذلَّ رحمةٍ وعَطْفٍ وشَفَقةٍ وإخباتٍ= عدّاه بأداة «على» تضمينًا لمعاني هذه الأفعال، فإنّه لم يُرِدْ به ذُلّ الهَوان الذي صاحبه ذليلٌ، وإنّما هو ذلُّ اللِّين والانقياد الذي صاحبه ذَلولٌ، فالمؤمن ذلولٌ، كما في الحديث: «المؤمن كالجمل الذَّلول»، والمنافق والفاسق ذليلٌ، وأربعةٌ يَعْشَقهم الذُّلُّ أشدَّ العشق: الكذّاب، والنّمّام، والبخيل، والجبان.

وقوله: {أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين} هو من عزّة القوّة والمنعة والغلبة. قال عطاءٌ رضي الله عنه: للمؤمنين كالولد لوالده، وعلى الكافرين كالسَّبُع على فريسته. كما قال في الآية الأخرى: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}، وهذا عكسُ حالِ من قيل فيهم: كِبرًا علينا وجُبنًا عن عدوِّكُمُ ... لبئستِ الخَلَّتانِ الكِبْرُ والجُبُنُ». «مدارج السالكين» (٣/ ٦٥-٦٦).

وقال ابن كثير: «عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا لا يمنعنّ أحدَكم رهبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرّب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم). تفرد به أحمد...

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحقرنّ أحدكم نفسه أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه، فيقال له يوم القيامة: ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا؟ فيقول: مخافة الناس، فيقول: إياي أحقّ أن تخاف)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٧).

وقال السعدي: «{ولا يخافون لومة لائم} بل يقدّمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين، وفي قلوبهم تعبد لغير الله بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم». «تفسير السعدي» (ص٢٣٦).

وقال ابن عثيمين: «لو قال قائل: قلتم: إن المؤمن يكون عزيزًا على الكفار، فهل يشمل ذلك فساق المسلمين؟

الجواب: الذي لم يخرج من الإيمان لا ترى نفسك عزيزًا عليه ولا ذليلًا عليه؛ لأنّ معه إيمانًا يقتضي أن تكون ذليلًا عليه، ومعه معصية تقتضي أن تكون عزيزًا، لكن لا كعزتك على الكافر، بل أحبه لما معه من الإيمان، واكرهه لما معه من المعاصي، وحاول أن تصلحه». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٤٤).

«ينبغي للإنسان أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فما دام على حق، فلا يهمنّه أحدًا؛ لأنه لا بد لكل عابد من عدو، قال الله تبارك وتعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ}، وأتباع الأنبياء كذلك، لا بد أن يكون لهم أعداء من المجرمين، ولكن: {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}، انظر لماذا ختم الآية بقوله: {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} لأن هؤلاء الأعداء إما أن يُضلّوا الناس بالفكر والتشكيك وما أشبه ذلك؛ فقطع طمعهم بقوله: {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا}، وإما أن يحاولوا صدّ الناس بالقوة فقابل ذلك بقوله: {وَنَصِيرًا}». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٤٧).

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

قال البغوي: «{ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء} أي: محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم، {والله واسع عليم}». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٢).

وقال السعدي: «لمّا مدحهم تعالى بما منّ به عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي منّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم أنّ فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم} أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمّت رحمته كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحقّ الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا». «تفسير السعدي» (ص٢٣٦).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

قال البغوي: «قال جابر بن عبد الله: جاء عبد الله بن سلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا، وأقسموا أن لا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا رسول الله، رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء". وعلى هذا التأويل أراد بقوله: {وهم راكعون}: صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس رضي الله عنهما...

وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} نزلت في المؤمنين، فقيل له: إن أناسا يقولون إنها نزلت في علي رضي الله عنه، فقال: هو من المؤمنين». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٢-٧٣).

وقال ابن تيمية: «وقد وضع بعض الكذابين حديثا مفترى أن هذه الآية نزلت في علي لمّا تصدّق بخاتمه في الصلاة، وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل، وكذبه بيّن من وجوه كثيرة:

منها: أن قوله (الذين) صيغة جمع، وعليّ واحد.

ومنها: أن (الواو) ليست واو الحال، إذ لو كان كذلك لكان لا يسوغ أن يُتولّى إلا من أعطى الزكاة في حال الركوع، فلا يُتولى سائر الصحابة والقرابة.

ومنها: أن المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب، وإيتاء الزكاة في نفس الصلاة ليس واجبا ولا مستحبا باتفاق علماء الملة، فإن في الصلاة شغلا.

ومنها: أنه لو كان إيتاؤها في الصلاة حسنا، لم يكن فرق بين حال الركوع وغير حال الركوع، بل إيتاؤها في القيام والقعود أمكن.

ومنها: أن عليا لم يكن عليه زكاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أنه لم يكن له أيضا خاتم، ولا كانوا يلبسون الخواتم، حتى كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا إلى كسرى، فقيل له: إنهم لا يقبلون كتابا إلا مختوما، فاتّخذ خاتما من ورِق، ونقش فيها: محمد رسول الله.

ومنها: أن إيتاء غير الخاتم في الزكاة خير من إيتاء الخاتم، فإن أكثر الفقهاء يقولون: لا يجزئ إخراج الخاتم في الزكاة.

ومنها: أن هذا الحديث فيه أنه أعطاه السائل، والمدح في الزكاة أن يخرجها ابتداء ويخرجها على الفور، لا ينتظر أن يسأله سائل». «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٣٠-٣١).

وقال ابن تيمية: «يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقا - الذين هم حزبه وجنده - ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين ولا يوادّونهم.

والموالاة والموادّة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم. ومشاركتهم في الظاهر: إن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع ما من الموالاة والموادّة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة، كما توجبه الطبيعة، وتدل عليه العادة، ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات».

«اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (١/ ١٨٣-١٨٤).

وقال ابن تيمية: «قال تعالى: {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم}.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا)، وشبّك بين أصابعه.

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم أخو المسلم، لا يُسلمه ولا يظلمه).

وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه).

وقال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، ألا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم).

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاجتماع والائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، فقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا} إلى قوله: {لعلكم تهتدون} إلى قوله: {يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه} قال ابن عباس رضي الله عنهما: تبيضّ

وجوه أهل السنة والجماعة، وتسودّ وجوه أهل البدعة والفرقة.
فأئمة الدين هم على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين، وإن تنازعوا في بعض فروع الشريعة في الطهارة أو الصلاة أو الحج أو الطلاق أو الفرائض أو غير ذلك، فإجماعهم حجة قاطعة». «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (٢/ ١٠٦-١٠٧).

وقال ابن عثيمين: «{وَهُمْ رَاكِعُونَ}... هل المراد بها الركوع الذي هو جزء من الصلاة، وهو انحناء الظهر تعظيمًا لله عَزَّ وَجَلَّ، أو المراد الخضوع لشريعة الله؟ الثاني، ولهذا قال الشاعر:
لا تهين الفقير علّك أن ... تركع يومًا والدهر قد رفعه...
فقوله: (تركع) يعني: تخضع». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٥١-٥٢).
«فإن قال قائل: ولاية الله عزّ وَجَلَّ صالحة لكل زمان ومكان، لكن كيف ولاية الرسول؟
الجواب: أما ما كان في حياته فالولاية واضحة ظاهرة، وأما بعد وفاته فإنّ تمسكنا بسنته من تولّيه لنا؛ لأننا نُنصر بها، ونُعان بها، فكأنه عليه الصلاة والسلام معنا يناصرنا ويعيننا». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٥٢).
«فضيلة الصلاة؛ لأن الصلاة دائمًا في المقدمة، ولا شك أن الصلاة أفضل العبادات بعد التوحيد والشهادة بالرسالة، ولهذا:
فُرضت من الله عزّ وَجَلَّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بدون واسطة.
وفُرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم في أعلى مكان يصل إليه البشر.
وفُرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم في أشرف ليلة كانت له.
وفُرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة؛ لأن كونها خمسين صلاة يدل على أن الله يحبها؛ لأن خمسين صلاة تستوعب أكثر الوقت، ولكن الله بمنه وكرمه جعلها خمسًا لكن كأنها خمسون، هي خمس بالفعل وخمسون في الميزان.
لو قال قائل: ما السبب في أن كثيرًا من العبادات كالصيام والحج وأكثر العبادات لا تكثر فيها الهواجس والأفكار، وأما الصلاة فيكثر فيها ذلك؟
الجواب: تكثر الأفكار في الصلاة لأنها خير موضوع، والشيطان يريد أن يُفسد علينا هذه الصلاة، الصلاة

لو أتينا بها على الوجه المطلوب لكان الأمر كما قال الله عزّ وَجَلَّ: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}، فتنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر، وتعينه أيضًا على البر، قال الله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}، هذا هو السبب، ولذلك إذا قوي إيمان العبد أتاه الشيطان من كل وجه يوسوس له في أصل الإيمان؛ لأنه عرف أنَّه إذا قوي إيمانه نجا من هذا العدو الخبيث، وإذا ضعف إيمانه تسلّط عليه». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٥٢).

«لا بد أن يقترن بهذه الأعمال الصالحة الذل والخضوع لله عزّ وَجَلَّ، بحيث يشعر الإنسان أنَّه متعبد لله خاضع له، وهذا يَفُوت كثيرًا من الناس، أكثر الناس يؤدي الصلاة على أنَّها مفروضة عليه فقط، لكن لا يشعر بأنه متعبد لله بذلك، وكذلك يقال في الزكاة، من أين أخذنا أنَّه ينبغي التنبه لذلك؟ من قوله: {وَهُمْ رَاكِعُونَ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٥٤).

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

قال السعدي: «ذَكر فائدة هذه الولاية فقال: {ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}، أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {وإنّ جندنا لهم الغالبون}، وهذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله، وصار من حزبه وجنده: أن له الغلبة، وإنْ أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره الغلبة والانتصار، ومَن أصدق من الله قيلا». «تفسير السعدي» (ص٢٣٦).

وقال ابن عثيمين: «الله عزّ وَجَلَّ ليس بحاجة لأن يتولّاه أحد، لكنّ الدين بحاجة إلى أن يتولّاه أهله، ومَن تولّى دين الله فقد تولى الله، كما قال الله عزّ وَجَلَّ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ}، ومن المعلوم أن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يحتاج إلى نصر، لكن {إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ} أي: تنصروا دينه {يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.

وقوله: {وَرَسُولَهُ} الرسول عليه الصلاة والسلام يحتاج إلى من يتولّاه في حياته، ويتولّى سنّته ويدافع عنها بعد وفاته، فيكون تولّي الرسول بمعنى تولّي سنته ونصرها، كما قلنا: إن تولّي الله يعني تولي دينه ونصرة دينه...

{فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}، لم يقل عزّ وَجَلَّ فإنه الغالب، بل قال: {فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ} ليكون دالًّا على شيئين:

الشيء الأول: أنّ من تولّى الله ورسوله والذين آمنوا فهو من حزب الله.

الشيء الثاني: إرادة العموم أنّ حزب الله لا بد أن يكون غالبًا؛ لأن دين الله لا بد أن يكون غالبًا، فالمتمسك بدين الله هو من حزب الله، وهو غالب ولا بد، لكنّ الغلبة قد تكون في حال الحياة، وقد تكون بعد الموت، ولهذا نجد الأئمة الذين لم يقدّر لهم أن يظهروا ظهورًا كاملًا في حياتهم؛ ظهروا ظهورًا كاملًا بعد وفاتهم، كالإمام أحمد وابن تيمية وغيرهما من العلماء والأئمة الذين لحقهم من الإهانة من ولاة السوء ما لحقهم، وكانت الغلبة لهم إما في الحياة وإما بعد الممات». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٥٧-٥٨).

«أن لله تعالى حزبًا، ومَنْ حزبه؟ حزبه الذي يقابل حربه؛ لأن الله له حزب، وله حرب، فمن أقام على شريعته فهو حزبه، ومن خالف شريعته فهو حربه، فإعلان المخالفة حرب لله، لا سيما فيما نص على أنَّه حرب لله عزّ وَجَلَّ، كالربا، وقطع الطَّرِيقِ، وما أشبهها». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٥٨).

«{فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}، هذه الجملة فيها حصر؛ لأن الغلبة لحزب الله عزّ وجل، لو أُورد علينا إِيرَادُ هذا القائل فإننا نجد أن المسلمين صارت عليهم هزائم، وصارت الغلبة لأعدائهم حتى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: المراد هم الغالبون باعتبار النهاية، وغلبة غير المسلمين لا بد أن يكون لها حكمة، فمثلًا: في أُحُد سببها المخالفة والمعصية، وفي حُنين سببها الإعجاب، فالله تعالى قد يُدِيلُ الكفار على المسلمين لحكمة، إما لتقصير المسلمين، أو لغلوهم في أنفسهم، أو لأيّ سبب، لكن في النهاية تكون الغلبة لحزب الله، الذين هم أولياء الله». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٦١).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن كثير: «{واتقوا الله إن كنتم مؤمنين} أي: اتقوا الله أن تتّخذوا هؤلاء الأعداء لكم ولدينكم أولياء {إن كنتم مؤمنين} بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزوا ولعبا، كما قال تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه

وإلى الله المصير}». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٠).

وقال السعدي: «فإذا علمتم -أيها المؤمنون- حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فمَن لم يعادهم بعد هذا دلّ على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي بمن قدح فيه بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء.

فكيف تدّعي لنفسك دينا قيما، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بموالاة من اتّخذه هزوا ولعبا، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهييج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم». «تفسير السعدي» (ص٢٣٧).

وقال ابن عثيمين: «العلم قد يكون وبالًا على صاحبه، لقوله: {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} فإن هؤلاء أُعطوا العلم، ووُصف لهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل وصفًا يجعلهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك لم ينفعهم هذا العلم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٦٦).

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

سبب النزول: قال البغوي: «قال الكلبي: كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة، كان إذا سمع المؤذّن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: حُرّق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام، فتطايرت منها شرارة، فاحترق البيت، واحترق هو وأهله.

وقال الآخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم، فإن كنت تدّعي النبوة فقد خالفت -فيما أحدثت -الأنبياء قبلك، ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العنز؟ فما أقبحَ من صوت! وما أسمجَ من أمر! فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونزل: (ومَن أحسن

قولا ممن دعا إلى الله) الآية». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٤).

وقال ابن تيمية: «الأذان مشروع للصلوات الخمس بالكتاب، وهو قوله تعالى: {وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا}، الصلاة هنا هي الصلاة المعهودة، وهي الخمس، لأن الله سبحانه أخبر عن ندائهم إلى الصلاة، وإنما كانوا ينادون إلى الخمس، وقد قال في الجمعة: {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة}، وقوله سبحانه: {ومَن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله}، وقوله تعالى: {وقد كانوا يُدعَون إلى السجود وهم سالمون}.

وبالسنة المتواترة أنه كان ينادى للصلوات الخمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبإجماع الأمة وعملها المتوارث خلفا عن سلف». «شرح عمدة الفقه» (٢/ ٩٦).

وقال ابن كثير: «{وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا} أي: وكذلك إذا أذّنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب {اتخذوها} أيضا {هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون} معاني عبادة الله وشرائعه، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي: (إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص، أي: ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قُضي التأذين أقبل، فإذا ثوّب بالصلاة أدبر، فإذا قُضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل إن يدري كم صلى، فإذا وجد أحدكم ذلك، فليسجد سجدتين قبل السلام). متفق عليه». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٠).

وقال ابن عثيمين: «ونِعم النداء، تعظيم لله عزّ وجل، شهادة له بالتوحيد، شهادة للرسول بالرسالة، دعوة للصلاة، دعوة للفلاح، ختام بالتعظيم والتوحيد، أيّ دعوة أحسن من هذه؟ لا شيء، دعوة عظيمة، ولهذا يقول مجيب المؤذن: "اللهم رب هذه الدعوة التامة"، حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام جعلها من شعار البلاد الإسلامية، فكان إذا نزل بقوم انتظر، فإذا أذّنوا ترك قتالهم؛ لأن الأذان من شعائر الإسلام الظاهرة التي لا يجوز للمسلمين أن يدَعوها، ولا يجوز للمسلمين أن يهجموا على بلد يؤذّن فيه، وربما يكون هذا هو علامة كون الدار دار إسلام، أن يعلن فيها الأذان». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٦٨).

«الأذان من أفضل الأعمال، حتى إنّ الله خصّ المؤذّنين بخصيصةٍ يوم القيامة ليست لغيرهم؛ وهي كونهم أطول الناس أعناقًا، رفع الله رؤوسهم بطول أعناقهم؛ لرفعهم ذكره بين العباد، فهم يختصّون بهذه الخصيصة التي لا يشاركهم فيها غيرهم. والظاهر أن قوله صلى الله عليه وسلم: (المؤذنون أطول الناس أعناقًا) هذا فيمن يسمى مؤذنًا، أي: يداوم على الأذان، ولا يحصل ذلك لمن أذّن مرة أو مرتين، وإلا لقال الرسول عليه الصلاة والسلام: مَن أذّن كان أطول الناس». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٧٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ٥١-٥٨

١- احذر من اتخاذ اليهود أو النصارى أو الكفار أولياء لك، تحبّهم وتُناصرهم وتُعاونهم، فمن والاهم فقد قدح في إيمانه، إذْ كيف يوالي مَن يجحد حقّ ربه أو يُكذّب نبيّه أو يطعن في دينه؟ وإنما يوالي كل أحد أهل دينه وملّته، لا أعداء دينه وملّته ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

٢- المنافقون هم الذين يسارعون إلى موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى والكفار، لأنهم يشكّون في نصرة الله لدينه، ويبحثون عن مصالحهم الدنيوية العاجلة، لما في قلوبهم من مرض وهوى ﴿فتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

٣- المنافقون كذبة خونة غدرة، فكُن على حذر منهم، ولا تغترّ بأيمانهم، ولا بحُسن كلامهم، وبهاء منظرهم ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾.

٤- الإسلام منصور بنصر الله له، ولن يضرّه خذلان بعض الناس له، أو ارتداد بعض الناس عنه، أو عدم دخول بعض الناس فيه، فإن الله يُهيّئ له في كل زمان مَن ينصره ويؤيّده ويدافع عنه ويجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولا تزال طائفة من أمة الإسلام قائمة بأمر الله، لا يضرّهم مَن خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس، فاستبشروا وتفاءلوا ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

٥- من صفات المؤمنين أنهم رحماء بإخوانهم المؤمنين متودّدون لهم وإن خالفوهم في بعض المسائل، وأنهم في المقابل أشدّاء على الكفار، أعزّاء عليهم، لا يُداهنونهم، ولا يوالونهم، ولا يناصرونهم، فكُن كذلك، واحذر ممّن هم على ضدّ ذلك ممّن يشتدّ على إخوانه المؤمنين إذا خالفوه في بعض المسائل، ويلين مع الكفار، ويظهر لهم المودّة والمحبة والولاء ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٦- كُن ممّن يجاهدون في سبيل الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يُداهنون أحدا في دين الله، ولا يخافون في الله لومة لائم، ولا يمنعهم مهابة الناس أن ينطقوا بالحق، وتلك مرتبة عليّة، يتفضّل الله بها على من يشاء من عباده المخلَصين، جعلَنا الله منهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٧- عزة المسلم وفخره في ولايته لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، فهو يناصر دين الله وكتابه بأقواله وأفعاله وأحواله، ويناصر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنشرها وتطبيقها، ويناصر المؤمنين بالقلم واللسان، والسيف والسنان، وهو مع ذلك كله خاضع لله مخبت له ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

٨- وعَد الله من تولّاه وتولّى رسوله صلى الله عليه وسلم وتولّى المؤمنين أن يكتب له النصر والغلبة على الكافرين، ووعْد الله حق، ومَن أصدق من الله قِيلا، ومَن قرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة خلفائه الراشدين وتاريخ المسلمين وجد تحقّق هذا الوعد ظاهرا جليّا عندما يتمسّك المسلمون بدينهم، وما تخلّف عنّا نصر الله إلا عندما ضعفت ولايتنا لله ولرسوله وللمؤمنين، فلنجدّد العهد بذلك ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

٩- إذا سمعت أو علمت بمن يَهزأ بدين الإسلام أو بشيء من شعائره وشرائعه فاتّخذه عدوا، نصرةً لله، وغيرةً على دين الله، لتُظهر بذلك عزة الإسلام، ومكانته في قلوب المسلمين ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

١٠- اعلم أنّ أسخف الناس عقولا وأحطّهم قدْرًا هم الذين يستهزؤون بالشعائر التي فيها تعظيم الله كالأذان والصلاة والمساجد والمصاحف والكعبة، فإذا رأيت أولئك فاحذرْهم، وابتعدْ عنهم، وحذّر منهم، واتّخذهم أعداء لا أولياء ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (٥٩-٦٩) من المختصر في التفسير

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾.

قل -أيها الرسول- للمستهزئين من أهل الكتاب: هل تعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل إلينا، وبما أنزل على من قبلنا، وإيمانَنَا أن أكثركم خارجون عن طاعة الله بتركهم للإيمان وامتثال الأوامر؟! فما تعيبونه علينا مَحْمَدَةٌ لنا، وليس مَذَمَّةً.

﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾.

قل -أيها الرسول-: هل أخبركم بمن هم أولى بالعيب، وأشد عقابًا من هؤلاء، إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته، وغضب عليهم، وصيّرهم بعد المسخ قردة وخنازير، وجعل منهم عُبَّادًا للطاغوت، والطاغوت هو كل من يُعْبد من دون الله راضيًا، أولئك المذكورون شرٌّ منزلةً يوم القيامة، وأضلُّ سعيًا عن الطريق المستقيم.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ٦١﴾.

وإذا جاءكم -أيها المؤمنون- المنافقون منهم أظهروا لكم الإيمان نفاقًا منهم، والواقع أنهم عند دخولهم وخروجهم مُتلبّسون بالكفر لا ينفكّون عنه، والله أعلم بما يُضْمرونه من الكفر إن أظهروا الإيمان لكم، وسيجازيهم على ذلك.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢﴾.

وترى -أيها الرسول- كثيرًا من اليهود والمنافقين يُبادرون إلى ارتكاب المعاصي مثل الكذب والاعتداء على الآخرين بظلمهم وأكل أموال الناس بالحرام، ساء ما يعملون.

﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾.

هلَّا يزجرهم أئمتهم وعلماؤهم عما يسارعون إليه من قول الكذب وشهادة الزور وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيع أئمتهم وعلمائهم الذين لا ينهونهم عن المنكر.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ

﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾.

وقالت اليهود لَمَّا أصابهم جَهْدٌ وجَدْبٌ: يد الله مقبوضة عن بذل الخير والعطاء، أمسك عنّا ما عنده، ألا حُبِسَتْ أيديهم عن فعل الخير والعطاء، وطُرِدُوا من رحمة الله بقولهم هذا، بل يداه عز وجل مبسوطتان بالخير والعطاء، ينفق كيف يشاء، يبسط ويقبض، لا حاجر عليه ولا مُكْره له، ولا يزيد اليهودَ ما أنزل إليك -أيها الرسول- إلا تجاوزًا للحد وجحودًا؛ ذلك لِمَا هم عليه من الحسد، وأَلقينا بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء، كلما جمعوا للحرب، وأعدوا لها عدة، أو تآمروا لإشعالها شَتَّتَ الله جمعهم، وأذهب قوتهم، ولا يزالون يجتهدون في ارتكاب ما فيه فساد في الأرض من السعي لإبطال الإسلام والكيد له، والله لا يحب أهل الفساد.

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥﴾.

ولو أن اليهود والنصارى آمنوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، واتَّقَوا الله باجتناب المعاصي، لَكَفَّرْنَا عنهم المعاصي التي ارتكبوها ولو كانت كثيرة، ولأدخلناهم يوم القيامة جنات النعيم، يتنعمون بما فيها من نعيم لا ينقطع.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦﴾.

ولو أن اليهود عملوا بما في التوراة، وأن النصارى عملوا بما في الإنجيل، وعملوا جميعًا بما أُنزل عليهم من القرآن - ليسَّرتُ لهم أسباب الرزق من إنزال المطر وإنبات الأرض، ومن أهل الكتاب المعتدلُ الثابت على الحق، والكثير منهم ساء عمله لعدم إيمانهم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾.

يا أيها الرسول أخبر بما أُنْزِلَ إليك من ربك كاملًا، ولا تكتم منه شيئًا، فإن كتمت منه شيئًا فما أنت بمبلِّغ رسالة ربك، (وقد بَلَّغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما أُمِرَ بتبليغه، فمن زعم خلاف ذلك فقد أعظم الفِرْية على الله)، والله يحميك من الناس بعد اليوم، فلا يستطيعون الوصول إليك بسوء، فما عليك إلا البلاغ، والله لا يوفق للرشد الكافرين الذين لا يريدون الهداية.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا

مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾.

قل -أيها الرسول-: لستم -أيها اليهود والنصارى- على شيء من الدين المعتدِّ به حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وتعملوا بما أنزل عليكم من القرآن الذي لا يصحّ إيمانكم إلا بالإيمان به، والعمل بما فيه، وليزيدنَّ كثيرًا من أهل الكتاب الذي أُنزِل إليك من ربك طغيانًا إلى طغيان، وكفرًا إلى كفر؛ لِمَا هم عليه من الحسد، فلا تأسف على هؤلاء الكافرين، وفيمن اتبعك من المؤمنين غنية وكفاية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾.

إن المؤمنين واليهود والصابئين -وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء- والنصارى، من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• ذمُّ العالم على سكوته عن معاصي قومه وعدم بيانه لمنكراتهم وتحذيرهم منها.

• سوء أدب اليهود مع الله تعالى، ذلك لأنهم وصفوه سبحانه بأنه مغلول اليد، حابسٌ للخير.

• إثبات صفة اليدين، على وجه يليق بذاته وجلاله وعظيم سلطانه.

• الإشارة لما وقع فيه بعض طوائف اليهود من الشقاق والاختلاف والعداوة بينهم نتيجة لكفرهم وميلهم عن الحق.

• العمل بما أنزل الله تعالى سبب لتكفير السيئات ودخول الجنة وسعة الأرزاق.

• توجيه الدعاة إلى أن التبليغ المُعتَدَّ به والمُبْرِئ للذمة هو ما كان كاملًا غير منقوص، وفي ضوء ما ورد به الوحي.

• لا يُعْتدّ بأي معتقد ما لم يُقِمْ صاحبه دليلًا على أنه من عند الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ٥٩-٦٩ من المختصر في التفسير

[>التفسير]

[> التعليق]

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾

قل – أيها الرسول – للمستهزئين من أهل الكتاب: هل تعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل إلينا، وبما أنزل على من قبلنا،

نعم، قال تعالى: "قُلْ" يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لأهل الكتاب الذين يستهزئون بدين الإسلام "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ" من اليهود والنصارى "هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا" أي هل تعيبون علينا أو تكرهون منا "إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ" يعني هل تعيبون علينا إيماننا بالله؟ "وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا" يعني هل تعيبون علينا إيماننا بما أُنزِل إلينا "وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ" وهل تعيبون علينا إيماننا بما أُنزِل على الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلك التوراة والإنجيل؟

وإيمانَنَا أن أكثركم خارجون عن طاعة الله بتركهم للإيمان وامتثال الأوامر؟! فما تعيبونه علينا مَحْمَدَةٌ لنا، وليس مَذَمَّةً.

نعم، قال: "وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ" يعني هل تعيبون علينا إيماننا واعتقادنا أن "أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ" يعني خارجون عن طاعة الله، فلو كان عيبُكم لنا وأنتم سالمون من الفسق –وهيهات أن يكون ذلك– لكان الشر أخف من قدحكم فينا وأنتم فاسقون، وما تعيبونه علينا من إيماننا بالله وبما أنزل إلينا من القرآن وبما أنزل من قبلنا من التوراة والإنجيل وغيرهما هو مَحمَدةٌ لنا وليس مَذمّة كما تدعون.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

قل – أيها الرسول –: هل أخبركم بمن هم أولى بالعيب، وأشد عقابًا من هؤلاء،

🖉 نعم، قال تعالى، "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ" يعني يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لأهل الكتاب هل أخبركم بمن هو شر منكم وأشد عقابًا عاقبهم الله به في الدنيا قبل الآخرة؟

📕 إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته، وصيَّرهم بعد المسخ قردة وخنازير، وجعل منهم عُبَّادًا للطاغوت،

🖉 نعم، قال: "مَنْ لَعَنَهُ اللهُ" يعني هؤلاء شر من هؤلاء الفاسقين، من لعنه الله من أسلافهم اليهود والنصارى السابقين، "وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ" يعني مسخهم قردة وخنازير عقوبةً لهم على سوء صنيعهم، وذلك ما حصل في قصة يوم السبت التي ذكرها الله في قوله: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[1] إلى أن قال سبحانه وتعالى: (فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)[2]، قال: "وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ" أي ومن عبد الطاغوت، وقيل في المراد بالطاغوت أنه الشيطان أي من أطاع الشيطان واتخذه معبودًا له من دون الله، وقيل بل كل ما عُبِد من دون الله وهو غير راض بالعبادة فهو طاغوت.

📕 والطاغوت هو كل من يُعْبد من دون الله راضيًا، أولئك المذكورون شر منزلة يوم القيامة، وأضل سعيًا عن الطريق المستقيم.

🖉 نعم، قال: "أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا" أي شر منزلةً يوم القيامة. "وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ" أي أبعدُ عن الطريق المستقيم الذي هو طريق الإسلام .

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾

📕 وإذا جاءكم – أيها المؤمنون – المنافقون منهم أظهروا لكم الإيمان نفاقًا منهم، والواقع أنهم عند دخولهم وخروجهم مُتلبِّسون بالكفر لا ينفكون عنه،

---

[1] [سورة الأعراف ١٦٣]

[2] [سورة الأعراف ١٦٦]
(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(١٦٣) وإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)

✍ نعم، قال: "وَإِذَا جَاءُوكُمْ" يعني من نافق من اليهود إذا جاؤوا عند المؤمنين "قَالُوا آمَنَّا" أي أظهروا الإيمان نفاقًا فأخبر الله عن حالهم وقال: "وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ" يعني الواقع أنهم دخلوا متلبسين بالكفر وخرجوا متلبسين الكفر لم يختلف حالهم، وقد ذكر الله حالَهم في سورة البقرة حين قال: (وإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)[٣] وهذه الآية لليهود كذلك.

▮ والله أعلم بما يُضْمرونه من الكفر إن أظهروا الإيمان لكم، وسيجازيهم على ذلك.

✍ نعم قال: "وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ" فإنه سبحانه عليم بذات الصدور وسيجازيهم على نفاقِهم وكذبهم.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

▮ وترى - أيها الرسول - كثيرًا من اليهود والمنافقين يُبادرون إلى ارتكاب المعاصي مثل الكذب والاعتداء على الآخرين بظلمهم وأكل أموال الناس بالحرام، ساء ما يعملون.

✍ نعم، أخبر الله عن حالهم وأنهم "يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ" أي يبادرون إلى ذلك، وهذا يدل على خبثهم وشرهم وأن أنفسهم مجبولةٌ على حب المعاصي والظلم، قالوا: "يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ" وهو عموم المعاصي "وَالْعُدْوَانِ" وهو الاعتداء على الآخرين بالظلم "وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ" وهو أكل أموال الناس بالحرام كالربا والرشوة والمَيسِر وغيرها، ثم قال: "لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" أي لبئس العمل عملُهم.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

▮ هلاَّ يزجرهم أئمتهم وعلماؤهم عما يسارعون إليه من قول الكذب وشهادة الزور وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيع أئمتهم وعلمائهم الذين لا ينهونهم عن المنكر.

✍ نعم، قال الله: "لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ" أي هلا يمنعهم ويزجُرُهم أئمتهم وعلماؤهم وحكماؤهم؛ يمنعونهم عن قول الإثم كشهادة الزور والكذب، وعن أكل

---

[٣] [سورة البقرة ٧٦-٧٧]

السُّحت وهو أكل أموال الناس بالباطل، والواقع أنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك، فكانوا لا ينهَونهم عن المنكر، فقال: "لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" فإن واجب العلماء أن ينهَوا الناسَ عن المنكر، فإذا امتنعوا عن نهيهم فإنهم قد أخلُّوا بواجبٍ عظيمٍ عليهم.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

📕 وقالت اليهود لَمَّا أصابهم جَهْدٌ وجَدْبٌ: يد الله مقبوضة عن بذل الخير والعطاء، أمسك عنا ما عنده،

✍ نعم، قال الله تعالى في وصف خبث اليهود ولؤمهم: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ" يعني لما أصاب اليهودَ جهد وجذب وفقر وفاقة قالوا: "يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ" يعني مقبوضةٌ عن الخير والعطاء والإحسان لأنه أمسك عنهم الرزق.

📕 ألا حُبِسَتْ أيديهم عن فعل الخير والعطاء، وطُرِدُوا من رحمة الله بقولهم هذا،

✍ نعم، رد الله عليهم فقال: "غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا"" ،غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ" دعاء عليهم بجنس مقالتهم فإنهم لما وصفوا الله سبحانه وتعالى –جل في علاه– أن يده مغلولة عاقبهم الله بأن كانوا هم البخلاء، وهم الذين ينطبقُ عليهم هذا الوصف، فكانوا أبخل الناس وأقلَّهم إحسانا، قال: "وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا" اي وطُردوا من رحمة الله بقولهم هذا.

📕 بل يداه سبحانه وتعالى مبسوطتان بالخير والعطاء، ينفق كيف يشاء، يبسط ويقبض، لا حاجر عليه ولا مُكْرِه له،

✍ نعم، ثم بين الله سبحانه وتعالى في رده عليهم قال: "بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ"، فيداه مبسوطتان بالخير والعطاء والإنفاق والإحسان لكنه يُنفق كيف يشاء هو سبحانه؛ لأنه يعلم مقتضى الحكمة ويعلم ما فيه مصلحة للعباد، كما قال تعالى: (وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)[٤] فالله سبحانه وتعالى يُنفق كيف يشاء ويعاقب بعض عباده بتقليل النفقة عليهم لذنوبهم ومعاصيهم، ولا أحد يُكرِه الله على شيء ولا أحد يحجُر عليه جل في علاه.

---

[٤] [الشورى ٢٧]

ولا يزيد اليهودَ ما أنزل إليك - أيها الرسول - إلا تجاوزًا للحد وجحودًا؛ ذلك لِمَا هم عليه من الحسد،

نعم، قال: "وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا" يخبر الله سبحانه وتعالى عن حال اليهود مع القرآن وأن نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم يزيدُهم طغيانًا وكفرا بدل أن يكون سبب هدايتهم، وذلك أنهم يحسُدون النبي صلى الله عليه وسلم أنه نزل عليه القرآن وهو من نسل إسماعيل عليه السلام وليس من نسل إسحاق عليه السلام.

وألقينا بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء، كلما جمعوا للحرب، وأعدوا لها عدة، أو تآمروا لإشعالها شَتَّتَ الله جمعهم، وأذهب قوتهم،

نعم، قال تعالى: "وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" يخبر الله سبحانه وتعالى أنه عاقب اليهود فألقى بينهم يعني بين طوائفهم العداوة والبغضاء، وهذه العداوةُ وتلك البغضاء مستمرةٌ بينهم إلى يوم القيامة، يعادي بعضهم بعضا، ويُنَفِّر بعضُهم من بعض، ثم بين الله سبحانه وتعالى أنه يخذلهم كلما أرادوا إيقاد الحرب فقال: "كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ" فكلما أعدُّوا عدة الحرب أو تآمروا لإشعال الحرب -يعني بينهم وبين المسلمين- أطفأ الله نارهم ورد كيدهم في نحورهم، وفرق شملهم بخذلانهم وتفريق جنودهم، ونصرَ المسلمين عليهم. والحمد لله رب العالمين.

ولا يزالون يجتهدون في ارتكاب ما فيه فساد في الأرض من السعي لإبطال الإسلام والكيد له، والله لا يحب أهل الفساد.

نعم. قال تعالى: "وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا" هم أكثر الناس إفسادًا في الأرض، وإفسادُهم تارةً بإيقاد نيران الحرب، وتارةً بالتعامل بالربا والرشوة ونحوهما، وتارةً بإثار العداوات بين المسلمين، قال تعالى: "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"، فلا يحب الله أهل الفساد وإنما يُبطِل فسادهم وإفسادهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

ولو أن اليهود والنصارى آمنوا بما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم، واتَّقَوا الله باجتناب المعاصي، لَكَفَّرْنَا عنهم المعاصي التي ارتكبوها ولو كانت كثيرة، ولأدخلناهم يوم القيامة جنات النعيم، يتنعمون بما

فيها من نعيم لا ينقطع.

✍ نعم، الله سبحانه وتعالى حثهم على الإيمان والتقوى فقال: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ" من اليهود والنصارى "آمَنُوا" يعني آمنوا بالله وملائكته وجميع كتبه وجميع رسله ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم "وَاتَّقَوْا" أي اتقوا الله باجتناب المعاصي وفعل الطاعات "لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ" يعني لمحونا عنهم ذنوبَهم وخطاياهم التي ارتكبوها ولو كانت كثيرة "وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ" فوعدهم الله إذا آمنوا واتقَوا أن يدخلهم جنات يتنعمون بما فيها من نعيمٍ لا ينقطع.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾

ولو أن اليهود عملوا بما في التوراة، وأن النصارى عملوا بما في الإنجيل، وعملوا جميعًا بما أنزل عليهم من القرآن - ليسَّرتُ لهم أسباب الرزق من إنزال المطر وإنبات الأرض،

✍ نعم، قال: "وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ" يعني لو أنهم عمِلوا بما في التوراة وعمِلوا بما في الإنجيل -ومن ذلك البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم- وحثهم على الإيمان به "وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ" يعني وعملوا بما أُنزل عليهم من القرآن؛ ما النتيجة؟ "لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ" يعني ليسَّر الله لهم أسباب الرزق فأنزل لهم المطر من فوقهم وأنبت لهم الأرض من تحتهم ،وهذا جزاء الدنيا العاجل، وجزاء الآخرة جنات النعيم، وقد قال تعالى في الآية الأخرى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).[٥]

ومن أهل الكتاب المعتدلُ الثابت على الحق، والكثير منهم ساء عمله لعدم إيمانهم.

✍ نعم، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل الكتاب فقال: "مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ" يعني أن بعضَهم معتدلون ثابتون على الحق، وهم الذين أسلموا منهم، "وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ" يعني أن الكثيرَ منهم إنما يسيئون في أعمالهم وفي اعتقادهم لأنهم لا يؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبما أُنزِل اليه.

---

[٥] [الأعراف ١٦٣]

﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

يا أيها الرسول أخبر بما أُنْزِلَ إليك من ربك كاملاً، ولا تكتم منه شيئًا، فإن كتمت منه شيئًا فما أنت بمبلِّغ رسالة ربك (وقد بَلَّغَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كل ما أُمِرَ بتبليغه، فمن زعم خلاف ذلك فقد أعظم الفِرْية على الله)،

نعم، قال الله تعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ" أي أوصِل إلى الناس وأخبرهم بكل ما أنزل إليك من ربك "وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ" يعني فإن كتمت من ذلك شيئًا فلم تُبلغ رسالة ربك، -وحاشاه صلى الله عليه وسلم- بل قد بلَّغ عليه الصلاة والسلام كل ما أُمِر بتبليغه، ومن زعم أنه لم يبلغ شيئًا فقد كذب وأعظم على الله الفِرية، وقد شهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم وذلك في أعظم اجتماع في حِجَّة الوداع لما سألهم وقال: هل بلَّغْت؟ قالوا: نعم، فقال: اللهم اشهد.[٦] صلى الله عليه وسلم.

والله يحميك من الناس بعد اليوم، فلا يستطيعون الوصول إليك بسوء، فما عليك إلا البلاغ، والله لا يوفق للرشد الكافرين الذين لا يريدون الهداية.

نعم، ثم قال تعالى: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" أي الله سبحانه وتعالى سيحميك من الناس ويحفظك من أذاهم فلا يستطيعون الوصول إليكَ بسوء، فواجبك البلاغ فلا تُقَصِّر فيه، ثم قال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ" أي إن الله لا يوفق للإسلام والهداية القوم الكافرين المعاندين الذين لا يريدون الهداية.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

قل - أيها الرسول -: لستم - أيها اليهود والنصارى - على شيء من الدين المعتدِّ به حتى تعملوا بما

---

[٦] خَطَبَنَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَومَ النَّحْرِ، قالَ: أتَدْرُونَ أيُّ يَومٍ هذا؟، قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: أليسَ يَومَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قالَ: أيُّ شَهْرٍ هذا؟، قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، فَقالَ أليسَ ذُو الحَجَّةِ؟، قُلْنَا: بَلَى، قالَ أيُّ بَلَدٍ هذا؟ قُلْنَا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ أليسَتْ بالبَلْدَةِ الحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قالَ: فإنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ علَيْكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، إلى يَومِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، ألَا هلْ بَلَّغْتُ؟، قالوا: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِن سَامِعٍ، فلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ.

الراوي : أبو بكرة نفيع بن الحارث | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : ١٧٤١ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

في التوراة والإنجيل، وتعملوا بما أنزل عليكم من القرآن الذي لا يصحّ إيمانكم إلا بالإيمان به، والعمل بما فيه،

✍ نعم، قال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ" يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُخاطب أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأن يقول لهم: "لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ" أي لستم على دين صحيح "حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ" يعني ما أنتم عليه من الدين لا يُعتَد به ولا ينفعُكم عند الله، تعملوا بما في التوراة وبما في الإنجيل وبما أُنزِل إليكم من ربكم في القرآن الذي لا يتم إيمانُكم بالتوراة والإنجيل إلا بالإيمان به والعمل بما فيه.

■ وليزيدنَّ كثيرًا من أهل الكتاب الذي أُنزِل إليك من ربك طغيانًا إلى طغيان، وكفرًا إلى كفر؛ لِمَا هم عليه من الحسد،

✍ نعم، قال: "وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا" أي أن ما أُنزِل إليك من القرآن سيزيدُهم طغيانًا إلى طغيانهم وكفرًا إلى كفرهم لما هم عليه من الحسد لك لأن الله بعثك بهذه الرسالة الخاتمة التي بيّن فيها معايِبهم وبيّن فيها أن الأمر بالإيمان بك قد جاء في كتبهم.

■ فلا تأسف على هؤلاء الكافرين، وفيمن اتبعك من المؤمنين غنية وكفاية.

✍ نعم، قال: "فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"، "فلا تأس" أي فلا تأسف ولا تحزن على هؤلاء الكافرين، وفيمن اتبعك من المؤمنين غُنيةٌ لك وكفايةٌ في دعوتك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

■ إن المؤمنين واليهود والصابئين وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء والنصارى، من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

✍ نعم، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا" يعني المسلمون "وَالَّذِينَ هَادُوا" اليهود "وَالصَّابِئُونَ "قالوا وهم

طائفة من أتباع بعض الأنبياء، هذا قول، وقيل هم قوم باقون على فطرتهم لكن لا دين يتبعونه، ثم قال: "وَالنَّصَارَىٰ" ،"مَنْ آمَنَ بِاللهِ" يعني من آمن من هؤلاء بالله وبما جاء من عند الله فيدخل في ذلك الإيمان بجميع الرسل وبجميع الكتب "وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" وهو يوم القيامة الذي سيُبعث الناس فيه للجزاء والحساب، "وَعَمِلَ صَالِحًا" يعني أنه جمع مع تلفظه بالإيمان واعتقاده به أنه عمِل الأعمال الصالحة "فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ" يعني فيما يستقبلونه يوم القيامة بل سيكونون من الناجين "وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" يعني على ما فاتهم من الدنيا.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

- 📕 ذمُّ العالِم على سكوته عن معاصي قومه وعدم بيانه لمنكراتهم وتحذيرهم منها.

✍ العالِمُ واجبُه أن يكون ناصحًا لقومه وأمته آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر. فإذا قصّر في ذلك فإنه يُذَم على ذلك، ومسؤوليته أمام الله كبيرة، وهذا يُؤخَذ من قوله تعالى: "لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ".

- 📕 سوء أدب اليهود مع الله تعالى، ذلك لأنهم وصفوه سبحانه بأنه مغلول اليد حابس للخير.

✍نعم ،اليهود من أسوأ الناس أدبًا مع الله وتعالى، وقد وصفوه فيما ذُكِر في هذه الآيات بأنه مغلول اليد وأنه حابس للخير والعطاء وذلك في قوله تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ" فرد الله عليهم وقال: "غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ."

- 📕 إثبات صفة اليدين، على وجه يليق بذاته وجلاله وعظيم سلطانه.

✍ في الآيات إثبات صفة اليدين لله سبحانه تعالى كما يليق بذات الله وجلاله وعظيم سلطانه وذلك في قوله تعالى: "بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ. "

- 📕 الإشارة لما وقع فيه بعض طوائف اليهود من الشقاق والاختلاف والعداوة بينهم نتيجة لكفرهم

وميلهم عن الحق.

✍نعم، أشار الله سبحانه وتعالى إلى أن اليهود قد وقع بينهم شقاق واختلاف وعداوة وبغضاء، وذلك بسبب كفرهم وميلهم عن الحق وذلك في قوله تعالى: "وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، " وهكذا كل من كفر بالله وخالف أوامر الله فإن الله سبحانه وتعالى يُلقي بينهم العداوة والبغضاء والشقاق والاختلاف عقوبةً لهم على كفرِهم وعصيانهم.

- 📕 العمل بما أنزل الله تعالى سبب لتكفير السيئات ودخول الجنة وسعة الأرزاق.

✍نعم، العمل بما أنزل الله سبحانه وتعالى سبب لتكفير السيئات، ودخول الجنة في الآخرة ،وسَعة الأرزاق في الدنيا ،قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ."

- 📕 توجيه الدعاة إلى أن التبليغ المُعتَدَّ به والمُبْرِئ للذمة هو ما كان كاملًا غير منقوص، وفي ضوء ما ورد به الوحي.

✍نعم، تبليغ دين الله سبحانه وتعالى ينبغي أن يكون كاملاً غير منقوص، يشمل تبليغ عقائده وعباداته ومعاملاته؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ" أي جميع ما أُنزِل إليك من ربك "وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ" فينبغي أن تكون رسالةُ الدعاة والمصلحين شاملة لكل ما جاءت به الشريعة من العقائد والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق.

- 📕 لا يُعْتد بأي معتقد ما لم يُقِمْ صاحبه دليلًا على أنه من عند الله تعالى.

✍ نعم، الاعتقاد لابد أن يكون بدليلٍ صحيحٍ من عند الله سبحانه وتعالى وبرهانٍ واضح، كما قال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ".

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (٥٩-٦٩)

الكلمة	المعنى
هل تَنقِمُون مِنّا	هل تَعيبون علينا وتكرهون مِنّا
مَثُوبةً عند الله	جزاءً وعقوبةً عند الله
وعَبَدَ الطاغوت	وأطاع الشيطان، أو: عبَد غير الله
سَواءِ السّبيل	الطريقِ المُعتدل
وأكلِهِمُ السُّحت	وأكلِهِمُ المالَ الحرامَ كالرشوةِ والربا
الربانيّون	علماءُ اليهود الحكماء الذين يُربّون الناس بِشَرعِ الله
والأحبارُ	وعامةُ علماءِ اليهود
مَغلُولَة	مقبوضةٌ عن العطاءِ والإحسان
لَكَفّرْنا عنهم سيّئاتِهم	لَمَحَونا عنهم ذنوبَهم
مِن فوقِهم	بإنزالِ المطر
ومِن تحت أرجلِهم	بإخراجِ الزرع
مُقتَصِدَة	مُعتدلة
يَعصِمُك مِن الناس	يحفظُك مِن أَذَاهُم
فلا تَأْسَ	فلا تحزنْ ولا تأسفْ
والصابئون	هُم قومٌ بَاقُون على فِطرتهم، ولا دينَ لهم يَتّبِعونه

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ٥٩-٦٩

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية التاسعة والخمسين وحتى الآية التاسعة والستين.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه السجاوندي. لماذا؟ لأن قوله تعالى بعدها: (وأنّ أكثركم فاسقون) معطوف على قوله (أنْ آمنّا)، وتقدير الجملة: هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وإلا أن أكثركم فاسقون، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (قل هل أنبئكم بِشَرٍّ من ذلك مثوبة عند الله) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الاستفهام في قوله: (هل أنبئكم) قد انتهى هنا، ثم جاء بعده قوله: (مَن لعنه الله)

وهو يحتمل أن يكون مرفوعا على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو من لعنه الله وغضب عليه، وبناء عليه يصح الوقف هنا.

ويحتمل أيضا أن يكون قوله: (مَن لعنه الله) مجرورا تبعا لقوله: (بِشَرٍّ من ذلك)، أي: بِشَرٍّ من ذلك مَن لعنه الله.

والاحتمال الأول أقرب. وبناء عليه: الوقف هنا صحيح. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (مَن لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن المعطوفات قد انتهت هنا في قوله: (لعنه الله)، ثم عطف عليه: (وغضب عليه)، ثم عطف عليه: (وجعل منهم القردة والخنازير)، ثم عطف عليه: (وعبد الطاغوت)، ثم جاءت جملة اسمية مستأنفة في بيان حكم هؤلاء في قوله: (أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وإذا جاءُوكم قالوا آمنّا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (وقد دخلوا بالكفر) جملة حالية، وتقدير الكلام: وإذا جاؤوكم قالوا -يعني: بألسنتهم- آمنّا والحال أنهم قد دخلوا وهم باقون على كفرهم، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن بيان حالهم قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة لبيان علم الله بما كانوا يكتمون في قوله: (والله أعلم بما كانوا يكتمون)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الخبرية التي أخبرت عن حالهم وما دخل عليها من معطوفات قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مبدوءة بلام القسم (وبئس) في قوله: (لبئس ما كانوا يعملون)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

والحكم نفسه في الآية التي تليها في قوله: (لولا ينهاهم الرَّبَّانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت)، فإنه يصح الوقف هنا كما نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ لانتهاء جملة (لو) وما دخل عليها من معطوفات، ثم جاءت بعدها جملة مبدوءة بلام القسم (وبئس) في قوله: (لبئس ما كانوا يصنعون)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وقالت اليهود يد الله مغلولة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن قولهم -يعني: قول اليهود لعنهم الله- قد انتهى هنا، ثم جاء الرد عليهم من الله سبحانه وتعالى في قوله: (غُلَّت أيديهم)، فصح الفصل بينهما. على أن بعض علماء الوقف والابتداء رأى أن الوصل هنا أولى؛ ليتّصل الجزاء بالقول، فيظهر الرد عليهم فورا، وهذا لا شك أنه أولى. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (غُلَّت أيديهم)؟

جعل النكزاوي والأنصاري الوقف هنا مفهوما، وهو دون الوقف الكافي وفوق الحسن، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (ولُعنوا بما قالوا) جملة معطوفة

على جملة: (غُلَّت أيديهم)، لكنها من تتمة بيان جزاء اليهود على ما قالوا، فالله سبحانه وتعالى ردّ عليهم بقوله: (غُلَّت أيديهم)، وبقوله: (ولُعنوا بما قالوا).

فمن نظر إلى أن الجملة المعطوفة الثانية قائمة بنفسها صحّح الوقف، ومن نظر إلى مراعاة المعنى لم يصحّح الوقف، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولُعنوا بما قالوا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أنّ ردّ الله سبحانه وتعالى عليهم والإخبار عنهم أنهم هم الذين قد غُلَّت أيديهم وأنهم قد لُعنوا بهذا القول قد انتهى هنا، ثم جاء بيان الرد عليهم من ناحية أخرى، وهي بيان أن يدي الله مبسوطتان بجملة مبدوءة بـ(بل) التي للإضراب، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وقد نصّ السجاوندي على أن الوقف هنا لازم، ووُضعت علامة الوقف اللازم (ميم) هنا في مصحف المدينة النبوية. ووجه اللزوم عنده -السجاوندي- أنه قال: لو وُصل -يعني: بما بعده- صار قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان) كأنه مَقولُ (قالوا)، أي: ولعنوا بقولهم: بل يداه مبسوطتان، وهذا لا شك أنه غير مراد، لكن هل هذا التوهم يحتمل أن يتبادر إلى ذهن أحد قرأ الآية من أولها، وهم الذين قالوا: (يد الله مغلولة)؟ الواقع أنه لا يحتمل، وبالتالي: الأقرب عدم لزوم الوقف هنا، بل هو وقف صحيح جائز. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (بل يداه مبسوطتان)؟

عامة علماء الوقف والابتداء لم ينصّوا على وقف هنا، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (يُنفق كيف يشاء) جملة تحتمل أن تكون حالا، وتحتمل أن تكون مستأنفة.

فعلى احتمال كونها حالا لا يصح الوقف على قوله: (بل يداه مبسوطتان)، ويكون تقدير الجملة: بل يداه مبسوطتان وحاله سبحانه أنه ينفق كيف يشاء.

وعلى احتمال كونها مستأنفة وليست حالا تكون جملة مستقلة، فيكون الله سبحانه وتعالى قد أخبر أن يديه مبسوطتان، وأنه سبحانه ينفق كيف يشاء. هذا من الناحية اللفظية الإعرابية.

لكن إذا نظرنا من الناحية المعنوية فلا شك أن الإنفاق له ارتباط بيدي الله سبحانه وتعالى، بل هو المراد بذكر بسط اليد، فإن اليهود لما قالوا: يد الله مغلولة، قصدوا أنها مغلولة عن الإنفاق على اليهود، فأثبت الله أنه (ينفق كيف يشاء). فصارت جملة: (ينفق كيف يشاء) من صُلب مقصود إثبات أن يدي الله مبسوطتان.

لكن هل هذا الارتباط المعنوي يمنع من صحة الوقف خصوصا إذا اعتبرنا جملة: (يُنفق كيف يشاء) مستأنفة؟

الجواب: لعل هذا هو الذي مال إليه عامة علماء الوقف والابتداء، فلم ينصّوا على وقف هنا، ولعل هذا هو الأقرب. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (يُنفق كيف يشاء)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الرد على قول اليهود قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة قَسَمٍ مستأنفة لبيان أمر جديد، وهو أن القرآن سيزيد هؤلاء اليهود طغيانا وكفرا، في قوله: (ولَيَزيدنّ كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (طغيانا وكفرا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة القسم المبدوءة بلام القسم في قوله: (ولَيَزيدنّ) قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة فعلية خبرية مستأنفة في قوله: (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)، وقد تضمنت بيان حال اليهود فيما بينهم، فصح الفصل بين الجملتين. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الفعلية التي تضمّنت الخبر عن حالهم فيما بينهم قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة خبرية أخرى في بيان عقوبة الله لهم في الحروب في قوله: (كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله)، فصح الفصل بين الجملتين. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، ولم ينص عليه آخرون، وإذا تأملنا فإن قوله سبحانه وتعالى بعدها: (ويَسعون في الأرض فسادا) جملة تحتمل أن تكون مستأنفة وأن تكون حالا.

فمن رجّح كونها حالا منع من الوقف هنا، وتقدير الكلام عنده: كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وحالهم أنهم يسعون في الأرض فسادا.

ومن رجّح أنها مستأنفة صحّح الوقف هنا، ولعل هذا هو الأقرب، فإن جملة: (ويسعون في الأرض فسادا) جملة مستأنفة مستقلّة بنفسها، والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ويسعون في الأرض فسادا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الفعلية التي تضمنت الإخبار عن حالهم بأنهم يسعون في الأرض فسادا قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة اسمية مستأنفة لبيان أن الله لا يحب المفسدين في قوله: (والله لا يحب المفسدين)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفَّرنا عنهم سيئاتهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (ولأدخلناهم جنات النعيم) معطوف على جواب الشرط، أين جواب الشرط؟ في قوله: (لكفّرنا عنهم سيئاتهم)، والشرط في قوله: (لو)، وما عطف على جواب الشرط فإنه يأخذ حكمه، فيكون حكمه حكم جواب الشرط. وتقدير الكلام: لو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفَّرنا عنهم سيئاتهم، ولو أنهم آمنوا واتقوا لأدخلناهم جنات النعيم، فهم موعودون بالجزاءين معا، فلم يصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله: (لأكلوا من فوقهم) هو جواب (لو) الشرطية، ولا يصح الوقف قبل جواب (لو). والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة: (لو) الشرطية بفعلها وجوابها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في بيان حال أهل الكتاب وانقسامهم في قوله: (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)، فصح الوقف قبلها. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (منهم أمة مقتصدة)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن قوله بعدها: (وكثير منهم ساء ما يعملون) جملة معطوفة مستقلة في بيان حال أكثر أهل الكتاب، بينما ذكر الله سبحانه وتعالى -عدلا منه- أن منهم أمة مقتصدة، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الأمر قد انتهى هنا في قوله: (بلّغ ما أنزل إليك من ربك)، ثم جاءت جملة شرطية لبيان حاله إذا لم يمتثل الأمر -وحاشاه عليه الصلاة والسلام- في قوله: (وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته)، فصحّ الوقف بين الأمر والجملة الشرطية. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الشرطية بفعلها وجوابها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في قوله: (والله يعصمك من الناس)، أو هي جملة معطوفة على جملة: (بلِّغ ما أنزل إليك من ربك)، وقد فُصل بينها وبين ما عُطفت عليه بجملة شرطية، فصح الوقف قبلها. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (والله يعصمك من الناس)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة مبدوءة بـ(إنّ) في قوله: (إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) هو لبيان غاية ما قبلها، فهم ليسوا على شيء إلى أن يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، وإقامتهم للتوراة والإنجيل لا يكون إلا بإيمانهم بما بُشّروا به في التوراة والإنجيل، وذلك بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلم يصح الوقف قبل الغاية. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة بغايتها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة قسَمَ مستأنفة لبيان أمر جديد، وهو أن القرآن سيزيدهم طغيانا وكفرا، في قوله: (ولَيزيدنّ كثيرا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (طغيانا وكفرا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة القسم قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة نهي في قوله: (فلا تأس على القوم الكافرين)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ نصّ على المنع منه الأشموني، لماذا؟ لأنّ خبر (إنّ) لم يأت بعد، أين خبرها؟ في قوله: (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)، وبالتالي: لا وقف إلا في نهاية الآية؛ لأن الآية كلها عبارة عن جملة (إنّ) مع اسمها وخبرها. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما يتعلق بالوقف والابتداء في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ٥٩-٦٩

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾.

سبب النزول: «عن ابن عباس قال: أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود، فيهم أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وعازر، وزيد، وخالد، وأزار بن أبي أزار، وأشيع، فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل؟ قال: أومن بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بمن آمن به! فأنزل الله فيهم: (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون)». «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٣٤)، «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٦٤).

وقال ابن القيم: «قوله تعالى: {قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل}، وهكذا المشرك، إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد، وأنه لا يشوبه بالإشراك. وهكذا المبتدع، إنما ينقم على السني تجريده متابعة الرسول، وأنه لم يشُبها بآراء الرجال، ولا بشيء مما خالفها.

فصبْر الموحد المتبع للرسول على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة خير له وأنفع وأسهل عليه من صبره على ما ينقمه الله ورسوله عليه من موافقة أهل الشرك والبدعة.

إذا لم يكن بد من الصبر فاصطبر ... على الحق، ذاك الصبر تحمد عقباه». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ١١١).

وقال ابن كثير: «يقول تعالى: قل يا محمد، لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من أهل الكتاب: {هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل} أي: هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة، فيكون الاستثناء منقطعا، كما في قوله: {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد}، وكقوله: {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}، وفي الحديث المتفق عليه: (ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرا فأغناه الله)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٢).

وقال ابن عثيمين: «(هل) هنا: استفهامية، والمراد بها: النفي؛ لأننا ذكرنا أنه إذا جاء الاستثناء بعد الاستفهام فهو دليل على أن الاستفهام للنفي، {هَلْ تَنْقِمُونَ} أي: ما تنقمون منا إلا كذا...

فكأنه قال: أنتم لا تعيبون علينا شيئًا هو عيب، بل تعيبون علينا شيئًا هو كمال، وهو الإيمان بالله وبما أنزل إلينا، ومثل هذا الأسلوب يسميه علماء البلاغة: تأكيد المدح بما يشبه الذم، وله صورتان:

الصورة الأولى: نفي وإثبات، تُنفى صفة الذمّ ويؤتى بعدها بصفة مدح مثبتة، أولًا تُنفى صفة العيب، ثم يؤتى بعدها بصفة كمال، فهذا يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم، قال الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أنّ نزيلهم ... يعاب بنسيان الأحبة والوطن

لا عيب فيهم غير أن نزيلهم الذي ينزل عليهم يعاب بنسيان الأحبة والوطن، فإذا نزل عليهم ضيف فإنَّه ينسى كل شيء لإكرامهم الضيف واحتفائهم به، يعني: أن فيهم تسلية عن الأحبة والوطن، هذا مدح، لكن أول ما تسمع: "ولا عيب فيهم غير أنّ"، تترقب الذم، وكذلك قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

الأول: يمدحهم بالكرم، والثاني: يمدحهم بالشجاعة، فيقول: لا عيب فيهم غير أن سيوفهم، يعني: ليس فيهم أي جبن، وليس فيهم عيب إلا أن سيوفهم قد تثلّمت من قرع الكتائب لشجاعتهم، هذا نوع وصورة من صور تأكيد المدح بما يشبه الذم.

الصورة الثانية: أن يؤتى بصفة مدح، ويستثنى بعدها صفة ذم بأداة استثناء تقول: هذا الرجل عالم إلا أنه شجاع، هذا مدح، عالم إلا أنه.. ماذا يتوقع؟ صفة ذم، فإذا به يقال: إلا أنه شجاع، تقول: فلان طالب علم غير أنه مجتهد، هذا أيضًا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، ومثاله أيضًا: الآية التي معنا». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٧٦-٧٧).

«فضيلة هذه الأمة، وأن هذه الأمة لها فضل ومزية على الأمم السابقة؛ لأنها تؤمن بالله وما أنزل إليها وما أنزل من قبل، وهذا لا يوجد في أمم آخرين، لا يوجد إلا في هذه الأمة، ولهذا قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}، ولا يمكن أن نكون شهداء على الناس إلا إذا سبقونا، حتى نعلم ما حصل لهم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٧٩).

«الفسق يراد به الكفر، ويراد به الخروج عن الطاعة فيما دون الكفر، فقوله تبارك وتعالى في سورة السجدة:

{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} فالمراد بالفسق هنا: الكفر، لقوله: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}، والذي يكذّب بالنار فسقه كفر لتكذيبه خبر الله عَزَّ وَجَلَّ، والفسق الذي لا يخرج من الملة مثل قول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}، إذًا المراد بقوله: {وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} المراد: فسق الكفر؛ لأنهم كذبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٨٠).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ﴾.

قال البغوي: «{هل أنبئكم} أخبركم، {بشر من ذلك} الذي ذكرتم، يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شرا، كقوله تعالى: (أفأنبئكم بشر من ذلكم النار)». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٥).

وقال ابن عثيمين: «العبرة بالمنزلة عند الله، لقوله: {مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ}، ويتفرع على هذا: أنه ينبغي لنا أن لا ننظر إلى منزلتنا عند الناس، وإنما ننظر إلى منزلتنا عند الله عزّ وجل، وإذا صحّحنا ذلك كفانا الله مؤونة الناس».

«اسم التفضيل قد يقع بين شيئين لا يشتركان في أصل المعنى، لقوله: {بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً} لأن المعنى: بأشر من ذلك، وكذلك في الخير {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا} ولا خير في مستقر أهل النار». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٩١).

﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

قال البغوي: «{وجعل منهم القردة والخنازير} فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام. وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الممسوخَين كلاهما من أصحاب السبت، فشبّانهم مُسخوا قردة، ومشايخهم مُسخوا خنازير». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٥).

وقال ابن تيمية في قوله: (وعبد الطاغوت): «ليس المراد: وجعل منهم من عبد الطاغوت، كما ظنه بعض الناس، فإن اللفظ لا يدل على ذلك، والمعنى لا يناسبه، فإنّ المراد ذمّهم على ذلك، لا الإخبار بأن الله جعل فيهم من يعبد الطاغوت، إذ مجرد الإخبار بهذا لا ذم فيه لهم، بخلاف جعله منهم القردة والخنازير، فإن ذلك عقوبة منه لهم على ذنوبهم، وذلك خزي لهم، فعابهم بلعنة الله، وعقوبته بالشرك الذي فيهم، وهو عبادة الطاغوت». «منهاج السنة النبوية» (١/ ٤٨٥).

«وقوله تعالى: {وعبد الطاغوت} معطوف على (لعنه الله) أي: من لعنه الله وغضب عليهم، وعبد هو الطاغوت، ليس هو داخلا في خبر "جعل"، حتى يلزم إشكال كما ظنه بعض الناس. وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مرات، وقتلوا الأنبياء». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٥/ ٩٣).

وقال ابن عثيمين: «{مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ} إذًا اليهود: مغضوب عليهم؛ لأنهم علموا الحق ولم يعملوا به، وأما النصارى: فالآية هذه تدل على أن النصارى مغضوب عليهم؛ لأن الخطاب مع أهل الكتاب، ولا شك أن النصارى بعد تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم مغضوب عليهم، ولا فرق بينهم وبين اليهود، بل هم أخبث من اليهود بالنسبة للمسلمين، والحروب الصليبية إذا قرأها الإنسان عرف شدة عداوة النصارى للمسلمين، وهم الآن ردء لليهود في وقتنا الحاضر، يناصرون اليهود، ويدافعون عنهم، ولا تفتيش على أسحلتهم، ولا إنكار على فعائلهم، وهذا شيء لا يخفى على العميان فضلًا عن المبصرين». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٨٣).

«وسبب جعلهم قردة: هو أنهم تحيّلوا على صيد الحيتان المحرّم عليهم صيدها في يوم السبت، ليلتقطوها يوم الأحد.

يقول العلماء: يضعون شباكًا في يوم الجمعة، ويوم السبت سبحان الله ابتلاهم الله عزّ وجل بأن تأتي الحيتان شرّعًا على الماء، طافحة من كثرتها، لكن لا يجوز لهم أن يصطادوا؛ لأنه محرم عليهم، فكأنهم عجزوا عن تحمّل هذا الحكم، فتحيّلوا، فوضعوا الشِّبَاك يوم الجمعة، فتأتي الحيتان يوم السبت وفيها الشبك، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، فالفعل ظاهره الإباحة؛ لأنهم لم يصطادوا يوم السبت، اصطادوا يوم الأحد، فلما كانت هذه الفعلة المحرمة شبيهةً بالحلال، مسخهم الله عزّ وجل قردة؛ لأن القرد شبيه بالإنسان، انظر الجزاء من جنس العمل... لكن هل بقوا؟

الجواب: لا؛ لأن المقصود من كونهم قردة أن يكونوا عبرة ونكالًا، ولا يلزم من هذا أن تتسلسل الذرية، ولذلك قال أهل العلم: إنه لا نسل لمن مُسخوا حيوانات من أجل العقوبة، فمن مات منهم لا يخلّف أحدًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٨٤-٨٥).

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾.

قال ابن عثيمين: «{وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ}، أعلم منكم بما كانوا يكتمون، أي: يُخفون من الكفر، واسم التفضيل هنا على بابه، وهكذا كلما جاء هذا الوصف بهذه الصيغة فهو على بابه اسم تفضيل، وقد غلط من فسّره باسم الفاعل، حيث قال في تفسير قوله: {وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ} قال: والله عليم أو عالم بما كانوا يكتمون؛ لأنه إذا قال: عليم أو عالم لم يمنع المشاركة، لكن إذا قال: أعلم منع المشاركة، أعلم: يعني لا أحد مثله، لكن هم فرّوا من شيء فوقعوا في شرّ منه، قالوا: إذا قلت: أعلم فإن القاعدة أن اسم التفضيل يدل على اشتراك المفضّل والمفضّل عليه في الصفة، فنقول: نعم، لا شك أن الرب عزّ وجل والمخلوق مشتركان في أصل الصفة، وهي العلم، فلا بد من هذا، فإثبات العلم للمخلوق جاء في القرآن، قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}، لكن الذي يمتنع أن تجعل علم المخلوق كعلم الخالق، أما أن يشتركا في أصل الصفة فهذا لا بد منه، حتى الحياة، حتى القدرة، حتى السمع، حتى البصر، لا بد من الاشتراك في أصل المعنى. فنقول: أنتم منعتم من أن يكون اسم التفضيل على بابه خوفًا من الاشتراك في أصل المعنى، لكن إذا قلتم: عالم أو عليم سوّيتم بين الخالق والمخلوق؛ لأن المخلوق يطلق عليه عليم، فلهذا لا يمكن أن تجد إنسانًا خرج عن مدلولات النصوص من الكتاب والسنة إلا ووقع في شرّ مما حذِره». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٩٨).

«تحذير المرء من أن يُبطن في قلبه ما يخالف لسانه، وهذه مسألة يجب علينا أن نعالج أنفسنا منها، احذر أن تضمر في قلبك ما يخالف ما تنطق به بلسانك، أو تفعله بجوارحك، يجب أن تصفّي القلب أولًا، وتطهّر القلب، ثم بعد ذلك تبني أعمالك على حسب هذه التصفية». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٩٩).

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال السعدي: «لم يكتفِ بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك حتى أخبر أنهم يسارعون فيه، وهذا يدل على

خبثهم وشرهم، وأن أنفسهم مجبولة على حب المعاصي والظلم، هذا وهم يدّعون لأنفسهم المقامات العالية». «تفسير السعدي» (ص٢٣٧).

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

قال ابن تيمية: «قول الإثم، وسماع الكذب، وأكل السحت، أعمال متلازمة في العادة، وللحكام منها خصوص، فإن الحاكم إذا ارتشى سمع الشهادة المزوّرة والدعوى الفاجرة، فصار سمّاعا للكذب، أكّالا للسحت، قائلا للإثم». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٥٣).

وقال ابن كثير: «عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أشد توبيخا من هذه الآية: {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون} ...

وكذا قال الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها: أنا لا ننهى. رواه ابن جرير...

عن يحيى بن يعمر قال: خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلمّا تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار أخذتهم العقوبات، فمُروا بالمعروف وانهَوا عن المنكر، قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا، ولا يقرّب أجلا...

عن جرير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون أن يغيّروا عليه فلا يغيّرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٤-١٤٥).

وقال ابن عثيمين: «الأحبار: العلماء الكبار، جمع حَبر أو حِبر، يقال: حَبْر وحِبر، وهو موافق في الاشتقاق مع البحر، فالباء والحاء والراء في البحر وفي الحبر، ولهذا لا يطلق الحبر إلا على العالم الواسع العلم، والربانيون: هم المربّون سواء كانوا علماء كبارًا أو غير علماء». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٠١).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾.

قال البغوي: «{وقالت اليهود يد الله مغلولة} قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا، وأخصبهم ناحية، فلمّا عصوا الله في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكذّبوا به كفّ الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: "يد الله مغلولة"، أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق، نسبوه إلى البخل، تعالى الله عن ذلك. قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلمّا لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها».

«{غُلّت أيديهم} أي: أمسكت أيديهم عن الخيرات.

وقال الزجاج: أجابهم الله تعالى فقال: أنا الجواد وهم البخلاء، وأيديهم هي المغلولة الممسِكة.

وقيل: هو من الغِلّ في النار يوم القيامة، لقوله تعالى: (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل).

{ولُعنوا} عذّبوا، {بما قالوا} فمِن لعنهم أنهم مسخوا قردة وخنازير، وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا، وفي الآخرة بالنار». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٦).

وقال ابن كثير: «ردّ الله عز وجل عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه، فقال: {غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا} وهكذا وقع لهم، فإنّ عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم، كما قال تعالى: {أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا. أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله}. وقال تعالى: {ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس}». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٦).

وقال ابن عثيمين: «{غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ}؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فغُلّت أيديهم: وهذا خبر وليس دعاءً؛ لأنه صادر من عند الله عزّ وجل، والله سبحانه وتعالى يخبر ولا يدعو، هذا هو الأصل... الحاصل أن الله أخبر أن أيديهم غُلّت، أي: حبست عن الإنفاق، ولهذا نقول: إن أشد الناس بخلًا هم اليهود من جميع الأمم، ولا يمكن لليهودي أن يبذل دينارًا إلا وهو يريد أن يعود عليه الدينار بدينارين، أو فلسًا إلا وهو يريد أن يعود عليه بفلسين، لا تفكّر في غير هذا؛ لأنهم قد غُلّت أيديهم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٠٩).

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: «أَنفِق أُنفِق عليك، وقال: يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاءُ الليلَ والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغِض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع». «صحيح البخاري» (٦/ ٧٣)، «صحيح مسلم» (٢/ ٦٩١).

وقال البغوي: «{بل يداه مبسوطتان} ويد الله صفة من صفاته، كالسمع والبصر والوجه، وقال جل ذكره: (لِما خلقت بيديّ)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلتا يديه يمين)، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم. وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: "أمرّوها كما جاءت بلا كيف"». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٦).

وقال السعدي: «{بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء} لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدّوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم.

فيداه سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارا، يفرّج كربا، ويزيل غمّا، ويغني فقيرا، ويفكّ أسيرا، ويجبر كسيرا، ويجيب سائلا، ويعطي فقيرا عائلا، ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين، وينعم على من لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يَحرِم من خيره عاصيا، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر، ويجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال، ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم، وهي من جوده، ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ما لا يدركه الوصف، ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من الإحسان ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان مَن كلّ النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يجأرون في دفع المكاره، وتبارك مَن لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وتعالى مَن لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده.

وقبّح الله مَن استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة ونحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال

وهو تعالى يحلم عنهم ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم». «تفسير السعدي» (ص٢٣٨).

وقال ابن عثيمين: «{يُنْفِقُ} يعني: يعطي المال، {كَيْفَ يَشَاءُ} أي: على أيّ كيفية شاء، إن شاء بسط وإن شاء قَدَر، قال الله تعالى: {اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}، فقد يعطي وقد يمنع على حسب ما تقتضيه الحكمة، وليس على حسب ما يريده الإنسان، ولهذا قد يريد الإنسان كسبًا كثيرًا بعمل من الأعمال ولكنه يُخذل، وقد يعمل عملًا يسيرًا لا يظنّ أنه يكسب به كثيرًا، ويكسب به شيئًا كثيرًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١١٠).

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

قال ابن كثير: «{وليزيدنّ كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا} أي: يكون ما آتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم، فكما يزداد به المؤمنون تصديقا وعملا صالحا وعلما نافعا، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك {طغيانا} وهو: المبالغة والمجاوزة للحد في الأشياء {وكفرا} أي: تكذيبا، كما قال تعالى: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد}، وقال تعالى: {وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا}». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٧).

وقال السعدي: «{وليزيدنّ كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا}، وهذا أعظم العقوبات على العبد: أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، الذي فيه حياة القلب والروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين، الذي هو أكبر منة امتنّ الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام لله بها، وشكرا لله عليها، أن تكون لِمثل هذا زيادة غيّ إلى غيّه، وطغيان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعراضه عنها، وردّه لها، ومعاندته إياها، ومعارضته لها بالشبه الباطلة». «تفسير السعدي» (ص٢٣٨).

وقال ابن عثيمين: «ذكر الله في القرآن في آخر سورة التوبة أنه إذا نزل انقسم الناس إلى قسمين: قال تعالى:

{فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ}، فلا تعجب أن يكون شيء واحد لقوم دواء ولقوم داء، فإن هذا كما هو في المعقولات هو أيضًا في المحسوسات، أرأيت المصاب بمرض يمنعه الأطباء مثلًا من أكل التمر، إذا أكله مرِض، وآخر إذا أكله صحّ، مع أن التمر واحد، الدّهن بعض الناس يؤمر بالإكثار منه، وبعض الناس يُنهى عنه، وأشياء كثيرة». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٢٢).

«الإنصاف والعدل في حكم الله عزّ وجل؛ لأنه قال: {كَثِيرًا مِنْهُمْ} ولم يقل: أكثرهم، ولم يقل: كلهم، ولهذا يجب على الإنسان إذا رأى في قوم انحرافًا من بعضهم ألّا يُجري الحكم على الجميع، بل يقول: كثير أو بعض أو منهم أو ما أشبه ذلك؛ لأنه لو عمّم مع وجود استقامة في الآخرين لكان ظالمًا من وجه، وكاذبًا من وجه آخر». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٢٢).

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

قال البغوي: «{وألقينا بينهم العداوة والبغضاء} يعني: بين اليهود والنصارى، قاله الحسن ومجاهد. وقيل: بين طوائف اليهود، جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين إلى يوم القيامة». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٧).

وقال ابن كثير: «{وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} يعني: أنه لا تجتمع قلوبهم، بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائما؛ لأنهم لا يجتمعون على حق وقد خالفوك وكذّبوك.

وقال إبراهيم النخعي: {وألقينا بينهم العداوة والبغضاء} قال: الخصومات والجدال في الدين». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٧).

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾.

قال البغوي: {كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله} يعني: اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي، ثم أفسدوا فسلّط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين.

وقيل: كلما أجمعوا أمرهم ليُفسدوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأوقدوا نار المحاربة أطفأها الله، فردّهم وقهرهم، ونصر نبيه ودينه، هذا معنى قول الحسن.
وقال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود، فلا تلقى اليهود في البلد إلا وجدتهم من أذلّ الناس».
«تفسير البغوي» (٣/ ٧٧).

وقال ابن عثيمين: «البشرى التامة للمسلمين بأن اليهود لن تقوم لهم قائمة في الحروب؛ لأنهم: {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ}، ولم ينالوا بها مقصودهم، وإن كانوا قد ينالون بعض الشيء، لكنهم لن ينالوا المقصود الذي يريدونه بإشعال نار الحرب». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٣٤).

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.
قال ابن عثيمين: «محبة الله تارة تضاف للعمل، وتارة للزمن، وتارة للمكان، وتارة للعامل، كل ذلك جاء، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (أحب البقاع إلى الله مساجدها)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر)، يعني: عشر ذي الحجة، وقوله صلى الله عليه وسلم: (أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها)، وقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}».
«تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٢٤).
«الناس بالنسبة للأرض ثلاثة:
الأول: صالح: لكنه لا ينفع إلا نفسه، وهذا يكون في كثير من العباد، كثير من العباد صالح في نفسه لكن لا يحاول أن يصلح غيره، يرى المنكر أمام عينه لا ينهى عنه، يرى التفريط في المعروف أمام عينه لا يأمر به، وهكذا، هذا نقول: إنه صالح، وإن كان أيضًا صلاحه فيه نقص؛ لأنّ من تمام الصلاح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
الثاني: صالح مصلح، هذا خير الأقسام، هو صالح في نفسه ومصلح لغيره، ولهذا قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} لم يقل: صالحون، لا بد من أن يكون في الأرض مصلح.
والثالث: الفاسد المفسد في الأرض، حتى لو فرض أنه لم يدعو إلى فساده وإلى معصيته فإنه مفسد؛ لأنه سبب لفساد الأرض». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٢٦-١٢٧).

«محبة اليهود للفساد في الأرض، وسعيهم في ذلك سعيًا حثيثًا، لقوله: {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا}، ومَن شاهد الواقع الآن عرف أن الآية منطبقة تمامًا على يهود الوقت الحاضر، أنهم يسعون في الأرض فسادًا بكل ما يستطيعون، إن استطاعوا بأنفسهم أو بعبيدهم الذين هم عبيد لهم، ولهذا نقول: اليهود الآن: عابد ومعبود، اليهود حقيقةً هم عبيد ومُعبِّدون؛ لأنهم يُسَخِّرون الدول الكبرى أن تفعل ما فيه مصلحتهم، وهم أيضًا أذناب للدول الكبرى؛ لأن الدول الكبرى آمنة منهم، وتريد أن تبقيهم في مكان ما من أجل أن يفسدوا في الأرض، فهم يسعون في الأرض فسادًا في كل وقت، نسأل الله تعالى أن يَكبِتَهم وأن يُخيِّبهم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٣٥).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

قال ابن عثيمين: «قوله: {آمَنُوا} بالقلوب، {وَاتَّقَوْا} بالأفعال، وهذا إذا جُمع بين الإيمان والتقوى، فالإيمان بالقلب والتقوى بالجوارح، الإيمان سرٌّ والتقوى علانية، أما إذا أُطلق أحدهما؛ فإنه يدخل فيه الآخر ضمنًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٣٦).

«{النَّعِيمِ} أيّ نعيم؟ أنعيم البدن، أم نعيم القلب، أم كلاهما؟ كلاهما؛ لأن نعيم البدن ينعّم الإنسان بكل أنواع النعيم، ونعيم القلب لا يمكن أن يلحقه هَم ولا غم ولا حزن، بل هو دائمًا في أُنس، ولهذا قال الله تعالى: {فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} النضرة في الوجه، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}، والسرور في القلب، فما بالك بنعيم يكون فيه النضرة التي تبهج الناظر في الوجه والسرور في القلب، الذي ليس فيه حزن ولا هم ولا غم، اللهم اجعلنا من هؤلاء الذين يدخلون جنات النعيم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٣٨).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

عن أبي الدرداء، قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخَص ببصره إلى السماء، ثم قال: (هذا أوانٌ يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء). فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا، وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنّه ولنقرئنّه نساءنا وأبناءنا، فقال: (ثكلتك أمك يا زياد، إنْ كنت لأعدّك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟). «سنن الترمذي»

(٤/ ٣٩١)، «مسند أحمد» (٢٩/ ١٧).

وقال الطبري: «فإن قال قائل: وكيف يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، مع اختلاف هذه الكتب، ونسخ بعضها بعضا؟

قيل: إنها وإن كانت كذلك في بعض أحكامها وشرائعها فهي متفقة في الأمر بالإيمان برسل الله، والتصديق بما جاءت به من عند الله. فمعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم: تصديقهم بما فيها، والعمل بما هي متفقة فيه، وكل واحد منها في الحين الذي فرض العمل به». «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٦٢).

وقال ابن كثير: «عن ابن عباس: {لأكلوا من فوقهم} يعني: لأرسل السماء عليهم مدرارا، {ومن تحت أرجلهم} يعني: يُخرج من الأرض بركاتها. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي، كما قال تعالى: {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون}، وقال: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون}.

وقال بعضهم: معناه: {لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم} يعني: من غير كدّ ولا تعب ولا شقاء ولا عناء.

وقال ابن جرير: قال بعضهم: معناه: لكانوا في الخير، كما يقول القائل: "هو في الخير من قرنه إلى قدمه". ثم ردّ هذا القول لمخالفة أقوال السلف». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٨).

وقال ابن عثيمين: «يجوز ترغيب النفوس البشرية في فعل الطاعات بما يُذكر من ثواب الدنيا، ولينتبه لهذه النقطة، وعلى هذا: فلو أنّ إنسانًا عمل عملًا صالحًا يريد أن ينال حسن الدنيا والآخرة، فإنه لا يلام؛ لأنه لو كان هناك لوم ما ذكر الله سبحانه وتعالى ما يحصل من ثواب الدنيا، يبقى ذكره شبيهًا باللفظ الذي ليس له معنى، وعلى العكس من هذا المحرّمات، تجد أن الله تعالى جعل لها روادع تردع عنها، حتى لا يفعلها الإنسان، فتجد الرجل قد يترك الزنا مثلًا خوفًا من العقوبة، ولولا هذا لما كان للعقوبة فائدة.

فعلى كل حال نقول: إن الإنسان إذا قام بقلبه إرادة الدنيا لكن لا على أنها هي الباعث للعمل فلا حرج عليه، والإنسان يقرأ الأوراد ليتحصّن بها من شرور الإنس والجن، تجد الذي يقرأ الورد، قد يغيب عن باله أنه يريد أن يتقرّب إلى الله بالتلاوة، وإنما يريد التحصّن؛ لأن النفوس البشرية ضعيفة، تحتاج إلى أمر مادي يساعدها على فعل الخيرات، ويدل لهذا الأصل أن الرسول عليه الصلاة والسلام في بعض المغازي يجعل سلب القتيل لمن قتله، تشجيعًا له، فقول بعض الناس: إنه لا يجوز للإنسان أن يريد بعمل الآخرة شيئًا من الدنيا، هذا غير صحيح، بل قال الله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ}، يعني نعطيه في الدنيا والآخرة». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٤٣-١٤٤).

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

قال البغوي: «{منهم أمة مقتصدة} يعني: مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه، (مقتصدة) أي: عادلة، غير غالية ولا مقصرة جافية، ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٨).

وقال ابن كثير: «{منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون}، كقوله تعالى: {ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون}، وكقوله عن أتباع عيسى: {فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون}، فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد، وهو أوسط مقامات هذه الأمة، وفوق ذلك رتبة السابقين، كما في قوله تعالى: {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. جنات عدن يدخلونها} الآية. والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة يدخلون الجنة». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٩).

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

قال البغوي: «معنى الآية: إن لم تبلّغ الجميع وتركت بعضه فما بلّغت شيئا، أي: جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل، كقوله: (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقا)، أخبر أن كفرهم بالبعض محبط للإيمان بالبعض.

وقيل: (بلّغ ما أنزل إليك) أي: أظهر تبليغه، كقوله: (فاصدع بما تؤمر)، (وإن لم تفعل): فإن لم تُظهر تبليغه (فما بلّغت رسالته)، أمره بتبليغ ما أُنزل إليه مجاهرا محتسبا صابرا، غير خائف، فإن أخفيت منه شيئا لخوف يلحقك فما بلّغت رسالته». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٩).

وقال ابن كثير: «قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.
وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفا، كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ: (أيها الناس، إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟)، قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت. فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويقلبها إليهم، ويقول: (اللهم هل بلّغت؟ اللهم هل بلّغت؟)». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٥١).

وقال السعدي: «بلّغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشّر ويسّر، وعلّم الجهّال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دلّ أمته عليه، ولا شر إلا حذّرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين». «تفسير السعدي» (ص٢٣٩).

وقال ابن عثيمين: «المنقبة العظيمة للرسول عليه الصلاة والسلام حيث كان رسولًا لله عزّ وجل، الناس الآن فيما بينهم يكرَم الرسول بإكرام مرسِله، وإذا كان مرسِله ذا شأن في المجتمع كان كونه رسولًا له شرف له، إذًا فالرسول عليه الصلاة والسلام في نداء الله له بهذا الوصف منقبة عظيمة له وشرف عظيم، وإذا كان وصف العبودية شرفًا، فوصف الرسالة أشدّ؛ لأن الرسالة متضمنة للعبودية وزيادة». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٥٠).

«وجوب إبلاغ الشريعة على أهل العلم، وجه ذلك: أن العلماء ورثة الأنبياء، وإذا كانوا ورثة الأنبياء وجب عليهم أن يقوموا بحق الإرث، فيبلّغوا ما علموا من شريعة الله وجوبًا، إما بالقول، وإما بالفعل، وإما بالكتابة، وإما بالإشارة، بأيّ وسيلة يجب عليهم أن يبلّغوا ما أُنزل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام».

«تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٥١-١٥٢).

﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحرَس، حتى نزلت هذه الآية: {والله يعصمك من الناس}، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبّة، فقال لهم: (يا أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله). «سنن الترمذي» (٥/ ١٣٨).

قال البغوي: «{والله يعصمك من الناس} يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شُجّ رأسه وكسرت رباعيته وأوذي بضروب من الأذى؟

قيل: معناه يعصمك من القتل، فلا يصلون إلى قتلك.

وقيل: نزلت هذه الآية بعدما شُجّ رأسه؛ لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.

وقيل: والله يخصّك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم». «تفسير البغوي» (٣/ ٧٩).

وقال ابن تيمية: «عصمه الله منهم، مع كثرتهم وشدة بأسهم وما كانوا عليه من شدة عنادهم وعداوتهم له، حتى بلّغ رسالة ربه إليهم، مع كثرتهم ووحدته، وتبري أهله منه، ومعاداة عشيرته... حتى بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأوضح الحجة في فساد جميع ما نهاهم مما كانوا عليه، ودلّهم على صحة جميع ما دعاهم إلى اعتقاده وفعله بحجج الله وبيناته، وأنه عليه السلام لم يؤخر عنهم بيان شيء مما دعاهم إليه عن وقت تكليفهم فعله، لما يوجبه تأخير ذلك عنهم من سقوط تكليفه لهم». «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٢٠٣-٢٠٤).

وقال ابن كثير: «ومن عصمة الله عز وجل لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلا ونهارا، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدره وحكمته العظيمة.

فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرا.
ثم قيّض الله عز وجل له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم، وهي المدينة، فلما صار إليها حموه من الأحمر والأسود، فكلّما همّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله وردّ كيده عليه، لمّا كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولمّا سَمّ اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به، وحماه منه؛ ولهذا أشباه كثيرة جدا يطول ذكرها». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٥٤).

وقال ابن عثيمين: «{وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} يعني: إن كنت قد تُخفي شيئًا خوفًا من الناس فلا تُخفِ، فإن الله يعصمك من الناس، أي: يمنعك من الناس أن يضرّوك بشيء، وهذا هو الذي حصل والحمد لله، وإلا فما أكثر الذين يريدون قتله عليه الصلاة والسلام، أول ما قدم المدينة كان يخاف، تقول عائشة رضي الله عنها: في ليلة من الليالي لم ينم الرسول عليه الصلاة والسلام، سهر وقال: (اللهم ابعث لي عبدًا من عبادك يحرسني)، أو كلامًا نحو هذا، فما أن فرغ من دعائه إلا وسمع صوت السلاح، فقال: (من هذا؟)، قال: سعد بن مالك، يعني: سعد بن أبي وقاص، قال: (ما الذي جاء بك؟)، قال: خِفت عليك يا رسول الله، فأتيت أحرُسك، بعثه الله عزّ وجل فصار يحرسه». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٤٩).
«الإشارة إلى أن القلوب بيد الله عزّ وجل، وأن أفعال الخلق متابعة لإرادة الله، لقوله: {يَعْصِمُكَ} لأن عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس تنقسم إلى قسمين:
إما عدم الإرادة: بأن يصرف الله القلوب عن قتله. وإما بالعجز: بأن يحاول الفاعل ولكن يعجز، وهذا حصل كما في قصة بني النضير لما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام يستعين بهم كادوا له، قالوا: اجلس حتى نأتي لك، ثم انبعث واحد منهم بطبق الرحى، من أجل أن يلقيه على الرسول عليه الصلاة والسلام وهو جالس، فأخبره جبريل بهذا، فقام ودخل المدينة». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٥٤).

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

قال ابن كثير: «حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها، ومما فيها: الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته؛ ولهذا قال ليث ابن أبي سليم، عن مجاهد، في قوله: {وما أُنزل إليكم من ربكم} يعني: القرآن العظيم». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٥٥).

وقال السعدي: «{لستم على شيء} من الأمور الدينية، فإنكم لا بالقرآن ومحمد آمنتم، ولا بنبيكم وكتابكم صدّقتم، ولا بحق تمسّكتم، ولا على أصل اعتمدتم {حتى تقيموا التوراة والإنجيل} أي: تجعلوهما قائمَين بالإيمان بهما، واتباعهما، والتمسك بكل ما يدعوان إليه». «تفسير السعدي» (ص٢٣٩).

وقال ابن عثيمين: «{حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ}... معلوم أن اليهود لو أقاموا التوراة لآمنوا بعيسى، وأن اليهود والنصارى لو أقاموا التوراة والإنجيل لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: {وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} يعني: وتقيموا ما أنزل إليكم من ربكم، والمراد به: القرآن؛ لأن التوراة والإنجيل مما أنزل، وإذا قلنا: إن المراد بـ: (ما أنزل إليكم من ربكم): التوراة والإنجيل صار فيه شيء من التكرار، وإذا دار الأمر في الكلام بين التكرار وبين التأسيس، فالواجب حمله على التأسيس والمباينة، فنقول: {وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} يعني بذلك القرآن، ويؤيد ذلك من القرآن قوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ}.

وجعْل هذه الجملة خاصة بالقرآن أبلغ في رفعة القرآن، حتى يكون القرآن موازيًا للكتابين جميعًا، ولا حاجة لأن نقول: ظاهرها العموم.

فإن قال قائل: القرآن نزل على أمة محمَّد؟ قلنا: نعم، القرآن نزل على أمة محمَّد وهم من أمة محمَّد، لكنهم من أمة الدعوة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بما جئت به، إلا كان من أصحاب النار)، قال: (من هذه الأمة) ويشير إلى أمته عليه الصلاة والسلام، والمراد: أمة الدعوة». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٥٦).

«إضافة ربوبية الله للكافرين، لكن هذه الإضافة ليست إضافة تشريف ولكنها إضافة إقامة حجة، فأنت مثلًا

إذا قلت: إن الله تعالى رب محمد عليه الصلاة والسلام، هذه إضافة تشريف، لكن بالنسبة للكفار فالإضافة لبيان إقامة الحجة عليهم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٦٠).

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

قال ابن عثيمين: «{فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} لا شك أن الرسول عليه الصلاة والسلام يحزن ويأسى إذا لم يقم الناس بأمر الله؛ لأنه رسول يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، فهو يأسى، حتى إن الله قال له: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ}، وقال تعالى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}، يعني: مهلكًا نفسك ألا يكونوا مؤمنين، فلا تهتمّ، أدِّ ما عليك، وبلّغ الرسالة، والباقي على الله». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٥٨).

«الكفر يزيد وينقص، وجهه: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا}، وعليه فيكون هذا شاهدًا مؤيدًا لما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كفر دون كفر؛ لأنه إذا كان يزيد وينقص، فلا بد أن يكون الأعلى فوق الأدنى، فيكون هناك كفر دون كفر». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٦١).

«وهل هذا أيضًا يوجّه إلى الداعي إلى الله؟ بمعنى: أنه لو جاء أحد يشكو إليك يقول: أنا نصحت هؤلاء القوم ولكنهم لم يأخذوا بنصيحتي، بل كابروا واستهزؤوا وسخطوا، هل لك أن تقول: يا أخي لا تأسَ، ولا تحزن، ولا يضيق صدرك أو لا؟ نعم، تقول هذا حتى تفرّج عنه وتفسح له لئلا يقنط، فلذلك ينبغي للإنسان إذا جاءه أحد من دعاة الخير، أو من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يشكو إليه، أن يوسّع له ويفسح له، ويقول: لا تأسَ على هؤلاء». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٦٢-١٦٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قال الطبري: «(فلا خوف عليهم) فيما قدِموا عليه من أهوال القيامة، (ولا هم يحزنون) على ما خلّفوا وراءهم من الدنيا وعيشها، بعد معاينتهم ما أكرمهم الله به من جزيل ثوابه». «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٧٦).

وقال ابن القيم: «الصابئة أمة كبيرة، فيهم السعيد والشقي، وهي إحدى الأمم المنقسمة إلى مؤمن وكافر،

فإن الأمم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم نوعان:

نوع كفار أشقياء كلهم، ليس فيهم سعيد، كعبدة الأوثان والمجوس.

ونوع منقسمون إلى سعيد وشقي، وهم اليهود والنصارى والصابئة.

وقد ذكر الله سبحانه النوعين في كتابه فقال: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}، وكذلك قال في المائدة، وقال في سورة الحج: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد}، فلم يقل هاهنا: (من آمن منهم بالله واليوم الآخر)؛ لأنه ذكر معهم المجوس والذين أشركوا، فذكر ست أمم، منهم اثنتان شقيّتان، وأربع أمم منقسمة إلى شقي وسعيد، وحيث وعد أهل الإيمان والعمل الصالح منهم بالأجر ذكرهم أربع أمم ليس إلا، ففي آية الفصل بين الأمم أدخل معهم الأمّتين، وفي آية الوعد بالجزاء لم يدخلهما معهم، فعُلم أن الصابئين فيهم المؤمن والكافر والشقي والسعيد.

وهذه أمة قديمة قبل اليهود والنصارى، وهم أنواع: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون. وكانت حرّان دار مملكة هؤلاء قبل المسيح، ولهم كتب وتآليف وعلوم، وكان في بغداد منهم طائفة كبيرة، منهم إبراهيم بن هلال الصابئ صاحب الرسائل، وكان على دينهم، ويصوم رمضان مع المسلمين، وأكثرهم فلاسفة، ولهم مقالات مشهورة ذكرها أصحاب المقالات.

وجملة أمرهم أنهم لا يكذّبون الأنبياء، ولا يوجبون اتباعهم، وعندهم أنّ من اتّبعهم فهو سعيد ناج، وأنّ من أدرك بعقله ما دعوا إليه فوافقهم فيه وعمل بوصاياهم فهو سعيد وإن لم يتقيّد بهم، فعندهم دعوة الأنبياء حق، ولا تتعين طريقا للنجاة.

وهم يقرّون أن للعالَم صانعا مدبرا حكيما منزها عن مماثلة المصنوعات، ولكن كثير منهم أو أكثرهم قالوا: نحن عاجزون عن الوصول إلى جلاله بدون الوسائط». «أحكام أهل الذمة» (١/ ١٣٢-١٣٤).

وقال ابن عثيمين: «{وَالصَّابِئُونَ} الصابئون: معطوفة على {وَالَّذِينَ هَادُوا}، ولا إشكال في إعرابها على الوجه الذي تقدم، وهو أن: {وَالَّذِينَ هَادُوا} مبتدأ، فتكون عطفت على مبتدأ فترفع، ويرجّح هذا آخر الآية». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٦٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ٥٩-٦٩

١- اعلم أنّ الكافرين والمنافقين والفاسقين إنما يكرهونك ويبغضونك ويعادونك لتمسّكك بدينك، والتزامك بشرائعه، فلا تُبالِ بهم، وأظهر اعتزازك بإيمانك، فإنه شرف وفخر لك ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾.

٢- اليهود شرّ الناس وأخبثهم، وأفسقهم وأغدرهم، وهم أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا، تجرّؤوا على الله بالسبّ والشتم، وعلى عباده بالظلم والعدوان، ويسعون لنشر الفساد بشتى صوره، وهم مع ذلك أبخل الناس وأشدّهم شحّا، وقد عاقبهم الله باللعنة والغضب، ومسخهم قردة وخنازير لسوء فعالهم، وضرَب عليهم الذلة والمسكنة أينما وُجدوا، فالحمد لله رب العالمين ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

٣- احذر أن تُظهر بأقوالك وأفعالك خلاف ما تُبطنه في صدرك، فإنّ الله يعلم ما تكتمه في قلبك، فراقب الله الذي يعلم خائنة الأعيُن وما تُخفي الصدور ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾.

٤- لا تكن من المسارعين في المعاصي، والمسابقين إليها، فإنّ هذه حال اليهود والمنافقين، وأما المؤمن فإنه إنما يسارع في الطاعات ويسابق إليها، وأما المعاصي فإنه يبتعد عنها ويهرب منها، وإذا ابتُلي بشيء منها وجدتَه في آخر الركب لا في المسارعين فيها ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٥- واجب العلماء والمربّين والمعلّمين عند انتشار المنكرات: النهي عنها، والتحذير من عواقبها الدنيوية والأخروية، فإن فرّطوا في واجبهم فقد مهّدوا لنزول عقوبة الله العاجلة ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

٦- الله سبحانه وتعالى كريم، ويده ملأى بالخير، فاسأله من فضله العظيم ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

٧- اقرأ القرآن قاصدا طلب الهداية منه، ليكون سببا في زيادة إيمانك، ورسوخ يقينك، واحذر ممّن يقرأ القرآن باحثا عمّا يهواه قلبه، وتشتهيه نفسه، فيكون سببا في زيادة طغيانه وكفره ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

٨- ألقى الله العداوة والبغضاء بين طوائف اليهود إلى يوم القيامة، فأشغلهم بأنفسهم عن العدوان على الآخرين، وإن أظهروا التآلف ضدّ المسلمين فإنّ قلوبهم متفرّقة، فالحمد لله رب العالمين ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

٩- من لطف الله ورحمته أنّ اليهود كلّما أوقدوا نارا لحرب المسلمين أطفأها الله وردّ كيدهم في نحورهم، فالحمد لله رب العالمين ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾.

١٠- إذا انتشر في المجتمع الإيمان والتقوى أثابهم الله في الدنيا بالحياة الطيّبة، والرزق الوفير، وفتح عليهم بركات من السماء والأرض، وأثابهم في الآخرة بتكفير السيئات وإدخال الجنات، ولا سبيل للوصول إلى انتشار الصلاح في مجتمع ما إلا بانتشار المصلحين الصادقين فيه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

١١- أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أُنزل إليه من ربه، فقام عليه الصلاة والسلام بتبليغ جميع ما أوحاه الله إليه على أكمل وجه، بقوله وفعله وهديه، عقيدة وعبادة وآدابا، فواجب العلماء والدعاة أن يبلّغوا كما بلّغ عليه الصلاة والسلام، وأن تكون دعوتهم شاملة لجميع الدين: أصوله وفروعه، وأن يبلّغوا دين الله بأقوالهم وأفعالهم وهديهم ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

١٢- اعلم أنّ مجرّد انتسابك إلى الإسلام لا ينفعك حتى تقيم كتاب الله وتعمل به ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

١٣- لا تحزن على الكافرين المعاندين والمستكبرين، فإنّ الله أعلم بالشاكرين، ومَن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

١٤- كل مَن آمن بالله وبرسله جميعا وعمل الأعمال الصالحة فإنه لا يخاف ممّا يستقبله يوم القيامة، ولا يحزن على ما فاته من الدنيا وزينتها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المائدة (٧٠-٨١) من المختصر في التفسير

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ٧٠﴾

لقد أخذنا العهود المؤكدة على بني إسرائيل بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم رسلا لتبليغهم شرع الله، فنقضوا ما أُخِذَ عليهم من الميثاق، واتبعوا ما تمليه أهواؤهم من الإعراض عما جاءتهم به رسلهم، ومن تكذيبهم بعضًا وقتلهم بعضا.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ٧١﴾

وظنوا أن نقضهم للعهود والمواثيق، وتكذيبهم، وقتلهم الأنبياء لا يترتب عليه ضرر بهم، فترتب عليه ما لم يظنوه، فَعَمُوا عن الحق، فلا يهتدون إليه، وصَمُّوا عن سماعه سماع قبول، ثم تاب الله عليهم تفضلًا منه، ثم عَمُوا بعد ذلك عن الحق، وصَمّوا عن سماعه، حدث ذلك لكثير منهم، والله بصير بما يعملونه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم عليه.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٖ ٧٢﴾

لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم؛ لنسبتهم الألوهية لغير الله، مع أن المسيح ابن مريم نفسه قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله وحده، فهو ربي وربكم، فنحن في عبوديته سواء، ذلك أن من يشرك بالله غيره فإن الله قد منع عليه دخول الجنة أبدًا، ومستقره نار جهنم، وما له ناصر عند الله ولا معين، ولا منقذ ينقذه مما ينتظره من العذاب.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾

لقد كفر النصارى القائلون: إن الله مُؤَلَّفٌ من ثلاثة، هم: الأب والابن وروح القدس، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، فليس الله بمتعدد، إنما هو إله واحد لا شريك له، وإن لم يكفّوا عن هذه المقالة الشنيعة لَيَنَالَنَّهُم

عذاب موجع.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾

أفلا يرجع هؤلاء عن مقالتهم هذه تائبين إلى الله منها، ويطلبون منه المغفرة على ما ارتكبوه من الشرك به؟! والله غفور لمن تاب من أي ذنب كان، ولو كان الذنب الكفر به، رحيم بالمؤمنين.

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾

ليس المسيح عيسى بن مريم إلا رسولًا من بين الرسل، يجري عليه ما جرى عليهم من الموت، وأمه مريم -عليهما السلام- كثيرة الصدق والتصديق، وهما يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، فكيف يكونان إلهين مع حاجتهما للطعام؟! فانظر -أيها الرسول- نظر تأمل: كيف نوضح لهم الآيات الدالة على الوحدانية، وعلى بطلان ما هم عليه من المغالاة في نسبة الألوهية لغيره سبحانه، وهم مع ذلك يتنكرون لهذه الآيات، ثم انظر نظر تأمُّل: كيف يُصْرَفُونَ عن الحق صرفًا مع هذه الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله.

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾

قل -أيها الرسول- مُحتجًّا عليهم في عبادتهم لغير الله: أتعبدون ما لا يجلب لكم نفعًا، ولا يدفع عنكم ضرًّا؟! فهو عاجز، والله منزه عن العجز، والله هو وحده السميع لأقوالكم، فلا يفوته منها شيء، العليم بأفعالكم، فلا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾

قل -أيها الرسول- للنصارى: لا تتجاوزوا الحد فيما أمِرْتُمْ به من اتباع الحق، ولا تبالغوا في تعظيم مَنْ أُمِرْتُمْ بتعظيمه -مثل الأنبياء- فتعتقدوا فيهم الألوهية كما فعلتم بعيسى بن مريم، بسبب اقتدائكم بأسلافكم من أهل الضلال الذين أضلُّوا كثيرًا من الناس، وضلوا عن طريق الحق.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾

يخبر الله سبحانه أنه طَرَدَ الكافرين من بني إسرائيل من رحمته في الكتاب الذي أنزله على داود وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى بن مريم وهو الإنجيل، ذلك الطرد من الرحمة بسبب ما ارتكبوه من

المعاصي والاعتداء على حُرُمات الله.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾

كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا عن ارتكابه المعصية، بل يجاهر العصاة منهم بما يقترفونه من المعاصي والمنكَرات؛ لأنه لا مُنْكِرَ يُنكر عليهم، لَسَاءَ ما كانوا يفعلون من ترك النهي عن المنكر.

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾

تشاهد -أيها الرسول- كثيرًا من الكفرة من هؤلاء اليهود يحبون الكافرين ويميلون إليهم، ويعادونك ويعادون الموحِّدين، ساء ما يُقْدِمُونَ عليه من موالاتهم الكافرين، فإنها سبب غضب الله عليهم، وإدخاله إياهم النار خالدين فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾

ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله حقًّا، ويؤمنون بنبيِّه، ما جعلوا من المشركين أولياء يحبُّونهم ويميلون إليهم دون المؤمنين؛ لأنهم نُهُوا عن اتخاذ الكافرين أولياء، ولكنَّ كثيرًا من هؤلاء اليهود خارجون عن طاعة الله وولايته، وولاية المؤمنين.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• بيان كفر النصارى في زعمهم ألوهية المسيح -عليه السلام-، وبيان بطلانها، والدعوةُ للتوبة منها.

• من أدلة بشرية المسيح وأمه: أكلهما للطعام، وفعل ما يترتب عليه.

• عدم القدرة على كف الضر وإيصال النفع من الأدلة الظاهرة على عدم استحقاق المعبودين من دون الله للألوهية؛ لكونهم عاجزين.

• النهي عن الغلو وتجاوز الحد في معاملة الصالحين من خلق الله تعالى.

• ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لِلَّعْنِ والطرد من رحمة الله تعالى.

• من علامات الإيمان: الحب في الله والبغض في الله.

• موالاة أعداء الله توجب غضب الله عز وجل على فاعلها.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على تفسير سورة المائدة ٧٠-٨١ من المختصر في التفسير

[📕 >التفسير]

[🖊 > التعليق]

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾

📕 لقد أخذنا العهود المؤكدة على بني إسرائيل بالسمع والطاعة، وقد أرسلنا إليهم رسلاً لتبليغهم شرع الله،

🖊 نعم، قال تعالى: "لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" الميثاق هو العهود المؤكدة، فأخذ الله عليهم العهودَ المؤكدةَ أن يلتزموا بالسمعِ والطاعةِ لله سبحانه وتعالى ولأنبيائه ورسله، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)[1].

قال: "وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا" أرسل الله إليهم رُسلاً يبلغونهم شرع الله، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري ومسلم أنه قال: (كانَتْ بَنُو إسْرائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأنْبِياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ[2](فكان الأنبياءُ فيهم كثيرين يُبَلِّغونهم شرع اللهِ في كل زمان وهذا من نِعَم الله سبحانه وتعالى عليهم التي ذكَّرَهم بها.

📕 ما أُخِذَ عليهم منها، واتبعوا ما تمليه أهواؤهم من الإعراض عما جاءتهم به رسلهم، ومن تكذيبهم

[1] [سورة المائدة ١٢]

[2] عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: كانَتْ بَنُو إسْرائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأنْبِياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وإنَّه لا نَبِيَّ بَعْدِي، وسَيَكونُ خُلَفاءُ فَيَكْثُرُونَ. قالوا: فَما تَأْمُرُنا؟ قالَ: فُوا بِبَيْعَةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ، أعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ؛ فإنَّ اللَّهَ سائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعاهُمْ.

الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: ٣٤٥٥ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

التخريج : أخرجه البخاري (٣٤٥٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٤٢)

بعضًا وقتلهم بعضًا.

🖊 نعم، قال تعالى: "كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ" يعني أخبرهم بشيء من شرائع الله التي لا يريدونها ولا يحبونها ولا يَهْوَونها، ماذا كان موقفهم؟ قال: "فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ" إما أن يُكذِّبوا الرسول -وهذا أقلُّ ما يفعلونه - وإما أن يتجرأوا فيقتلونه، فهم قتلة أنبياء الله -عليهم لعائن الله-.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

📕 وظنوا أن نقضهم للعهود والمواثيق، وتكذيبهم، وقتلهم الأنبياء لا يترتب عليه ضرر بهم،

🖊 نعم، قال تعالى: "وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ" يعني ظنوا أن نقضَهم للعهود والمواثيق وقتلَهم للأنبياء لا يترتبُ عليه نزولُ عقوبةٍ من الله سبحانه وتعالى عليهم، وبئس ما ظنوا.

📕 فترتب عليه ما لم يظنوه، فَعَمُوا عن الحق، فلا يهتدون إليه، وصَمُّوا عن سماعه سماع قبول،

🖊 نعم، قال: "فَعَمُوا وَصَمُّوا" يعني أن من عقوبات الله لهم أنه أعماهم عن الحق فلا يهتدون إليه، وأصمَّهُم عن سماعه سماعَ قَبول، وهذا من أشدِّ العقوبات التي يُعاقَب بها المرءُ في الحياة الدنيا.

📕 ثم تاب الله عليهم تفضلاً منه، ثم عَمُوا بعد ذلك عن الحق، وصَمُّوا عن سماعه، حدث ذلك لكثير منهم،

🖊 قال تعالى: "ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ" يعني بعد ما حصل منهم سابقًا تاب الله عليهم، لكنهم بعد ذلك أيضًا عادوا إلى طغيانهم فأعماهم الله عن رؤيةِ الحق وأصمَّهم عن سماعه، لكن هنا قال: "ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ" يعني أن قليلاً منهم استمروا على توبتهم وإيمانهم، وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى أنه إذا ذكر شيئًا من الصفات السيئة لبعض الأقوام فإنه يستثني الصالحين منهم إذا كان منهم قومٌ صالحون.

📕 والله بصير بما يعملونه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم عليه.

🖊 نعم، قال: "وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ" يعني أنه سبحانه مُطّلع عليهم وسيجازيهم على ذلك في الدنيا أو في الآخرة.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم؛ لنسبتهم الألوهية لغير الله،

قال تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ"، قوله "لَقَدْ" هذا يتضمن قسمًا، وذلك أن اللامَ في قوله "لَقَدْ" هي اللامُ المُوطِّئة للقسم، فالله سبحانه وتعالى يقسمُ بأن الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قد كفروا بمقالتهم هذه لأنهم نسبوا الألوهيةَ لغير الله سبحانه وتعالى.

مع أن المسيح ابن مريم نفسه قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله وحده، فهو ربي وربكم، فنحن في عبوديته سواء،

نعم. قال ردا على قولهم: "وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ" يعني أن عيسى عليه السلام لم يَختَصَّ عن بقية البشر بكونه ابنًا لله سبحانه وتعالى، وأمر الناس كذلك أن يعبدوا الله وحده وألا يعبدوه هو من دون الله، وقال: "رَبِّي وَرَبَّكُمْ" فكما أنّه ربٌّ لكم فهو ربٌّ لي، فأنا وأنتم في عبوديتِه سواء.

ذلك أن من يشرك بالله غيره فإن الله قد منع عليه دخول الجنة أبدًا، ومستقره نار جهنم، وما له ناصر عند الله ولا معين، ولا منقذ ينقذه مما ينتظره من العذاب.

نعم، قال الله: "إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ" من أشرك بالله شيئًا فإن اللهَ سبحانه وتعالى قد حرّمَ عليه دخولَ الجنةِ أبدا، "وَمَأْوَاهُ النَّارُ" أي مستقرُّه ومصيرُهنارُ جهنم خالدً مخلدًا فيها أبدا، ثم قال: "وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ"يعني هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله سبحانه وتعالى لن يكونَ لهم ناصرٌ ينصرُهم من دون الله يوم القيامة أو شفيعٌ يشفعُ لهم عند الله سبحانه وتعالى.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

لقد كفر النصارى القائلون: إن الله مُؤَلَّفٌ من ثلاثة، هم: الأب والابن وروح القدس،

نعم. قال تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ" يقسم الله سبحانه أن الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة كفار؛ وهم النصارى الذين زعموا أن الله مؤلّف من ثلاثة هم الأب والابن –وهو عيسى عليه

السلام- وروح القدس -وهو جبريلُ عليه السلام- ، تعالى الله عن قولهم.

■ تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، فليس الله بمتعدِّد، إنما هو إله واحد لا شريك له،

✍ قال: "وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ" ردَّ اللهُ عليهم قولَهم، وأثبت أنه ليس ثمة إله إلا إلهٌ واحد وهو الله سبحانه وتعالى لا يشاركه في ألوهيته عيسى ولا جبريل ولا غيرُهما.

■ وإن لم يكفوا عن هذه المقالة الشنيعة لَيَنَالَنَّهُم عذاب موجع.

✍ نعم، قال تعالى: "وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" يعني إن لم يكفُّوا عن هذه المقالة، ويتراجعوا عنها ويتوبوا الى الله في حياتهم الدنيا قبل مماتهم؛ "لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" عذابٌ مُوجعٌ في نار جهنم.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

■ أفلا يرجع هؤلاء عن مقالتهم هذه تائبين إلى الله منها، ويطلبون منه المغفرة على ما ارتكبوه من الشرك به؟! والله غفور لمن تاب من أي ذنب كان، ولو كان الذنب الكفر به، رحيم بالمؤمنين.

✍ نعم، قال تعالى: "أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ" يعرضُ سبحانه وتعالى عليهم التوبة بألطفِ عبارة وهم قد بلغوا في الكفر بالله سبحانه وتعالى أشنعَ منزلة، فما أشدَّ رحمتَه سبحانه وتعالى ومغفرتَه ولطفَه، "أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ"؟ ثم قال: "وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" غفور لمن تاب من أي ذنبٍ كان ولو كان الذنب الكفرَ بالله والشركَ به، وأما قولُه تعالى: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)[٣] فهذا في حقِّ من لم يتب من الذنب، أما من تاب من الذنب ولو كان أعظمَ الذنوب فإن اللهَ يتوب عليه إن كان صادقًا في توبته.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

---

[٣] (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) [سورة النساء ٤٨]

(إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [سورة النساء ١١٦]

ليس المسيح عيسى بن مريم إلا رسولاً من بين الرسل، يجري عليه ما جرى عليهم من الموت، وأمه مريم عليها السلام كثيرة الصدق والتصديق،

نعم، قال تعالى: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ" يعني لم يكن إلـٰهًا ولا ربًّا ولا ثالثَ ثلاثة وإنما هو رسولٌ كعامّةِ الرسلِ الذين سبقوه "وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ" أمّه مريم عليها السلام صِدّيقةٌ من الصِّدِّيقين الذين هم أعلى الخلق رتبةً بعد الأنبياء، فقد بلغت درجةً عاليةً من الكمالِ والعبوديةِ لله سبحانه وتعالى، وهنا لما أخبر بأنها صِدِّيقة دلَّ على أنها ليست نبيّة؛ لأن الأنبياء إنما كانوا من الرجال فقط.

وهما يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، فكيف يكونان إلهين مع حاجتهما للطعام؟!

نعم، بين الله سبحانه وتعالى دليلاً واضحًا يسيرًا سهلاً على أنهما ليسا إلـٰهَين، قال: "كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ" فدل على أنهما محتاجان إلى الطعام كحاجة عامة البشر إلى الطعام، فكيف يكونان إلـٰهَين مع حاجتهما إلى الطعام؟!

فانظر - أيها الرسول - نظر تأمل: كيف نوضح لهم الآيات الدالة على الوحدانية، وعلى بطلان ما هم عليه من المغالاة في نسبة الألوهية لغيره سبحانه، وهم مع ذلك يتنكرون لهذه الآيات، ثم انظر نظر تأمُّل: كيف يُصْرَفُونَ عن الحق صرفًا مع هذه الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله.

نعم قال تعالى: "انْظُرْ" يُخاطِب النبيَّ صلَّى الله عليه وسلّم -وهو خطاب للأمة جميعًا كذلك- "انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" يعني لاحِظ وتأمّل كيف نبين لهم الآيات الواضحة الدالة على عدم ألوهيةِ عيسى عليه السلام "ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" كيف يُصرَفون عن الحق بعد هذه الأدلة الواضحة. والله المستعان.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قل - أيها الرسول - مُحتجًّا عليهم في عبادتهم لغير الله: أتعبدون ما لا يجلب لكم نفعًا، ولا يدفع عنكم ضرًّا؟! فهو عاجز، والله منزه عن العجز،

نعم، قال تعالى: "قُلْ" ردًّا عليهم " أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا" يعني كيف تعبدون ما لا يجلبُ لكم نفعًا ولا يدفع عنكم ضرًّا لأنه عاجز؛ لأنه في الحقيقةِ مثلُكم يبحثُ عمن يجلبُ

له النفع ويدفعُ عنه الضَّر، ولا يقدرُ على ذلك ولا ينفردُ به إلا اللهُ سبحانه وتعالى، فهو المُستحِق للعبادةِ وحده جلَّ في عُلاه.

📕 والله هو وحده السميع لأقوالكم، فلا يفوته منها شيء، العليم بأفعالكم، فلا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

✍ قال: "وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" أي هو وحده سبحانه السميعُ لأقوالكم والعليمُ بأفعالكم وسيجازيكم على أقوالكم وأفعالكم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

📕 قل – أيها الرسول – للنصارى: لا تتجاوزوا الحد فيما أُمِرْتُمْ به من اتباع الحق،

✍ نعم، قال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ" يعني يأمرُ الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطبَ النصارى ويقولَ لهم لا تغلوا في دينكم ولا تتجاوزوا الحد؛ وذلك أن عيسى عليه السلام نبيٌّ كريمٌ من أنبياء الله سبحانه وتعالى فلا تتجاوزوا الحد فيه إلى أن ترفعوه إلى منزلةِ الربوبيةِ والألوهية.

📕 ولا تبالغوا في تعظيم مَنْ أُمِرْتُم بتعظيمه – مثل الأنبياء – فتعتقدوا فيهم الألوهية كما فعلتم بعيسى بن مريم، بسبب اقتدائكم بأسلافكم من أهل الضلال الذين أضلُّوا كثيرًا من الناس، وضلُّوا عن طريق الحق.

✍ نعم، قال: "وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ" يعني لا تُقلدوا الذين ضلُّوا من أسلافِكم من قبلكم سواءً من اليهود أو ممن سبقهم من النصارى، فهم قد ضلُّوا بتأليه عيسى عليه السلام أو جعلِه ابن الله – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا– فلا تقلدوهم في دينكم، فهؤلاء قد ضلُّوا وأَضَلُّوا كثيرًا من الناس "وضلُّوا عن سواء السبيل" <u>وسواءُ السبيل</u> هو الطريقُ المستقيمُ المعتدل.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

📕 يخبر الله سبحانه أنه طَرَدَ الكافرين من بني إسرائيل من رحمته في الكتاب الذي أنزله على داود وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى بن مريم وهو الإنجيل،

✍ نعم، يخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين كفروا من بني إسرائيل قد لُعنوا على لسان داوود عليه السلام وعيسى عليه السلام، يعني أن النبيَّيْن قد لَعنا الكافرين من بني إسرائيل -هذا قول- ، وقيل بل قد ورد لعنُهم في الكتابِ المُنَزَّل على داوود عليه السلام وهو الزبور، والكتابِ المنزل على عيسى عليه وهو الإنجيل. والله أعلم.

■ ذلك الطرد من الرحمة بسبب ما ارتكبوه من المعاصي والاعتداء على حُرُمات الله.

✍ نعم، قال: "ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" يعني إنما لُعِنوا بسبب ما ارتكبوه من المعاصي والجرأةِ عليها "وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" يعني كانوا يعتدون على حرمات الله سبحانه وتعالى كما حصل منهم في يوم السبتِ والاعتداءِ بصيدِ الحيتانِ يومَ السبت.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

■ كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا عن ارتكابه المعصية، بل يجاهر العصاة منهم بما يقترفونه من المعاصي والمنكَرات؛ لأنه لا مُنْكِرَ يُنكر عليهم، لَسَاءَ ما كانوا يفعلون من ترك النهي عن المنكر.

✍ نعم، قال تعالى: "كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ" فلا ينهى بعضُهم بعضًا عن المنكرِ الذي يفعلونه، ولا ينتَهُون في أنفسهم؛ بمعنى أن أحدهم إذا ارتكب المعصية فإنه لا يرتدعُ ولا ينزجرُ في نفسه فليس له وازعٌ من نفسه ولا من إخوانه، فكانوا يجاهرون بالمعاصي ولا يخافون من ذلك لأنه لا يوجد أحدٌ يُنكِر عليهم، قال الله: "لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" يعني بئس الصنيعُ صنيعُهم بتركهم النهيَ عن المنكر.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾

■ تشاهد – أيها الرسول – كثيرًا من الكفرة من هؤلاء اليهود يحبون الكافرين ويميلون إليهم، ويعادونك ويعادون الموحِّدين،

✍ نعم، قال تعالى: "تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا" يعني أن من عادةِ هؤلاء اليهود أنهم يميلون إلى المشركين الكفار ويوالونهم ويناصرونهم ويعادون المؤمنين والموحِّدين؛ وهذا من انتكاس فِطَرِهِم

وغلبةِ الهوَى على نفوسِهِم.

📕 ساء ما يُقْدِمُونَ عليه من موالاتهم الكافرين، فإنها سبب غضب الله عليهم، وإدخاله إياهم النار خالدين فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

✍ نعم، قال تعالى: "لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ" يعني ما أقدموا عليه من الأعمال "أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ " فموالاتُهم للكفار كانت سببًا لغضب الله عليهم "وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ" أي وكانت سببًا كذلك في أنهم يُخلَّدون في نار جهنم ولا يخرجون منها أبدا. نسأل الله السلامة والعافية.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

📕 ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله حقًّا، ويؤمنون بنبيِّه، ما جعلوا من المشركين أولياء يحبُّونهم ويميلون إليهم دون المؤمنين؛ لأنهم نُهُوا عن اتخاذ الكافرين أولياء، ولكنَّ كثيرًا من هؤلاء اليهود خارجون عن طاعة الله وولايته، وولاية المؤمنين.

✍ نعم، قال الله: "وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ" يعني لو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله حقّا، ويؤمنون بأنبيائه ورسله حقّا، ويؤمنون بما أنزله اللهُ سبحانه وتعالى على رسوله صِدقًا؛ فإن إيمانَهم هذا يمنعُهم من اتخاذ المشركين والكفار أولياءَ يحبونهم ويميلون إليهم ويُناصرونهم من دون المؤمنين؛ لأن النهيَ عن اتخاذ الكفارِ أولياء واضحٌ صريح في كتب الله سبحانه وتعالى وفي رسالات الأنبياء، ثم قال: "وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" أي إنما دعاهم إلى ولاية الكفار ما هم عليه من الفسق والخروج عن طاعة الله وولايتِه وولايةِ المؤمنين.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• 📕 بيان كفر النصارى في زعمهم ألوهية المسيح -عليه السلام-، وبيان بطلانها، والدعوةُ للتوبة منها.

✍ نعم، تضمنت هذه الآيات بيانَ كفرِ النصارى عندما ادَّعَوا ألوهيةَ عيسى عليه السلام والرد عليهم في ذلك ودعوتَهم للتوبة من هذه المقولة الخبيثة المنكرة؛ وذلك في قوله تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" رد عليهم فقال: "وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ

بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" ثم قال: "لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ" هذا من الرد عليهم، ثم هددهم فقال: "وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" ثم دعاهم للتوبة فقال: "أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" وإثباتُ كفر النصارى في هذه الآيات قد أثبته الله وأقسم عليه فقال: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا".

- من أدلة بشرية المسيح وأمه: أكلهما للطعام، وفعل ما يترتب عليه.

نعم، من أدلةِ بشريةِ المسيح عليه السلام وأمِّه أنهما كانا يأكلان الطعام، فهما كالبشر، قال تعالى: "مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ" ثم قال تعالى: "انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ" يعني الأدلةَ الواضحةَ الصريحةَ على بطلانِ ألوهية عيسى عليه السلام "ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" يعني كيف يُصرَفون عن الحقِّ الواضح الجلي.

- عدم القدرة على كف الضر وإيصال النفع من الأدلة الظاهرة على عدم استحقاق بعض المعبودين للألوهية؛ لكونهم عاجزين.

نعم، من أهم ما يُعبد لأجله ربُّ العالمين سبحانه وتعالى أنه يملكُ جلب النفع ودفع الضُّر، والبشر قد جُبِلوا على أنهم إنما يعبُدون من يملك لهم ذلك، فإذا ثبت أن عيسى عليه السلام وأمَّه بل وجبريلَ عليه السلام وغيرَهم من المخلوقات لا يملكون جلبَ النفع ولا دفع الضُّر دل على أنهم لا يستحقون العبادة، إنما يستحقها الذي يملكها وحده سبحانه وهو ربُّ العالمين.

- النهي عن الغلو وتجاوز الحد في معاملة الصالحين من خلق الله تعالى.

نعم، الغلو في تعظيم الصالحين سواءً كانوا من الأنبياء أو من الأولياء أو من الصِّدِّيقين يؤدي إلى رفعهم فوق منزلتهم وإيصالهم الى شيء من منازلِ الربوبية والألوهية، قال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ".

- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لِلَّعْنِ والطرد من رحمة الله تعالى.

نعم، ترك شعيرةِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُوجبُ اللعن والطرد من رحمة الله تعالى ونزولَ العذاب العاجل في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ".

- 📕 من علامات الإيمان: الحب في الله والبغض في الله.

✍ نعم، من أوثق عُرَى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فتحب الشخص لأنه مؤمن وتبغض الشخص لأنه كافر، قال تعالى في ذم اليهود: "تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" أي لو كان إيمانُهم صادقًا لمنعهم من أن يتخذوا أعداءَ الله أولياءَ لهم.

- 📕 موالاة أعداء الله توجب غضب الله عز وجل على فاعلها.

✍ نعم، وهذا في قوله تعالى: "لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ" يعني غضِبَ عليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المائدة (٧٠-٨١)

الكلمة	المعنى
مِيثَاق	العهدَ المُؤكّد
وحَسِبُوا	وظنّوا
ألّا تكونَ فتنة	ألّا ينزلَ عليهم عذابٌ وعقوبة
فعَمُوا وصَمُّوا	فأعمَوا أعينَهم عن رؤية الحق، وصمُّوا آذانهم عن سماع الحق
ثالثُ ثلاثة	هم: الأب والابن وروح القدس
خَلَت	مَضَتْ وتقدّمَت
صِدِّيقَة	مؤمنة بالله واليوم الآخر، دائمة الصدق في عبادتها لله
أنّى يُؤفَكُون	كيف يُصرَفون عن الإيمان
لا تَغلُوا	لا تُجاوِزوا الحقّ
سواءِ السبيل	الطريقِ المُعتدل
لُعِن	طُرِدَ من رحمة الله
لا يَتَنَاهَون	لا يَنتهون، ولا ينهى بعضهم بعضا
يَتَوَلَّون	يُحبّون ويُناصِرون
سَخِطَ	غَضِبَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة المائدة ٧٠-٨١

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذه الفقرة المتعلقة بالوقف والابتداء في الآيات من سورة المائدة من الآية السبعين وحتى الآية الحادية والثمانين.

أبدأ بما يتعلق بقول الله تعالى: (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (وأرسلنا إليهم رسلا) جملة معطوفة على جواب القسم في قوله: (أخذنا ميثاق بني إسرائيل)، واللام في قوله (لقد) هي اللام الموطئة للقسم، فتتمة القسم في الجملة المعطوفة عليه، فلا يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وأرسلنا إليهم رسلا)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن القسم وما عُطف عليه قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة متضمنة معنى الشرط مبدوءة بـ(كُلَّما) لبيان حالهم مع الرسل الذين بُعثوا إليهم، بعد أن بيّن في جملة القسم أن الله قد أرسل إليهم رسلا وأخذ عليهم الميثاق، فصحّ الفصل بين الخبر عن حالهم وبين الخبر عن أخذ الميثاق عليهم. والله أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (كلّما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم)؟

الجواب: لا يصح، نصّ على المنع منه السجاوندي والأنصاري والأشموني؛ لماذا؟ لأن (كُلَّما) تتضمن معنى الشرط فتنتظر جوابَها، وجوابُها لم يأتِ بعد، جوابُها في قوله: (كَذَّبوا) و(يَقْتُلون). وتقدير الجملة: كلما جاءهم رسول كَذَّبوه أو قَتَلوه، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (وحسبوا ألا تكون فتنة) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (فعَمُوا وصَمُّوا) جملة معطوفة على جملة: (حسِبوا)، وهذه الجملة من تتمة بيان ما فعلوه لما حسِبوا أن تكذيبهم للأنبياء وقتلهم لا يترتب عليه ضرر بهم، وذلك أنهم عَمُوا عن رؤية الحق وصَمُّوا عن سماعه، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (فعَمُوا وصَمُّوا)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ثم تاب الله عليهم ثم عَمُوا وصَمُّوا) جملة معطوفة كذلك، وهي من تتمة بيان ما حصل لهم لما حسِبوا أن تكذيبهم للأنبياء وقتلهم لا يترتب عليه ضرر بهم، وذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يؤاخذهم بذنوبهم حتى يتوبوا منها، لكن الواقع والحقيقة أنهم لم يزدادوا إلا عَمًا وصَمَمًا، وبيان هذا في قوله: (ثم تاب الله عليهم ثم عَمُوا وصَمُّوا)، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ثمّ تاب الله عليهم ثم عَمُوا وصَمُّوا)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء على اعتبار أن قوله: (كثيرٌ منهم) مستأنف، وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: ذلك كثيرٌ منهم. لكن هذا الاحتمال بعيد، والأقرب أن قوله: (كثيرٌ منهم) بدل بعضٍ من كل، فالله بيَّن أنهم عَمُوا وصَمُّوا لا كلهم بل كثير منهم، فالأقرب أنه لا وقف هنا. والله تعالى أعلم.

ثم يصح الوقف على قوله: (ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم).

كما نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الجملة الفعلية قد انتهت هنا بما عُطف عليها في بيان حالهم، ثم جاءت جملة اسمية مستأنفة في قوله: (والله بصير بما يعملون)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن القسم الذي تضمّن بيان حكاية قول الذين كفروا قد انتهى هنا، فهُم كفروا بقولهم: (إن الله هو المسيح ابن مريم)، ثم جاءت جملة مستأنفة في الرد عليهم من قول المسيح نفسه عليه السلام. وذلك أن المسيح عليه السلام دعا إلى عبادة الله وحده في قوله: (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم)، فصح الفصل بين قول الكفار والرد عليهم. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن قول المسيح الذي أمر فيه بعبادة الله وحده قد انتهى هنا، ثم جاء خبر عن عاقبة من أشرك بالله في جملة مستأنفة مبدوءة بـ(إنّ) في قوله: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة)، فصح الفصل بين الجملتين. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ومأواه النار) هو من تتمة جزاء من يشرك بالله، وجملة: (ومأواه النار) في محل جزم عطفاً على جواب الشرط. الشرط في قوله: (مَن)، وفعل الشرط: (يشرك بالله)، وجوابه: (فقد حرّم الله عليه الجنة)، وعُطف على الجواب: (ومأواه النار)، فلا وقف هنا. والله تعالى أعلم.

ثم يصح الوقف على قوله: (ومأواه النار) كما نص عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة الشرط وما عُطف على جوابها قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة نفي مستأنفة تضمنت بيان أن المشركين لن يجدوا لهم أحدا ينصرهم من دون الله يوم القيامة في قوله: (وما للظالمين من أنصار)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وجعله السجاوندي وقفا لازما، ووُضعت هنا علامة الوقف اللازم في مصحف المدينة، ونصّ الأشموني كذلك على أنه لا يجوز وصله بما بعده.

وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (وما من إله إلا إله واحد) هذه الجملة رد على قول النصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، فللفصل بين قولهم الكفري وبين ردّ الله عليهم بتقرير توحيده سبحانه يصح الوقف هنا، بل قد يكون لازما على قول من قال ذلك، حتى لا يُتوهم أن قوله: (وما من إله إلا إله واحد) هو من تتمة قول الذين كفروا.

لكن هنا احتمال آخر، وهو اعتبار جملة: (وما من إله إلا إله واحد) هو من تتمة قول الذين قالوا: (إن الله ثالث ثلاثة)، وهو قول طائفة من النصارى، قالوا: الله ثالث ثلاثة، والثلاثة إله واحد، فهم ثلاثة وهم واحد، وهذا قول لا يمكن تصوره عقلاً، لكنه قالت به طائفة من النصارى، فتكون الآية في الرد على هذه الطائفة من النصارى بخصوصها.

لكن هذا الاحتمال فيه نوع تكلف وبُعد، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أتى بالرد عليهم بجملة موافقة لجملة التوحيد، متضمنةٍ للنفي والإثبات: (لا إله إلا الله) موافقة تماما لجملة: (وما من إله إلا إله واحد)، وهذا السياق إنما يأتي في القرآن للرد على من أشرك بالله، ولا يأتي لتقرير قوله.

فالأقرب والله أعلم صحة الوقف على قوله: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)، وقد يكون للقول بلزومه وجها حسنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وما من إله إلا إله واحد)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة النفي التي تضمنت معنى شهادة التوحيد: (لا إله إلا الله) قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة شرطية لبيان أن لهم عذابا أليما إن لم يتوبوا من قولهم، وذلك في قوله: (وإن لم ينتهوا عما يقولون لَيَمَسَّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم)، فصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا جماعة من علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (والله غفور رحيم) هذه الجملة الاسمية تحتمل أن تكون جملة مستأنفة جاءت بعد انتهاء جملة الاستفهام في قوله: (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه)، فيصح الفصل بينهما.

ويصح كذلك أن تكون جملة: (والله غفور رحيم) جملة حالية، فيكون معنى الجملة: لماذا لا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والحال أن الله غفور رحيم يقبل التوبة ويغفر ويرحم، وهذا الاحتمال له حظ من النظر، فيكون الوقف هنا محتملا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ السجاوندي رحمه الله على أن الوقف هنا جائز، ولم ينصّ عليه بقية علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن جملة الحصر التي جاءت بالنفي ثم الاستثناء قد انتهت هنا: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول)، فليس هو بإله ولا ابن إله ولا ثالث ثلاثة، ثم جاءت جملة تحتمل أن تكون مستأنفة وهي قوله: (قد خلت من قبله الرسل)، فتكون قد تضمنت الإخبار بأن المسيح عيسى ابن مريم لم يكن بِدْعًا من الرسل، بل قد سُبِقَ بالرسل، فيكون الوقف له وجه من الصحة والنظر.

وتحتمل أن تكون جملة: (قد خلت من قبله الرسل) صفة لقوله: (رسول)، فهو رسول مسبوق برسل، وبناء عليه لا يصح الوقف هنا.

والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (قد خلت من قبله الرسل)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن الإخبار أن المسيح عيسى ابن مريم لم يكن إلا رسولا مسبوقا بالرسل قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة أخرى في بيان مكانة أم عيسى في قوله: (وأمه صِدِّيقَة)، وهي جملة تحتمل أن تكون مستأنفة وتحتمل أن تكون معطوفة. فعلى احتمال كونها مستأنفة

يصح الوقف قبلها، وعلى احتمال كونها معطوفة لا يصح الوقف قبلها، والأمر في هذا محتمل. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (وأمه صِدِّيقَة)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن بيان أن المسيح ابن مريم كان رسولا وأن أمه كانت صِدِّيقَة قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة استئنافا بيانيا تضمنت بيان شيء من بشريتهما وأنهما كانا يأكلان الطعام، وتضمنت هذه الجملة ضميرا راجعا لهما معا وليس لأم عيسى لوحدها، فلو وُصل لأَوهم أن قوله: (كانا يأكلان الطعام) راجع إلى الجملة التي قبله مباشرة، فالوقف هو الصحيح هنا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (كانا يأكلان الطعام)؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة: (كان) الخبرية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة أمر مستأنفة في قوله: (انظر كيف نبين لهم الآيات) تضمّنت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، فصحّ الفصل بين الخبر والأمر. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (انظر كيف نبين لهم الآيات)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (ثم انظر أنَّى يؤفكون) جملة معطوفة على الجملة السابقة، وهي من تتمة بيان الجملة الأولى، فالله سبحانه وتعالى أراد أن يبيّن لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أنه بيَّن لهم الآيات المتنوعة على أن عيسى عليه السلام إنما هو بشر، لكنهم مع ذلك قد صُرفوا عن تلك الآيات وعن الإيمان بها، فلم يتمّ بيان هذا إلا بقوله: (ثم انظر أنَّى يؤفكون)، فلم يصحّ الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن القول الذي أُمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله لهم قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة مستأنفة في قوله: (والله هو السميع العليم)، فصحّ الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

على أن السجاوندي رحمه الله قد نبّه هنا إلى ملحظ لطيف دقيق، وهو أنه قد يُوصل قوله: (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) بقوله: (والله هو السميع العليم) على اعتبار جملة: (والله هو

السميع العليم) حالا، فيكون التقدير: لم تعبدون ما لا ينفع ولا يضر، والله سبحانه هو السميع الذي يسمع دعاء المضطر ويجيبه، والعليم الذي يعلم حاجة الناس فيكشفها. وهذا معنى لطيف، فيكون الوصل هنا أولى مع صحة الوقف. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن النهي الموجه إلى أهل الكتاب بأن لا يغلوا في دينهم قد انتهى هنا، ثم جاء نهي آخر معطوف على النهي الأول بجملة مستقلة تضمنت النهي عن اتباع الأهواء في قوله: (ولا تتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل)، فصحّ الفصل بين النهيين؛ لقيام كل نهي بنفسه استقلالا. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (ولا تتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل)؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله تعالى بعدها: (وأضلّوا كثيرا) جملة معطوفة على قوله: (ضلّوا)، فهي جملة داخلة في عموم النهي في قوله: (ولا تتّبعوا أهواء قوم)، ثم وصف هؤلاء القوم بأنهم: (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)، فهذه أوصاف القوم الذين نُهوا عن اتباع أهوائهم، فلم يصح الوقف إلا في نهاية الآية. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه جماعة من علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن بيان الملعونين واللاعنين لهم قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة اسمية لبيان علة لعنهم في قوله: (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)، فصح الفصل بين الجملتين. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن جملة: (كان) قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة قسم مبدوءة باللام الدالة على القسم وبـ(بئس) في قوله: (لبئس ما كانوا يفعلون)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

الآية التي تليها: (ترى كثيرا منهم يتولّون الذين كفروا) هل يصح الوقف هنا؟

الجواب: نعم؛ نصّ عليه عامة علماء الوقف والابتداء، ووجهه: أن الخبر عن حالهم وتولّيهم لأهل الكفر قد انتهى هنا، ثم جاءت جملة قسم مبدوءة باللام الدالة على القسم وبـ(بئس) في قوله: (لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم)، فصح الفصل بينهما. والله تعالى أعلم.

وهل يصح الوقف على قوله: (لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم)؟

الجواب: لا يصح؛ لماذا؟ لأن قوله بعدها: (وفي العذاب هم خالدون) جملة معطوفة على (سَخِط)، والتقدير: لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن الله سخط عليهم، وأنهم في العذاب خالدون، فلم يصح الوقف هنا. والله تعالى أعلم.

الآية الأخيرة: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أُنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) هل يصح الوقف هنا؟

نصّ على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء، وإذا تأملنا فإن قوله بعدها: (ولكنّ كثيرا منهم فاسقون) تتضمن الاستدراك على ما قبلها بـ(لكن)، والأصل أنه لا يصح الوقف قبل الاستدراك. والله تعالى أعلم.

هذا آخر ما في هذا المقطع، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علما وعملا وهدى وتقى. والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المائدة ٧٠-٨١

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾.

قال ابن عثيمين: «{مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} الميثاق هو العهد الثقيل، كأنه وَثَقَ به المعاهَد، وقد بَيَّنَ الله في هذه السورة ما هو العهد الذي أخذ عليهم، وما هو العهد الذي لهم عند الله، فقال الله تعالى: {لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا}، هذا العهد الذي أُخِذَ عليهم، خمس مواد في هذا الميثاق أخذها الله تعالى على بني إسرائيل، وجعل لهم عهدًا على الله في قوله: {لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}»...

وقد قال بعض العلماء: تحتمل الآية أن العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل؛ هو ما فطر الله الخلق عليه من توحيده تبارك وتعالى، فيكون في قوله: {لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} أي: بالتوحيد {وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا} بالرسالة، للجمع بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٨٢).

﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

قال ابن عثيمين: «{وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} القتل معروف، وأتى في القتل بكلمة (يقتلون) إشارة إلى استمرار قتلهم للأنبياء؛ لأن الفعل المضارع يدل على الاستمرار، والماضي يدل على المضي والانتهاء، وربما يكون في هذا -والله أعلم- إشارة إلى أنهم لا يزالون يقتلون الأنبياء، حتى آخرهم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٨٤).

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.

قال البغوي: «{فعموا} عن الحق فلم يبصروه، {وصمّوا} عنه فلم يسمعوه، يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، {ثم تاب الله عليهم} ببعث عيسى عليه السلام، {ثم عموا وصمّوا كثير منهم} بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم». «تفسير البغوي» (٣/ ٨٢).

وقال ابن كثير: «{وحسبوا ألا تكون فتنة} أي: وحسبوا ألا يترتب لهم شر على ما صنعوا، فترتب، وهو

أنهم عموا عن الحق وصمّوا، فلا يسمعون حقا، ولا يهتدون إليه». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٥٦).

وقال ابن عثيمين: «لو قال قائل: كثير من الصفات التي ذكرها الله عزّ وجل في بني إسرائيل موجودة في بني إسرائيل الذين يعاصروننا الآن من التعنت والعناد، فبنو إسرائيل الآن فيهم خبث، لكنهم ليسوا بأغبياء، بل هم يسيطرون على العالم اقتصاديًا ومتقدمون في الصناعات؟

الجواب: هؤلاء اليهود أغبياء باعتبار فهم الحق، فهم ليسوا أغبياء بسبب الذكاء، واجعل على بالك دائمًا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المتكلمين، قال: إنهم أعطوا فهومًا وما أعطوا علومًا، وأوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاء، واذكر قول الله تعالى عن الكفار مع أنهم أذكياء أنهم لا يعقلون، فهؤلاء في الواقع هم أغبياء باعتبار الشرع». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٩١).

﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

قال ابن عثيمين: «{وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} البصير هنا تشمل معنيين:

المعنى الأول: البصير بالعين عزّ وجل، والثاني: البصير بالعلم، وقد اجتمع المعنيان في حق الله عزّ وجل.

وقوله: {بِمَا يَعْمَلُونَ} يشمل الفعل والقول، لكن كيف يكون القول عملًا؟ نقول: المراد عمل اللسان، لكن لا يكون القول فعلًا؛ لأن الفعل خاص بالجوارح، فالله سبحانه وتعالى {بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} يراه ولا يخفى عليه، و {بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} يعلمه؛ لأن المعمول قد يكون ذا جسد فيُرى، أو غير جسد فلا يُرى، وكلاهما يُعلم». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٩٠).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

«عن مجاهد قال: تفرقت بنو إسرائيل ثلاث فرق في عيسى: فقالت فرقة: هو الله، وقالت فرقة: هو ابن الله، وقالت فرقة: هو عبد الله ورسوله وروحه، وهي المقتصدة، ومن مسلمة أهل الكتاب». «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٧٩).

وقال ابن تيمية: «لما ذكر الله المسيح في القرآن قال: "ابن مريم" بخلاف سائر الأنبياء كقوله: {لقد كفر

الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم}، وقوله: {ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} وقوله: {إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك}، وقوله: {يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله}، وقوله: {وجعلنا ابن مريم وأمه آية}، وقوله: {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله}.

وفي ذلك فائدتان: إحداهما: بيان أنه مولود، والله لم يولد. والثانية: نسبته إلى مريم بأنه ابنها، ليس هو ابن الله». «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٤٨-٤٤٩).

وقال ابن عثيمين: «{قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} كلمة "هو" ضمير فصل، وضمير الفصل له ثلاثة فوائد: التأكيد، والحصر، والفصل بين الخبر والصفة، الفصل يعني التمييز بين كون ما بعده خبرًا أو صفة، ففي قوله: {إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}، "هو" ضمير فصل يفيد أن هؤلاء أكّدوا أن الله هو المسيح، ويفيد حصر الله عزّ وجل في المسيح وأنه لا يتعداه، ويفيد أن قوله: {الْمَسِيحُ} خبر وليس بصفة». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٩٣).

«المسيح وصف لرجل من أولياء الله ورجل من أعداء الله، الرجل الذي من أولياء الله: عيسى ابن مريم، والرجل الذي من أعداء الله: الدجال، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم مسيحًا، حيث أمر أن نستعيذ بالله من فتنة المسيح الدجال.

وأما تكايس بعضهم -يعني: طلب الكيس- وقوله: إن الدجال يسمى المسيخ بالخاء، فهذا باطل؛ لأن أعلم الناس به سمّاه المسيح، ولا مانع من أن يوصف هذا بالمسيح وهذا بالمسيح، لكن يختلف الممسوح، عيسى ابن مريم كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، والمسيح الدجال ممسوح العين، أعور العين، خبيث المنظر، ففرق بين هذا وهذا، وكلاهما مسيح مشتق من المسح». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٩٣-١٩٤).

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

قال ابن كثير: «هذا وقد تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في

المهد أن قال: {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا} ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله. بل قال: {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا}، إلى أن قال: {وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم}.

وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته، آمرا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له؛ ولهذا قال تعالى: {وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله}، أي: فيعبد معه غيره {فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار} أي: فقد أوجب له النار، وحرّم عليه الجنة، كما قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}، وقال تعالى: {ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين}.

وفي الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مناديا ينادي في الناس: (إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة)، وفي لفظ: (مؤمنة).

وتقدم في أول سورة النساء عند قوله: {إن الله لا يغفر أن يشرك به}... عن عائشة: (الدواوين ثلاثة) فذكر منهم ديوانا لا يغفره الله، وهو الشرك بالله، قال الله تعالى: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار}. الحديث في مسند أحمد». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٥٧).

وقال ابن عثيمين: «{وَقَالَ الْمَسِيحُ} في إعرابها وجهان:

الوجه الأول: أنها حال، وبناءً على هذا الوجه يتعين تقدير "قد"، ويكون معنى قوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}، وقد قال المسيح: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ} يعني كذّبهم.

والوجه الثاني: أن الواو للعطف، ويكون قوله: "قال" معطوف على "كَفَرَ"، فتكون هذه الجملة مؤكّدة بثلاثة مؤكدات؛ لأنها معطوفة على جملة مؤكدة بثلاثة مؤكّدات، ويكون المعنى: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، ولقد قال المسيح ابن مريم يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم.

والتقدير الأول أبلغ؛ لأن المسيح الذي وُصف بأنه الله ردّ على هؤلاء الذين وصفوه بأنهم كفروا، وقد قال لهم وبَيَّنَ لهم أنه عليه الصلاة والسلام عبد، فقال: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٩٤).

«{وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}... أظهر في موضع الإضمار، من أجل أن ينسحب على هؤلاء وصف الظلم، أي: أنهم ظلمة، ومن أجل التعميم، يعني: أن النار ليست لهؤلاء فقط بل لكل ظالم». «تفسير العثيمين:

المائدة» (٢/ ١٩٨).

«أنه لا كفر إلا بعد قيام الحجة بناءً على أن الواو في قوله: {وَقَالَ الْمَسِيحُ} حالية، يعني أنهم كفروا وقد بُيِّن لهم الأمر...

إقرار الإنسان على غيره غير مقبول؛ لأنهم ادعوا أن الله هو المسيح، وعيسى ابن مريم أنكر ذلك فقال: {اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} فأنا لست إلهًا تعبدونني، بل أنا وأنتم على حد سواء كلنا مربوبون لله عزّ وجل...

المنقبة والشرف العظيم للرسل عليهم الصلاة والسلام، حيث أنكر عيسى أن يكون هو الله في هذه الجملة العظيمة: {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ}، وهذا مقام الرسل وأتباعهم الذين لا يريدون العلو في الأرض ولا الفساد، وانظر إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام حين قيل له: ما شاء الله وشئت، هل أقرّ هذا؟ لا، أنكره وقال: (أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده)، وهكذا أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يريدون من الناس أن ينزلوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عزّ وجل، بل إن أتباع الرسل كما أنعم الله عليهم بالاتباع؛ ازدادوا تواضعًا للخلق وتواضعًا للحق...

لا حظ لعيسى في الألوهية والربوبية، لقوله: {اعْبُدُوا اللهَ} هذا في الألوهية، {رَبِّي وَرَبَّكُمْ} وهذا في الربوبية، فعيسى ابن مريم ليس له حق في الألوهية ولا في الربوبية، وغيره من الرسل وغيره من الناس كذلك، وبهذا نعرف ضلال أولئك القوم الذين يدّعون أن أولياءهم هم الذين يدبّرون الكون، وهم الذين يصرّفونه، وأنهم على ضلال مبين، نسأل الله العافية». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ١٩٩-٢٠٠).

«المثوى الأخير للخلق هو إما الجنة وإما النار، وأما القبور فليست المثوى الأخير، بل هي زيارة يمكث فيها الناس ما شاء الله حتى تقوم الساعة...

الإشارة إلى أن الشرك ظلم، لقوله: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}، وقد جاء ذلك صريحًا في القرآن الكريم فقال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٠٣).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

قال البغوي: «{لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة}... فيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله، فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله عز وجل للمسيح: (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله).

ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الإلهية لا يكفر، فإن الله يقول: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)». «تفسير البغوي» (٣/ ٨٢).

وقال ابن تيمية: «وأما قوله تعالى: {ولا تقولوا ثلاثة}، وقوله: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة}. فقد فسروه بالتثليث المشهور عنهم المذكور في أمانتهم.

ومن الناس من يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم قول اليعقوبية، وقولهم ثالث ثلاثة هو قول النصارى الذين يقولون بالآب والابن والروح القدس، وهم قد جعلوا الله فيها ثالث ثلاثة، وسموا كل واحد من الثلاثة بالإله والرب، وقد فسره طائفة بجعلهم عيسى وأمه إلهين يُعبَدان من دون الله.

قال السدي في قوله تعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} قال: قالت النصارى إن الله هو المسيح وأمه، فذلك قوله: {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله}.

وقد قيل قول ثالث أغرب من ذلك، عن أبي صخر قال: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} قال: هو قول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة، وهذا ضعيف.

وقد ذكر سعيد بن البطريق في أخبار النصارى أن منهم طائفة يقال لهم المريميون يقولون: إن مريم إله، وإن عيسى إله.

وأما الأول فمتوجه، فإن النصارى المتفقين على الأمانة كلهم يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، والله تعالى قد نهاهم عن أن يقولوا ذلك، فقال تعالى: {ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم}، فذكر سبحانه في هذه الآية التثليث والاتحاد، ونهاهم عنهما، وبيّن أن المسيح إنما هو رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وقال: {فآمنوا بالله ورسله}، ثم قال {ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم} لم يذكر هنا أمه». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ١٣-١٥).

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

قال ابن عثيمين: «{وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} لا يمكن أن يكون أكثر من إله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ

لَفَسَدَتَا} أليس الله قال هذا؟ وكذلك أيضًا قال تعالى في آية أخرى: {مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا} يعني: لو كان كذلك {لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ} وانفرد بمخلوقاته، {وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ}، يعني: إذا انفرد كل إله بما خلق، وكل إله يريد أن تكون الألوهية له؛ لا بد أن يقع بينهما قتال، وإذا وقع بينهما قتال علا بعضهم على بعض، أحيانًا يعلو هذا، وأحيانًا يعلو هذا، ومن المعلوم أن العالي هو المستحق أن يكون إلهًا وحده، وأن المعلوّ عليه لا يستحق أن يكون إلهًا». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٠٦).

﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال الطبري: «{ليمسنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم}، يقول: ليمسن الذين يقولون هذه المقالة، والذين يقولون المقالة الأخرى: "هو المسيح ابن مريم"، لأن الفريقين كلاهما كفرة مشركون، فلذلك رجع في الوعيد بالعذاب إلى العموم، ولم يقل: "ليمسنّهم عذاب أليم"، لأن ذلك لو قيل كذلك صار الوعيد من الله تعالى ذكره خاصا لقائل القول الثاني، وهم القائلون: "الله ثالث ثلاثة"، ولم يدخل فيهم القائلون: "المسيح هو الله". فعم بالوعيد تعالى ذكره كل كافر، ليعلم المخاطبون بهذه الآيات أن وعيد الله قد شمل كلا الفريقين من بني إسرائيل، ومن كان من الكفار على مثل الذي هم عليه». «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٨٢).

وقال ابن عثيمين: «قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ} هل يتنافى مع قول الله عزّ وجل: {لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ}؟ الجواب: لا؛ لأن المعنى: ليمسن الذين استمروا على كفرهم منهم عذاب أليم، وأما من تاب فيتوب الله عليه». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٠٧).

«أليم بمعنى مؤلم -أعني عذاب الكافرين- مؤلم نفسيًا وجسديًا، أما نفسيًا فإنهم يوبَّخون التوبيخ المهين، حتى إنه يقال للواحد منهم تهكمًا: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}، وهذا لا شك أنه أعظم إهانة، يعذَّب ويصَبّ من فوق رأسه الحميم، ثم يقال له: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}، هذه إهانةٌ وعذاب عظيم، ويقول الله لهم: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}، هذا عذاب يقطّع القلوب.

أما العذاب الجسدي فلا تسأل، إذا استغاثوا واشتدّ طلبهم للماء، يغاثون بماء كالمهل يشوي الوجوه، قبل

أن يقع في الأمعاء، فإذا وقع في الأمعاء قطّع أمعاءهم -نسأل الله العافية- إذًا: فهو مؤلم، قال تعالى: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}؛ لأن الجلد إذا نضج لا يحسّ، لكنهم يبدّلون جلودًا أخرى ليذوقوا العذاب {إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا}». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٠٧).

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال البغوي: «{أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه}؟ قال الفراء: هذا أمر بلفظ الاستفهام، كقوله تعالى: (فهل أنتم منتهون)، أي: انتهوا، والمعنى: أن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم، {والله غفور رحيم}». «تفسير البغوي» (٣/ ٨٢).

وقال ابن عثيمين: «عرض الله تبارك وتعالى على هؤلاء الكافرين أن يستغفروه، أي: يطلبوا المغفرة، وطلب المغفرة له جهتان:

الجهة الأولى: أن يسأل الله المغفرة بالصيغة، أي: بصيغة المغفرة، فيقول: أستغفر الله، اللهم اغفر لي، وما أشبه ذلك.

الجهة الثانية: أن يفعل ما يكون سببًا لمغفرة الذنوب، فمن فعل شيئًا هو سبب لمغفرة الذنوب فقد استغفر، مثال ذلك: (من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)، هذا الرجل لم يقل: اللهم اغفر لي خطاياي، ولكنه فعل ما يكون سببًا للمغفرة، ومثاله أيضًا: (إذا توضأ الإنسان فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين لا يحدّث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه)، وكذلك: (الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما)، وأمثلة كثيرة». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢١٦).

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾.

قال الطبري: «يقول مكذبا لليعقوبية في قيلهم: "هو الله"، والآخرين في قيلهم: "هو ابن الله": ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة في المسيح، ولكنه ابن مريم ولدته ولادة الأمهات أبناءهن، وذلك من صفة البشر لا من صفة خالق البشر، وإنما هو لله رسول كسائر رسله الذين كانوا قبله فمضوا وخلَوا، أجرى على يده ما شاء أن يجريه عليها من الآيات والعبر، حجة له على صدقه، وعلى أنه لله رسول إلى من أرسله إليه من

خلقه، كما أجرى على أيدي من قبله من الرسل من الآيات والعبر، حجة لهم على حقيقة صدقهم في أنهم لله رسل». «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٨٤).

وقال ابن تيمية: «وذَكَر مريم مع المسيح؛ لأن من النصارى من اتخذها إلها آخر فعبدها كما عبد المسيح. والذين لا يقولون بهذا كثير منهم يَطلب منها كل ما يُطلب من الله، حتى يقول لها: اغفري لي، وارحميني، وغير ذلك، بناء على أنها تشفع في ذلك إلى ابنها، فتارة يقولون: يا والدة الإله، اشفعي لنا إلى الإله، وتارة يسألونها الحوائج التي تُطلب من الله، ولا يذكرون شفاعة، وآخرون يعبدونها كما يعبدون المسيح». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤/ ٢٥٥-٢٥٦).

وقال ابن تيمية: «{ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة} ليس هو إلها، ولا أمه إلهة، بل غايته أن يكون رسولا، كما غاية محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون رسولا، وغاية مريم أن تكون صديقة. وهذا مما استُدل به على بطلان قول بعض المتأخرين: أنها نبية، وقد حكى الإجماع على عدم نبوة أحد من النساء القاضي أبو بكر ابن الطيب والقاضي أبو يعلى والأستاذ أبو المعالي الجويني وغيرهم». «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٦٦-٢٦٧).

وقال ابن القيم: «قال سبحانه: {ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون}، وقد تضمّنت هذه الحجة دليلين يُبطلان إلهية المسيح وأمه:

أحدهما: حاجتهما إلى الطعام والشراب، وضعف بنيتهما عن القيام بنفسهما، بل هي محتاجة فيما يقيمها إلى الغذاء والشراب، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلها؛ إذ من لوازم الإله أن يكون غنيا.

الثاني: أن الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من الإنسان من الفضلات القذرة التي يستحي الإنسان من نفسه وغيره حال انفصالها عنه، بل يستحيى من التصريح بذكرها. ولهذا ـ والله أعلم ـ كنى سبحانه عنها بلازمها من أكل الطعام الذي ينتقل الذهن منه إلى ما يلزمه من هذه الفضلة.

فكيف يليق بالرب سبحانه أن يتخذ صاحبة وولدا من هذا الجنس؟! ولو كان يليق به ذلك أو يمكن لكان

الأولى به أن يكون من جنسٍ لا يأكل ولا يشرب، ولا يكون منه الفضلات المستقذرة التي يستحيى منها، ويرغب عن ذكرها.

فانظر ما تضمّنه هذا الكلام الوجيز البليغ المشتمل على هذا المعنى العظيم الجليل الذي لا يجد سامعه مغمزا له، ولا مطعنا فيه، ولا تشكيكا ولا سؤالا يورده عليه، بل يأخذ بقلبه وسمعه». «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١/ ٢٤٤).

وقال ابن عثيمين: «أمه رضي الله عنها صدّيقة، وهي من النساء الكمَّل التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: -وذكر منهن- مريم بنت عمران)». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢١٨).

«الاستدلال بالأوضح الأجلى دون الأخفى؛ لأن أكلهما للطعام أمر لا ينكر، لكن لو جيء بأدلة عقلية أخرى ربما يكون فيها جدل، لكن الاستدلال بالمحسوس أبلغ من الاستدلال بالمعقول؛ لأن المعقول يمكن فيه الجدل، لكن المحسوس لا يمكن فيه الجدل». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٢١).

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

قال ابن تيمية: «وليس أحد من البشر بل ولا من الخلق يسمع أصوات العباد كلهم، ومن قال هذا في بشر فقوله من جنس قول النصارى الذين يقولون: إن المسيح هو الله، وإنه يعلم ما يفعله العباد، ويسمع أصواتهم، ويجيب دعاءهم، قال تعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم -إلى قوله- والله هو السميع العليم}، فلا المسيح ولا غيره من البشر ولا أحد من الخلق يملك لأحد من الخلق لا ضرًّا ولا نفعًا، بل ولا لنفسه، وإن كان أفضل الخلائق، قال تعالى: {قل إني لا أملك لكم ضرًّا ولا رشدًا}، وقال: {قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك}، وقال: {قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء}». «الإخنائية» (ص٣٤٩).

وقال ابن القيم: «كل من يملك الضر والنفع حقا فإنه هو المعبود حقا، والمعبود لا بد وأن يكون مالكا

للنفع والضر، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا، وذلك كثير في القرآن، كقوله تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم}، وقوله تعالى: {ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك}، وقوله تعالى: {أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم}، وقوله تعالى: {قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم. أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله}، وقوله تعالى: {واتل عليهم نبأ إبراهيم. إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناما فنظلّ لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون}، وقوله تعالى: {واتخذوا من دونه آلهة لا يَخلقون شيئا وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا}، وقال تعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا}، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه النفع والضر، القاصر والمتعدّي، فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم». «بدائع الفوائد» (٣/ ٨٣٥-٨٣٦).

وقال ابن عثيمين: «قال الله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} لا يسمعونهم {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً}، فهم لا ينفعونهم في الدنيا ولا في الآخرة، بل يعادونهم.

فإن قال قائل: إنه قد يدعو الإنسان الصنم في كشف الضر فيُكشف الضر، أو في جلب نفع فيأتي النفع، والقرآن صريح بأن جميع الأصنام لا تنفع ولا تضر؟

الجواب: أن هذا من الابتلاء، وأنه يحصل عند دعائها لا بدعائها؛ لأننا نؤمن يقينًا بأنها لا يمكن أن تستجيب إلى يوم القيامة، فلو دُعِيَتْ إلى يوم القيامة ما استجابت، لكن قد يفتن الله العباد بحصول الشيء عند الدعاء لا بالدعاء، يكون الله عزّ وجل قد قدّر حصول هذا الشيء في هذا الوقت المعين، الذي كان فيه الدعاء، وليس بالدعاء». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٢٥).

﴿وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

قال ابن عثيمين: «أما العليم: فما أعمّه من اسم؟! فالعليم إن لم يكن أعمّ أسماء الله فهو من أعمّها؛ لأن العلم يتعلق بالأمور الممكنة وغير الممكنة والواجبة، فعلم الله يتعلق بكل شيء، فالله عزّ وجل يعلم الشيء

المستحيل، مثاله: قول الله تبارك وتعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا}، هذا شيء مستحيل، ومع ذلك عَلِمَ الله عزّ وجل نتيجته.

ويعلم سبحانه وتعالى الممكن، وهو ما يتعلق بأفعال العباد، فكل أفعال العباد من قسم الممكن، والله تعالى يعلمها قال تعالى: {عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ}، وقال: {عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ}، وقال أيضًا: {وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ}...

ويعلم جلَّ وعلا ما يتعلق بالواجب، وهو علمه تبارك وتعالى عن نفسه، فعلمه عن نفسه علم بالواجب، ولهذا قال العلماء: إن العلم هو أعم صفات الله عزّ وجل». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٢٨).

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾.

قال ابن تيمية: «الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلّال المتعبدة والمتصوفة، حتى خالط كثيرا منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه». «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (١/ ٨٩).

وقال ابن عثيمين: «إذا نهي أهل الكتاب عن الغلو، والغلو في ذاته مفسدة، فكذلك ينهى غيرهم، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو في الدين، وحذّر من الغلوّ فيه نفسه، فكان الرسول عليه الصلاة والسلام ينهى عن الغلو في الدين، فنهى الذين قالوا: إننا نصوم ولا نفطر، ونقوم ولا ننام، ولا نتزوج النساء، ولا نأكل اللحم، وأخذ حصيات في حجة الوداع وجعل يقلّبها في يده ويقول: (بأمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين)، وسمى الذين أرادوا المواصلة في الصوم، (المتعمّقين)، تحذيرًا لفعلهم، ودعا على المتنطعين في دينهم ثلاث مرات، فقال: (هلك المتنطعون).

والغالب أن الغالي ينحرف -نسأل الله العافية- لأن الغلو خلاف الفطرة، فيكون غلوه ظاهريًّا فقط، ويكون قلبه خاليًا من حقيقة الإيمان، ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الخوارج يحقر الصحابي صلاته عند صلاتهم، وقراءته عند قراءتهم، ولكن إيمانهم لا يتجاوز حناجرهم -والعياذ بالله-، والغالب أن الغالي تجد قلبه يجول مع الناس وأفعال الناس، وينتقدهم، ويعترض عليهم، لكنه خالٍ من معرفة الله حق المعرفة، ومن الرجوع إليه، والإنابة إليه، فاحذر هذا يا طالب العلم، وكن مستقيمًا بين الغلو والتفريط».

«تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٣١-٢٣٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

قال ابن تيمية: «{قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل} وهو سبحانه خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس، ويسوّغون لأكابرهم الذين صاروا عندهم عظماء في الدين أن يضعوا لهم شريعة وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك، لا يردّون ما يتنازعون فيه من دينهم إلى الله ورسله، بحيث لا يمكّنون أحدا من الخروج عن كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل، وعن اتباع ما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام، ولهذا قال تعالى: {قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم}.

بل ما وضعه لهم أكابرهم من القوانين الدينية والنواميس الشرعية بعضها ينقلونه عن الأنبياء، وبعضها عن الحواريين، وكثير من ذلك ليس منقولا لا عن الأنبياء، ولا عن الحواريين، بل من وضع أكابرهم وابتداعهم.

كما ابتدعوا لهم الأمانة التي هي أصل عقيدتهم، وابتدعوا لهم الصلاة إلى الشرق، وابتدعوا لهم تحليل لحم الخنزير وسائر المحرمات، وابتدعوا لهم الصوم وقت الربيع، وجعلوه خمسين يوما، وابتدعوا لهم أعيادهم، كعيد الصليب، وغيره من الأعياد.

وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما سمعه يقرأ هذه الآية: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله} فقال: لم يعبدوهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إنهم أحلّوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم)». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ١٧٢-١٧٤).

وقال ابن القيم: «وصفهم بأنهم قد ضلوا أولا ثم أضلوا كثيرا لهم أتباعهم، فهذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حيث ضلوا في أمر المسيح وأضلوا أتباعهم، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ازدادوا ضلالا آخر بتكذيبهم له، وكفرهم به، فتضاعف الضلال في حقهم، هذا قول طائفة، منهم الزمخشري

وغيره، وهو ضعيف!!

فإن هذا كله وصف لأسلافهم الذين هم لهم تبع، فوصفهم بثلاث صفات؛ أحدها: أنهم قد ضلوا من قبلهم؛ والثاني: أنهم أضلوا أتباعهم، والثالث: أنهم ضلوا عن سواء السبيل، فهذه صفات لأسلافهم الذين نهى هؤلاء عن اتباع أهوائهم، فلا يصح أن يكون وصفا للموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم هم المنهيون أنفسهم لا المنهي عنهم، فتأمله.

وإنما سر الآية: أنها اقتضت تكرر الضلال في النصارى ضلالا بعد ضلال لفرط جهلهم بالحق، وهي نظير الآية التي تقدمت في تكرر الغضب في حق اليهود، ولهذا كان النصارى أخصّ بالضلال من اليهود». «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٣٨).

وقال ابن عثيمين: «هؤلاء المضلين الضالين جمعوا بين سوءين: الأول: ضلالهم لأنفسهم، والثاني: إضلال غيرهم، وهل يمكن أن يقتصر الإنسان على واحدة كضلال نفسه فقط؟ يمكن، يمكن أن يكون ضالًا ولا يدعو إلى الضلال، لكنه إذا كان إمامًا في قومه صار ضلاله دعوةً بالفعل؛ لأنه سوف يُتأسّى به، ويُقتدى به». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٣٣).

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

قال البغوي: «{لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود} يعني: أهل أيلة لما اعتدوا في السبت، قال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية، فمُسخوا قردة، {وعيسى ابن مريم} أي: على لسان عيسى عليه السلام، يعني: كفار أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم آية، فمُسخوا خنازير». «تفسير البغوي» (٣/ ٨٣-٨٤).

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قال الطبري: «كان هؤلاء اليهود الذين لعنهم الله= (لا يتناهون) يقول: لا ينتهون عن منكر فعلوه، ولا ينهى بعضهم بعضا، ويعني بـ "المنكر"، المعاصي التي كانوا يعصون الله بها». «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٩٦).

وقال ابن كثير: «{كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون} أي: كان لا ينهى أحد منهم أحدا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبوا، فقال: {لبئس ما كانوا يفعلون}...

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا، اتّق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: {لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم} إلى قوله: {فاسقون} ثم قال: (كلا والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، ولتأخذنّ على يد الظالم، ولتأطرنّه على الحق أطرا -أو: لتقصرنّه على الحق قصرا). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه...

والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا، ولنذكر منها ما يناسب هذا المقام...

عن حذيفة بن اليمان؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنّه فلا يستجيب لكم). ورواه الترمذي... وقال: هذا حديث حسن...

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم...

عن مجاهد قال: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي -يعني: عدي بن عميرة، رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يعذّب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذّب الله العامة والخاصة)...

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا عُملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها -وقال مرة: فأنكرها- كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها) تفرد به أبو داود...

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم)...

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا، فكان فيما قال: (ألا لا يمنعنّ رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه). قال: فبكى أبو سعيد وقال: قد -والله-رأينا أشياء فهِبنا...

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) رواه أبو داود،

والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه...

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحقر أحدكم نفسه). قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: (يرى أمرا لله فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى)...

عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: (إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم). قلنا: يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: (المُلك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالكم). قال زيد: تفسير معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (والعلم في رذالكم): إذا كان العلم في الفسّاق. تفرد به ابن ماجه». «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٦٠١٦٤).

وقال السعدي: «{كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه} أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضا، فيشترك بذلك المباشر وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك.

وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر -مع القدرة- موجبا للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة:

منها: أن مجرد السكوت فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت. فإنه -كما يجب اجتناب المعصية- فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية.

ومنها: ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها.

ومنها: أن ذلك يجرّئ العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يُردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أولا.

ومنها: أنه بترك الإنكار للمنكر يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية - مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها - يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأيّ مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرّم الله حلالا؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقا؟

ومنها: أنه بالسكوت على معصية العاصين ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه، ومنها ومنها..

فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة نصّ الله تعالى أنّ بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخصّ من ذلك هذا المنكر العظيم». «تفسير السعدي» (ص٢٤١).

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

قال ابن تيمية: «إن المؤمنين أولياء الله، وبعضهم أولياء بعض، والكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين، وقد أوجب الله الموالاة بين المؤمنين، وبيّن أن ذلك من لوازم الإيمان، ونهى عن موالاة الكفار، وبيّن أن ذلك منتفٍ في حق المؤمنين، وبيّن حال المنافقين في موالاة الكافرين.

فأما "موالاة المؤمنين" فكثيرة كقوله: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} إلى قوله: {ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}، وقوله: {إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض} إلى قوله: {والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم}، وقال تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون}.

وقال: {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء} إلى قوله: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} إلى آخر السورة، وقوله: {لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور}.

وقال: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور}، وقال: {ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم}، وقال: {وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين}.

وقال: {فإن الله عدو للكافرين}، وقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون. قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم} إلى قوله: {والله لا يهدي القوم الفاسقين}، وقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون

فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين. يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه} إلى قوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين} إلى تمام الكلام، وقال: {لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون. ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون}.

فذم من يتولى الكفار من أهل الكتاب قبلنا، وبيّن أن ذلك ينافي الإيمان: {بشّر المنافقين بأن لهم عذابا أليما. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا} إلى قوله: {سبيلا} وقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا. إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا}». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٩٠-١٩٢).

وقال ابن عثيمين: «وجوب الاحتراز عند الكلام، بمعنى أن لا تعمّم فتقول مثلًا: أهل هذه البلدة كلهم فسقة، كلهم فجار، كلهم كذا، لا تعمّم؛ لأنك لا تدري، ولهذا اسمع إلى عالم الخفيات جلَّ وعلا يقول: {وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}، فإياك والتعميم فتقع في الخطر أو في الكذب». «تفسير العثيمين: المائدة» (٢/ ٢٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالآيات من سورة المائدة ٧٠-٨١

١- اعلم أنّ الله أرسل إلينا الرسول صلى الله عليه وسلم لنتّبعه في كل ما جاء به، لا لنتّبعه فيما يوافق أهواءنا فحسب، فمن فعل ذلك فإنه متّبع لهواه في الحقيقة، وليس متّبعا للرسول حقا، ولا مؤمنا به صدقا، وتلك حال اليهود مع رسل الله ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

٢- كل من خالف الرسول صلى الله عليه وسلم عمدا فإنه لا بد أن يعاقَب على مخالفته، ومن أعظم العقوبات على ذلك: صرْفه عن رؤية الحق وعن سماعه وعن اتّباعه، ويكون هذا الصرْف بحسب درجة مخالفته للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد يكون في مسائل محدودة، وقد يصل إلى الانسلاخ من الدين بالكلية، فالحذر الحذر ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

٣- كلّ من ادّعى الإلهية لعيسى عليه السلام أو لغيره من البشر استقلالا أو اشتراكا مع الله سبحانه وتعالى فهو كافر كفرا صريحا، لأنه أعطى حق الله الأعظم وهو تفرّده بالإلهية لبشر ضعيف عاجز، وهذا هو الذنب الذي لا يغفره الله، ولا يقبل معه أي عمل صالح، بل مصير صاحبه النار خالدا مخلدا فيها أبدا ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٤- من تمام رحمة الله وكمال لطفه أنه يعرض التوبة على من بلغ الغاية في الكفر به سبحانه، ويقبل توبتهم، فمن باب أولى أنه يقبل توبة العصاة من أهل الإسلام والتوحيد، فبادر إلى التوبة من ذنوبك ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٥- من الوسائل المفيدة في دعوة غير المسلمين استعمال الأدلة الحسية التي لا يردّها إلا مكابر، كما بيّن الله أنّ المسيح ابن مريم وأمه كانا محتاجَين إلى الطعام كحاجة عامة البشر، فلا يمكن أن يكونا إلهين ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ

انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

٦- جعَل الله سبحانه وتعالى نبيّه عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ومع ذلك أخبر سبحانه أنه لا يملك الضر والنفع، وإنما هو سبب سخّره الله لجلب النفع ودفع الضر في جانب معيّن، فنعلم بذلك أنّ مَن دونه من الأولياء والصالحين والملوك والرؤساء لا يملكون النفع والضر من باب أولى، وإن أجرى الله على أيديهم شيئا من ذلك فإنما هو بتقدير الله وتدبيره، فعلّق قلبك بالله وحده، فإنه هو السميع لدعائك، العليم بحاجاتك ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

٧- احذر من الغلو في الدين، في عقائده أو عباداته أو شعائره أو شخصياته، فإنه سبب كبير للانحراف، وقائد إلى الهلاك، وسبيل النجاة من ذلك أن تفهم الدين كما فهمه الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام، وإياك واتباع الهوى في فهم الدين، وذلك بتقديم رأيك أو رأي بعض أهل الأهواء والبدع على فهم الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام لنصوص القرآن والسنة ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

٨- من أوجب الواجبات علينا أن نحرص على نشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعاتنا، وألّا نفرّط فيه أو نتكاسل عنه، حتى لا يألف المجاهرون بالمعاصي معاصيهم، ولا يتجرّأ غيرهم على التشبه بهم في منكراتهم، وحتى نسلم من نزول لعنة الله وعقوبته العامة علينا ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

٩- احذر من موالاة الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، والملاحدة والزنادقة والعلمانيين، فذلك من علامات الفسق، ومن موجبات سخط الله، وإنما الواجب عليك موالاة جميع المؤمنين وإن كانوا من أبعد الناس عنك نسبا وموطنا، والبراءة من جميع الكفار وإن كانوا من أقرب الناس إليك نسبا وموطنا، فذلك علامة الإيمان بالله والنبي والقرآن ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.